مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيق الموسوعة
وحققه هذا السفر
كامل سلمان الجبوري

الجزء الخامس

القراء والمحدثون



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

وبعد:

فهذا هو السفر الخامس من كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لشهاب الدين، أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري الدمشقي، المتوفى بها سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م.

وهو عبارة عن تاريخ وتراجم لمشاهير القرّاء والمحدثين.

وقد اعتمدت في تحقيق هذا السفر على مخطوطتين هما:

١ـ مخطوطه أيا صوفيا ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول برقم ٣٤١٨.

وقد وقّفها السلطان العثماني محمود خان، وعليها ختم باسم أحمد شيخ زاده، المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين.

٢ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ طو بقبو سراي ـ استانبول رقم ٢٧٩٧ وقد كتبت في الأصل برسم خزانة السلطان المملوكي، الملك المؤيد شيخ ابن عبد الله المحمودي (ت ٨٢٤هـ) ١٤٢١م، ووقفها الملك المؤيد على طلبه العلم بجامعة (المؤيدي) في القاهرة.

والتي قام بنشرها مصوّرة العلامة الدكتور فؤاد سزكين ـ معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ـ فرانكفورت ـ ألمانيا الاتحادية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م وعليها كان جلّ اعتمادنا.

***

أما طريقتي في تحقيقه فقد ذكرتها في مقدمتي للسفر الأول من الكتاب ولا داعي لتكرارها.

* * *

هذا ما استطعت تقديمه إلى القارىء الكريم والباحث الفاضل، وما تمكنت منه، فعلي الجدّ والاجتهاد، ومن الله التوفيق والسداد.

وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت وإليه أنيب

جمهورية العراق ـ الكوفة

كامل سلمان الجبوري



صفحة العنوان ـ مخطوطة أيا صوفيا ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول رقم ٣٤١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني من الكتاب في سكان الأرض من طوائف الأمم

وهو أنواع

النوع الأول في الانصاف بين المشرق والمغرب هذا النوع له
شبهان شبه بالقسم الأول بحسب موضوعه وما اندرج معه من النبات
والمعدن وله شبه بالقسم الثاني بحسب ما اندرج فيه من ذكر طوائف
العلماء الذين هم أعيان الناس وذكر سائر الحيوان إلا أن هذا الشبه
أقوى لأن المقصود من المكان ساكنه فألحقناه بهذا القسم

وفيه فصلان

الفصل الأول خطابي   الفصل الثاني على حكم التحقيق

الفصل الأول وهو الخطابي اعلم أن هذا مغلق لم يكن في عزمي أن أفتح بابه
ولا أتعرض إليه لأمرين أحدهما لأنني أخشى توغر صدر علي والثاني لأن
فضل الشرق ظاهر كوضوح الشمس منه فلا يحتاج إلى قول ثم إنني رأيت
من أهل المغرب من تطاول ممتدا للشرق بباعه القصير وكاثر بحره الزاخر
بوشلها القليل على أننا لا نجحد أن لكل منهما فضلا وأن في كل منهما المدح والذم أهلا
ولكن الأغلب يغلب وقد ذكر الله تعالى المشارق والمغارب في
غير موضع من القرآن فبدأ بالمشارق وإن لم تكن الواو تقتضي الترتيب ولكن

الصفحة الأولى ـ مخطوطة أيا صوفيا ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول رقم ٣٤١٨

التهدي الى معنى التعدي. حسن الصنيعة في احكام الوديعة. الطوالع المشرقة في الوقف
على طبقة بعد طبقة. الغيث المغدق في ميراث ابن المعتق. السهم الصائب في قبض
دين الغائب. الاتساق في بقاء وجه الاشتقاق. العارضة في البينة المعارضة. قطف
النور في مسائل الدور. الكلام على قوله ما لم تمسوهن. وأما غير ذلك من التصانيف الكلام
في المسائل المفردة واجوبة الفتاوى وغير ذلك فيزيد على الفين مسئلة. نفع الله بذلك

تم الجزء السفر الخامس من كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار
ويتلوه في السفر السادس ان شاء الله تعالى واذ قد ختمنا
فقهاء المحدثين بالجانبين ولم ندع منهم رتبة مشرق ولا مغرب ولا
مطلع هلال ولا كوكب. الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
حسبنا الله ونعم الوكيل

الصفحة الأخيرة ـ مخطوطة أيا صوفيا ـ مكتبة السليمانية ـ استانبول رقم ٣٤١٨



صفحة العنوان ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبو سراي إستانبول رقم ٢٧٩٧ (الأصل)

٣

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
فمناقب الفقرا خلاصة ذوي القلوب وخاصة المحبوب
قد ذكرت نبذ من امر كل زمان اذ كانت الارض لا تخلو من قايم
لله بحجة ومهيمن على سالك شرايع رشده وقليل ما هم ويعرفهم بسيماهم
كما قال امير المومنين علي رضي الله عنه اشخاصهم مفقودة وامثالهم
في القلوب موجودة فما من سالك مثلا لا سماه طريقته واعلى ما طلا
دعاه الحقيقة فما اولئك العقلا وقد قال رجل القوم الجنيد رحمة الله عليه
طريقتنا لا تضادها الشريعة في شي وقد ذكرتهم من اهل الجانبان
جريا على العادة وبالله التوفيق فمنهم اويس القرني
وهو اويس بن عامر بن جزء بن مالك المرادي القرني خير التابعين
اشرقت ... المقمرات ورشفت اليه القلوب رشح الجحيم الجمرات
ازهرت تلك الثمرات وظهرت تلك النفوس المطهرات وقد ذهب
بعض من تكلم على الحديث الشريف انه المعني بقوله صلى الله عليه وسلم اني
لاجد ريح الرحمن من قبل اليمن وكان وجهه نورا واشراقا وظهورا حتى
ما شبه به احد ولا اقترن وسبق سبق الجواد فما لزمه سابق في قرن وكان
سرا في ذلك الصدر وبدرا في التمام وعلو القدر وروى مسلم في صحيحه
ان عمر بن الخطاب كان اذا اتى عليه امداد اهل اليمن سالهم افيكم
اويس فقال اانت اويس بن عامر فقال نعم قال من مراد ثم من قرن قال
نعم قال فكان بك برص فبرات منه الا موضع درهم قال نعم
قال لك والدة قال نعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ياتي عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن
كان به برص فبرى منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو اقسم على الله
لابره فان استطعت ان يستغفر لك فافعل فاستغفر لي فاستغفر له فقال

الصفحة الأولى ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبو سراي ـ استانبول رقم ٢٧٩٧

٦٢٩

٥

حكمها بالحجر الحبشي والملح والنخالة فلم يكن يا شرع من تناول ذلك الدواء
لا يمكن إزالة المادة وسبح المسام في سفل القدم وأنزله اللافي ساعته
ولما ارتدت الحج في حجتي الثالثة كان الزمان صيفا والحر شديدا الى
غاية فسألته عما اعتمده فقال لي اذا احتجت الحر خذ بزرقطونا بماء ثم
اضيف اليه شيئا من الخل الحاذق والقيف وضمد به صدرك ورقبتك
فانك لا تبالي بالحر فوالله لقد كنت انا ومن معي نعمله ونركب في الهواجر المتوقدة
والقيظ المستطير ونحن نظن ان على صدورنا قطع الثلج لا نحس الحر وما
ندري ما التموز الى غير هذا مما كان فيه من الفضائل وما فاق به
الأنظار وفاق الاماثل فليت الشمس لو اتفقت تليلا ووا اسفا على مثله
كيف مات على اليهودية .. ومنهم محمد بن صغير .
ناصر الدين طبيب جامع . ولبيب تشرق كلماته في المسامع . وفاضل لم
يقتصر في نوع من الفضائل على كثرة تشعبها . ووجه الدراسة ولعبها . مع
اخلاق لو خلطت بها المدام لما قطبت شاربها . ولما قدر ان يذكرها
عايبها . الى فضائل شريفة . وشمائل ظريفة . واخوة صحيحة الاخاء
صريحة الاخاء . ولقد اقول قول حزم انه قد اصبح اليوم فردا واحدا
لما جمع من شتى المحاسن وكمال الاوصاف . وقرا العلم واشتغل به وخدم
السلطان . وباشر المرستان . وقرا النحو والادب وتطبع به حتى صار
خلقا له . وله في حسن العلاج يد طويلة . وآثار جميلة . وافعال حسنة
مشكورة . وهو يرى لطف التدبير في معالجة المرضى وعدم الاقدام
عليهم بالأدوية وكان السلطان يشكره ويثني على نشأته الحسنة
الى غير هذا مما يتعلق به من حسن الالسنة

مام



اخر الجزء الخامس ويتلوه في السادس ومن بعده من الحكماء اهل علم الموسيقى

الصفحة الأخيرة ـ مخطوطة أحمد الثالث ـ طوبقبو سراي ـ استانبول رقم ٢٧٩٧

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيقه الموسوعة
وحققه هذا السفر

كامل سلمان الجبوري

الجزء الخامس

القرّاء والمحدّثون

/٢/ بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثاني من الكتاب
في سكان الأرض من طوائف الأمم

وهو أنواع:

«النوع الأول» في الإنصاف بين المشرق والمغرب؛ هذا النوع له شبهان:

شبه بالقسم الأول بحسب موضوعه، وما اندرج معه، وتعلَّق بذيل المفاخرة بين الجانبين من النبات والمعدن.

وله شبه بالقسم الثاني بحسب ما اندرج فيه من ذكر طوائف العلماء الذين هم أعيان الناس، وذكر سائر الحيوان؛ إلاَّ أن هذا الشبه أقوى؛ لأن المقصود من المكان ساكنه، فألحقناه بهذا القسم.

وفيه فصلان:

«الفصل الأول» خطابي.

«الفصل الثاني» على حكم التحقيق.

* * *

الفصل الأول

وهو الخطابي

اعلم أنَّ هذا مغلق لم يكن في عزمي أن أفتح بابه، ولا أتعرض إليه لأمرين:

أحدهما لأنني أخشى توغّر صدرٍ عليَّ.

والثاني: لأنَّ فضل الشرق ظاهر كوضوح الشمس منه، فلا يحتاج إلى قولٍ، ثم إنني رأيت من أهل المغرب من يطاول ممتد الشرق بباعه القصير، ويكاثر بحره الزاخر بوَشَلِهِ[1] القليل، على أننا لا نجحد أنَّ لكل منها فضلاً، وأنَّ في كل منها للمدح والذم أهلاً؛ ولكن الأغلب يُغلَّب، وقد ذكر الله تعالى المشارق والمغارب في غير موضعٍ من القرآن فبدأ بالمشارق، وإن لم تكن الواو تقتضي الترتيب، ولكن / ٣/ مداومة تقديم المشارق لا يخفى ما فيها من معنًى، ومحاسن كل شيء غالباً في الشرق أكثر، ودَسْتُ[2] كل سلطنةٍ بها أعظم، ولا يخالف في هذا من لم ينازع الحقَّ أهله ولقد همَّ ابن سعيد[3]

---

(١) الوشل: الماء القليل.

(٢) الدست: صدر المجلس.

(٣) ابن سَعيد المَغْربي: علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، العنسي المدلجي، أبو الحسن، نور الدين. من ذرية عمار بن ياسر: مؤرخ أندلسي، من الشعراء، العلماء بالأدب. ولد بقلعة يحصب، قرب غرناطة سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٤م ونشأ واشتهر بغرناطة. وقام برحلة طويلة زار بها مصر والعراق والشام، وتوفي بتونس، وقيل: في دمشق سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م. من تآليفه «المشرق في حلي المشرق ـ خ» و«المغرب في حلي المغرب ـ خ» أربعة مجلدات منه، طبع منها جزآن، وهو من تصنيف جماعة، آخرهم ابن سعيد؛ و«المرقصات والمطربات ـ ط» في الأدب، و«الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة ـ ط» و«الأدب الغض» و«ريحانة الأدب» و«المقتطف من أزاهر الطرف ـ ط» و«الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد ـ ط» تاريخ بيته وبلده. و«ديوان شعره» و«النفحة المسكية في الرحلة المكية» و«عدة المستنجز» رحلة، و«نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ـ خ» و«وصف الكون ـ خ» و«بسط الأرض ـ ط» كلاهما في الجغرافية، و«القدح المعلى ـ ط» اختصاره في تراجم بعض شعراء الأندلس. و«رايات المبرزين ـ ط» انتقاه من «المغرب». وأخباره كثيرة وشعره رقيق جزل. =

في كتاب «المغْرِب»[١] بالتعصب لبلاده، ثم منعه الإنصاف، وإن كان في بعض الكلام قد أشار وما صرّح مثل قوله، وقد ذكر بعض الأقوال في مساحة الأرض من البحر المحيط بالصين إلى البحر المحيط بالأندلس وبر العدوة، وأن نصفها للمشرق من البحر المحيط بالصين إلى آخر الشام على البحر السبتي، والنصف الآخر للمغرب من أول الديار المصرية وبلاد الحبشة وما في غرب خليج القسطنطينية، وما في خطَّيه عرضاً ماراً في الطول إلى البحر المحيط بالأندلس وبرّ العدوة.

قال: ـ وقد ذكر البيهقي[٢]: أن من أصحاب المساحة من قال: إنَّ المشرق أطول وأعرض من المغرب.

ثم قال ابن سعيد: وقيل: إنّ الذي نقص من طول المغرب دخول البحر المحيط فيه من جزائر الخالدات التي هي منتهى العمارة إلى برّ طنجة، وإنَّ قسم المشرق من أول المشرق إلى الجزائر التي في البحر المحيط بالصين المعروفة «بصين الصين» هي أقرب في ذلك إلى المشرق من الجزائر الخالدات إلى أكثره في المغرب.

= ترجمته في: نفح الطيب ٤٥٣١ وبغية الوعاة ٣٥٧، وفوات، الوفيات ٢/ ٨٩، وعلماء بغداد ١٤٥ وهو فيه «علي بن سعيد الغماري» تحريف «العماري» نسبة إلى عمار بن ياسر، والفهرس التمهيدي ٤٣٤، ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٩٩، وآداب زيدان ٣/ ٢٠٧، وفي صدر «المغرب في حلى المغرب ـ ط» الجزء الأول من القسم الخاص بمصر، ترجمة له، يرجع إليها؛ وفيها تحقيق وفاته بعد سنة ٦٨٣ وترجيحها سنة ٦٨٥، الأعلام ٥/ ٢٦ـ ٢٧.

(١) النصوص الواردة هنا من القسم الضائع من كتاب المغرب المذكور.

(٢) علي بن زيد بن محمد بن الحسين، أبو الحسن، ظهير الدين، البَيْهَقي، من سلالة خزيمة بن ثابت الأنصاري، ويقال له ابن فندق: باحث مؤرخ ولد في قصبة السابزوار (من نواحي بيهق) سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٦م وتفقه وتأدب واشتغل بعلوم الحكمة والحساب والفلك. وتنقل في البلاد، وتوفي سنة ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م وصنف ٧٤ كتاباً، منها «تتمة دمية القصر» و«مشارب التجارب وغرائب الغرائب» في التاريخ، كبير، و«تاريخ حكماء الإسلام ـ ط» وكان قد سماه «تتمة صوان الحكمة» و«تفاسير العقاقير» و«أمثلة الأعمال النجومية» و«أسرار الحكم» في الحكمة. و«شرح نهج البلاغة» و«كتاب السموم» و«أحكام القراآت» و«تاريخ بيهق ـ ط».

وهو غير البيهقي المحدث. والبيهقي الأديب. وللميرزا محمد خان الطهراني رسالة بالفارسية سماها «ترجمة أبي الحسن البيهقي ـ ط» وكتب محمد مشكاة البيرجندي رسالة بالفارسية أيضاً سماها «حياة أبي الحسن البيهقي ـ خ».

ترجمته في: معجم الأدباء ٥/ ٢٠٨ـ ٢١٨، وتاريخ حكماء الإسلام/ مقدمته، من إنشاء محمد كرد علي. وكشف الظنون ١/ ٢٩٨، ودائرة المعارف الإسلامية ٤/ ٤٣١، والذريعة ٤/ ١٤٩ ثم ٧/ ١١٣، وهدية العارفين ١/ ٦٩٩، الاعلام ٤/ ٢٩٠.

ثم قال: ـ وقد ذكر الإقليم الرابع الذي هو معظم العمارة والاعتدال ـ: إنه ليس بالمغرب فيه إلا بعض الأندلس وبعض ساحل برّ العدوة، وجمهوره غلب عليه البحر.

وقد ذكر البحر الرومي ـ يعني الشامي ـ الذي سماه ـ هنا ـ السبتي قال: وفيه جزائر ليست مما تقارب جزائر الهند في الكثرة.

ثم قال: والإقليم الرابع في المشرق بضدّ ذلك ـ يعني ضد ما هو عليه في المغرب ـ لأنه ليس فيه بحر يعطله عن اتصال /٤/ العمارة، وكثرة المدن المتوالية من الشام إلى الجزيرة إلى عراق العجم إلى خراسان إلى ما وراء النهر متصلاً في بلاد الأتراك إلى يأجوج ومأجوج؛ فلهذا كان الشرق أعظم عمارة من المغرب، وأكثر مدناً.

ومعنى كلامه: أنّ البحر الرومي جاء في الجانب الغربي في موضع الإقليم الرابع إلاّ قليلاً منه، فلم تبق به مدن بخلاف الشرق؛ فإنه خالٍ من تعطيل البحر لأرضه؛ فقد جاء كلُّه مدناً آهلةً، وقُرى عامرةً، ورساتيق متصلةً.

قال ابن سعيد: فوجب التسليم من المغاربة في هذه المزيّة.

ولما ذكر ابن سعيد: أنَّ بعض الحكماء شبّه الأرض بجسد آدمي وعدَّد أعضاءه، وجعل الصين والهند رأسه، والغرب رجله، كما تقدَّم ذكره في هذا الكتاب.

قال: وبهذا التشبيه للمشرق غاية الفخر إن سلَّمه إليهم المغاربة.

قلت: وفي قول ابن سعيد: «إنْ سلَّمه إليهم المغاربة» في هذا الموضع، وقوله فيما تقدّم: ـ «فوجب التسليم من المغاربة في هذه المزية» من التنفس بمضاهاة الشرق ما فيه، ولو اكتفينا بهذه المزيّة، لكان فيها كفاية؛ لأنه أيّة مماثلة لجهةٍ أكثر ما فيها بحارٌ مِلْحٌ غامرة بجهة كلها أقاليم ممتدة عامرة بالمدن والقرى والثمار والزروع والأناسي والدواب، يسافرها المسافر كيف شاء، ويضطرب فيها حيث أراد. وكيف تستوي بلاد جنوبها الهند وهم من أهل العلم والحكمة مع صفاء الألوان وحُسن الصور، وكمال التخطيط، يعمّ الأرض طِيبُه، وينفحها أَرَجُه، ويداوي مرضاها عقاقيرُه، ويصلح أغذيتها أفاويهه، ويزين أسرّة ملوكها جوهرة، ببلاد جنوبها حُثالة السودان المحترقة ألوانهم، المُشوّهة صورهم، المختلفة /٥/ تخاطيطهم غاية الجهالة والنفوس البهيمية لا عقول لهم ولا أفهام، هم أقرب شبهاً من بني آدم بالأنعام، بل هم أضلُّ سبيلاً، وأذلُّ قبيلاً، وأقلُّ للمعارف تأويلاً، ولو أنصف ابن سعيد حقّ الإنصاف، وأذعن لواجب الاعتراف، لما قال: «فوجب التسليم من المغاربة للمشارقة» لأنه يجب للمشارقة على المغاربة التسليم في كل شيء شاؤوا أو أبوا؛ اللهم إلاّ في القليل النادر الذي لا حكم له، أوليس مظاهر الأنبياء ـ صلوات الله عليهم جميعاً ـ بالمشرق إلاّ

يوسف وموسى وهارون ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فانهم كانوا بمصر، وليس واقعة في القسم الغربي على قول ابن سعيد: إن سلم أهل مصر أنها من المغرب، أو سلم هذا إلى من يدعيه فيها، وعلى تقدير أن يسلم أن مصر من المغرب، فهذه السادة الأنبياء من الشرق، وكان من الشام مَنْبعهم، وإليه عاد مَرْجعهم؛ فمجموع الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ من الشرق فيه موالدهم، وإليه مباعث الرسل منهم، وبه قبورهم، ومهابط الوحي والتنزيل عليهم.

وأما دخول يعقوب والأسباط ويوشع والمسيح ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إلى مصر، فانه ليس بدخول استقرار، ولا كانت لهم بدار قرار؛ فهم لا يعدون في أنبيائها، ولا يذكر خبرهم في أبنائها، وبالشرق معارج الملائكة ـ صلوات الله عليهم ـ وبه أنزلت كتب الله المُنزلة، ومُدَّت ينابيعُ الشرائع، وعَلتْ سرادقاتُ الدين ونُشِرت ملاءات الملل، وتفرعت العلوم، وانبثَّت التصانيف شرقاً وغرباً، وبه جزيرة العرب، والسلطان سلطانها، واللسان لسانها.

فأما الشعرُ فمنهم طالت نَبْعته، وعنهم طارت سمعته، [والشعر هو نبعة البيان، وحِلية الفضل؛ ولله درّ العماد الكاتب(١) حيث تعصّب لمشرقيته، والحقَّ قال: إذ ذكر

(١) العِمَاد الكاتِب، محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين حامد بن أَلُهْ، أبو عبد الله، عماد الدين الكاتب الأصبهاني: مؤرخ، عالم بالأدب، من أكابر الكتاب. ولد في أصبهان سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م وقدم بغداد حدثاً، فتأدب وتفقه. واتصل بالوزير عون الدين «ابن هبيرة» فولاه نظر البصرة ثم نظر واسط. ومات الوزير، فضعف أمره، فرحل إلى دمشق، فاستخدم عند السلطان «نور الدين» في ديوان الإنشاء. وبعثه نور الدين رسولاً إلى بغداد أيام «المستنجد» ثم لحق بصلاح الدين بعد موت نور الدين، فكان معه في مكانة «وكيل وزارة» إذا انقطع «الفاضل» بمصر لمصالح صلاح الدين قام العماد مقامه. ولما توفي صلاح الدين استوطن العماد دمشق ولزم مدرسته المعروفة بالعمادية. وتوفي بها سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م. له كتب كثيرة، منها «خريدة القصر ـ ط» مجلدات منه، في دمشق وبغداد ومصر والمغرب وإيران. و«الفتح القسي في الفتح القدسي ـ ط» و«البرق الشامي ـ خ» سبع مجلدات في أخبار صلاح الدين وفتوحه، و«ديوان رسائل» و«ديوان شعر» و«السيل على الذيل» ثلاث مجلدات، في تاريخ بغداد، جعله ذيلاً على ذيل ابن السمعاني، و«نصرة الفترة وعصرة الفطرة» في أخبار الدولة السلجوقية، اختصره الفتح بن علي البنداري في جزء سماه «زبدة النصرة ونخبة العصرة ـ ط» ويعرف بـ«تواريخ آل سلجوق» وله «البستان ـ خ» في التاريخ.

ترجمته في: الكامل في التاريخ ١٢/ ١٧١، ومعجم الأدباء ١٩/ ١١ـ ٢٨ رقم ٤، ومفرّج الكروب ٣/ ١٢٧ـ ١٢٨، ومرآة الزمان ج٨ ق٢/ ٥٠٤ـ ٥٠٨، والتكملة لوفيات النقلة ١/ ٣٩٢ـ ٣٩٣ رقم ٦٠٥ وبدائع البدائه ١٠٠، ١٠٧، ١١٥، ١٤٠، ١٨٤، ٢٤٣، ٣١١، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٨٩، =

المغرب، قال في كتاب كتبه: «وأما المغاربة فعلى مشارع المشارقة مُغار حُليها، ومن مساربها معاذ سُبُلها، ومن حررها شرقها، وفي موج لجّها غرقها، وعندها سور النور وفيضه، في غياضها تفور، وحسبها أن الغزالة الراتعة في رياض الفلك، الكارعة من حياض الملك، إذا وصلت إلى وردها، توردت بالشفق واصفرَّت للفراق من الفِرق، وأصابت عينها عين العين الحامية، وعانقتها عَنْقاءَ مُغْرِب المعادية، ووقعت في قبضة طفل الطفل كالعصفورة، ومرت هنالك، ثم معادها غداة غدٍ يوم النشور، إنَّ الله يأتي بالشمس من المشرق حجة بالغة، وبحجة واضحة للحق المحقق، والمنصف المصدّق؛ فإن تعلق المغربيون بأذيال السماء وقالوا الأنوار أجزاء، فالمشرقيون اجتابوا حُللها القشب أولاً، وإن تعلَّقوا على أسوار أسارها، فالعراقيون فتحوها مَعْقلاً.

ثم ها أنا لي في كلمةٍ قلتها: [من مجزوء الكامل]

وَالصُّبحُ قَدْ وَافَى البَشِير ... بِقُرْبِهِ واللَّيلُ ذَائِبْ

وَسَرَى النَّسِيمُ كَأَنَّهُ ... شَكْوَى الحبائب لِلحبَائب

قَدْ جَاءَ مُبتَلَّ الردا ... أَتَقُولُ قَدْ لَمَسَ السَّحَائِب؟

وَأَتَى كَغُرّةِ أَدْهَم ... فَجرٌ تبدَّى في الغياهبْ

أَوَ ما تَرَى ضَوْءَ النَّهاً ... رِ وَقَدْ بَدَا مِنْ كلِّ جَانِبْ؟

= ٣٩٣، ٣٩٦، وذيل الروضتين ٢٧ـ ٢٨، ووفيات الأعيان ٥/ ١٤٧ـ ١٥٣ رقم ٧٠٥، وتلخيص مجمع الآداب ج٤ ق ٢/ ٨٤٤ رقم ١٢٤٠، والجامع المختصر لابن الساعي ٩/ ٦١ـ ٦٤، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ١٠٠، والعبر ٤/ ٢٩٩، والمختصر المحتاج إليه ١/ ١١٢، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣١١، ودول الإسلام ٢/ ١٠٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٤٥ـ ٢٥٠ رقم ١٨٠، والدرّ المطلوب ١٥٢، ومرآة الجنان ٣/ ٤٩١ـ ٤٩٤، والبداية والنهاية ١٣/ ٣٠ـ ٣١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١١٧، والوافي بالوفيات ١/ ١٣٢ـ ١٤٠ رقم ٤٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦/ ١٧٨، والوفيات لابن قنفذ ٢٩٩ رقم ٥٩٧، وتاريخ ابن الفرات ج٤ ق٢/ ٢٢٠ـ ٢٢١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٣٧٤ـ ٣٧٥ رقم ٣٤٣، والمواعظ والاعتبار ٣/ ٢٩، والمقفى الكبير ٧/ ٢٠٤ـ ٢١١ رقم ٣٢٦٦، والعسجد المسبوك ٢/ ٢٦٩، ومفتاح السعادة ١/ ٢٦٤ـ ٢٦٥، وتوضيح المشتبه ١/ ٢٦٣، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٧٨ـ ١٧٩، وتاريخ الخلفاء ٤٥٧، وثمرات الأوراق لابن حجة ٢٠، وتاريخ ابن سباط ١/ ٢٣٣، وشذرات الذهب ٤/ ٣٣٢، وبدائع الزهور ج١ ق١/ ٢٥٦ (في وفيات ٥٩٩هـ)، والدارس في تاريخ المدارس ١/ ٤٠٨، وديوان الإسلام ٣/ ٢٨٧ـ ٢٨٨ رقم ١٤٤١، وكشف الظنون ٢٣٩ وغيرها، وإيضاح المكنون ٢/ ٩٢، وهدية العارفين ٢/ ١٠٥، ومعجم المؤلفين ١١/ ٥٠٤، والفهرس التمهيدي ٣٨٤، وبلوغ الأرب في علم الأدب ١٦٢ـ ١٦٣، والكواكب الدرّية للجسر ٢١، والأعلام ٧/ ٢٦ـ ٢٧، تاريخ الاسلام (السنوات ٥٩١ـ ٦٠٠هـ) ص ٣١٦ـ ٣٢٣ رقم ٣٩٧.

وَسَرَتْ سَرَايَاهُ وقَدْ غصّت مِنَ اللَّيلِ الكواكب
وَبَدَا لَنَا وَقْتَ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ سَمْرَاءُ كَاعِبْ
وَرَأَيْتُ ثعلبَ فَجْرِهِ أَكَلَ الثُّرَيَّا وَهْوَ لاَعِبْ
وَكَأَنّمَا زُهْرُ النُّجُو م دَرَاهِمٌ فِي كَفِّ هَارِبْ
وَانْظُرْ إلى قَوسِ الهِلا لَ كَأَنَّه لِلصُّبْحِ حَاجِبْ
هذي المَجَرَةِ نَهْرُهَا ما فِيهِ مِنْ رِيٍّ لِشَارِبْ
لكأنّما الشَّرقُ المُنيـ ـرُ أَتى يَدُقُ قَفَا المَغَارِبْ

ثم ها أنا أرجع إلى الجَدَادِ[1]، فأقول:] وهل وقعت في غير الشرق الجهات / ٦/ الشريفة المُعظَّمة كالحرمين الشريفين مكة والمدينة وبيت المقدس؟!، الذي لا تشُدّ الرحال إلاّ إليها، وكذلك جبل الطور ـ وهو بين القدس والحجاز ـ.

فأما الجانب الغربي في قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ ﴾[2] فالغربيّ هنا بالنسبة إلى المكان المخصوص لا إلى مطلق الغرب.

وكان موسى حينئذٍ بالشام، ثم إلى جهة الشام فرَّ من فرعون وملئه، ومن أي القطرين جماعة الحواريين، ثم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وقد سمعنا فيهم بفارسي ورومي، ولم نسمع بمغربي؟ وهل كانت عباديد الرجال، وصناديد الأبطال إلاّ في جزيرة العرب، وما والاها من الجانب الشرقي؟، وهل جماهير الكرماء ومشاهير العظماء إلاّ منهم؛ فمن كرمائهم: حاتم طيىء، وكعب بن مامة، ثم عبد الله بن جعفر، وعبيد الله بن العباس، ومصعب بن الزبير، وغير هؤلاء ممن لا يحصر.

وأما من عظمائهم فما لا يعدّ كثرةً كالأكاسرة والقياصرة، والتبابعة، وملوك الترك، وفرسان العرب، وبهالوين العجم، وهل في الغرب مثل عنترة، وذي الخمار سُبيع بن الحارث، وعمرو بن ودّ العامري، ودريد بن الصمة، ومُهلهل، وبسطام بن قيس، وزيد الخيل ـ المسمى بزيد الخير ـ وعمرو بن معدي كرب، والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وخارجة بن حذافة، وقيس بن سعد، والأشتر النخعي، أو مثل رستم بن وستان ـ المسمى أبو هزال ـ واسفنديار بن كشتاسب، وبهرام جوبين، وبهرام الارميني مقاتل سعد بن أبي وقاص.

وهل شموس الأمة، وأقمار الأئمة إلاّ من المشرق مثل أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وبقية الأئمة الذين انقطعت الآن مذاهبهم / ٧/ ، وبقيت في أسماء

---

(١) الجداد: الطريق الواضح.
(٢) سورة القصص: الآية ٤٤.

التصانيف كواكبهم مثل: الحسن البصري، وسفيان الثوري، وطاوس ومن عاصرهم أو تقدم أو تأخرّ عنهم، أو انسحب على آثارهم من ذوي العلوم المُفننة، والأقوال المُرجّحة؛ وكذلك أئمة المحدّثين، وأعلام الحفّاظ، وحسبك أصحاب الكتب الصحاح. الشرق دارهم، وعنه امتدت أنهارهم، وانظر إلى تفاوت درجاة الرواة بين أهل القطرين تعرف ما بين الأوج والحضيض، وتعلم أيَّهما الصحيح والمهيض. وكفى المشارقة فخراً اتصال نسبهم القريب بالنبي ﷺ في الرواية.

وهل اطلع الغرب: مثل ما اطلع الشرق من السادات الأولياء أقطاب الأرض من مشايخ الطريق وأئمة التحقيق[١] مثل: عبد الله بن المبارك، وعتبة الغُلام، وأبي القاسم الجنيد، وأبي يزيد البسطامي، وأبي الحسن النوري، ومعروف الكرخي، وبِشْرٍ الحافي، وسري السقطي، وابراهيم بن أدهم، وأبي سعيد بن الجلاء. ومن كان قبلهم أو معهم أو جاء بعدهم من أهل هذا النمط.

وتأمّل رسالة القشيري[٢]، وحلية الأولياء[٣] لأبي نُعيم، وتاريخ السلمي[٤]، والمعارف[٥] للسهروردي، وما في معناها، هل تجد للغرب مثل ما سبق الشرق بادراك فضله وتحلّى به من أهلّة أهله؛ على أن لكل أرض أقطاباً عليهم مدارها، ولكنهم بالشرق أشهرَ، ومع مكاثرة أنوار النبوَّة بها أظهر، وأي القطرين أقدم إسلاماً، وأقوم أعلاماً، وأكثر أولاداً كِراماً، وآثر مآثر باقية وأيّاماً، وأيّهما بادر إلى تلقي راية الفصاحة، وتلقن آية السماحة.

وهل وصل إلى الغرب من السؤود إلاّ ما فضل عن الشرق، أو لبس إلاّ ما أعاره من الخليع المبتذل لِمَا دخل إليه عبد الرحمن الداخل من بني مروان إلى جزيرة الأندلس واجتمع إليه من شذاذ /٨/ القوم من لفظتهم مزاود المشارق، ولفظتهم أسرَّة الملك،

---

(١) سترد تراجمهم في الآتي.

(٢) وهي الرسالة القشيرية في علم التصوف، لعبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥هـ) وقد طبعت عدة مرّات.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله الاصبهاني (ت ٤٣٠هـ) وقد طبع عدة مرات أيضاً.

(٤) وهو طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) طبع بتحقيق نور الدين شريبة، ط حلب ١٩٥٣.

(٥) وهو عوارف المعارف لشهاب الدين، أبي حفص، عمر السهروري (ت ٦٣٢هـ) طبع بتحقيق: د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، ط دار المعارف بمصر ١٩٩٣، ٢٠٠٠).

فحينئذٍ صار الناس بالغرب ناساً، وإلاّ فقد كانوا كالبُهم السائمة؛ فمن ذلك الوقت تكلّموا باللغة العربية، وامتازوا بالنطق على كثير الحيوان، وكان ما أَخْلَقَهُ الشرقُ لهم جديداً. هذا بالأندلس، وأبقيت بقية الغرب على ما هم عليه، ما تحلّى لهم عاطل، ولا عرف منهم إنسان إلى المائة الرابعة، فدبّ فيهم ماء الإنسانية، وراقت فيهم بشاشة الأدب، وأضحت تعدّ مع المدن قراها، وتكلم مع الناس أهلها إلى أيام المرابطين، ثم الموحدين، ثم ملوكها الآن من بني مرين؛ فانهم مَصَّروا مدنها ومدَّنوا قراها وأجلوا جليلها، وكثّروا قليلها فصارت لا تُقصِّر في مضمار، ولا تُردّ عن غاية.

وهل في الغرب من الفلاسفة والحكماء مثل الشرق؟ فأما قبل الإسلام، فالمرجع إلى حكماء اليونان والهند، ومن اليونان مثل: فيثاغورس، وأرسطيغوس، وديوجانس، وفورون، وأرسطاطاليس، وسقراط.

ومن الهند مثل: كنكة الهندي، وطمطم الهندي، وصاحب كتاب السند هند في الفلك، وصاحب كتاب باقر في الموسيقى، وصاحب كتاب العدد، وصاحب كتاب كليلة ودمنة؛ وهل مثل هذا الكتاب في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس؟!.

وأما من كان في الإسلام فمثل: عبد الله بن المقفع، ومحمد بن إبراهيم الفزاري، والحسن بن الآدمي، وأبي جعفر محمد بن موسى الخوارزمي، ويحيى بن أبي منصور المنجم، وخالد بن عبد الله المروزي، والعباس بن سعيد الجوهري، وأحمد بن مروان السرخسي، ومحمد بن زكريا الرازي ـ طبيب المسلمين غير مدافع ـ وأبي نصر محمد بن نصر الفارابي ـ فيلسوف المسلمين غير مدافع ـ ويعقوب بن طارق ـ صاحب كتاب المثالات ـ وما شاء الله الهندي، وأبي محمد بن /٩/ ذي الدمينة الهمداني، وعمر بن فرحان الطبري، وأبي سهل بن نوبخت، وأبي جعفر بن محمد البلخي ـ منجم المسلمين غير مدافع ـ وطراز الدهر الرئيس أبي علي بن سينا، والإمام الحجة فخر الدين محمد بن عمر بن خطيب الري الرازي.

هل وَلَد الغرب أمثالهم؟! أم حذا في الأنموذج؟، إنَّ الدهر بمثلهم لعقيم، ولا عصبية للعظم الرميم، بل هو منهج الحق القويم، ومبهج الصدق المستقيم.

فان قلت أيها القائل: لِمَ خلطت بهؤلاء اليونان ومدنيتهم واقعة في الغرب بلا خلاف؟!.

قلنا: قد نسلِّم إليك أنَّ في الغرب مدنيتهم، ومن أرضه طينتهم، ولكن من الشرق أصل مددهم، وحاصل ذات يدهم؛ فإنّهم إنما أخذوا عن حكماء الهند غالب علومهم، وغامض معقولهم، ومنهم أوقدوا مصابيح أفهامهم.

قال لي شيخنا الحجة فريد الدهر وارث العلم والحكمة أبو الثناء محمود بن أبي القاسم الأصفهاني ـ أطال الله بقاءه ـ: إنَّ أرسطو استأثر بكتب الهند لما غلب الاسكندر على أرضهم واستفاد ما فيها، ثم أمر بها فَحُرّقت حتى لا تنسب حكمتها إلاّ إليه، ولا تعرف إلاّ به.

فاعرف من أين الأصل؟، ولأيّ الأفقين الحكم الفصل؟ هذا إذا لم يردّ عليك من يأتي بنيانك من القواعد، ويقول: صحيح إنَّ مدينة اليونان في الغرب؛ ولكن قد تدبر الجانب الشرقي منهم أناس، وسكن شرقي الخليج القسطنطيني منهم فِرق.

وقد قرر ابن سعيد المتعصب لكم، والمنتصر لبلادكم: أنَّ الخليج القسطنطيني فاصل بين الشرق والغرب، فأما غالب المتأخرين، بل جملة الآخرين، فإنهم في الشرق بلا نزاع ولا دفاع، وفيهم من بذَّ الأوائل، واستدرك ما فاتهم من الفضائل.

وأما حكماء الهند ـ وهم قبل اليونان السابقون الأولون، والحَفَظَة المحصلون ـ فما سمع أنَّ أحداً منهم تزحزح عن مكانه، ولا رضي مثلما / ١٠/ رضوا به بدلاً من أوطانه، وهذا فخر لا يُدفع، ودليل لا يُرفع، وعلى تقدير أن يسلم أنَّ مدينة اليونان مُفضَّلة بهم وإن نزحوا عنها، وأنَّ لليونان الفضل الباهر ـ اتبعوا أم ابتدعوا ـ فمدينتهم لتوغلها في الشمال أشبه بأن تنسب إليه من الغرب، وهي حقيقة أقرب إلى المحيط بالشمال منها إلى المحيط بالغرب، وذلك مؤيد ـ فيما ذكرنا ـ لكلّ مقال، قاطع لكلّ جدال؛ فهي شمالية لا مغربية، ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾[1].

فأما أصحاب الموسيقى وإجادة الغناء، فلمن تقدّم من هؤلاء الحكماء في الموسيقى ما يؤخذ عنهم علمه اليقين. وأما توقيع الألحان، وترتيب الأنغام، فإذا طالعت جامع أبي الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني، هداك النفس الطيب، وعلمت إلى الشرق أم إلى الغرب يميل سمعك، وبأيهما يهتزُّ عطفك، وما قصبات السبق إلاّ لمعبد مثل: ابن مِسْجَح، وابن مُحْرِز، وابن سُريج الهذلي، والغَريض، ومالك بن أبي السمح، ومَعْبَد، وحُنين الحيري، وحكم الوادي، وابراهيم الموصلي، وابن إسحاق، وابن جامع، ويحيى المكي، ومخارق، وعزَّة الميلاء، وبصبص، وسلامة، وحبابة، والزرقاء جارية ابن زامين، وعنان جارية الناطفي، وبَذَل الكبيرة، وعُريب، وغير هؤلاء ممن تصغي الصمّ لسَماعِهِ، وتغنّي الطير على إيقاعه. يتمنّى كل ذي أذن لو كان له

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

مستمعاً، ويودّ كل عضوٍ لو تحوّل لأجله مَسْمعاً، تُملي نغماته على الأوتار، وتحلي أوقاته بالمسار، يطرّف السمع بطرائف الأناشيد، ويطرب الجمع بلطائف الأغاريد. يسكر سامعه وما شرب بنت حان، ويهتز وما حرّكه سوى ألحان، تأخذ منه السعود بنصيب، ويعيد على العود شبابه وهو غَضْ رطيب، من كل مطربٍ ومطربةٍ فاقا، وفاتا في صناعتهما حذّاقا؛ كما قال الحريري في جارية قارئة، قال: إن قرأت / ١١/ شَفْت المفؤود، وأحيت الموؤود، وخلتها أوتيت من مزامير آل داود، وإن غَنَّت ظلَّ مَعبدٌ لها عبداً، وقيل: سحقاً لإسحاق وبُعدا، وإن زمرت أضحى زنام عندها زنيماً، بعد أن كان لحيله زعيما، وبالاطراب زعيما، وإن رقصت أمالت العمائم عن الرؤوس، وأَنْسَتْكَ رقص الحَبَب في الكؤوس.

[وهذا أديب الأندلس ـ بل الغرب ـ أبو الحسن علي بن بسام[١]، قد قال في خطبة كتاب الذخيرة[٢]، وقد ذكر ما لأهل الأندلس من فضلِ أدب، فقال[٣]: لعبوا بأطراف الكلام المشقق لعب الدجى بجفون المؤرق، وحدوا بفنون السحر المنمق، حُداء الأعشى ببنات المحلَّق، فصبُّوا على قوالب النجم غرائب المنثور والمنظوم، وباهوا غرر الضحى والأصائل، بعجائب الأشعار والرسائل، نثرٌ لو رآه البديع لنسيَ اسمه، أو اجتلاه ابن هلال لولا حكمه، ونظمٌ لو سمعه كُثيِّر ما نَسَبَ، ولا مدح، أو تتبعه جَرْولٌ ما عوى ولا نبح، إلاّ أن أهل هذا الأفق أبوْا إلاّ متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب، أو طنَّ بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنماً، وتلوا ذلك كتاباً محكماً.

ثم قال[٤]: فغاظني منهم ذلك، وأنفت مما هنالك، وأخذتُ نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري، وتتبع محاسن أهل بلدي وعصري، غَيرة لهذا الأفق الغريب أن تعود بدوره أهلّة، وتصبح بُحورُهُ ثِماداً مضمحلة. ثم قال: وليت شعري من قصر

---

(١) علي بن بَسَّام الشنتريني الأندلسي، أبو الحسن: أديب، من الكتَّاب الوزراء. نسبته إلى شنترين (المسماة اليوم Santarem) في البرتغال. اشتهر بكتابه «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ ط» في ثمانية مجلدات، تشتمل على ١٥٤ ترجمة مسهبة لأعيان الأدب والسياسة ممن عاصرهم أو تقدموه قليلاً توفي سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م.

ترجمته في: المغرب في حلى المغرب، طبعة دار المعارف ١/ ٤١٧، والذخيرة: مقدمة الجزء الأول، هدية العارفين ١/ ٧٠٢، الاعلام ٤/ ٢٦٦.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. (٣) الذخيرة ١/ ١/ ١١.

(٤) الذخيرة ١/ ١/ ١٢.

العلم على بعض الزمان، أو خصَّ أهل المشرق بالإحسان.

قلت: وكفى المشرق قضاء هذا الأديب الفريد على أهل الأندلس؛ وهم صفوة أهل المغرب بولوعهم بما لأهل المشرق حتى لو نعق غراب، أو طنَّ ذباب مع تصديقه لأبي علي البغدادي في قوله، وقد قصد الأندلس(١): لما وصلت إلى القيروان وأنا أعتبر من مرَّ بي من أهل الأمصار فأجدهم درجات في الغباوة وقلَّة الفهم بحسب تفاوتهم في المواضع بالقرب والبعد حتى كأنَّ منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم مُحاصَّة ومقايسة.

قال(٢): فقلت: إنْ نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيت في أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم، فسأحتاج إلى ترجمان في هذه الأوطان.

ثم قال ابن بسام عنه(٣): وبلغني أنه كان يُتْبع كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق في ذكائهم، ويتغطَّى عنهم عند المباحثة والمفاتشة، ويقول لهم: إنَّ علمي لعلم رواية، وليس بعلم درايّة فخذُّوا عنّي ما نقلت فلم آل لكم إن صحّحت.

قلت: فهذه شهادة لا ترد من أبي علي على أهل المغرب إلاّ الأندلس وإقرار ابن بسام له على قول شهادة معه، وهذا قضاء على كثير المغرب لأهل المشرق.

فأما أهل جزيرة الأندلس فيكفي ما قاله ابن بسام عن فضل أهلها آنفاً، أنه لو نعق بالمشرق غراب، أو طنَّ ذباب لجثوا عليه صنماً، وتلوه كتاباً محكماً.

وأما ما زعم أنَّ أبا علي البغدادي كان يتغطى عنهم عند المباحثة والمفاتشة، ويقول: إنّ علمي لعلمُ رواية، وليس بعلم دراية، فهذا إن صحّ وسلم إليه، عنه جوابان.

الأول: أنَّ أبا علي كان كما قال: صاحب علم رواية ليس عنده إلاّ ذلك، وقد يكون بُلي برجل جدلٍ أو رجال كذلك فقصرت حجّته عندهم بحق وبمعاياة، فقال ذلك: ولا يخلو قطر من ذي جدل فيه، فأمّا لو رموا بمثل ابن سينا وأضرابه، والفارابي وأشباهه، لذابت حصاتهم، ونامت خفافيشهم.

والجواب الثاني: ـ أنهم قد الجأوه في وقت إلى تأويل باطل لم يقنعهم منه إلاّ التسليم إليهم فيه، فلم يستجز ذلك، فقطعهم بذلك القول من ألحانِهِ إلى الباطل.

ويعجبني ما حكي عن الصاحب بن عباد، قيل: إنه سمع بكتاب العقد، فحرص حتى حصل عنده؛ فلمَّا تأمّله، قال: ﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ ﴾(٤) ظننتُ أنَّ هذا

---

(١) الذخيرة ١/١/١٥.
(٢) الذخيرة ١/١/١٥.
(٣) الذخيرة ١/١/١٥.
(٤) سورة يوسف: الآية ٦٥.

الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم، فإذا هو لا يشتمل إلاّ على اخبار بلادنا. لا حاجة لنا فيه فردَّه][1].

وليس في الغرب أحد في هذا الباب يذكر، ولا سمع له ما يُذم ولا ما يشكر، اللهمَّ إلا ما تكلفت له على ما يأتي.

ثم نأخذ الآن في أصحاب الصنائع العملية، وأشرفها رسم الكتابة، وما أظنّ المغاربة تتطاول إلى مفاخرة أهل الشرق فيها، ولا تنازع أهلها في القطر الشرقي مثل أبي الحسن علي بن هلال الكاتب المعروف بابن البواب، والولي علي التبريزي، والشيخ الكاتب عماد الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن هبة الله بن الشيرازي، وجمال الدين ياقوت المستعصمي، وشرف الدين محمد بن الوحيد الزرعي، وغير هؤلاء من الكتّاب، ومن يطرب وضع خطّهم الألباب.

فأما سائر أصحاب الصنائع والمهن فأجلّ الصنائع الفِلاحة، ولا يقال إلاّ الفِلاحة النّبطية أو الفلاحة الروميّة؛ وهي قوام المعايش، ومادة الرزق، وسبب العمارة، وحفظ بقاء النوع.

وسمعنا يقال: سيف هندي، ورمح يزني، وقوس عربية، وسردة داودية، وبيضة عادية، وديباج خسرواني، وأطلس رومي، وصوف آذريٌّ، وقطن سابوري، وكتان روسي، وتوصف ملاءات الهند، وحبرات اليمن، وأبراد صنعاء، ووشي العراق، وغضار الصين، وفخار قاشان، وزجاج الشام، ولا أسمع للمغرب هاتفة، ولا أحسّ به نابسة إلاّ ما كان يقال من قباطي مصر، ثم في آخر العهد من قماش تنيِّس، ثم الإسكندرية الآن.

هذا إن سُلّم أن مصر من الغرب وإلاّ فدون التسليم / ١٢/ السنة قالةٌ، وحُجج قاطعة.

فأمّا الملك فما أظنّ مغربياً تسمُو به همته إلى المجاذبة في هذا بأطراف النزاع، ولا تعرض لإطراق الشجاع، وبالشرق دست قواعد الخلافة مستقرّ الخلفاء الراشدين، وبني أمية، والدولة العباسية، وما لمغربيّ أن يقول: كيف تلبس الشرق حلل الخلافة وتُعرّى معاطف الغرب وبها دولة الخلفاء من بني أمية، وبني حمود، وبني عبد المؤمن.

---

(١) معجم الادباء ١/ ٤٦٤.

فجوابه: إننا لم نذكر إلاّ الخلافة المجمع عليها، ولم نذكر خلافة الناجمين بالشرق كالعلويين بآمل كرسي مازندران المسماة بطبرستان، وبني الأخيضر العلويين باليمامة، وأئمة الزيديين باليمن؛ إذ كل خلافة سوى المجمع عليها شذوذ.

[ولو أننا أيها المدعي للغرب على الشرق نظرنا فيمن بويع بالجهتين، ونظرنا بين الفئتين، لمحيت سطوركم، ومحقت بدوركم، وتوهدت رُباكُم، وتوهنت صباكم، بما نحنُ به نردّكم إذعانا، ونسف طائركم خفقانا، وانقطعتم دون الغاية، وأجمعتم وما رفعت لكم راية، والتحق بالعدم وجودكم، والتحف جناح الخمول بجيدكم؛ ولاتَ حينَ مناصٍ، وهيهات من يد المؤاخذة خلاص].

وأما السلطنة والملك، فقد قال ابن سعيد عن السلطنة: إنّ الاصطلاح أن لا تطلق هذه السمة إلاّ على من يكون في ولايته ملوك، فيكون ملك الملوك، فيملك مثل الشام، أو مثل مصرَ أو مثل إفريقيةَ أو مثل الأندلس، ويكون عسكره عشرة آلاف فارس أو نحوها، فان زاد بلاداً أو عدداً في الجيش كان أعظم في السلطنة، وجاز أن يطلق عليه السلطان الأعظم؛ فان خطب له في مثل مصر والشام والجزيرة، ومثل خراسان وعراق العجم وفارس، ومثل إفريقية والغرب الأوسط والأندلس، كان سمته سلطان السلاطين كالسلجوقية.

وقال: وإذا قايسنا بين سلاطين المشرق وسلاطين المغرب، كان الفضل للشرق.

قلت: وهذا القول، وإن أنصف فيه ابن سعيد، فإنه ما وفى الشرق حقه ولا أوصل إليه مستحقه؛ لأنه لا نسبة لأوضاع السلطنة في المغرب بالنسبة إلى السلطنة في /١٣/ المشرق، وأين وأين، وبعد بين الأرض والسماء، والدرُّ والحصباء، وإن كنا لا نغمط الغرب حقه، ولا نجحد له فضله، وها قد نقلت عن الثقات من أهل كل قطر ما هو عليه، والمنصف لا يلج في الباطل، ولا يجنح إلى النزاع.

وأما الخلافة فأيّ خلافة طاولت بني العباس، وقد عمَّت غالب الأرض دعوتهم،

والسلطنة الشرقية عجمية الأوضاع، والسلطنة الغربية عربية الاتضاع، وفي التواريخ والسير النبأ الصادق.

وهل أحد من سلاطين المغرب يماثل السلطان محمود بن سبكتكين في عظمة سلطانه، واتساع بلاده ومهابة أوضاعه؟! ومن شكّ فليسأل أبا نصر العتبي في تاريخه اليميني الموضوع باسم هذا السلطان مما تقشعر الأرض وترجف به الآفاق.

ولقد حكى الصابي عن بعض الرسل؛ قال: دعينا إلى باب مسعود ـ يعني ابن محمود بن سبكتكين ـ بغزنة فشاهدنا بالباب أصناف العساكر وملوك جرجان وطبرستان

وخراسان والهند والسند والترك، وقد أقيمت الفيلة عليها الأسرّة والعماريات الملبسة بالذهب، مرصعة بأنواع الجواهر؛ وإذا بأربعة آلاف غلام مردٍ وقوف سماطين، وفي أوساطهم مناطق الذهب، وبأيديهم أعمدة الذهب، ومسعود جالس على سريرٍ من الذهب لم يوضع على الأرض مثله، وعليه الفرش الفاخرة، وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر واليواقيت، وقد أحاط به الغلمان الخواص بأكمل زينة، ثم قام مسعود إلى سماط من فضة عليه خمسون خواناً من الذهب، على كل خوان خمسة أطباق من ذهب فيها أنواع من الأشربة، فسقاهم الغلمان، ثم قام مسعود إلى مجلس عظيم الأقطار فيه ألف دست من الذهب وأطباق / ١٤/ كبار خسروانية فيها الكيزان، وعلى كل طبق زرافة ذهب، وأطباق ذهب فيها المسك والعنبر والكافور وأشجار الذهب مرصعة بالجواهر واليواقيت، وشموع من ذهب في رأس كلّ شمعة قطعة من الياقوت الأحمر تلمع لمعان النار، وأشجار العود قائمة بين ذلك، وفي آخر المجلس رحى من ذهب تطحن المسك والكافور والعنبر، وفي جوانب المجلس بحيرة في جوانبها من الجواهر والعنبر والفصوص واللؤلؤ شيء يقصر الوصف عنها. وذكر أشياء تحيّر الأسماء والأسماع، ثم قال: فما بقين ولا بقوا.

أو هل أحد مثل السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان وما ضمَّ سلطانه من الأقطار وحواه مما تشتمل عليه بردة الليل والنهار، فلقد ملك من الصين إلى آخر الشام، وهو مسيرة نصف يوم للشمس أو أزيد، وخطب له على منابر هذه الممالك من خان بالق إلى غزَّة، وفتح له الحجاز واليمن، ومات وهو يخطب له باليمن، ولا يعلم بموته؛ لبعد الديار وتنائي البلاد.

وحدَّثني شيخنا العلاّمة فريد الدهر نخبة الآفاق أبو الثناء محمود بن أبي القاسم الأصبهاني ـ أطال الله مدّته ـ وقد ذكر حسن تدبير الوزير نظام الملك وزير هذا السلطان: أنَّ السلطان ملكشاه كان في بعض صيوده بخان بالق في الصين وأنعم على بازيارته، وهم البزادرة بمال فأحالهم نظام الملك الوزير على أنطاكية من الشام فشكوا إلى السلطان، فلام نظام الملك على البعد العظيم عنهم، فقال له: يا سلطان العالم أنا قصدت هذا حتى يقال: إنك كنت بالصين ومراسمك نافذة بالشام. وهذه بارقة تدلّ على ما بعدها وعنوان ينطق بما في المضمون[١].

أو هل يوجد مثل السلطان علاء الدين خوارزم شاه، أو / ١٥/ ولده السلطان جلال الدين محمد؟، وكانت جريدة كل واحد منهما ستمائة ألف فارس يجري عليهم

(١) بغية الطلب ٥/ ٢٤٩٩.

ديوانه، ويفترض لهم إحسانه سوى من ينضمّ إليهم، وينتظم من أجناس الأمم فيهم، وما بالعهد من قدم، ولا بآثارها خفاء؛ ولقد كانا على الإسلام السور المنيع، والحجاب المُسبَل.

وقد حكى لي الملك الكامل محمد بن السعيد عبد الملك[١]: أن السلطان الملك العادل أبا بكر بن أيوب ـ رحمه الله ـ كان يقوم بالليل فيتوضأ ويصلّي ويدعو الله، ويقول في دعائه: اللهم انصر عبدك محمداً، وأيده وظفره بأعدائه ومكّن سيوفه من أعناقهم ومقاتلهم، وما هذا معناه؛ فلما تكرّر هذا منه، قالت له أم ولده الصالح إسماعيل: مسكين إسماعيل ـ عن ابنها ـ فقال لها: كيف؟ فقالت: لأنك ما تدعو إلاّ لولدك الكبير. تعتقد أنه يدعو للملك الكامل أبي المعالي محمد، فقال: ما أقلّ عقلك، أبالله في ظنّك أنني أدعو لابني محمد، فقالت: نعم وإلاّ فَلِمَن؟! فقال: لا والله، لا والله أنا ما أدعو إلاّ للسلطان جلال الدين محمد خوارزم شاه؛ فانه السدّ بيننا وبين التتار، وهو الستر الجميل على الإسلام، فوالله ما بيننا وبين رواح البلاد من أيدينا إلاّ أن ينكسر، وإلاّ فما دام قائماً نحن بخير، نحن بخير يكرّرها، فلهذا أدعو له آناء الليل والنهار.

قلت: ولقد صدق الملك العادل ـ رحمه الله ـ في قوله، فهكذا كان وما زال حمى الخلافة مصوناً والبلاد محميّة الأطراف متماسكة القوى حتى مات السلطان علاء الدين تكش، ثم ابنه السلطان جلال الدين محمد ـ رحمهما الله ـ فمالت التتار على الآفاق وطَمَى سيلهم على الأرض فانتهكت حرمة الإسلام، وأخذت دار السلام، وانهرت أوداج الأرض بالدماء، وسبيت الكرائم، وترامت الهاشميات إلى دجلة، وقتل الخليفة وتشوهت الخليقة، وماج الثقلان، وكان ما كان. فرحم الله الملوك الخوارزمية، لقد /١٦/ جاهدوا في الله حق جهاده، وقاوموا التتار مدّة سنين إلى أن علا السيل الزُّبى، وبلغ الحزام الطُّبيين، ولو شاء ربُّك ما فعلوه؛ فهل في الغرب من بلغ سلطانه هذا المبلغ، وعظم في الملك شأنه إلى هذا الحدّ؟، وهل فاض الملك من الشرق على الغرب؟، أم من الغرب على الشرق؟ قُل وانصف أيّها المسؤول، ولا تقل عن المستنصر الفاطمي لمّا خطب له ببغداد؛ فتلك سَنّة وظلمة كان سببها أرسلان البساسيري؛ لعداوة ابن رئيس الرؤساء، ثم عاد الحق إلى أهله بيد بني سلجوق، وقام القائم في مقامه، وقال المعاند في حر انتقامه، ولم تكن تلك العارضة إلاّ شبيهة بقضية

---

(١) الملك الكامل: محمد بن السعيد عبد الملك بن اسماعيل بن العادل بن أيوب (ت ٧٢٧هـ).
ترجمته في: ترويح القلوب ٥٦.

سليمان ـ عليه السلام ـ إذ ألقي الجسد على كرسيه.

وقد قال ابن سعيد: إنَّ السلطان من بلغ جيشه عشرة آلاف، فأين هو ممن بلغ ستمائة ألف؟، ولكنه تكلّم على أعظم ما عنده مما رآه في بلاده، ولو تخطّى خطًى إلى المشرق، لما قال هذا المقال، ولا ضرب عن ضرب مثل هذا المثال.

ومن الشرق الأنوار تفيض ،وفي الغرب تغيض فالشمس لا تصل إلى الغرب إلاّ وقد ضعف فعلها، وقلَّ تأثيرها، فلا يقابلها أهل المغرب إلاّ منكبة على أفقها، مولية على أدبارها؛ فهي في الشرق فتيَّة، وهي في الغرب هرمة، وشتان ما بين الحالين، وبون كثير بين الجانبين؛ فلهذا لا يقاس أهل الغرب بأهل الشرق في حسن الصور، وبهجة المرأى، ويكفيك النظر إلى الوجوه والشمائل.

وحسبنا حكاية حكاها ابن سعيد في المغرب، قال: إنَّ تاجراً من أغنياء العجم سمع بسلطنة بني عبد المؤمن، فانتخب بالمشرق طُرفاً تليق ان تُهدى إلى الملوك، وكتب الله سلامته حتى وصل إلى مراكش، وبها حينئذٍ العادل ابن المنصور، وهو يُخطب /١٧/ له بالخلافة، فقدَّم له تلك الهدايا، وفي جملتها مملوك تركي زعم أنَّ قيمته عليه عشرون ألف درهم مغربية، فلم يقبَله العادل، ولا وجد من يبتاعه منه، وصار إذا مشى به تعجب الناس من زيِّه، وذهلوا في صورته التي لم يعتادوها؛ فبلغ ذلك قاضي القضاة، وكان صاحب ناموس مغربي، فأمره أن يغيِّر زيَّه بالزيِّ المغربي، فقال ابن حوطٍ كاتب العادل فيه: [من الخفيف]

بِـأبِـي شَـادنٌ مِـنَ الـتُّـرْكِ أَبْـدَى زِيُّـهُ زَهْـرَةً حَـوَتْـهـا كِـمَـامَـهْ
مـيّـزوا رِدْفَـهُ فـأَبْـدَوا جِـبَـالاً حِيْنَ سَارَتْ قَامَتْ عَلَيْنَا القِيَامَةْ

فلمّا لبس الزيّ المغربي، قال أبو الربيع الدَّاني: [من البسيط]

يَـا حَـاكِـمَ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ اللهُ بَيْنَهُمُ وَبَـيْـنَ جَـائـرِ حُـكْـم أَنْـتَ مُـظْـهِـره
غَـيَّـرتَ زِيـا لِـظَـبْـيِ الـتُّـرْكِ ذَا بِـدَعٍ يَـسْـبِـيْ نَـوَاظِـرَ أَهْـلِ الـلُّـطْـفِ مَـنْـظَـرُهُ
قَـدْ كَـانَ مَـيَّـزَ مِـنْـهُ كَـلَّ جَـارِحَـةٍ بِـشَـكْـلِـهِ يَـقْـرَأُ الـتَّـفْـسِـسْـرَ مُـبْـصِـرُهُ
حجّبهُ عَنْ أعين العشاق إنْ قَدَرَتْ قَـسَـاوَةُ مِـنْـكَ دُوْنَ الـنَّـاسِ تَـهْـجُـرُهُ

وفيه قيلت هذه الأبيات مرافدةً: [من مجزوء الخفيف]

فِـتْـنَـةُ الـتُّـرْكِ قَـدْ أَتَـتْ مِـنْ بِـلادِ الـمَـشَـارِقِ
أَيُّ شَـخْـصٍ بَـدَالَـهُ دِيْـنَـهُ لَـمْ يُـفَـارِقِ
إنّ أَحْـداقَـنَـا بِـهِ أَبَـداً فـي حَـدَائِـقِ

لَـــمْ نُـــطِـــقْ عَـــنْـــهُ سَـــلْـــوَةً مُـــذْ بَـــداَ فِـــي الـــمَـــنَـــاطِـــقِ

فها أنتم أهل المغرب رأيتم واحداً من أهل المشرق بزيّه فتنكم حسنه حتى خاف قاضيكم المشفق عليكم الفتنة بحسنه وبحسن زيّه، وقال /١٨/ فيه شعراؤكم ما قالوا حتى عرّض أحدهم بمفارقة الدين في هواه، وما ترك خليفتهم، والله أعلم، قبوله بخلاً بالعوض عنه، ولكن خوف الفتنة به لإبداع حسنه في رأي عيون أهل المغرب؛ إذ لا نظير لهُ عندهم فيقع في ظنونهم أن مثل هذا لا صبر لأحدٍ عنه؛ ولعلَّ هذا المملوك ما كان أحد نفسه، ولا واحد جنسه، وهل هو إلاّ واحد من أهل بلاد لا ينظر إليه فيها بعين الاستحسان، ولا يفرّق فيها بينه وبين غيره من الغلمان؟ هذا وقد قال قائلكم واحتفل: إنَّ قيمة ذاك المملوك على زعم تاجره عشرون ألف درهم مغربية، ولعمرك لقد كثَّر غير كثير، وعظَّم غير عظيم، هل الدراهم المغربية إلاّ كالدراهم السود؛ كل ثلاثة بدرهم نقرة من نقد مصر.

وكان الترك في ذلك الوقت أغلى قيمة من وقتنا هذا بأضعاف مضاعفة؛ ولعلّه لو كان بمصر اليوم لما ساوى أكثر من ألفي درهم، وكم في اصطبلات آحاد الأمراء مملوك بألفين وفوق الألفين، بل فيها من ثمنه عشرة آلاف درهم وما يزيد وينقص؛ فكيف لو رأيتم اليوم المماليك بمصر؟! وفيهم مع كثرة الجلب ورخص القيمة من بلغ ثمنه ثمانين ألف درهم عنها من دراهمكم مائتا ألف وأربعون الف، لكنتم ترون ما تحار فيه عقولكم، ويُعشي لمعانُه أبصارَكم، وأحسن ما فعله قاضيكم في تغيير زي هذا المملوك المشرقي بالزي المغربي لو كان غيَّر زيكم المغربي بالزيّ المشرقي، فبدل القبيح بالحسن، ولا يعترض قائل فيقول: [من الرمل]

«حَـــسَـــنُ فِـــي كُـــلِّ عَـــيْـــن مَـــا تَـــوَدّ»(١)

وكل أحد يقول: إنَّ زيَّه هو الحسن؛ فجوابه: أنه لو لم يكن في زيّ ذلك المملوك معنىً يزيد في الحسن، لما أمر قاضيكم بتغييره. خوف الفتنة عليكم، كما فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله /١٩/ عنه ـ في حلق رأس نصر بن حجاج، لما سمع الهاتفة باسمه وهي تقول: [من الخفيف]

هَـلْ مِـنْ سَبِيـلٍ إلى خَـمـر فَـأَشْـرَبـهـا أَمْ هَـلْ سَـبيـلٌ إلى نَـصْـرِ بـن حَـجَّاج

---

(١) عجز بيت لعمر بن أبي ربيعة، صدره:
«فـتـضـاحـكـن، وقـد قـلـن لـهـا ... ...»
انظر: ديوانه ١٠١.

ولقد أجاد قاضيكم لكم الاختيار، إذ لم يأمركم بتغير زيكم بمثل زي الرشأ الأغن الأغيد، فإنكم لو لبستم ذلك الزي، لم يناسب معاطفكم الرِّشاق، وخصوركم الدقاق، ولكنه ـ رحمه الله ـ أحسن لكم النظر، ولم يخطىء لكم في الاختيار.

ثم نرجع إلى ما كنّا فيه فنقول: وبالشرق ما لا يماثله في الغرب من: الحيوان، والنبات، والمعادن.

فأما الحيوان، فأشرفه الإنسان، وقد بيّنا فضل أهل المشرق منهم على أهل المغرب بمواهب الله من النبوة والولاية والخلافة والعلوم على أنواعها، والصور الجميلة على اطلاقها.

فأمّا ما عدا الإنسان، فللشرق أيضاً في أكثره، بل كلّه التفضيل من الخيل العِراب بالحجاز، ونجد، والبحرين، وبلاد الفرات، والشام، وأطراف الجزيرة، وبراذين الروم، وكيلان، وبغال الروم، وأرمينية، والعواصم والشام، والجمال البغراوات البساريك، والبخت ذوات السنامين، وذوات السنم، والعباديات، وجمال بغداد وحلب ومهاري بلاد مهرة، وعمان والبحرين، وأطراف العراق والشام، والأغنام التركية ذوات اللّوايا المستديرة، بخلاف أغنام المغرب اللواتي كأنها المعز لا لوايا لها، وغير ذلك من الحيوانات التي لا يفتخر شيء من الملابس على جلودها، كالسمُّور، والقندس، والقاقم، والوشق، والسنجاب، والبُرطاسيّ والجلد الواحد من هذا الحيوان يقسم على أنواع كلها حسن جميل، وغزال / ٢٠/ المسك، ودابة العنبر، وقط الزّباد، وحيوان اللؤلؤ، ودود الحرير، ووحش الحُزتُوت، والسرطان البحري المجلوب من الصين.

وأما المعادن فكثرة في الأرض. والذهب موجود في أماكن كثيرة بالجنوب، فبالشرق بالهند وبالدامغان، وبالغرب في غانة وبلاد السودان، وكذلك معادن الفضة في مواضع، وحظُّ الشمال وافر منه، على أن المحيط يقذف منه ذهباً في بعض الأقطار الشمالية على ما قدمنا ذكره.

فأما الجوهر، فللشرق معظمه، وأثمنه وأعظمه وأحسنه من البهرمان، واليواقيت على اختلاف أنواعها، والماس، واللّعل المسمّى بالبلخش، والفيروزج، وما يندرج في ذلك من الأحجار.

ومن ممتهنات الأحجار: اليشم واليصم، ولو أنصفا لألحقا بالجواهر، والفولاذ، والرصاص القلعيّ؛ ومن منابت الشرق العود الهنديّ، واليلنجوج، والصندل، والكافور، والراوند التركي، والجوزبُوا، والبسباسة، والكبابة، واللبان

الذي يزيد على الجاوي، والسنبل والقرنفل، والفوفل، والفلفل، وأنواع الطيب والأفاوية، والعقاقير النافعة، والمفردات التي لا تكاد تعدّ فهل في الغرب ما يضاهي هذه المحاسن على أنني سأورد في ذكر كلّ جانب ما فيه، فإذا تأمّله الناظر بعينه، وتدبّره بفهمه، علم أنني لم أعدل عن الانصاف، ولا قلتُ بالجزاف، وأيّ حاجة بنا إلى هذا؟ نعوذ بالله من الجور في الحكم، والميل مع كفّة الظلم.

وقد قلنا ما بجنوب المغرب من معادن الذهب، وفي برّ العدوة، ومعادن الفضة؛ ولكنه لا يعود لها عائد نفع؛ لكثرة ما يخرج على ما يتحصل منها مثل معدن الذهب بالدامغان، وما بين مصر، وما يليها / ٢١/ من بلاد السودان معدن الزمرد، والزبرجد، وبالهند معدن زمرد، وزبرجد؛ وهو الزمرّد الذي يسمّى المكي، والذي بجهة مصر أفضل. وإن صح أنَّ مصر من بلاد المغرب، فهذا مما لا يجحد من فضائلها؛ لعظيم نفع الزمرّد، خصوصاً الذبابي منه وما نصَّت عليه الأطباء؛ ولكنه وإن عظم نفعاً، وغلا قيمة، فإنه لا يبلغ أكثر من قيمة البلخش، أو بعض أنواع اليواقيت، والذبابي ولو غلا ما غلا، وعلا ما علا، لا يبلغ قيمة البهرمان، ولا يدانيه في علو الأثمان.

فإن قال بعض المغاربة: فلم لا ذكرت مع هذه المسميات ما عندنا من البلور والمرجان؟ قلنا له: صحيح، ولكن انظر إلى تفاوت الأثمان، فإن تشبَّع بما ليس له، وقال: فأين أنت من الزمرّد الذّبابي؟ قلنا له: فأين أنت من الياقوت البهرمان؟ وهل يضرب إلاّ به المثل، وتنشقّ إلاّ عليه مرارة الزمرد، ويحمرّ خدّ البلخش من الخجل؟ ومع ثبوت هذه المحاسن للشرق فما نَسْلب المغرب حُلله، ولا ننقصه حقّه، ولا ندّعي ما ليس له بالغرب في وقتنا مَلِكٌ صُبَّ على عبّاد الصليب، يدرأ في نحور الأعداء، ويجاهد في سبيل الله من جاوره منهم برّاً وبحراً.

والغرب هو أحد جناحي الأرض، وبه من كرائم الخيل، والمعادن، ويقذف بحره العنبر، ويجيء منه الشكرلاط المنوَّع الذي لا يوجد في غير جزائر القطر العربي، والمصطكا، والزعفران المنقول إلى الآفاق، وبه الدهنج الأفرنتي، وأين هو؟. ومتى يوجد؟ وبه أنواع من العقاقير النافعة، والكتّان المعدوم المثل إن صح أنَّ مصر في القسم الغربي، على أن الهند والصين ومواضع من فارس بها الزعفران، وبأودية سرنديب البلّور.

وقد وردت من / ٢٢/ الآيات والأخبار النبوية في فضل المغرب وجنده ما جاء مثله أو أزيد في مواضع بالشرق، كمكّة، والمدينة، والقدس، والشام، واليمن.

وسنورد في كل موضع ما يليق به، ونذكر في خصائص كل أرض ما بها، ولا

نَنكر أن بالمغربِ سادة أجلاّء، وأئمة فضلاء من ذوي العلم والحكمة، وأجادوا في النحو والأدب، ومنهم الصلحاء الأفراد، وفيهم بقايا المسكة في الدين، والتشدد في الحق، ولقد كان للأندلس بأهله حلية كأنما شعشعها الأصيل بذهبه، أو حلاّها الأفق بدررِهِ، أو حباها النهار بشمسه، وحيّاها الليل بقمره زمان بني أمية بقرطبة، وملوك الطوائف بعدهم، وأكثر ما أعني بني عبّاد بأشبيلية، فلقد كان الأدب بهم غضّاً جديداً، والإحسان طارفاً تليداً؛ فشتت الدهر جمعهم، وطمس آثارهم، وبدّلهم بعبّاد الصليب والكنائس بالمساجد، والمذابح بالمحاريب.

والله يُؤيّد من يقوم لاسترجاع هذه الضالة، وانتزاع هذه الأخيذة، إنه على ما يشاء قدير.

وأمّا برّ العدوة الآن، فهو على ما تقدّم تفصيل حاله في موضعه من اتساع الرقعة، وعظم السلطان، وكثرة العساكر والجيوش من شجعان الرجال المعدود كل واحدٍ منهم برجال ممن لا يقصُّ بهم للغرب جناح، ولا يقصر طماح، وإن لم يكن كالشرق في اليَسار، ولا هو من الطائر قادمته اليمين فهو قادمته اليَسار. وفيما ذكرنا. كفاية.

* * *

الفصل الثاني

في الإنصاف بين المشرق والمغرب على حكم التحقيق

والذي نقوله على سبيل التحقيق: إنَّ الذي صوِّر في لوح الرسم على ما رسمه صاحب /٢٣/ جغرافيا هو قسمة المعمور على قسمين: ـ شرقي وغربي، يلاقي فيه خطّان وهميان في الطول والعرض على زوايا قائمة، وهما: ـ خطّا الأطوال والعروض، سمَّوا ملتقى الخطين حيث انفرق المعمور على قسمين بقُبَّة أرين؛ وهو وسط نقطة خطّ الاستواء الخارجة عنه الأقاليم إلى الشمال، والمقّدران بإقليمين إلى جهة الجنوب، وقد تقدّمت الإشارة إلى هذا في مواضع في هذا الكتاب.

فلمّا انقسمت المعمورة بقسمين وقع في الغربي منها أشرف البقاع؛ مكة، والمدينة، والقدس، والطّور، ومصر، وطور سيناء.

والمواضع المذكورة بصريح الاسم في القرآن، والمدائن المذكورة في الحديث المشهور على قائلِهِ أفضل الصلاة والسلام.

وأجلّ الأقاليم الغربيــة كفارس، والعراق، والشام، وجزيــرة العــرب.

ولم يبق للشرق بقية يباهي بها المغرب.

على أنَّ الأمر ليس كذلك، ـ والله أعلم ـ فإنَّ كلاً من الشرق والغرب من حيث هو أمر نسبي؛ ألا ترى أنَّ أهل إفريقية يعدّون برّ العدوة غرباً وبرقة شرقاً؟ وأهل برقة يعدُّون إفريقية ومصر شرقاً؟ وأهل مصر يعدُّون برقة غرباً وأهل الشام شرقاً؟ وأهل الشام يعدُّون مصر غرباً والعراق شرقاً؟ وهلمّ جّرا ـ إلى نهاية المشرق.

فيتبين حينئذٍ أن قول الشرق والغرب أمر نسبي؛ وإذا تبيَّن هذا وقد تقرَّر أن العالم كُرِيُّ، وأنه لا يمتنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الناحية الأخرى مسكوناً، صار مشرق هذا العالم مغرباً لتلك الجهة، ومغربه مشرقاً، فكيف يجوز الاطلاق، ولم يبق إلاّ المصطلح العُرفيّ؟ / ٢٤/ والمغاربة على هذا المصطلح، أعني سكان الجانب الغربي عن مصر غاية ما سمت همَّتهم إليه، وتعلَّقت أيديهم بنسبته إلى قطرهم هو إقليم مصر.

ألا ترى ما قدَّمناه في الفصل الذي قبل هذا من قول ابن سعيد: إن مصر أول المغرب، والشام أول المشرق؛ وكذلك مما قال في هذا المعنى غير ذلك.

وابن سعيد هو واحد فضائلهم في هذا الشأن؛ وقد تعصَّب لأفقه غاية التعصُّب، ووضع في ذلك كتابه المسمّى بـ«المُغرب في حلى المغرب» ومع هذا فما زاد على ما ذكرنا على أنه لم يأل جهداً، ولا ترك قدرةً في المقال؛ ولو وجد حجةً لأتى بها، أو شبهة لاستند إليها.

وقال ابن سعيد في كتاب «المُشرق في حلى المشرق» جملة الحدّ في كتبهم: أنَّ الله قسّم المشرق من المغرب بالبحار فما كان في شرقي بحر الإسكندرية، وخليج القسطنطينية، فهو من حساب المشرق، وما كان في غربيّ ذلك فهو من حساب المغرب.

قال البيهقي: فيكون المشرق على هذا أطول من المغرب؛ لأنَّ جملة المعمور اثنا عشر ألف ميل، وطول بحر الإسكندرية إلى وقوفه بسواحل الشام حيث أول المشرق أربعة آلاف ميل، فيبقى للمشرق ثمانية آلاف ميل.

ويعضد ذلك الحساب بالدرج في الطول؛ وذلك أنَّ العمارة تنتهي في الطول إلى مائة وثمانين درجة، فنحتاج أن يكون النصف حين ينتهي إلى تسعين درجة؛ وذلك في خراسان حيث مرو وجهاتُها.

ووجدنا بساحل البحر الشامي حيث عسقلان ينتهي في الطول إلى خمس

وستين درجة؛ فهو قدر الثلث، والمشرق الثلثان.

والمشرق ـ مع ذلك ـ أعمر من المغرب؛ وذلك أنَّ الله تعالى قرن عمارة الأرض بقربها /٢٥/ من البحار، وأنَّ البحر إذا بعُد من الأرض أكثر من خمسة عشر يوماً بطلت عمارتها.

والمشرق قد جعل الله في مواضع الحرارة منه ـ حيث قلّة السكنى في الإقليمين الأول والثاني ـ بحار الهند مالصين والزنج التي خُصَّت بكثرة الجزر العامرة، وما يقابل هذا المكان من المغرب صحار مُقْفِرة إلاّ خيط النيل المغربي بما على ضفتيه من بلاد السودان.

والإقليم الرابع الذي هو معظم العمارة والاعتدال استولى على أكثره بحر الزقاق؛ وهو في المشرق بضدّ ذلك من اشتباك العمارة المتصلّة.

والمناظرة بين المشرق والمغرب تحتمل كتاباً، وقد صنفته بالشام لضرورة دعت إلى ذلك من شدّة اتحاد المشارقة على المغاربة من كلّ جهة حتى قال ابن دحية في خطبة كتابه «في أخبار المغرب» يخاطبهم[1]: [من الطويل]

وَإنْ كُنْتُمُ في العَدِّ أَكْثَرَ مَفْخَراً فَلا تَظلِمُونا في القَليلِ الَّذي لَنا

وسميت الكتاب الذي وضعته في ذلك «الشهب الثاقبة في الإنصاف بين المشارقة والمغاربة».

والذي يسع هذا المكان أن نذكر ما استدلّ به المشارقة واستظهروا. قال البيهقي: للمشرق الفخر بتقدمهم في القرآن والحديث، وفي الحديث النبوي: «خير الأرض مشارقها».

قال: وهي مطلع الأنوار، وإليها كانت قبلة الأوائل، وانّى للمغرب بمفاخرة المشرق؟ وعندنا ظهرت مباعث النبوة، وفينا نبتت شجرة الأبوة، ومنّا نشأت الدول والملل، ومن أفقنا طلع العلم والعمل؛ وكل شيء يُفخر به، فإنَّ المشرق فيه للمغرب رأس، وكلّ ما أحكم عندكم بنيانه وإتقانه، فمنا كان فيه الأساس.

وفاخر مشرقيٌّ مغربياً، فطال بينهما /٢٦/ الكلام إلى أن قال المشرقي: لو لم يكن لنا عليكم من الفضل إلاّ أن الشمس التي بها إنارة العالم وحياتهم تطلع من عندنا، فقال المغربي: ونحن أيضلً تطلع من عندنا في وقت، فقال المشرقي: الله لا يرينا ذلك الوقت.

---

(١) المطرب من أشعار أهل المغرب ١٤٥.

قال: وأنشدني العماد السلماسيّ لنفسه: [بحر المتقارب]

إِذَا ذُكِـرَ الـشَّـرْقُ فِـي مَـحْـفِـلٍ فَـلا يُـذْكُـرَنَّ بِـهِ الـمَـغْـرِبُ
طُـلُـوْعُ الـغَـزَالَـةِ فِـي أُفْـقِـنَـا وَفِـي أُفْـقِـكُـمْ أَبَـداً تَـغْـرُبُ
وَتُـشْـرِقُ أَنْـوَارُهَـا عِـنْـدَنَـا وَعِـنْـدَكُـمُ نُـوْرُهَـا يُـسْـلَـبُ

ثم قال ابن سعيد ـ ما صورته: فصل جامع مختصر يليق بهذا المكان ـ: أمعنت النظر فيما دخلته من بلاد المغرب والمشرق من البحر المحيط إلى خراسان، فرأيت المحاسن مقسّمة لم يقصرها الله على مكان ولا إنسان، لكنَّ الأغلب على البلاد المشرقية التظاهر بالمروءات، والتكاثر بالمزارات والمشاهد، والمدارس، والربط، والأوقاف الدارة التي تتعيش بها الفقراء، وتستعين بها العلماء والمتعلمون، ويجدها الملوك في بعض الأوقات الضرورية؛ ولكن أسباب الرئاسة والرفاهية جبّارية الإمكان، غالية الأثمان، ومرافق المغرب في المركوب والملبوس والمأكول والمشروب أرخص وأقرب مراماً، ويمكن المرء أن يتجزأ في المغرب بما لا يمكنه أن يتجزأ بأضعافه في المشرق؛ لكثرة تجبّرهم في العظمة الكسروية، والنعم التي لا تطمع إليها نفوس المغاربة، ولا يألفها في المغرب والمشارقة لهم التظاهر بأمور الرفاهية في مركبهم ومجالسهم، فإذا دخلت منازلهم، تعجبت من تفاوت بواطنهم عن ظواهرهم، بضدّ المغاربة. والأغلب على المشارقة التغاضي، وترك الحقد، /٢٧/ وقلّة المؤاخذة على الأقوال والأفعال، ولكن تحت ذلك من المسامحة في القول، والإخلاف للوعد، وقلّة المبالاة والارتباط، ونبذ الحقوق، ومرعاة الآداب الإنسانية ما يقطع النفس حسرات. ولهم من القيام والبشاشة في السلام ما يطول ذكره إلاّ أهل بغداد.

وقال في المُغرِب[1]: يالله لأهل المشرق قولةٌ غاصّ بها شَرِقٌ هلاّ نظروا إلى الاحسان بعين الاستحسان، ولم يخرجهم الازراء بالمكان عن حدّ الامكان؟ لئن أرهقت بصائرهم البَصَرة، وأرَّقها الرّقّتان، ومرجنا نحن بحيث مرج البحرين يلتقيان، فإنَّ منهما يخرج اللؤلؤ والمرجان، وينشد ما قاله بعض شعرائنا في هذا الشأن: [من الطويل]

نُـرَاحُ لِـفَـضْـلٍ أَنْ يَـكُـونَ لَـدَيـكُـمُ فَـمَـا بَـالُـكُـمْ تَـأْبَـوْنَ إِنْ كَـانَ عِـنْـدَنَـا
وإن كـنـتـمُ فـي الـعَـدِّ أَكْـثَـرَ مَـفْـخـراً فَـلا تَـظْـلِـمُـونَـا فـي الـقَـلِـيْـل الـذَّي لَـنَـا

قلت: والذي قاله ابن سعيد منقوض عليه في أكثره؛ اما قوله: ـ إنَّ المحاسن مقسَّمة لم يقصرها الله على مكان ولا إنسان لكن الأغلب على البلاد المشرقية التكاثر

(١) كذا وردت في الأصل، والنقل من كتاب المطرب ص ١٤٥.

بالمزارات والمشاهد ـ إلى غير ذلك مما ذكره ـ فصحيح، وإنما الكثير الغالب قسم الشرق في المحاسن، ومن نظر بعين التحقيق إلى الحيوان والنبات والمعادن، وعدّ ورجّح الأكثر علم أنَّ حظّ الشرق أوفر.

وأما قول ابن سعيد: إنَّ أسباب الرياسة والرفاهية في المشرق جبَّاريَّة غالية، ومرافق المغرب أرخص وأقرب مراماً، فحسبنا منه هذا القول؛ فإنَّ المعالي غير رخيصة، ولا يخفى على ذي عقل سليم وفكر صحيح، أنّ المدح الصريح للشرق فيما ذكره ابن سعيد. وقد كفانا الرجل /٢٨/ بقوله همَّ البحثِ معه ومناقضته فإنه فرّق بيّن بينَ من يلبس الحرير، والسمور، والفنك، ويركب جياد الخيل، ويقتني الغلمان الأتراك، ويأكل لحم الضأن، والدجاج، والأوز، والحلواء، ويتخذ الطهاة لأنواع المأكل [ويفخر بعضهم على بعض بكثرة الإنفاق، ولا يقنع في شيء بالقليل، وبين من يقضي أوقاته بضدّ ذلك. ويدخن بالعنبر واليلنجوج، ويتطيّب بالمسك، ويدّهن بالغالية [جلّ ملابسه الصوف والقطن، وأطيب مأكله العجين، والزيت، والسمن، وأكثر ما يفتخر الرجل منهم إذا كانت له فرس واحدة أو اقتنى عبداً زنجياً أو علجاً فرنجياً، فان دخن كان باللادن، وإن تطيّب كان بالغسول، وأدَّهن كان بالزيت، لا يتنافسون في فخار، ولا يحصلون من دنياهم على طائل].

ويفخر بعضهم على بعض بكثرة الإنفاق، ولا يقنع في شيء بالقليل، وبين من يقضي أوقاته بضد ذلك جلّ ملابسه.

وأما قوله: والمشارقة لهم التظاهر بأمور الرفاهية في مراكبهم ومجالسهم فإذا دخلت منازلهم تعجبت من تفاوت بواطنهم عن ظواهرهم بضدّ المغاربة فهذا كلام باطل منقوض؛ فإن المشارقة لهم في بيوتهم من الفُرش الغالية، والخدم والقيان والمطربات، وغير ذلك من أنواع الرفاهيّة ما لا هو لأهل المغرب، بل ولا تسمح نفوس ملوكهم في هذا بما تسمح به نفوس آحاد من أنعم الله عليه من المشارقة من السُّوقة وعوام الناس. ولعل خرج توظيف الوظائف، وترتيب طبقات الخدم إلاّ من المشرق كالطشتخاناه، والفراش خاناه، والشراب خاناه، وسوى ذلك، فهل للمغاربة هذا التوظيف في باطن أمرٍ أو ظاهره؟ ويا ليت شعرى هل صَنّف كتاب الأغاني في بواطن أحوال المشارقة أو المغاربة، وكلّه بل غالبه وصف أحوال المشارقة في مجالس أنسهم، وأوقات خلواتهم بالمطربين والمطربات والجواري الحسان المثمنات، وتفريق الجوائز والصلات؛ فهل للمغاربة شيء من ذلك؟ وإن كان لبعض ملوكهم تلذّذ فلعله لا يبلغ ما لبعض سوقة المشارقة.

وأما قوله: الأغلب على المشارقة التغاضي، وترك الحقد، وقلّة المؤاخذة على الأقوال والأفعال؛ ولكن تحت ذلك من / ٢٩/ المسامحة في القول، والإخلاف للوعد وقلّة المبالاة والارتباط ونبذ الحقوق، ومراعاة الآداب الإنسانية ما يقطّع النفس حسرات، فأوّل هذا القول صحيح لا شكّ فيه، إنَّ عندهم التغاضي وترك الحقد وقلّة المؤاخذة، وهذا دليل على رزانة حلومهم، وكرم شيمهم، ومؤاخذة الآباء للأبناء بحسن التخلق بأخلاق الكرماء، والتأدب بآداب الآباء والعظماء حتى صار هذا طبعاً لهم يتوارثه منهم خلف عن سلف.

وأما آخر هذا الكلام، فهو غير مُسلّم، والدليل عليه سير الخلفاء والملوك في الأفقين.

وما يعجبني من حسن وفاء المغاربة إلاّ ما فعله يوسف بن تاشفين ـ ملك المغرب وبرّ العدوة ـ مع بني عبّاد ملوك الأندلس؛ فإنهم أدخلوه إلى بلادهم وبذلوا له الطاعة وقدّموا له نفائس الأموال وأخدموه البنين والبنات، فكافأهم بانتزاع الملك، وأخذ ابن عبّاد وأهله الأخذة الرابية، وقيّده بالحديد، وغلّه وسلسله وحمله هو وأهله في الفلك إلى أن سجنه بأغمات، ورمى أهله بالتفرق والشتات، ولم يجر عليه وهو في حبسه ولا رغيفاً واحداً من الخبز، حتى كنَّ بناته يغزلن للناس بالأجرة، ويطعمن أباهم.

ودخل إليه بعض بناته في يوم مطير ذا لثقٍ ووحلٍ، وهي حافية القدم؛ لعدم قدرتها على مشترى حذاءٍ فبكى على حاله، وقال في ذلك الأشعار المشهورة، والأقوال المذكورة، وأدّى حال بعض بنيه ـ بعد الملك الضخم ـ إلى أن صار أجير صائغ يعمل بالأجرة.

ولابن اللبّانة شاعره في وصف حاله، وحال أولاده ما يبكي السامع، ويحزن الفرح المسرور/ ٣٠/ ؛ فهذا من وفاء المغاربة. وعليه فقس بقيّة الأمور.

وأمّا قوله: ولهم من القيام والبشاشة في السلام ما يطول ذكره فصحيح، وهو مما تقدّم القول فيه من مكارم الأخلاق وحسن التخلق مع الناس، وللناس الظاهر، والله متولّي السرائر، ولله القائل: [من البسيط]

لَـقَـدْ أَطَـاعَـكَ مَـنْ يُـرْضِـيْـكَ ظَـاهِـرُهُ وَقَـدْ أَجَـلَّـكَ مَـنْ يَـعْـصِـيْـكَ مُـسْـتَـتِـرا

وإنْ سُلّم إلى ابن سعيد: أنَّ للمشارقة حسن الظاهر دون الباطن؛ فلقائل أن يقول: صدقت، للمشارقة حسن الظاهر دون الباطن، والمغاربة لا لهم ظاهر ولا باطن.

وأما قوله: نحن بحيث ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾[(١)]، ومنهما يخرج اللؤلؤ والمرجانَ[(٢)] فصحيح أنَّ منهما يخرج اللؤلؤ والمرجان، وإنما اللؤلؤ من البحر الهندي وما خرج منه. وأما البحر المغربي فليس فيه إلاَّ المرجان ليس إلاَّ. فتأمّل فرق ما بين الأثنين في اللون والكون والقيمة، وإنما تكثَّر ابن سعيد بما ليس له، ولو اقتصر على المرجانَ لسلمنا إليه؛ فإنه في بحر المغاربة وإلاَّ من أين هو واللؤلؤ وهو من بحر المشارقة؟ والذي يظهر في معنى قوله تعالى ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ أنه عن الهندي والشامي، وحيث يلتقيان في المحيط لمخرجهما منه.

وأما قول ابن سعيد: فإن كنتم في العَدِّ أكثر مفخراً، البيت؛ فـ[هذا] إقرار صريح صحيح منه، وممن قاله للمشارقة.

ثم قال: وللمشرق على المغرب الفخر في كتاب الله تعالى في قوله ـ عز وجل ـ ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾[(٣)]، وإن كانت الواو لا ترتِّب فلا يخفى ما في التقدّم، لا سيما إذا تكرر في أماكن من الاعتناء، وقد تقدّم مثل هذا.

ثم قال: وأما الحديث فللمغرب الفخر على المشرق، وهو قوله ﷺ: «لا يزال / ٣١/ أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» رواه ابن بشكوال مما خرَّجه مسلم في صحيحة[(٤)].

وقد ذكر البخاري في تاريخه الكبير[(٥)] عن عمرو بن الحمق الخزاعي عن النبي ﷺ أنه قال: «ستكون فتنة خير الناس فيها الجند المغربي».

وعن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال عصابة من أمتي بالغرب يقاتلون على الحق لا يضرّهم من خالفهم حتى يروا قوماً قياماً فيقولون: غشيتم، فيبعثون سرعان خيلهم، فينظرون ويرجعون إليهم، فيقولون: الجبال سيّرت فيخرّون سجداً، فتقبض أرواحهم».

قال: وقال رسول الله ﷺ: «خير الأرض مغاربها»، وكان رسول الله ﷺ يتعوَّذ من فتنة المشرق.

وقال ابن سعيد: حسب المغرب وأهله هذه الأحاديث التي لا يوجد مثلها في ذكر المشرق. وفي أماكن من المشرق وأماكن من المغرب ما هو مذكور في القرآن

---

(١) سورة الرحمن: الآية ١٩.
(٢) اشارة إلى الآية الكريمة ٢٢: سورة الرحمن.
(٣) سورة الرحمن: الآية ١٧.
(٤) صحيح مسلم ٩٤٩ رقم ٤٩٩٧.
(٥) تاريخ الكبير ٦/ ٣١٣ـ ٣١٤.

والحديث مثل: مكة، والمدينة، وبابل من الشرق، ومصر من الغرب، ومكة والمدينة والشام من الشرق، وذلك كثير.

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع مدائن من الجنة: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق، وأربع مدائن من النار: روميَّة، وقسطنطينة، وأنطاكية، وصنعاء».

وقد قال أدريس: يعني أنطاكية المحرقة.

وقال أبو عبد الله السقطي: إن المراد صنعاء بأرض الروم، وليست التي باليمن.

قال ابن سعيد: فخرج من هذا الحديث أن ليس بالغرب مدينة من هذه المدن التي هي من أهل الجنة، كما أنَّ لهم الفخر أيضاً بأنَّ أنهار الجنة على ما جاء / ٣٢/ في الحديث: الفرات، وسيحان، وجيحان، والنيل، وليس منها في المغرب إلاّ واحد وهو النيل.

قلت: فانظر الى ابن سعيد مع فرط نصبه للمغرب وأهله ما قدر أن يدّعي أنَّ من المغرب أشرف البقاع ولا مدن الجنة؛ فلما ذكر الأنهار الأربعة قال: وليس منها في المغرب إلاّ واحد وهو النيل، فما تجاوز مصر في الدعوى على كثرة ما نظر في لوح الرسم المصوّر، وطالع الكتب الموضوعة عليه والمقالات المتفرعة فيه، ولكنه ما تحلّى بما ليس له كلابس ثوب زور، ولا ادّعى دعوى يَفضحه فيها الحق، وهذا منه غاية الإنصاف والإذعان للحق وأهله، ولو وجد سبيلاً بحق إلى سوى هذا لقاله؛ فإذا لم يدّع هذا للغرب مغربي لا يدعيه له مشرقي.

ثم قال ابن سعيد ـ نقلاً عن البيهقي ـ: إنَّ حدّ المغرب من الجهة التي ذكرها بطليموس في أنَّ الله تعالى قسَّم الأرض نصفين: بحر جُدّة، وخليج القسطنطينية على أن يجعل الديار المصرية أول الغرب.

وكل هذا يؤيد بعضه بعضاً في إثبات الفخار للمشرق لاشتماله على أشرف البقاع ومدن الجنة، وأجلّ الأقاليم العُرفيّة كالشام، والعراقين، وأذربيجان وخراسان إلى نهاية المشرق.

وكلام ابن سعيد كلّه لمن تأمله إثبات لفضل المشرق وأهله على المغرب وأهله، وهو الحق الذي لا يمترى فيه.

وقد قال الرئيس أبو علي بن سينا: «المدن المشرقية صحيحة جيدة الهواء، تطلع على سكانها الشمس في أول النهار، وتصفّي هواءهم، ثم تنصرف عنهم وقد تصفّى،

وتهب عليهم رياح لطيفة ترسلها عليهم الشمس آخر النهار، ثم يتبعها طلوع الشمس في أول النهار الثاني، وحال /٣٣/ خروج الشمس عنهم حال دخول الهواء إليهم، فهي صحيحة لذلك والمدن المغربية لا توافيها الشمس إلاَّ حين تنكب، وكما يوافيها يأخذ في القصد عنها، لا في القرب إليها، فلا يلطف هواءها، ولا تحففه، بل تتركه رطباً غليظاً، وإن أرسلت رياحاً إليهم، أرسلتها ردية، وأرسلتها ليلاً فيكون أحكامها أحكام البلاد الرطبة المزاج، الغليظة المعتدلة الحرارة، ولولا ما يعرض من كثافة الهواء، لكانت تشبه طباع الربيع، لكنها تقصر عن صحة هواء البلاد المشرقية قصوراً كثيراً فلا يجب أن يلتفت إلى قول من قال: إنَّ قوّة هذه البلاد قوّة الربيع قولاً مطلقاً، بل إنها بالقياس إلى البلاد التي في الأغوار جيدة، ومن المعنى المذموم أن الشمس لا توافيهم إلاّ وهي مستولية على تسخين الأقاليم لعلوّها فتطلع عليهم لذلك دفعة بعد برد الليل، ولرطوبة أمزجة هوائهم تكون أصواتهم باحّة وخصوصاً في الخريف، ويكثر في بلادهم النوازل» انتهى كلام ابن سينا.

قد ذكرنا في الفصل المتقدم ما ذكره ابن سعيد من أن المشرق أتمَّ وأعمر، وأنَّ الجزائر بالبحر الهندي أعظم وأكبر، وبيَّنا السبب في اتساع الشرق بما اقتطعه البحر الشامي من أجلّ الأقاليم المعمورة كالثالث، والرابع، والخامس، والواقع فيها معظم العمارة، ووقوع البحر بالشرق في جنوبه حيث لا مبالاة به من الأول والثاني، فتعطل في المغرب المعمورة، ولم يتعطل في الشرق إلاَّ العاطل بل زاد موقع البحر هناك بالشرق عمارةً للشرق حسبما قدمنا القول فيه؛ لأنه رطَّب هواءه، وأنبع ماءه، وزاده عمارة، وزانه نضارة، وأوجب به العمارة وراء خط الاستواء، وعمّر من الجزائر فيما هو داخل /٣٤/ الإقليمين اللذين أخذ فيهما مالوقيس بالمعمور فيهما بالمغرب لزاد عليه.

فإن قيل كيف تكون جزائر في البحر أوسع من العمارة في البرّ المتصل؟ قلنا، الجواب: إن العمارة في البرّ المتصل بالإقليم الأول، والثاني ليست متصلة بعضها ببعض، بل يتخلل بين العمارة والعمارة من البراري والقفار أكثر مما يتخلل بين الجزيرة والجزيرة من المياه والبحار.

فأما الحيوان والنبات والمعادن، فإنها بتلك الجزائر أعظم مما في عمارة البرّ المتصل المسامتة لها بلا نزاع، وانظر أشرف الحيوان ـ وهو الإنسان كيف صور أهل الإقليم الأول والثاني بالغرب من شدّة سواد الألوان، وقحل الأجسام، وتغلغل الشعر، وتشقق مواطىء الأقدام، وبشاعة المنظر، وخفّة العقل، وكيف هم أهل الجزائر فيهما

بالشرق من حسن السمرة، ونعومة الأجسام، واسترسال الشعر، والتئام مواطىء الأقدام، وبهجة المنظر، ورزانة العقل، وهكذا الفرق بين بقية الحيوان بالجهتين.

وأما النبات، فلا نزاع أنَّ منابت الجزائر الشرقية، وما هو في معناها كلها فاضلة، كالعود الهندي، والصندل، والفلفل، والكبابة، والإهليلجات والنارجيل والفواكه المستطابة، وليس هذا هكذا في الجانب الغربي.

وكذلك المعادن في الجهات الشرقية أفضل مما هي في الجهة الغربية؛ فإن قيل: معادن التبر بغانة في الغرب، قلنا: وسفالة التبر بالشرق، وهي كما نقله أصحاب هذا الشأن، أكثر مما في غانة مما لا يقاس، ويزيد بأرض الزنج فمنها ما يكون ترابه حيث أوقدت به النار فضّة خالصة لوّقتها من غير ريث.

وقد ذكرنا من هذا في أوائل هذا الكتاب عند ذكر تقسيم الأقاليم ما فيه كفاية، / ٣٥/ وبجميع ما ذكرناه للشرق على الغرب الفضل بلا نزاع، وبه القول الفصل بلا دفاع، فكان موقع البحر بالشرق زيادة فيه، وموقع البحر بالغرب نقصاً له.

وأهل المغرب أحسن رقماً لديباجة الألفاظ، وأهل المشرق أحكم لقواعد المعاني؛ لأنَّ الغالب على أهل المغرب العربية وما هو منها من النظم والنثر، والغالب على أهل المشرق المعقولات وما هو منها، وإن كان في المشارقة من لا يقصر في غاية، وفي من مضى منهم أكثر أفراداً كبشار، ومسلم بن الوليد، وأبي نواس، وأبي عبادة، وعلي بن الرومي، وابن المعتز، والمتنبي، ومن هم بهذا النمط العالي والسّمط الغالي سوى القدماء؛ ولكن لأهل الأندلس لطائف دقَّت عن تلك الافهام، ورقت عن مزاح ذلك الكلام، وإن كان من المشرق أصل ما عندهم من الأدب: [من البسيط]

فَفِي السُّلافَةِ مَعْنًى لَيْسَ فِي العِنَبِ

فلقد لطفوا مسالك الأدب، وأفادوا شرف الحضارة محاسن الغرب، وقلبوا الأعيان، وسحروا الألباب بالبيان، فجاؤوا بأعجب العجب، وزادوا بحسن السبك خالص الذهب، وإن كان الشرق قد أنتج من طبقة أهل الأندلس من لا تحجم به المُفاخر ولا تحجب به المَفاخر؛ ولكن للأندلسيين لطائف أعلق بالقلوب وأدخل على النفوس في كل أسلوب.

وأما العلوم العقلية، كالطبيعي، والرياضي، والإلهي، فلا نزاع في تقدّم أهل المشرق فيها، وإن كان قد نشأ له بالغرب أناس، وبرقت له في الأندلس على عهد الحكم بن هشام لامعة، فالشرق فيه/ ٣٦/ لا يكابر ولا يُكاثر، ولا يناضل، ولا يناظر.

وقد تقدّم في الفصل الخطابي الأول في هذا الباب ما إن قيل إنه خطابي، فهو الحقّ الذي لا يُجحد، والصحيح الذي لا يكذّب.

قال ابن سعيد: وأما المتنزهات التي تقع المناظرة فيها بين الشرق والمغرب؛ فإنَّا نبني الكلام فيها على ما ورد في الكتب من أنَّ المتنزّهات المشهورة بالحسن والتقديم على سواها أربعة، وهي: غوطة دمشق بالشام، والأُبلّة بالعراق، وشعب بوّان بأرض فارس، وصفد سمرقند وراء النهر.

وقد ذكر أبو بكر الخوارزمي: أنه رأى جميعها، فكان فضل غوطة دمشق عليها كفضل سائرها على متنزهات العالم.

وجميع هذه الأماكن الأربعة قد أطنب في ذكرها البيهقي، وعظَّمها على غيرها.

وقد رأيت غوطة دمشق، وتقدَّم أنها أفضلهاَ فبنى الحكم عليها والتي تشّبه بها من أماكن المغرب غرناطة، فنتكلم في المدينتين ـ ظاهراً وباطناً ـ كلاماً موجزاً يحتمله هذا الموضع، وكلاهما قد أبصرته وحررت المناظرة بينهما.

أمّا مُسَوَّر بمُسَوَّر؛ فإنَّ غرناطة أحسن من جهة أنَّ سورها غير كدر اللون كسور دمشق، تنبو عنه العين.

ومن جهة أنَّ المدينة موضوعة على جبل ممتد سهل الأعلى بحيث تمهدت فيه الشوارع، وترتبت الأسواق، وقسَّمه النهر المعروف بنهر الذهب، وعليه قناطر يعبر الناس عليها، وهواؤها ـ من أجل ارتفاعها ـ أطيب وأصحّ، ولها زيادة أنها في وسط الإقليم الرابع المعتدل، ودمشق في الثالث، ولها كونها مكشوفةً من جهة الشمال لا جبل يفصل بينها وبين هبوب / ٣٧/ النسيم الرطب، ولها في الجنوب جبل الثلج يهبُّ منه في الصيف نسيم يتنسم منه رَوْح الحياة، وهو الذي روّق أمزجة أهلها وأكسبهم الألوان البديعة من امتزاج الحمرة بالبياض التي تُخجِل ورد الرياض، وتزيد عليها بأنَّ المياه لا تنقطع منها صيفاًولا شتاءً؛ لأنَّ الأنهار تشقها وتدير الأرحاء في داخل السور، ودمشق مجموعة من الشمال، منخفضة إذا انقطع عنها الماء المجلوب لها في القنوات، بقيت جيفة، وتزيد عليها غرناطة بكثرة الأنهار؛ فإنَّ أنهار دمشق سبعة، وأنهار غرناطة التي تنصبُّ إليها من جبل الثلج أكثر من ذلك، وإنَّ أنهار غرناطة تنصبّ من الجبل على رؤوسها في صخور يحسن بتقطيعها عليها، وجريتها ما بين الجنادل والحصى، وأنهار دمشق تأتي بين دِمَنِ البساتين في أرض سهلة رخوة، فيثقل ماؤها ويحدث منه من الوخامة ما هو مشهور.

وكان القاضي الفاضل يقول: ماء دمشق يُتخلل منه؛ أراد أن الأزبال التي تُتَّخذ للبساتين تمتزج معه؛ لأنَّ أنهار الغوطة تشق بكلّيتها بساتينها، وأنهار غرناطة منها مذانب تنقّى في تصرّفها، وتبقى جماهير الأنهار تتخلل مروج البسائط.

وتزيد غرناطة على دمشق في الفُرجة العظمى بأنها تاجٌ مشرفٌ على بسيط يمتد نحو يومين لا ترى فيه إلاّ أبراجاً كبروج السماء، وأنهاراً كأنهار المجرّة، ومروجاً كبسط الخزّ، وأشجاراً كالعرائس، وأطياراً كالقيان. يسافر في جميع ذلك بصرك في دفعة واحدة من غير انعطاف. فسبحان من أفرغها في قالب الحُسن الذي لم ترَ له عيني مثالاً.

وفيها يقول أبو جعفر ابن سعيد: [من الكامل]

/٣٨/ سَرِّحْ لِحَاظَكَ حَيْثَ شِئْتَ فَإِنّهُ فِي كُلِ مَوْضِعِ لَحْظَةٍ مُتَأَمَلُ

وفيها يقول ابن أخيه: [من المجتث]

غرناطَةَ الحُسْنِ تِيْهِيْ عَلَى دَرَارِي النُّجُومِ
أَشْرَقْتِ مِثْلَ عَرُوْسٍ عَلَى بِسَاطِ رَقِيمِ
وُكَلّ نَهْرٍ عَلَيْهِ كَمِثْلِ سِلْكٍ نَظِيْمِ
مَا جُرِّدَتْ كَسُيُوفٍ إلا لِقَتْلِ الهُمُومَ

وقلعة غرناطة في أعلاها شديدة الامتناع، وقلعة دمشق مساوية معها، يأخذها القتال، وتركبها المجانيق، لكنّا لا نغبن دمشق حسن واديها، والشرفين المحتدقين به، وما احتوى عليه ذلك المنظر من القصور الزاهرة، والبساتين الفتانة، مع حُسن ترتيب الأنهار واحداً تحت آخر، ومرورها في البساتين بمعظمها.

ولقد نظرت من نهر ثورى في مروره بمعظمه على البستان السلطاني المعروف بالنَّيرب، وما عليه من المصانع الملوكية، ونبع ماء يزيد من قلبه بحركات بديعة إلى منظر لم أرَ مثله في غرناطة، وتأملت الرَّبوة ـ حيث مَقْسم الأنهار وانحدار نهر يزيد في مبانيها وانصبابه على رأسه منها ـ فرأيتُ منظراً فتاناً يجب أن يفتخر به ويُذكَر؛ وإذا صعد المتأمل هذه الربوة، امتدَّ بصره في ألفاف الأشجار المنخفضة عنه نحو مسيرة يوم، وبأن له من ذلك الموضع المرتفع ما لا يوجد في غرناطة لمن أشرف على بسيطها إلا أنه لا يتبين له أنهارها؛ لتكاثف الأشجار عليها، كما تبين في بسيط غرناطة؛ وكل واحدة منها مما يجب أن يتمثل فيه: [من الوافر]

/٣٩/ وَلَوْ أَنِّي نَظَرْتُ بِأَلْفِ لَحْظٍ لَمَا اسْتَوْفَتْ مَحَاسِنَكَ العُيُونُ

وفي المشرق والمغرب متنزهات كثيرة هذان أشرفها، ولو لم يكن في الأندلس

إلاَّ مدينة بلنسية، وما في ظاهرها من المياه والبساتين والبحيرة التي تقابلها الشمس، فيكثر فيها نور بلنسية، لكفاها، فكيف وكل مكان بها ترتاح إليه النفس ويعظم به الأنس.

وفي برّ العدوة اماكن للفرجة متعدّدة آخذها بمجامع القلوب، وأزمّة الابهار بليونش، متنزه بظاهر سبتة على البحر في نهاية من حُسن الوضع وانحدار المياه التي لها على الصخور دوي، والتفاف الأشجار، وتزخرف المباني، وكثرة الفواكه الطيبة المختلفة الأنواع.

واجتمع علي بن سعيد صاحب كتاب المغرب مع العماد السلماسي في مجلس جرى بين أهله ذكر المشرق والمغرب، وزاد في ذلك المجلس من التنقص والتهكم بالغرب حتى كاد تقوم بينهم الحرب فكتب إليه علي بن سعيد: [من الوافر]

[و] لـو تُـرك الـقـطـا لـيـلاً لـنـامـا

وهذا مما أثاره ذلك المجلس، ولا ملام العجب ممن سأل عن المغرب في ذلك المجلس المغرب، هل فيه انهار مثل المشرق، أو ليس فيه أنهار بسؤال يُظلم الجور على صفحاته، ويجول الازدراء في جنباته: [من الطويل]

رَمَتْنِي سِهَام الدّهْرِ مِنْ حَيْثُ لاأَرَى فَمَا بَالُ مَنْ يُرمَى وَلَيْسَ بِرَامِ

وإنّي لأقسم بمن أجرى الأنهار من الصّم الجبال، وسلك بها في بُسط الأرض ذات الجنوب والشمال؛ لو أنَّ السائلين عن المغرب هل به أنهار عاينوا من نهر اشبيلية نهراً يصعد من البحر المحيط فيه سبعون ميلاً عابراً على المدينة مصعداً إليها السفن بالأرزاق والبضائع من البحر دون مكابدة، ثم يحدر/ ٤٠/ أمثالها الجُزر دون جهدٍ، ولم يتغيّر عذوبة الماء بالبحر الملح، وقد طرّز الله جانبيه بطراز من ألفاف البساتين ذوات الثمر والظّلال، ورصعها ـ فيما بين ذلك ـ بمصانع دريّة الألوان، كأنما وضعها الخالق ـ جلّ وعلا ـ من خيم الجنان؛ لأقرُّوا بالتسليم إلى ذلك وأحالوا بالتقديم على ما هنالك، ولو عاينوا حضرة سرقسطة التي حفّ بها من الجهات الأربع أربعة أنهار، كأنما تغايرت عليها، فمالت بالمصافحة والتقبيل من كل جهةٍ إليها، لعذروا القائل: [من الكامل]

نَهْرٌ يَهِيْمُ بِحُسْنِهِ مَنْ لَمْ يَهِمْ وَيُجِيْدُ فِيْهِ الشِّعْرَ مَنْ لَمْ يَشْعُرِ
مَا أصْفَرَّ وَجْهُ الشَّمْسِ عِنْدَ غُروبِهَا إلا لِفُرْقَةِ حُسْنِ ذَاكَ المَنْظَرَ

وليس هذا بموضع الإطناب. وقد عزمتُ أن أفرغ الفكر لكتاب أجعله بين الخصمين ميزاناً وأخلده عن الجهتين عنواناً: [من الرجز]

لَـبِّـثْ قـلـيـلاً يُـدْرِكِ الـهَـيْـجَـا حَـمَـلْ

وأجابه العماد السلماسي: كفى جواباً قول الله ـ عز وجل ـ ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾[1]، لو لم يكن للمغرب إلاّ طلوعك علينا منه، لصمتنا له عن كل نقيصة، وأغضينا عنه، فكيف وقد مُلِيء فضائل، وطلعت علينا منه نجوم فوائد غير أوافل، نحن أولى بالثناء عليه من الذم. وماذا يبلغ من التكدير من رمى بحجر في اليمّ. وقد رأيت أن اشتغل برسالة اثني فيها على الغرائب التي استفدناها من المجلس، وأفرد فيها من ملح فضلاء المشرق ما يستغرب بالمغرب، إلاّ أني وقع لي معنى يفخر به المشرق على المغرب نظمته على جهة المداعبة، وبعثته طلباً للمجاوبة: [من المتقارب]

/٤١/ إذَا ذُكِـرَ الـشَّـرْقُ فِـيْ مَـحْـفِـلٍ   فَـلاَ يُـذْكَـرَنَّ بِـهِ الـمَـغْـرِبُ
طُـلُـوعُ الـغَـزَالَـةِ فِـيْ أُفْـقِـنَـا   وَفـي أُفْـقِـكُـمْ نُـوْرُهَـا يَـغْـرُبُ
وَتُـشْـرِقُ أَنْـوارُهَـا عِـنْـدَنَـا   وَعِـنْـدَكُـمُ حُـسْـنُـهـا يُـسْـلَـبُ

فأجابه ابن سعيد: [من المنسرح]

يَـفْـخَـرُ بِـالـشَّـرْقِ أَهْـلُ فَـخْـرٍ   قَـوْلُـهُـمُ بَـهْـرَجٌ شَـتِـيْـتُ
قَـالُـوا: لَـنَـا الـشَّـمْـسُ فِـيْ طُـلُـوعٍ   قُـلْـنَـا: لَـهُـمْ عِـنْـدَ مَـنْ تَـبِـيْـتُ
تَـبِـيْـتُ حَـيْـثُ الـمُـهَـادُ رَحْـبٌ   والـلَّـيْـلُ فِـيْـهِ مِـسْـكُ فَـتِـيْـتُ

[قلت: وقد أنصف الوداعي[2] ـ أحد شعرائنا المتأخرين ـ إذ قال: [من الوافر]

حَـوَى كُـلٌّ مِـنَ الأُفْـقَـيْـنِ فَـضْـلاً   يَـقَـرُّ بِـهِ الـغَـبِـيُّ مَـعَ الـنَّـبِـيـهِ
فَـهَـذا مَـطْـلَـعُ الأَنْـوارِ مِـنْـهُ   وَهَـذا مَـنْـبَـعُ الأنـواء فـيـه

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٥.

(٢) علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي الوداعي، علاء الدين، أديب متفنن، شاعر، عارف بالحديث والقراآت، من أهل الاسكندرية، ولد سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م، أقام بدمشق وتوفي فيها سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م.
له: «التذكرة الكندية» خمسون جزءاً، أدب وأخبار وعلوم، و«ديوان شعر» في ثلاثة مجلدات.
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٨٧، البداية والنهاية ١٤/ ٧٨، لسان الميزان ٤/ ٢٦٣، الدرر الكامنة٣/ ١٣٠، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٣٥، الأعلام ٥/ ٢٣، شذرات الذهب ٦/ ٣٩، نسمة السحر ٢/ ٤٤١ـ ٤٤٧، البدر الطالع ١/ ٤٩٨، أعيان الشيعة٤٢/ ١٦٠ـ ١٦٤، أدب الطف ٤/ ١٣٩ـ ١٤٤، أنوار الربيع١/ ٢٠٢، الطليعة ٢/ ٩٠ رقم ٢١٠، معجم الشعراء للجبوري ٤/ ٥٣ ـ ٥٤.

وكذلك لقد أرضى جيراننا المغاربة بقوله[١]: [من المنسرح]

فِي الغَرْبِ خَيْرٌ وَعِنْدَ سَاكِنِهِ أَمَانَةٌ أَوْجَبَتْ تَقَدُّمَهُ
فَالشَّرْقُ مِنْ نَيِّرَيْهِ عِنْدَهُمْ يُودِعُ دِينَارَهُ وَدِرْهَمَهُ

ثم نعود إلى ما كنا فيه، وما نحن بصدده]:

قال صاحب الكمائم: إنَّ الله تعالى جعل المعمور من الأرض مقسوماً على سبعة أقاليم آخذةً من مغرب الشمس إلى مشرقها، والمغرب والمشرق مشتركان فيها بالسواء؛ لأنَّ كل إقليم منها للمشرق والمغرب فيه حظّ، وأحكامه في المشرق من جهة الإقليمية والتأثيرات النجومية أحكامه في المغرب إلاَّ أنَّ لمشارق الشمس في مطالعها بالمشرق في تُصفّية الألوان والأذهان حكم يشبه الشمس عند شروقها، ولمغاربها بالمغرب في ضدّ ذلك حكم يشبه الشيء في غروبها.

قال ابن سعيد: وقد أقرَّ بهذا الشأن لأهل المشرق على أهل المغرب الحافظ أبو محمد بن حزم الأندلسي في رسالته حيث قال[٢]: فإنَّ قرطبة مسقط رؤوسنا، ومعق تمائمنا مع سرّ من رأى في إقليم واحد، قلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه إقليمنا وإنْ كانت الأنوار لا تَأتينا إلاّ مغربة عن مطلعها على الجزء المعمور، وذلك عند المحسنين للأحكام التي تدلّ عليها الكواكب ناقص من قوى دلائلها.

وقد جعل صاحب الكمائم ذلك/ ٤٢/ سبباً لتكدير أخلاق المغاربة في سائر أقاليمهم، وصيّر ذلك متعدياً إلى مياههم.

وقال: إنَّ الإقليم الرابع وإن كان أعدل الأقاليم فإنَّ فعله في الألوان والخلق في رأس المشرق فوق فعله في ذنب المغرب؛ فقد عاينت من يرد من الغلمان الذين يفتنون الناظر من الأتراك والخطا الذين يسكنون الإقليم الرابع عن يمين خوارزم وجهات تركستان، وعاينت جماعة ممن يصلون من إشبيلية وقرطبة إلى بغداد وإلى بلاد العجم، فكان بين الجنسين بالنظر إلى صفاء الألوان وحُسن الصور بونٌ لا يخفى على الناقد.

قال ابن سعيد: نظر البيهقي من غلمان الأتراك والخطا الصور التي تُنتخب في عنفوان شبابها وبهجتها، وتُهدى إلى الملوك، وأراد أن يقيسهم مع أشياخ وكهول يصلون من إشبيلية وقرطبة بعد ما قطعوا أكثر طول الأرض، وقد شربت الأهواء المختلفة، وأعالي السنيّ المتوالية مياه وجوههم، وسوّدت بشائر الحسن خدودهم،

---

(١) نفح الطيب ١/ ٢٠.
(٢) فضل الأندلس لابن حزم ص٨.

فكسفت شموسهم، وخسفت بدورهم، وذَوَت غصونهم، وذبل وَردهم، وطحلب ورِدهم، فكانوا كما قال ابن حريق البلنسي[١] في محبوبةٍ له نظر إليها وقد أخذ منها السن، وصوّرها في الدرك الأسفل من الحُسن: [من الرمل]

إنّ ما[قد] كان في وجنتها وردته اليُبس حتى نشفا
وَذَوَى العُنَّابُ مِنْ أَنْمُلِها فَأَعَادَتْهُ اللَّيالي حَشَفَا

وأقسم بما ضمَّنته الخدود من وَرْدها، واشتملت عليه الثغور من وِرْدها، وأقلته الغصون من بدورها، واحتوتِ عليه الأزرار من عاج صدورها، /٤٣/ لو نظر البيهقي إلى غلمان إشبيلية وما وشّاهم الحسن به من بديع التوشية لعدل بالتفضيل إليهم، وأحال بالتقديم عليهم، وأنشد في كل واحد من سربهم ما قاله أبو القاسم بن طلحة الصقليّ، وقد طلعت عليه إحدى شموسهم من أقصى مغربهم: [من البحر السريع]

أَيَّتُها النَّفْسُ إليهِ ٱذْهَبي فَحُبُّهُ المَشْهُورَ مِنْ مَذهَبي
مُفَضَّضُ الثَّغْرِ لَهُ مِسْكَةٌ قَدْ طُبِعَتْ في خدهِ المُذْهَبِي
أَيْأَسَني التَّوْبَةَ عَنْ حُبهِ طُلُوْعُهُ شَمساً مِنَ المَغْرِبِ

ولقد رأيتُ بالقاهرة غلماناً وصلوا إليها مع رسول الامبراطور من جزيرة صقلية ـ وهي في الإقليم الرابع ـ قضيت العجب من كمال الحُسن فيهم بين اعتدال قدودهم، وهيف خصورهم، وصفاء ألوانهم المشربة بالحُمرة التي تتعشقها النفس، وتسرح فيها العين، وحُسن مجموع صورهم وتفاريقها؛ فتبارك الله أحسن الخالقين.

وكان أهل القاهرة يتعجبون فيهم، وتهالك في الوجد بهم جماعة من الأمراء، وتوصلُّوا إلى إحضارهم في مجالس أنسهم، وكانوا يحسنون الكلام بالعربية، ويعلمون مواقع النوادر على عادة نصارى صقلية، وخفي عن الناس هنالك مراد الإمبراطور بتوجيههم، وإنما أرادوا أن يتكشفوا من الأحوال الباطنة على ما لا يتوصل إليه غيرهم ممن لا يشفع في تقريبه حسنه. فما انفصلوا عن القاهرة إلاّ وقد

---

(١) علي بن محمد بن أحمد بن حريق البلنسي: أبو الحسن، شاعر، عالم بالأدب، ولد سنة ٦٢٢هـ/ ١١٥٦م، وتوفي سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م.
له: «ديوان شعر» في جزأين، و«شرح مقصورة ابن دريد»
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٧٠، زاد المسافر٢٢ـ ٢٧، التكملة لابن الأبار ٣/ ٢٣٢، المغرب ٢/ ٣١٨ـ ٣٢٠، رايات المبرزين ٨٦، نفح الطيب ٢/ ٢٧٩، الأعلام ٤/ ٣٣١.

حصلوا من الأخبار ما سهّل طريقَه إليهم شفيعُ الحسن الذي لا يُرد.

على أني أبصرت من غلمان الأتراك ذوي الأثمان الغالية ما أرجع فيه إلى الإنصاف، وأفضلهم على غلمان أصناف الروم الذين يجلبون إلى ملوك الأندلس وسلاطين برّ العدوة.

ولقد أخبرتُ أنه /٤٤/ كان بحلب منذ مدّة قريبة مملوك تركي، حلف لي أحد المغاربة النقّاد أنه لم يرَ أحسن من صورته في شرق ولا غرب، وأنه أعطى مولاه فيه ثلاثين ألف درهم ناصرية، فامتنع من بيعِهِ، فمات على أثر ذلك.

ولو قيل بالمغرب أنَّ مملوكاً بلغ هذا الثمن لو يُصدّق الناقل، وجعل الناس يضحكون عليه من هذا الحديث؛ إذ المعتاد في المغرب ما خلا الديار المصرية أنْ يكون المملوك الحسن الصورة من الافرنج وغيرهم بخمسمائة درهم من هذه الدراهم؛ وهي ألف من الدراهم المغربية؛ فيكون عند الملك بدل هذا المملوك الذي هو بثلاثين ألف درهم كتيبة فرسان من ستين فارساً. على أنهم أكثر ما يبتاعون المماليك الذين قيمة الواحد منهم خمسمائة درهم مغربية وستمائة ونحو ذلك.

قال: وهمم أهل المشرق في هذا الشأن مسلمة لهم، وكل هذا الذي ذكرناه هنا مما ذكره ابن سعيد.

قلت: [أمّا قوله: ـ «عن غلو ثمن المملوك ثلاثين ألف درهم ناصرية»، فهو معذور فيه، ولكنه ما عمر إلى أيام سلطاننا ورأى ما جلب إليه، وما بذل من الأثمان، ولو رأى ذلك لاحتقر ما استكبر، واستقلَّ ما استكثر.

وأما قوله: «إنَّ الدرهم الناصري بدرهمين مغربية» فقد قدّمنا القول: إنّ الدرهم الكاملي معاملتنا اليوم بثلاثة دراهم مغربية عتق، وهو بدرهمين مغربية جُدُد، ولعله أراد الجدد؛ وإلاّ فحيث لا يقال إنها جدد لا تكون إلاّ ثلاثة بدرهم، والناصرية التي ذكرها ضرب الناصر ابن العزيز، وهي دون الكاملية بقليل.

وأما الذي] ذكره من حسن غلمان الروم فغير منكور، وإنّما الترك أتمّ صوراً، وأكمل تخطيطاً، وللترك حُسن الوجوه، وللروم حُسن الأبدان؛ فمحاسن الترك أفضل؛ لأنها لا تُغطى ولا تُحجب، ومحاسن الروم أخفى لأنها تُغطّى وتُحجب.

فأما شرف الجنس وبعد الهمة، ووفور العقل والشجاعة، فأين الروم مما وهبه الله الترك من ذلك حتى أنَّ الاسكندر، وهو أجلّ ملوك الروم بل الأرض، ولا خلاف في حكمته وفضله وقد أقرَّ للترك على نفسه؛ فإنه لا تَطمح نفس أحد من الفرس إلى

مطاولة الترك، وقد طاولت الروم وكان لها الغلب على الروم غالباً.

ولما أتى الاسكندر بلاد الفرس رأى من رجالهم ما بهر عقله، فكتب إلى معلمه ووزيره أرسطو يُعلِمه أنه شاهد بإيران شهر رجالاً ذوي أصالة في الرأي، وجمالاً في الوجوه؛ لهم مع ذلك صرامة وشجاعة، وأنه رأى لهم / ٤٥/ هيئات وخلائق، ولو كان عرف حقيقتها لما غزاهم، إنما ملكها بحسن الاتفاق والبخت، وأنه لا يأمن إن ظعن عنهم وثوبهم، ولا يسكن نفسه إلاّ ببوارهم.

فكتب إليه أرسطو: فهمت كتابك في رجال فارس؛ فأمّا قتلهم فهو من الفساد في الأرض، ولو قتلتهم جميعاً، لأنبتت البلد أمثالهم؛ لأنَّ أقاليم بابل يولّد أمثال هؤلاء الرجال من أهل العقول والسداد في الرأي والاعتدال في التركيب، فصاروا أعداءك وأعداء عقبك بالطبع؛ لأنك تكون قد وترت القوم، وأكثرت الأحقاد على أرض الروم منهم، وممن بعدهم وإخراجك إيّاهم في عسكرك مخاطرة بنفسك وأصحابك؛ ولكني أُشير عليك برأي هو أبلغ لك في كل ما تريد من القتل؛ وهو أن تستدعي أولاد الملوك، ومن يستصلح للملك، وهو مرشح له فتقلّدهم البلدان، وتولّهم الولايات؛ ليصير كل واحدٍ منهم ملكاً برأسه، فتفرّق كلمتهم، ويجتمعوا على الطاعة لك، ولا يؤدّي بعضهم إلى بعضٍ طاعة، ولا يتّفقوا على رأي واحد، ولا تجتمع كلمتهم؛ ففعل الاسكندر ذلك فتمَّ أمره.

فانظر إلى ما في هذا الابتداء والجواب من تعظيم الإسكندر وأرسطو لرجال فارس، وقول أرسطو: «إنَّ أرض بابل تولّد مثل هؤلاء الرجال» وهذا الاسكندر قد جال الأرض غرباً وشرقاً فما رآه أكبر إلاَّ أهل الشرق، ولا أعظم إلاَّ لهم، وإذا كان هذا قوله في فارس، فكيف كان قوله في الترك وفي الهند مع ما هو مشهور من حكايات الاسكندر مع صاحب الصين مما اعترف له فيه بالحكمة وأقرَّ له بالفضل مما ليس هذا موضع ذكره؟ فيا هل تراه ذكر أهل المغرب او وصفهم بقولٍ أو فعلٍ؟

وقد ذكر ابن سعيد أيضاً: أنَّ الأرض تُشبّه بطائر رجلاه برّ العدوة والأندلس - وقد تقدّم ذكر هذا/ ٤٦/ التشبيه -.

ثم قال: ولا أسلّم في تشبيه الأندلس برجل إلاَّ إن أرادوا في الاعتماد عليها وعمارتها بمثل ما تعمَّر به رِجْل العروس الخالية من الخلاخل، وأشباه ذلك.

وأنشد قول الصوليّ يخاطب القائم بن عبيد الله الإسماعيلي الذي خطب له بالخلافة في المغرب، وكان قد وجّه لبغداد قصيدة يفخر فيها ببيته، وبما فتح من البلاد، فأجابه الصولي بقصيدة على وزنها ورويها: [من الطويل]

فَلَو كانَتِ الدُّنْيا مِثالاً لِطَائرٍ لَكَان لَكُم مِنها بِما حُزْتُمُ الذَّنبْ

قال ابن سعيد: وأنا أستحسن هذا البيت؛ فإنه وقع في موضعه؛ لكون البلاد التي كانت بيد القائم في ذلك الزمان من الأرض بمنزلة ذنب الطائر؛ لكونها في آخر المعمور، وكونها رقيقة ضيقة العرض في المساحة قد خنقها البحر من جهة الشمال، والصحراء من جهة الجنوب.

وهذا البيت هو الذي حرّك همّة القائم، وقال: والله لا أزال حتى أملك صدر الطائر ورأسه إن قدرت وإلاّ أهلك دونه؛ فكابد على الديار المصرية من الحروب أهوالاً، ومات ولم يظفر بحضرتها، وإن كان قد عاث في أطرافها برّاً وبحراً على ما هو مذكور في التواريخ.

وأوصى ابنه المنصور بما كان في عزمِهِ فشغلته الفتن التي دهمته في إفريقية، فكان الظافر بالديار المصرية المعزُّ بن المنصور بن القائم، وتوالت عليها خلفاؤهم، وخُطب لهم باليمن والحجاز والشام والجزيرة والعراق، وخُطب لمستنصرهم الذي حاز في الخلافة ستين سنة في حضرة الامامة بغداد، وخطب للنزارية الإسماعيلية منهم ببلاد العجم.

قال ابن سعيد: وهم إلى الآن في بلد أَلَموت، ولهم يخطب هؤلاء الإسماعيلية / ٤٧/ الذين في قلاع الشام، وكان حديثهم المترتب على ذلك البيت من عجائب الدنيا.

ولم تزل إمامتهم التي كانت قد رسخت في الأرض ودوّخت الملوك إلاّ السلطان الأعظم الناصر صلاح الدين بن أيوب ـ رحمة الله عليه ـ وملأ البلاد التي كانت بأيديهم بالخطب العباسية.

[قلت: لقد مرّت به ليال طوال من حذر لإسماعيلية، وخوف ما يتوقاه بهم من غوائل البليَّة، ثم ما زال منذ طَهَّر مصر من تلك الأدناس، ونظفها من وسخ أولئك الناس حتى انقاد معها له ما وراءها، وتبعها ما خلفها] وأعاد إليها طلاوة الدين، ورونق الإيمان. على أننا لا ننكر لأواخر تلك الدولة المصرية فضلاً سلف إلى سلفنا، وقد ورد إليهم من المدينة الشريفة، فأكرموا وفادتهم، وأجزلوا صنائع الإحسان إليهم؛ ولكن الحق أحقّ أن يتبع، وما على قائل القول الصدق جناح، فرحم الله صلاح الدين، لقد أصلح الدين، وأصلى نار الكمد قلوب المعتدين.

قال ابن سعيد أيضاً: ومما يتكلّم فيه من أحكام المناظرة بين المشارقة والمغاربة النبوة، وهذا الفخر سلّم للمشرق.

ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف[(١)]: أنَّ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ مائة ألف وأربعمائة وعشرون ألف نبي، الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر، منهم خمسة عبرانيون، وهم: آدم، وشيث، وأدريس، ونوح، وإبراهيم، وخمسة من العرب: هود، وصالح، واسماعيل، وشعيب، ومحمد، وغيرهم من بني إسرائيل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد عدد صاحب الكمائم مباعث الأنبياء في الأرض، وهي المواضع التي بعثوا فيها، ولم نذكر بالمغرب إلاَّ منف حاضرة مصر التي بُعث فيها موسى ـ عليه السلام ـ لفرعون، ويوسف ـ عليه السلام ـ ودخلها يعقوب والأسباط ويوشع، وفرت مريم ـ عليها السلام ـ بابنها المسيح إلى البَهْنسا من أرض مصر. فجمهور مباعث الأنبياء ـ عليهم السلام ـ بالمشرق/ ٤٨/ والفضل العام منه للشام والخاص لجزيرة العرب بخيرة الرسل صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين.

ومباعث جزيرة العرب مكة بعث فيها آدم ـ عليه السلام ـ إلى ولده، وبعده ابنه شيث، وبعث بها اسماعيل إلى إخوانه، وبعث فيها محمد ﷺ.

وذكر الأزرقي في كتاب مكة[(٢)]: أنَّ ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبور تسعة وتسعين نبياً جاؤوا حجاجاً فقبروا هنالك.

وتفخر المدينة ـ وإن لم تكن مبعثاً لنبي ـ بأنها مهاجر سيد المرسلين، وخاتم النبيين ومدفنه ﷺ.

ومبعث هود بالأحقاف مما يلي اليمن، وهنالك قبره؛ ومبعث صالح بوادي القرى بالحجاز؛ ومبعث شعيب في أرض مدين التي تلي أرض مصر والشام.

وقد عدَّ الماوردي أنبياء جملة بعثوا إلى أرض سبأ باليمن وإنَّ أهلها ما نزل بهم العذاب حتى كذَّبوهم.

والرَّس من جهة عمان مبعث نبي، وكذلك حضور، وعدن، وبلاد بني عبس.

وأمَّا الشام فالفخر الأعظم منها للبيت المقدس بناهُ داود، وأتمَّه سليمان ـ عليهما السلام ـ وتوارثه بنوه، وهو كان يجمع أنبياء بني إسرائيل ـ عليهم السلام ـ.

وولد المسيح ـ عليه السلام ـ ببيت لحم على مقربة منه، وقبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف في المكان المعروف بالخليل، ومدائن لوط محسوبة من الشام،

---

(١) المعارف ٥٦.
(٢) أخبار مكة١/ ٦٨.

والبثنيَّة من عمل دمشق موضع أيوب ـ على جميعهم السلام ـ وبعلبك بعث إليها يحيى ابن زكريا ـ عليهما السلام ـ وبها قتل، ونينوى من بلد الموصل بعث إليها يونس ـ عليه السلام ـ وبابل بعث إلى نمرودها إبراهيم ـ عليه السلام ـ.

ومواضع الأنبياء والصحابة ورؤوس الصالحين مسلم الفخر الجمهوري فيها للمشرق، وقد كان بالمغرب الأقصى/ ٤٩/ والأندلس من ادّعى النبوة مثل صالح البرغواطي والمعلم الشنتبري، ولا نعلم نبيّاً ظهر بالمغرب ما خلا الديار المصرية على ما ذكر قبل.

قلت: وهذا صالح البرغواطي والمعلم الشنتبري كلاهما نكرة لا يتعّرف، ومجهول لا يُعرف، وفي أفسح العذر من سمع بهما، فقال: ﴿ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1].

قال: وأمّا الخلافة، فشأنها أيضاً مسلّم للمشرق؛ إذ الخلفاء الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ منه ظهروا، وفيه كانت أقطاب خلافتهم؛ فأبو بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ كان قطب خلافتهم المدينة وبها قبورهم.

وعلي ـ رضي الله عنه ـ فكان قطب خلافته الكوفة، وبها قتل، وفيها قبره على الاختلاف الذي جاء فيه.

وفيها بويع بالخلافة الحسن بن علي ـ كرم الله وجهيهما ـ.

وأخذ ابن سعيد يذكر ما استقّرت عليه قواعد الخلافة بالشام ثم بالعراق مما كلّه بالمشرق، وقد تقدَّمت الإشارة إلى مثل ذلك.

ثم قال: وهذا هو الفخر المسلّم.

ثم قال: وقد كان بالمشرق أقطاب خلافة غير مجمع عليها إلاَّ أنها كانت ظلال سحائب، ولمع بوارق.

وأمّا المغرب في شأن الخلافة، فلم يكن له قطّ خليفة يجتمع عليه، وكان فيه من الخلفاء المنفردين به إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ـ رضوان الله عليهم ـ وبنوه، خطب لنفسه بالخلافة في سبتة وجهاتها من المغرب الأقصى في مدَّة هارون الرشيد، وتوارث بنوه الخلافة هنالك، ودارت أقطابهم بين سبتة، وبصرة المغرب، وفاس، وتلمسان، وما قطع الخطبة لهم من المغرب إلا ظهور الخلافة

(١) سورة المؤمنون: الآية ٢٤.

العبيدية التي أولها عبيد الله المهدي الإسماعيلي من ولد الحسين ـ رضوان الله عليه ـ توارثها بنوه بعده بالمغرب، ودارت أقطاب خلافتهم / ٥٠/ بين رقَّادة، والمهدية، والمنصورية، والقاهرة بمصر، إلى أن أزالها السلطان الأعظم صلاح الدين ـ رحمة الله عليه ـ بخلع العاضد آخر خلفائهم.

ولم تكن خلافة أعظم منها؛ لأنّه كان يخطب لهم من الديار المصرية إلى البحر المحيط جميع نصف المعمور في الطول، وخطب لهم بجزيرة صقلية، وفاضت خلافتهم من المغرب على المشرق، فخطب لهم باليمن، والحجاز، وعمان، والبحرين، والشام، والعراق، والجزيرة، وخطب لهم في بغداد في أيام فتنة البساسيري، وإخراج الخليفة القائم منها إلى جزيرة عنة.

وما ردّ الخلافة العباسية إلى بغداد مع الاعتناء الإلهي إلا الدولة السلجوقية، إلا أنهم لم يخطب لهم بجزيرة الأندلس؛ لأنَّ أعداءهم بني أمية كانوا قد استولوا عليها وتوارثوها، وأول من اقتطعها عبد الرحمن الداخل المرواني فتوارثها بنوه، ولم يخطب لهم بالخلافة إلى أن ولي الناصر عبد الرحمن المرواني، فخطب له بالخلافة في مدّة المقتدر، وتوارث بنوه هذه السمة إلى أن وقعت الفتنة فيما بينهم، فدخلت عليهم الخلافة الحمّودية؛ وبنو حمُّود من ولد إدريس الحسنيين المتقدمي الذكر.

وعادت الدولة المروانية، ثم انقرضت، وأقطاب الخلافتين دائرة على قرطبة، والزهراء، أو الزاهرة.

ثم ضعفت خلافة بني حمُّود، وبقيت في مالقة وسبتة، ثم انقطعت إلى أن نشأت خلافة بني عبد المؤمن بقيام مهديهم محمد بن تومرت؛ وهو يُنسب إلى بني إدريس الحسنيين، وقد أثبت نسبه الشريف الإدريسي صاحب كتاب «أُجَّار»، وكتاب «الدوحة المايسة في أخبار الأدارسة»؛ ولم يُسمَّ بخليفة، ولا أمير المؤمنين، بل خطب له بالمهدي المعلوم للإمام المعصوم، وعهد بالخلافة/ ٥١/ لعبد المؤمن.

قلت: وهو ـ أعني عبد المؤمن ـ رجل قيسي كومي ليس بقرشي فلا تصحّ له خلافة.

ثم قال: فتوارثها بنوه، وخطب لهم من برقة إلى البحر المحيط وبجميع الأندلس؛ وإذا تعرضنا للمناظرة في الأشخاص، سلّمنا جمهور الفخر أيضاً للمشرق؛ إذ الخلفاء الأربعة فيه، وغيرهم من الخلفاء المرضيين؛ إلاَّ أنهم شبَّهوا الناصر المرواني في حزمه وجبره للدولة وصولته بالمعتضد، وشبهوه في طول المدَّة في الأمر بالناصر؛ لأنّه ملك خمسين سنة ونصفاً، وشبهوه في كثرة البنيان، وعظمة ما أنفق عليه بالمتوكل،

وشبهوه بالحركات والغزوات بالمعتصم، وشبهوه في الجود بالرشيد، وشبهوا ابنه بالمستنصر في العدل، والزهادة، وردّ المظالم، وتغيير المنكر بالمهدي، وشبهوه في حبّ العلوم واقتناء كتبها بالمأمون.

وشبهوا المستعين في التجرُّد ولطلب ما خاصمه فيه الزمان من الخلافة ومآل أمره إلى القتل بسميّه المستعين، وشبهوه في الشعر بالرشيد، وأنشد صاحب الذخيرة[1] قول المستعين: [من الكامل]

عَجَباً يَهَابُ اللَّيْثُ حَدَّ سِنَانِي ... وأَهَابُ سِحْرَ فَوَاتِرِ الأَجْفَانِ
وَأُقَابِلُ الأَهْوَالَ لا مُتَهَيِّباً ... مِنها سِوى الأعْراضِ والهِجْرانِ
وَتَملَّكَتْ نَفسي ثَلاثٌ كَالدُّمَى ... زُهْرُ الوُجُوهِ نَواعِمُ الأَبْدانِ
هَذِي الهِلالُ وتِلْكَ شِبْهُ المُشتَري ... حُسْناً وَهَذِي أُخْتُ غُصْنِ البَانِ
حَاكَمْتُ فِيهِنَّ السُّلُوَّ إلى الهَوى ... فَقَضَى بِسُلْطانٍ عَلَى سُلْطاني
وَأَبَحْنَ مِنْ قلبي الحِمَى وتَرَكْنَني ... في عزِّ مُلْكي كَالأَسِيْرِ العَانِي
إنْ لَمْ أُطِعْ فيهنَّ سُلطَانَ الهَوى ... كَلَفاً بهنَّ فلَسْتُ مِنْ مَرْوانِ

/ ٥٢/ وقول الرشيد: [من الكامل]

مَلَكَ الثَّلاثُ الآنِسَاتُ عِنَانِيْ ... وحَلَلْن مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانِ
مَالِي تُطَاوِعُني البَرِيَّة كُلّها ... وَأُطيْعُهُنَّ وَهُنَ فِي عِصْيَاني
مَا ذَاكَ إلاَّ أَنَّ سُلْطَانَ الهَوَى ... وَبِهِ قَوِيْنَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

وفضَّل أبيات المستعين وزَهْزَهَ لها، وأَطْنَبَ في الثناءِ عليها.

وكان في خلفاء العبيديين ممن ذكرت صولته، وعظمت آثاره المنصور بن القائم عبيد الله المهدي؛ وهو مشبَّه عندهم بالمنصور العباسي؛ لأنَّ كلاًّ منهما اختلَّت عليه الدولة، وأصفقت عليه الحروب، وكاد يُسل من خلافتِهِ، فهبَّ له ريح النصر، وتراجع له أمره حتى لم يبق مخالف. وأخبارهما في ذلك مذكورة مشهورة.

والمعزّ بن المنصور طمحت همّتُه إلى أن ترك إفريقية لبعض غلمانه وخدّامه، وتجهَّز إلى مصر، بعد ما أنهض لها مولاه جوهراً، ففتحها، وبنى له حضرة القاهرة.

وسفرته من إفريقية إلى مصر وما ظهر منه من حسن التدبير، وهبوب النصر والحزم، والاستيلاء كسفرة المأمون من خراسان إلى بغداد، وتسكينه ما اشتعل من نار الفتنة.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١/ ٤٧.

وظهر من ابنه العزيز من حسن المدارة والتسكين للناس ما ضُرب من أجله المثل بأيامه في مصر، وصار يقال: أحسنُ من أيام العزيز.

وكان من عجائبهم المستنصر؛ فإنه جاوز في أمر الخلافة ستين سنة، ولم يبلغ هذه المدَّة خليفة في المشرق.

وكانت له من خزائن الأموال وعظم الأمر ونفوذه، واتساع الخطبة وفيضها. في أقطار المشرق والمغرب ما يطول ذكره.

ثم انعكس عليه ذلك فاقتُنِصَتْ البلاد بالمشرق والمغرب منه،/ ٥٣/ واضطرمت الفتن بحضرته بالقاهرة وافتقر وضعف أمره وآل حاله إلى أن قال لشخص من خوّاصه طالبه بشيء: والله لقد أصبحت لا ينفذ لي أمر إلاَّ من مكاني إلى باب قصري، ولا أملك مالاً إلاَّ ما تراه عليّ وتحتي.

وعبيد الله المهدي أول خلفائهم يُشبّه بالسفاح أوّل خلفاء بني العباس؛ فإنَّ السفاح خرج من الحميمة بالشام طالباً الخلافة، والسيف يقطر دماً، والطلب مُرَاصد، وأبو سلمة الخلال يؤسس له الأمر، ويثبت دعوته، وعبيد الله خرج من سلمية في الشام، وفي رأسه طلب الأمر، والعيون قد أذكيت عليه، وأبو عبد الله الشيعي يسعى في تمهيد دولته، وكلاهما تمَّ له الأمر، وبايعه صاحب دعوته، وقتل عُبيد الله أبا عبد الله الشيعي القائم بدولته؛ وأصبح أبو سلمة مقتولاً في حضرة السفاح فيُنسب قتله إليه.

وأما أدارسة الغرب، فإنَّ إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ـ رضي الله عنهم ـ فرَّ من وقعة فخ بظاهر مكة حين كانت الهزيمة على العلويين من قبل أصحاب الهادي، وقتل سليمان بن عبد الله بن الحسن، طالباً الخلافة، فتنكر إدريس وصار ملاّحاً في بحر جدّة، وتنقّل في بلاد المغرب، إلى أن ثار وأدرك الخلافة بسبتة أقصى المغرب، وتوارثها بنوه، فكان أحد رجال العالم المتغلغلين في طلب الأمر حتى أدركوه؛ وهو مشبّه بالسفاح والمهدي في افتراع الدول، والابتداء لها، إلاَّ أنهما كان لهما داع وطّد دولتهما، وإدريس لم يكن له داعٍ إلاَّ نفسه.

وكان من عجائب الأدارسة بالمغرب جنون بن أبي العيش بن جنُّون بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس، قدَّمه جميع بني إدريس عليهم وصحَّت له الخلافة فيهم.

وكان له خمسة وعشرون ولداً ذكراً، منهم: جنُّون بن جنُّون / ٥٤/ الذي أضرم المغرب ناراً.

ومنهم: محمد بن جنُّون نازع أباه رداء الخلافة، وحاربه واستولى على بصرة المغرب، وعظم فيها أمره.

ومنهم: الحسن الأعور بن جنّون ادّعى النبوة في تاولا في المغرب.

ومن عظماء الأدارسة الذين يجب أن ينَّوه بأفعالهم الناصر علي بن حمُّود، جاز من سبتة البحر إلى الأندلس، وقلب الدولة المروانية، وصيّرها علوية، واستولى على قطب الخلافة قرطبة، وسيق إليه الخليفة المستعين المرواني، فضربت عنقه بين يديه، ورسخت الدولة الحمُّودية بالأندلس.

وكان منهم العالي إدريس بن يحيى بن علي الناصر بن حمُّود، خطب له بالخلافة بمالقة وغرناطة وسبتة، وكان من ألطف الخلفاء مُجالسة، وأحبّهم في الأدباء والشعراء، وكان يُشبّه بالراضي العباسي، وهو الذي لمّا أنشده ابن مَقَانا[١] الشاعر قصيدته التي منها[٢]: [من الرمل]

وَكَأنَّ الشَّمْسَ لَمّا أَشْرَقَتْ ... فَانثَنَتْ عَنْها عُيُونُ النَّاظِرِيْنْ
وَجْهُ إدْرِيسَ بنِ يحيى بن عـ ... ـليٍّ بنِ حمودٍ أَميْرِ المؤمِنِيْنْ

والعالي وراء الحجاب على عادة خلفائهم في ذلك؛ فلّما بلغ الشاعر إلى قوله:

أَنْظُرُوْنَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُم ... إنَّهُ مِنْ نُوْرِ رَبِّ العَالَمِيْنْ

أمر برفع الحجاب حتى نظر إليه.

وأما بنو عبد المؤمن ـ وهم ينتسبون إلى بني سُليم بن قيس ـ فإنَّ مهديَّهم نصَّ على عبد المؤمن، فولي الخلافة وتوارثها بنوه، وهو الذي افتتح البلاد، وقهر العباد، واستولى على حاضرة مراكش، وقتل أمير المسلمين تاشفين، وأخذ الأندلس من أيدي الثوار بها، والغرب الأقصى، والغرب الأوسط، وإفريقية، والمهدية استرجعها من أيدي الفرنج، فكان ممن عظُم صيته/ ٥٥/ وأغربت أخباره.

وأعظم ولده الموسومين بالخلافة المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن، ظهرت منه شهامة عظيمة، وهمّة عالية، واعتناء بالعلوم، وبنى المنابر العظيمة بمراكش، ورباط

---

(١) عبد الرحمن بن مَقَانا الأشبوني: أبو زيد، شاعر مشهور من شعراء القرن الخامس الهجري.
ترجمته في: جذوة المقتبس ٢٦٠، المغرب ١/ ٤١٣، رايات المبرزين ٦٢ رقم ٤٠، نفح الطيب ١/ ٢١٤، ٤٣٣، ٣/ ٢٦٤، بدائع البدائة٣٦٥ـ ٣٦٦، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٢/ ٢/ ٧٨٦ـ ٧٩٦.

(٢) الذخيرة ٢/ ٢/ ٧٩١ـ ٧٩٣، رايات المبرزين ٦٢ـ ٦٣.

الفتح، وأشبيلية، وضبط الأمر الأمرّ بهيبة تملأ الصدور، وغزا بنفسه نصارى الأندلس، فهزمهم الهزيمة التي أذلّتهم، وأناخ بعساكره على قاعدة أعظم مُلك لهم، وهي طُليطلة، فحصرها، وقطع أشجارها، وعاث أجنادُه في ظواهرها، وفتح ما فتح من قلاعها.

وكان منهم المأمون بن المنصور، قلب الدولة عن قواعدها، وأسقط اسم مهديهم من الخطبة، وسفك الدماء، وارتكب من الأهوال ما لا يسع ذكره إلاّ ترجمته؛ وهو مشبّه بمأمون بني العباس في القيام على أخيه والنهوض في الفتن، وقلب الدول؛ لأنّ المأمون صيّر الدولة علوية، وأزالها عن بني العباس.

وكان قد نزع منتزع المأمون في التنويه بالعلماء، والمناظرة في مجلسه، وإدرار الأرزاق عليهم، وكان للشعراء منه حظّ عظيم.

قال ابن سعيد: وإذا قايسنا بين سلاطين المشرق وسلاطين المغرب، كان الفضل للمشرق، وذلك أنَّ ما كان بأيدي المسلمين منه هو سلطنة السند التي تداولها القرشيُّون وتوارثوها، وكان سريرهم بها مدينة المنصورة، وما زالوا يتوارثونها إلى أن غلبت عليهم سلاطين العجم، وأضافها السلطان محمود بن سبكتكين إلى بلاده، وملكها شهاب الدين الغوري صاحب غزنة، وآل أمرها إلى أن ملكها خوارزم شاه محمد بن تكش؛ ولما فرَّ أمام التتر ومات في بحر طبرستان، وتماسك ابنه جلال الدين بما بقي من العساكر والبلاد، تبعه التتر وقاتلوه في بلاد السند،/ ٥٦/ وهزمهم، وهزموه، وآل حاله معهم إلى أن أسلمها لهم، وطلب الغرب نحو أذربيجان، وبلاد الكرج وأرمينية.

فكان الذي بأيدي المسلمين من بلاد الهند يستحق أن يسمى سلطنة؛ لأنه كان عدَّة ممالك جليلة، ولا سيما مُذ فَتحَ فيها محمود بن سبكتكين ما فتح، وأضاف إلى ذلك شهاب الدين الغوري ما أضاف.

وآل أمرها إلى أن ملكتها امرأة، واستولى عليها التتر بضرائب معلومة لهم. وما وراء النهر كان سلطنة عظيمة ذات ممالك كبيرة افتتحت مذ أوّل الإسلام في زمن قتيبة ابن مسلم، وعظُمت شيئاً فشيئاً.

وكان كرسيّ سلاطين بني سامان فيها حضرة بخارى.

ومن بني سامان أخذها الأتراك الخانية، وكان بينهم وبين محمود بن سبكتكين مرّة حرب، ومرّة صلح، إلى أن استولى عليها السلجوقيون، ثم صارت بعدهم لخوارزم شاه محمد بن تكش، ومنه أخذها التتر.

وأما خراسان، فإنها سلطنة عريضة نابهة الذكر في القديم والحديث.

وفيها قتل يزدجرد آخر سلاطين الفرس، فانقرضت دولتهم، وكان سريرها في مدّة طاهر بن الحسين وبنيه مرو، ثم نيسابور إلى أن أخذها منهم الصفار، ثم قبض عليه بنو سامان، فانضافت إليها، واستولى عليها محمود بن سبكتكين بعد ذلك، وتداول عليها ولاة بيته، وسرير سلطانهم بمدينة غزنة، إلى أن استولى عليها السلجوقية، وعاث فيها الخطا بعد ذلك.

وكانت فيها فتن إلى أن انضافت للسلطان خوارزوم شاه محمد بن تكش، ومنه أخذها التتر.

وأمّا غزنة وما انضاف إليها من بلادها وجهاتها، وبلاد الغور، فإنّها كانت في الدولة السامانية/ ٥٧/ مخصوصة بسبكتكين. ولمّا استولى محمود على الممالك الجليلة، والسلطنات العظيمة، اتخذ غزنة سريراً له، وكذلك فعل بنوه إلى أن دخلها سنجر شاه سلطان السلجوقية، وآل أمرها بعد ذلك إلى أن ملكها الغوريون، واستحوذ عليها التتر عند حروبهم على خوارزم شاه.

وأما خوارزم، فقد كان السلاطين الذين ملكوها في مدة السامانية يدارونهم، ويخطبون لهم؛ لعظم السامانية، إلى أن صارت لهم، ثم صارت لمحمود بن سبكتكين، ثم للسلجوقية، ثم ملكها تكش، ثم ابنه محمد المعروف بخوارزم شاه.

وجاءت الممالك إليه، وأنثالت من كلّ جهة عليه، وصارت له خوارزم، وما وراء النهر، وغزنة، وخراسان، وجرجان، وما انضاف إليها من بسطام، ودهستان، ومازندران، وعراق العجم، وكرمان، وسجستان، وفارس، فعظم أمره، وعزم على قصد العراق فردّه الله عنه.

ثم دهمه خروج التتر، فتشاغل بهم؛ فلمّا هزموه، وفرَّ أمامهم إلى بحر طبرستان، فمات في جزيرة هنالك، فاض التتر على بلاد هلك رأسها. وكان سرير سلطانه مدينة خوارزم على نهر جيحون، غرّقها التتر بالنهر المذكور.

وأمّا سجستان، فإنها سلطنة مذكورة، وعظمت فيها دولة بني الصفار وتوارثوها، وهي الآن من البلاد التي صارت في حكم التتر.

وأما كرمان، فإنها سلطنة مشهورة عظمت فيها دولة بني اليسع، وكانت في مدّة مضافة إلى بلاد بني بويه.

وأمّا ديلمان، فهي سلطنة كبيرة سريرها مدينة الريّ، وينضاف إليها بلاد جرجان، وبسطام، ودهستان، وجبال الديلم، وجبال جيل وجيلان. وفيها قلعة ألموت / ٥٨/

التي يتوارثها النزارية، ولم يبرح التشيع فيها قديماً.

وأعظم السلاطين الذين اشتهروا بملكها بنو بويه الذين منهم عضد الدولة. وآل أمرها إلى أن ملكها السلجوقية، ثم خوارزم شاه، ثم التتر إلاَّ قلعة أَلموت، وما صعب من جبال الديلم، فإنها في نهاية الامتناع.

وقد كان أنو شروان ـ عظيم سلاطين الفرس ـ ملك ما بين العراق ونهر جيحون إلاَّ جبال الديلم، فإنها امتنعت عليه.

وأما مازندران، فهي البلاد المعروفة بطبرستان. وتوالى عليها من أئمة العلويين الذين كانوا يخطب لهم بالإمامة بها، ولم تزل في معظم حالها مخصوصة بأئمة العلويين؛ لأنَّ أهلها على التشيع، وعلى هذا المذهب، فكانوا لا يرون عنه بديلاً، وكانت من البلاد التي صارت لخوارزم شاه، وبها استجاز أَمام التتر، وركب مركباً في بحرها إلى جزيرة هلك بها، وكانت مدينة آمل من مدنها قطباً لائمة العلويين بها.

وأما عراق العجم فهو المعروف في الكتب بالجبال وهي سلطنة تلاصق العراق وأعظم من توارث السلطان فيها بنو بويه، وكان سريرهم بها أصفهان، ولما صارت للسلجوقية واختاروا الإقامة فيها في أكثر الأحيان؛ لتوسطها بين بلادهم اتخذوا همذان سريراً، وهي من البلاد التي صارت لخوارزم شاه فاستولى عليها التتر.

وأما فارس فهي سلطنة القوم الذين عرفت باسمهم، وأعظم من ملكها في الإسلام وتوارثت بها دولهم بنو بويه.

وملكها السلجوقية، وكان فيها من بقاياهم من امتنع بالحصون الشامخة، وجرت فيها خطوب طويلة.

وأما خوزستان فهي المعروفة/ ٥٩/ في الكتب بالأهواز، وكان يعقوب الصفَّار الذي خرج من سجستان، وعاث في الأرض اختار الإقامة فيها، وبها مات، وسرير السلطنة فيها مدينة تُستر ـ التي تقوّلها العامة بإعجام السين ـ.

وأما العراق، فهي السلطنة العظمى التي هي من الدنيا بمنزلة القلب من الجسد، ومن ملكها، فله الفضيلة على سلاطين العالم.

وبها كانت أكاسرة الفرس وسريرهم المدائن، وكانت قبلها مدينة بابل سريراً، ثم صارت في مدّة بني العباس ـ أدامها الله مقرّاً للخلافة. وقطبها مدينة بغداد، وسامراء في بعض الأحيان.

وأمّا شهرزور، فإنها سلطنة تغلب عليها الجبال وأكثر ما كان سلاطينها من الكرد

على ما يذكرون، وآل أمرها إلى أن كانت للسلطان الأعظم صلاح الدين ـ رحمة الله عليه ـ وصارت لبيت آق سنقر، وهم المعروفون بالأتابكية.

وأما الجزيرة، فإنَّ سلاطين الأثوريين تداولوها قبل الإسلام فعرفت بجزيرة اثُور.

وكانت الأكاسرة والأقاصرة يتجاذبون بلادها بينهم، وتغلّب كلّ منهم على ما يلي بلاده، وعظمت فيها سلطنة بني حمدان إلى أن انقرضت وتوارثها سلاطين بني عُقيل إلى أن غلبت عليها السلجوقية وأسندوا أمرها إلى أتابك آق سنقر، وكانوا يجعلون فيها أولادهم والأتابكية لآق سنقر ومن بعده من ولده فتوارثوها إلى أن كان منهم السلطان الأعظم محمود بن زنكي، وآل أمرها إلى أن ملكها بدر الدين لؤلؤ ـ الملقب بالملك الرحيم ـ ولم تكمل له سلطنتها؛ ولكن معظمها له.

وأمّا الشام، فهي سلطنة جليلة كان فيها خلفاء بني أمية، واختاروها على غيرها. وقطب إمامتهم دمشق.

وكان/ ٦٠/ منهم من يسكن البرية كهشام في الرصافة، وسليمان في مرج دابق. وتوالت عليها ولاة بني العباس، وعظم فيها سلطان بني طُغج الذين ملكوا الديار المصرية، وكذلك بنو طولون، وسيف الدولة بن حمدان، وكان سرير سلطانه حضرة حلب، وكان له معظم الشام لما ملك دمشق، ثم خرجت عن يده، وجرت بعده فتن، فلم تخلص السلطنة بكليتها لأحد، إلى أن ملكها السلجوقية، ثم آل أمرهاأن استولى عليها السلطان محمود بن زنكي، ثم انضافت إلى البلاد التي استولى عليها السلطان الأعظم صلاح الدين، ولم تكمل بعده لسلطان، إلى أن ملك معظمها السلطان الأعظم الناصر صلاح الدين ابن الملك العزيز ابن الملك الظاهر ابن السلطان الأعظم صلاح الدين، وملك من سلطنة الجزيرة مملكة ديار مُضر.

وأما جزيرة العرب فإنها قطعة عظيمة، الحجاز منها سلطنة، ولكنها قليلة الخراج والعمارة، كثيرة البركة بالبيت الشريف، والنور المحمدي، زاده الله إشراقاً وفيضاً على أقطار الأرض، وقد كانت مقراً للخلفاء المرضيين ـ رضي الله عنهم ـ.

والمدينة مهاجر رسول الله ﷺ وقطب الخلافة، وكان فيها من الطالبين الإمامة من هو مذكور في موضعه، والغالب فيها أن تكون مقسومة غير كاملة لسلطان من العلويين بل هي على ما يذكر.

واليمن سلطنة ثانية من جزيرة العرب فيها كانت تبابعة العرب في الجاهلية، وسريرهم ظفار وصنعاء وسبأ، وتداولت عليها ولاة الإسلام.

وكان فيها من الملوك الذين توزعوا / ٦١/ ممالكها جملة، وكملت سلطنتها لبني زياد الدّعي، ودامت وكملت للصليحيين والزّريعيين إلاّ أن يكون أحد المندسين في قلعة أو جهة لا يخلّ بمعظم السلطنة، وعظم فيها أمر بني مهدي، وادّعوا الخلافة، وخطب لهم بأمير المؤمنين، فكانوا من الخوارج، ومنهم أخذها السلطان الأعظم صلاح الدين فصارت مضافة إلى بلاده.

وآل أمرها إلى أن كانت للسلطان المسعود ابن السلطان الأعظم الملك الكامل، فورثها عنه نور الدين بن الرسول، وكان سريرها في مدّة بني زياد مدينة زبيد، وفي مدة الصليحيين صنعاء وجبلة، وفي مدة الزريعيين الدملوة، وفي مدة المسعود تعز.

وحضرموت سلطنة ولكنها طويلة ضيقة متجاذبة البلاد من جيرانها، وكذلك الشحر.

وعمان سلطنة أضخم وأنبه من حضرموت والشحر، إلاّ أنّها لا تجتمع لسلطان واحدٍ؛ لأنَّ الخوارج استولوا على جبالها، وتوارثوا هنالك دولتهم.

وهجر سلطنة ـ وتعرف أيضاً بالبحرين ـ وأعظم دولة استبدت بها دولة القرامطة، دامت وورثت، ومن أصحابها من ملك الشام والحجاز مُلْكَ فتكٍ ونهب، وأخبارهم هائلة.

واليمامة سلطنة صغيرة، وقد كان اقتطعها بنو الأخيضر العلويُّون، وتوارثوا بها الإمامة. وأما البلاد التي في شمال الشام والجزيرة، فإنَّ أنبهها ذكراً وأعلاها لجهة الشرق.

وأذربيجان وهي سلطنة جليلة، وكان فيها صيت عظيم لأبي الساج، وبنيه وبني البهلوان، وكانت من البلاد التي ملكها السلجوقية، وكان سريرها مدينة المراغة.

/ ٦٢/ وأما البيلقان، فسلطنة تجاورها، سريرها مدينة شروان.

وأمّا باب الأبواب وما انضاف إليها من بلاد الخزر، فسلطنة سريرها مدينة الباب.

وأمّا الرّان، فسلطنة سريرها برذعة وتفليس وقد يضاف إليها البيلقان والباب. وهذه كلّها جهات متقاربة قد غلب عليها التتر.

وأما أرمينية فسلطنة كبيرة سريرها خلاط، وكانت من البلاد التي انضافت إلى بني أيوب ـ رحمهم الله ـ وجرت فيها فتن كثيرة، وهي من بلاد التتر الآن.

وأما البلاد المعروفة ببلاد الروم التي في شرقي الخليج القسطنطيني، فإن السلجوقية افتتحوها وهي بأيديهم إلى الآن. يعني ابن سعيد في زمانه.

وأما الآن، فهي للتتر، وسرير سلطنتها قونية وقيصرية، ويشركهم فيها ملوك الأتراك بكلمة شتّى، ورأي مختلف يخاطبون بالإمارة.

قال ابن سعيد: وفي شمال هذه البلاد من بلاد أضاف الخزر، والترك، والبلغار، والصقلب ـ ما ذكر في هذا الكتاب في أوله ـ ولم يكن فيهم مسلمون إلاّ البلغار، وقد وصل التتر إلى بلادهم.

وفي الهند والصين التي بأيدي الكفار ممالك كثيرة عامرة جليلة. وقد داخل التتر أهل الصين في بلادهم وسلطنة التتر طمغاج، وسريرهم قراقرم، ومعناهُ الرمل الأسود.

وأما سلطنات المغرب؛ فأولها مما بأيدي المسلمين الديار المصرية، وهي عظيمة في الجاهلية والإسلام، وكان يعرف سلاطينها في الجاهلية بالفراعنة، وكان سريرهم مدينة منف، وجاء الإسلام وسرير سلطانها المقوقس مدينة الإسكندرية، ومدينة مصر التي تعرف الآن بالفسطاط، والجهة القديمة منها معروفة عندهم، ودام السرير بها في الإسلام.

وأعظم من ملكها بنو طولون، وبنو طغج، ومنهم / ٦٣/ أخذها العبيديون الذين خطب لهم بالخلافة، وصيروا القاهرة قطباً لإمامتهم إلى أن أخذها منهم السلطان الأعظم الملك الناصر صلاح الدين فأبقاها سريراً لسلطانه، وكذلك من بعده إلى أن سكن السلطان الكامل قلعة الجبل.

وتجاور الديار المصرية برقة، وهي سلطنة طويلة قد استولت عليها العرب، وكان سريرها في القديم مدينة طبرق.

وتليها إفريقية، وهي سلطنة جليلة شهيرة، كان يقال لسلطانها في الجاهلية جرجير، وكان سريره. مدينة سُبيطلة.

ومدينة قرطاجنة، وصار سريرها في الإسلام القيروان، ثم هي الآن مدينة تونس، وتوارث سلطنتها في الأوّل بنو عقبة القرشيون، وتوارثها بنو الأغلب التميميون، وأخذها منهم عبيد الله المهدي الإسماعيلي، فتوارث بها الإمامة بنوه إلى أن رحل المعزّ العبيدي إلى مصر فولّى على إفريقية صنهاجة من برابر إفريقية، وكان أعظمهم في الشهرة، وحبّ الفضل المعزّ بن باديس، ثم أفسدت العرب سلطنته، وتوزّعتها بين ممالك، وبقى لابنه تميم المهدية، وما قرب منها، وتوارثها بنوه، وزال رسم السلطنة

منهم إلى أن استولى عبد المؤمن عليها، فتوالت بها ولاته وولاة بنيه. وكان يحيى بن غانية الميورقي الملثم يناكدهم فيها إلى أن صفت للسلطان الأعظم الأمير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، وقد أضافت إليها همّته العلية وسعادته العلوية بلاداً من برقة، ومن الجزر البحرية، ومن الغرب الأوسط، ومن المغرب الأقصى، ومن الأندلس. وسرير ملكه كان تونس.

ويليها الغرب الأوسط، كان في صدر الإسلام قد / ٦٤/ اقتطعه بنو رستم، وكانوا خوارج ادّعوا الخلافة، وكان قطب إمامتهم مدينة تيهرت، إلى أن أزال أمرهم الشيعي القائم بدعوة العبيديين. ومن أعظم من ملك سلطنتها جعفر بن علي الذي يمدحه ابن هانىء الأندلسي وكان سريره مدينة المسيلة.

قلت: [ومن قوله فيه: [من الكامل]

الـمُـدْنَـفَـانِ مِـنَ الـبَـرِيَّـةِ كُـلِّـهَـا ... جِـسْـمِـي وَطَـرْفٌ بَـابِـلِـيٌّ أَحْـوَرُ

وَالـمُـشْـرِقَـاتُ الـنَّـيِّـرَاتُ ثَـلاثَـةٌ ... الـشَّـمْـسُ وَالـقَـمَـرُ الـمُـنِـيْـرُ وَجَـعْـفَـرُ

ثم نعود إلى تتمة كلام ابن سعيد. قال ـ رحمه الله ـ:] وملكها بعد رحيل المعزّ العبيدي إلى مصر بنو حمّاد الصنهاجي، وتوارثوها، وكان سريرهم قلعة حمّاد المنسوبة إلى جدّهم، ثم صار مدينة بجاية.

ويليها سلطنة المغرب الأقصى، وهو المعروف ببرّ العدوة، وهذه الجهة أعظم جهات المغرب؛ لأنها ذات حواضر جليلة، وجبال مشمونة، وعرض وطول.

وكانت قد اجتمعت للأدارسة الذين خُطب لهم بالخلافة، ثم اقتطع منها بنو مدرار مملكة سجلماسة، وحاكاهم غيرهم، فاختلّ عليهم نظامها، إلى أن صارت للعبيديين.

وكان بنو أمية ـ أصحاب الأندلس ـ ينازعونهم فيها، وصفت لأمير المؤمنين يوسف بن تاشفين، وكان سريره حضرة أغمات، فبنى حضرة مراكش، وانتقل إليها، وتداول عليها ولده إلى أن أخذها منهم عبد المؤمن الذي خُطب له بالخلافة.

وأما بلاد السودان، فأعظمها عندهم من جهة قواعد السلطنة أرض الحبشة، وسمة سلطانهم النجاشي، وسريره مدينة جَرْمي.

وأرض علوة، وما ينضاف إليها سلطنة، وكذلك أرض النوبة. سريرها دنقلة.

وأرض الدمادم الذين خرجوا على أصناف السودان، فأهلكوا بلادهم، وهم يُشَبَّهون بالتتر، وكان خروج الفريقين في عصر واحد.

وأرض الكانم، وما انضاف إليها من بلاد التكرور سلطنة / ٦٥/ طويلة ضيقة على ضفتي النيل، طولها أربعون يوماً، سلطانها مسلم من ولد سيف بن ذي يزن سلطان اليمن.

وأرض كفّار التكرور سلطنة، ويليها من الأمم الكافرة إلى غانة إلى البحر المحيط مع طول النيل.

وأما جزيرة الأندلس فهي قطعة عظيمة انقسمت على سلطنتين:

سلطنة للمسلمين، وسلطنة للنصارى، فكانت سلطنة المسلمين من أوّلها عند الباب الذي يدخل منه إليها الأرض الكبيرة مع الساحل الجنوبي.

وكان السرير فيها قبل الإسلام أشبيلية، وماردة، وطليطلة، وفي الإسلام أشبيلية قليلاً، ثم استَقَّر بقرطبة، وتوالت عليها ولاة بني أمية من المشرق إلى أن ملكها عبد الرحمن بن معاوية المرواني، وتوارثها بنوه، ثم خُطب لهم بالخلافة.

واستولى المنصور بن أبي عامر على خلافة المؤيد المرواني، فلم يكن له أمرٌ، وورث السلطنة عنه ابنه المظفر، ثم الناصر بن المنصور، فقتل وانقرضت سلطنتهم.

ولم تجتمع بعد ذلك سلطنة الأندلس بغير خلفاء بني مروان، إلى أن ملكها بنو عبد المؤمن.

ولما ثار عليهم المتوكل بن هود، اجتمعت سلطنة الإسلام بها، ولم يشذّ عنه إلاّ مملكة بلنسية، وكورة طبيرة، وما انضاف إليها، فاستحق اسم السلطنة بمعظمها.

ولما مات توزعها ملوك.

وأما الأرض الكبيرة ذات الألسن الكثيرة، فهي سلطنات مختلفات كثيرة كسلطنة رومية والقسطنطينية، وسلطنة النبادقة، وسلطنة الانكبردا، وسلطنة الباشقرد. والإسلام كثير في هذه السلطنة.

قال ابن سعيد: وأمّا الجندية، فإنها في المشرق أرفه وأضخم، وفي المغرب أضبط وأنجد، وذلك /٦٦/ أنَّ القاعدة لهم في المشرق بمثل ما شاهدته في حلب، فقد أجمع المسافرون على رفاهية جندها وضخامتهم، أن يكون للفارس الواحد من عامة الفرسان فرس يركبه، وفرس يركبه غلامه، وبنده في يده، وفرس يجنبه إلاَّ لجندي حظيّ ذي همة.

وأكثر الجند عندنا بالأندلس أن يكون للجندي فرس يركبه، وفرس يركبه الذي يحمل سلاحه، وفي برّ العدوة الحال أخف من ذلك.

أكثر جند إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى لا يكون للواحد منهم إلاّ فرس واحد، ويكون فارس الأندلس مدّرعاً، وإن كان ذا همّة وقدرة فيكون لفرسه درع واعتماده على الرمح الغليظ الطويل والترس على عادة النصارى الذين يقاتلونهم.

ولا يكون مدرّعاً من فرسان البربر إلاّ أَوْلو الهمة والقدرة، ولا يقاتلون بترس، ولا رمح طويل غليظ، بل بالسيوف والأرماح الخفيفة يزرقون بها زرقاً عجيباً لا يكاد يخطىء، ويكون لهم بدل التراس درق تُصنع في المغرب من جلد حيوان يعرف باللمط تنبو عنها السيوف، والرماح، وأكثر السهام.

وفرسان برّ المغرب البربري أحسن تصّرفاً على الخيل من فرسان البرّ الأندلسي؛ لأنّ الأندلسي يثقله الترس والرمح الطويل الثقيل والدرع، فلا يستطيع التصرف، وإنما يحرص على الثبات، وأن يكون مثل الجوشن على فرسه؛ وربمّا كان له في السرج مخاطيف ينشبها في وسطه حتى لا يسقط إذا طعن.

وسروج جند الأندلس عالية المؤخر حفظاً من الطعن، وليست كذلك سروج البربر.

وركاب الأندلسي طويل، وركاب البربري قصير، والأمير عندهم / ٦٧/ في المشرق يُباح له ضرب الطبول، ولا يباح ذلك في المغرب إلا لمن يلي مملكة، أو من يحلّ محله من عظماء قوّاده.

والأمير في الشرق تكون له في خاصته ما لا يكون للقائد في المغرب لجميع جماعته.

فقد سمعت أنه يكون للأمير بحلب في خاصته ما لا يكون ذلك للقائد، وجميع جماعته ثمانون ألف درهم في السنة. والجندي في المشرق يحتاج أن يكون معه رأس مال من خيل وعدّة، والأمير في المشرق يلزمه كلفة عظيمة من مدّ السماط بالطعام في كل يوم، والتجمّل الكبير في الثياب الحريرية الرفيعة، ويكون معه في السفر خزانة لأمور الطبخ، وخزانة للأسلحة، وخزانة للفرش، وآلات اللباس.

وإن كان ذا همة كان معه من أنواع الأشربة والمعاجن والترياق، ويكون له مملوك يحمل معه بقجة للباسِهِ، ويكون وراءه، وكذلك مملوك آخر يحمل على رأسه السلاح، والفضيلة في جميع هذا تَتَبيَّن للمشارقة على المغاربة.

ثم قال ابن سعيد أيضاً: وإنما قلت: إنَّ جند المغرب أضبط وأنجد؛ لأنهم في

نهاية من البعد عن الراحة والذم للرفاهية وخصوصاً الأندلس يصيخون لداعٍ كلّما سمعوا شعار الحركة بادروا، ومن أقام مقداراً يزيد على العادة عوقب أشدّ العقاب؛ ورُبمّا أُحلّ ماله ودمه. ويقيم الواحد منهم في الحصن الواحد عشر سنين وأكثر وأقلّ. لا ناصر لهم إلاّ سلاحهم، ومنعة قلعتهم، لا يسأمون الحصار، ولا يتذللون للغلبة.

[قلت: لو استحيا هذا الفاضل، لما ذكر مع فخامة جند الشرق جند الغرب إلاّ أن جعل مصر ـ كما قرر من المغرب ـ وما ذكر ذلك هنا، ولو احتاج هذا إلى مؤاخذة له، وإقامة الدليل عليه، لواخذته، وأقمت الدليل عليه، ولكنه أوضح من النهار الشارق، وأظهر من الجبل الشاهق.

والله لقد كان عند أمير من أمراء الدولة الناصرية بمصر مملوك محظي أخبرت أنَّ عنده ثمانين عليقة، وكان عند أمير آخر مملوك محظي أخبرت أنه عنده أربعين عليقةٍ.

فأما قوله: إنَّ للأمير ثمانين ألف درهم في السنة لخاصتِهِ، فقولٌ حق؛ ولكن أين هو عما يبلغ خواص الأمراء عندنا مما يزيد خاص الرجل منهم في السنة عن مائتي ألف دينار جيشية كما كان لبكتمر الساقي، وقوصون، وبشتاك؟! وأما من دون هؤلاء، فعدد جمّ لهم الخواص الكبيرة، منهم من يزيد خاصّه على مائة ألف دينار، ومنهم من ينقص؛ فأما من له ثمانون ألف درهم منهم، فمن لا يرمق بطرف، ولا يرمى بالتفات، فأما أمراء الممالك الهولاكوهية فلنويناتهم البحور التي لا يُدرك أعماقها، والخزائن التي لا يَنْفد إنفاقها، فأما الهند، فعلى قدره، وكفى قولنا هذا في تعظيم أمرِهِ.

وأما قوله: إنَّ الأمير يكون له مملوك يحمل لباسه، ومملوك يحمل سلاحه، وكلام قاله على ما رأى أو ظنَّ، فأما أمراؤنا، فمنهم ملك ثمانمائة مملوك، ثم كلٌّ على قدره.

قال ابن سعيد:] وأما الوزارة، فالسفاح أول من استوزر بالمشرق، وهي بها أعظم من المغرب، كأنّ الوزير نائبٌ للخليفة أو الملك.

/ ٦٨/ قلت: وهذا مما لا يفاضل فيه؛ فإنَّ وزراء الغرب لو جمعوا أولهم وآخرهم وباقيهم وغابرهم ما «جاؤوا» بواحدٍ من مشاهير وزراء الشرق، ولا أقول هذا إلاّ بحق، وسأذكر من هؤلاء وهؤلاء، ما تعرف به القول الصدق؛ ليعلم من أجال في هذا المكان نظره، وحقَّق منه خبره، في أي القطرين الوزراء الذين تفتقر إليهم الدول، ويقتصر عليهم الأمل، وتقرطس إلى الغايات سهامهم، وتقرطق بحليّ التصرف أيامهم، ويسفح ديمُهم نوالاً، وتشمخ هممهم بما بَعُدَ منالاً، قد أرغمت أقلامهم معاطس الرماح حتفا، وأخرجت صدور السيوف وأغصتها شرقاً، فاحتاجت الملوك إلى مؤازرتهم،

واحتالوا على إدناء مجالسهم ومزاورتهم، وكان منهم أرباب سيوف، وأقلام كلاهما ماضية، وبالبؤس والنعيم قاضية، وترفعوا عن رتبة الوزارة إلى الملك والإمارة، وخرجت التواقيع تارةً عنهم، وتارةً مطرزة من أسمائهم بالإشارة، فبلغوا مبلغاً عظيماً، وحكموا في الممالك حكماً عميماً، ومنهم من أعطى الأقاليم، وأمطى المعاقل، ووهب الجسيم، واستأثروا دون الخلفاء والملوك ببعد السمعة والصيت، حجّتهم الوفود، ووقتت إليهم المواقيت، وقبّلت لديهم الأرض، وشرقت حصاها على الدُّرر واليواقيت، ومدحتهم الشعراء بغرّ القصائد، ونصبت على سواغ جودهم أشراك المصايد، وتناقلت الرواة سيرهم، ودونت تواريخهم، واستكفت غيرهم، وكانوا مصابيح صباحه، ومجاديح سماحه، ومفاتيح أبواب الرزق والراحة، وكان منهم قادة جنود كُثر، وجيوش دُثْر.

/ ٦٩/ وأما الكتّاب بالمشرق ففيهم من يندى قلمه غضارة، ويُبدي كَلِمُهُ كالروض المبتل نضارة، ويتلقف من أفواههم سحر الكلام، ويلتقط من أشباههم نجوم الظلام، ما منهم إلاّ من إذا كَتَبَ كَبتَ الصفائح، وَكَبَتْ وراءه القرائح.

يجيد متسرّعاً، ويجيء بالدر، ولا تلقاه عما للناس إلاّ متورّعاً، تخرج زَهْرُهُ من أكمامه، وتخلف زُهْرُهُ النهار إذا واراه جِنح ظلامه، أو جَناح غمامه.

وقد جاء في المتأخرين منهم من لم يرض طرف المتقدّمين، ولم يَرُضْ جامح فكره حتى يلين، بل جاء بما هو أرق من النسيم نَفَساً، وأعذب مما ذاب في كؤوس الثغور لَعَساً، وتفنن في الأساليب، وحكى ملحمة حرب، ولا يظنّ سامعه إلاّ أنه فضل غزلٍ أو نسيب مع أحكام المعاني، واتعاب من لها يعاني، واستيفاء شرط المعركة، وخط شواجر الرماح المشتبكة، لكن يكسوها من حلل ألفاظه ما يوهم السامع أن الحماسة غزل، وأنّ الأجفان الأجفان، والسيوف المقل، فيفيدها حلاوة من نُطف ألفاظه العذاب، ولطف بدائعه التي تبدو في فيهِ كأنها الأَرْيُ المذاب، واخترعوا أنواعاً من البديع زادت كلامهم رونقاً، ونشرت منه روضاً مونقاً، وجرت من ينابيع خواطرهم سلسلاً متدفقاً، وسيلاً سبق ارتداد الطرف وكأنه جاء مترفقاً، وأتوا في هذا بما لا قدرت عليه الأوائل، وربما أتي لهم وما أتوا فيه بطائل، وإن كان أصل ما جاء للمتأخرين ما غبر، فأن السيوف تحزُّ الرقاب وتعجز عمّا تنال الإبر.

وكذلك إذا نظرت بعين المنصف، واطرحت هوى النفس لا تجد للمغرب مع المشرق يداً في / ٧٠/ فضل ولا باعاً في علياء، وإن كنت قد ذكرت هذا مجملاً، فسأفصِّله، أو مبهماً فسأبينُه.

ولله عليّ أن لا أعدل عن صراط الحقّ السوي، ولا أنكب عن قصد الإنصاف الأَمم، ولا أدّعي ذلك في الإفراد بل في الجملة، ولا في الجزء، بل في الكلّ، وبالله أسترشد، ومنه أسأل الإعانة.

ثم إني لا أقصر ما وجدت طلقاً ممتداً إلاّ إذا خشيت أن أملَّ، ولا أطيلُ ما رأيت إيجازاً مغنياً إلاّ إن خفت أن أضل.

وها أنا أقول: إنَّ الذي يُعرف به التفاضل منحصر في الحيوان. والنبات والمعدن، وأشرف الحيوان الإنسان، وهو طبقات متفاوتة، أعلاها ذروةً الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ثم بعدهم أصحابهم، ثم الناس أشباه، وإن تفاوتت درجاتهم، وتباينت أقدارهم، لا يفضل فيهم إلاّ العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، والنفع بهم أعمّ من الأولياء.

فأمّا الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ فقد تقدم ما فيه كفاية من تقرير شرف المشرق بهم، وشرف المغرب بسببهم؛ إذ كان بالشرق مواضعهم ميلاداً، ومباعثهم أحياءاً، ومدافنهم أمواتاً؛ إلاّ من كان بمصر، أو دخل إليها ممن ليس من أهلها، ثم خرج منها على ما بُيِّن فيما تقدم ببعض تفصيل فيه غنًى.

وكذا الشأن في الصحابة الفائزين بفضل السابقة، وقد مضت في هذا لُمع أَوْمَضَتْ أشعتها، ومضت وبقيت في الآذان سمعتها، ولو عُدِلوا بنظير في المغرب، لذكرناهم، فإذا لم يكن، فلنضرب عن ذكرهم صفحاً، ولنكن لهم دون منبلج الليل صبحاً، اللهم إلاّ من لزم ذكره مع طائفة لم يكن من ذكره معهم بدّ، ولا لسبيل هذا التصنيف عنه مردّ؛ [فإن انتصر منتصر للمغرب فقال: لا يلزم من عدم الإطلاع على أن من المغرب أنبياء، أنه لم يكن به أنبياء لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[1] ومن المحقق أنَّ الغرب لم يزل فيه أمة بعد أمةٍ.

فالجواب: أنه ليس في الآية ما يدل على ذلك؛ لأنه ـ تعالى ـ قال:

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[2]، ولم يقل «منها» التي هي للتبعيض، ليكون النذير من أمة الغرب، كما هو في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[3] بـ«من» التي هي للتبعيض؛ وقد قرأ بعض القراء «من أنفَسِكم» بفتح الفاء فأفاد أنه منهم من أشرفهم، فاحتمل أن يكون النذير «فيها» وليس «منها»، ويبقى أن يكون النذير الذي فيها

---

(١) سورة فاطر: الآية ٢٤.
(٢) سورة فاطر: الآية ٢٤.
(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

«منها» موقوفاً على النقل، ولم نعلمه فهذا أمر الأنبياء بالجانب الغربي].

وأمّا من بعدهم، فأعلاهم كعباً القراء، ثم أهل الحديث / ٧١/ الشريف، ثم الفقهاء، ثم أهل اللغة، ثم أهل النحو، ثم الفقراء، ثم أصحاب القلوب، ثم الحكماء، وهم أصحاب العلوم الثلاثة، والوزراء، والكتّاب، والخطباء، والشعراء، والأذكياء، وعقلاء المجانين، والحمقى، والمغفلين.

وها أنا ذاكر لهم في كل قسمي المشرق والمغرب على هذا الترتيب، وأسوقهم زمراً للدخول في هذا التبويب، وآتي بمشاهيرهم جاهلية وإسلاماً، وأمواتاً وأحياءاً إلى عصرنا الذي شرعت شمسه تجنح، وآن لبحر الليل على نهر نهاره أن يطفح، وحان للثور الحامل للدنيا أن يلقى قرنه، ولإسرافيل المُوّكل بالنفخ في الصور أن يلقم قرنه، وللجديدين أن يخلق ثوباهما، وللخافقين أن يلتقي جانباهما، وللأفق أن ينزع سواره من معصمه، وللشفق أن يَنْضَحَ بماء الصباح ما تلطَّخ به ثوبه من دمه.

ولقد كان لي بانتظار الأجل القريب شغل عن زخرف القول الذي فيه تعليل لباطله، وتشقيق الكلام الذي فيه تعليق اللسان بحبائله؛ بل اللهم فيما أثبته ذكرى بمصارع الأموات، وبمواقع الصائد المُجِدّ في مصائد المنون، وقد ظنّ أنه قد سبق به الفوات، وإذ قد عرَّضت عِرضي بهذا التاليف هدفاً لسهام الألسنة الراشقة، ودَرِيئَةً لرماح الطعن الماشقة، وسمحت به طُرفةً لكل خاطف، وثمرة لكل قاطف، ينهبُه كل ناهب، ويذهب به كل ذاهب، وأقدمت على هذا النبأ العظيم، ورعَيت في هذا الكلأ الوخيم، وحجمت على هذا الملأ الذي لا أكاد أثبت منه معرفة واحدٍ من أمّه، ولا أميّز صفة ذا غُرّةٍ من دُهمه، واقتحمتُ هذا البحر وأنا أعرف خطره، ودخلت هذا البرّ وأنا أجهل خبره. ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾[1].

فها قد رهنت بما قلتُ كلامي، وحاللتُ بما قالوا لوّامي، وركبت الغمرة وأنا لا أعرفُ أسبح، وسريتُ الليل وأنا لا / ٧٢/ أدري فجره أين أصبح؟!.

على أنني أرغب إلى من أعارَه أَدْنى تأمل، أن يكشفه ليتبيّن أتيتُ صواباً أم خطأً، وأصالةً أم خطلاً.

فوالله ما قصرت جهد المقدرة، ولا فعلت إلاّ فوق الطاقة إن قَبِل مني المعذرة.

وقد دخل في ذيل الحكماء أرباب الكلام وأصحاب الموسيقى، واشتمل ثوب

(١) سورة ص: الآية ٦٧، ٦٨.

الأدباء على أعيان الوزراء، وعيون الكتّاب، والخطباء، والشعراء، وقدمت الكتّاب على الخطباء؛ لأنَّ الكاتب لو شاء جرّد من نفائس تقاليده ومناشيره وتواقيعه دواوين خطب، وأفانين تهُزّ بجذع منبره بها من خَطَبَ، والخطيب قد لا يقدر على إنشاء رسالة واحدة، وكذلك أرباب المقامات التي لو حَقق ما وضعت لَه لم يكن فيه كبير فائدة.

ثم أذكر بعد نوع الإنسان سائر الحيوان، ثم النبات، ثم المعدن، ناقلاً له من كتب الأطباء والعشّابين، مصوّراً لما قدرت على تصويره منه، محرراً له بغاية الإمكان، بعد أنْ آخذ رأي أرباب هذا العلم فيه، ثم من طاف بنظره في كتابنا هذا في الجانبين، وكمل دورة المشرقين والمغربين، رأى الشرف لمكانه، والفضل لأهله.

وهذا أوان الشروع ـ وبالله التوفيق ـ والبدأةُ بالقراء.

* * *

[مشاهير القرّاء]

ومن أعلام القراء:

وبدأنا بالقراء، لشرف القرآن العظيم، ولما تضمنه من الآيات والذكر الحكيم؛ وإذ لا ترى إلاّ حائماً على معينه، وهائماً به، وما رأى أعين عِينه، ومغرى شغفاً به بسبب تنزيله، ومغرماً كلفاً بطلب تأويله، ومحتجاً به لحقه، وآخر ـ وحاشاه ـ لأباطيله.

هذا وما رابهم من ليلى الغداة سفورُها، ولا راعهم وراء الحجب ستورها، بل أضحت لهم سافرة القناع، بارزةً على يفاع، وضوح معنًى، ونزوح مغنًى. تستنبط منه هذه الأمة على اختلاف فرقها، وتستسل منه الأدلة أجنحة طرقها، لا تجد إلا من يردُ حياضه المتاقة، /٧٣/ أو يجمع به ضواله المتفرقة، ويصل أعضاءه الموزعة، وأشلاءه الممزقة، حتى فرق الخلاف للفرار من الاختلاف، لا ترى إلا من يدلي منه بدليل، ويصحح قوله الممرّض منه بتعليل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[1] ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، وهذا القول، وحسبك: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾[2].

واعلم أنَّ بشرف القرآن العظيم شرف أهله، وتقدمهم تبع لفضله، وهم حملته البررة ونقلته، وصدورهم له صحف مطهرة وإذ هم حفظته، هم به محفوظون. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾[3]، وقال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[4]، وقال: «ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن»[5] فجعلهم منه. هذا إلى ما لا يحصى مما جاء فيهم، وورد في فضلهم. وها نحن نذكر مشاهير قراء المشرق حتى نتبع الأموات بالأحياء، ثم نتبعه بمثله في مشاهير قراء المغرب، وبدأنا بأبي ابن كعب؛ لأن منه زخر عباب هذا البحر الخضم، وإلى كنف الأخذ عنه أكثر القراء انضم.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٠.
(٢) سورة الزمر: الآية ٤٦.
(٣) سورة الحجر: الآية ٩.
(٤) صحيح البخاري ١١٠٨ رقم ٥٠٢٧.
(٥) صحيح البخاري ١٥٨١ رقم ٧٥٢٧.

لقد فخر به المشرق حتى جرّ جلبابه خيلاء، وتهلل حتى أشرق لألاءً، وكذا بقية القراء والسبعة الذين آل إليهم التقصي، وانتهى الطلب المستقصي.

ولقد أشرت إليهم في قولٍ لي وهو(١):

/ ٧٤/ ثم على نحو هذا يكون الشأن في ترتيب أمثالهم في هذا القسم حتى ننتهي بعون الله إلى آخره، ونقف على ساحله لا نبالي بخوض زاخره: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(٢).

* * *

(١) بعده بياض بمقدار ٣ أسطر.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٠.

[مشاهير القراء في الجانب الشرقي]

[١]

أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أبو المنذر الأنصاري(١)

أقرأ الأمة، وأرقى القراء رتبة، جَلَت ببدرٍ الظلمة، شَهد يومها المعلم، وكان ممن نفر يريد عير قريش مع النبي ـ صلى الله عليم وسلم ـ حتى نصر الله نبيه، وأظهر

---

(١) أُبَي بن كَعْب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، أبو المنذر: صحابي أنصاري. كان قبل الإسلام مطلعاً على الكتب القديمة، يكتب ويقرأ، ولما أسلم كان من أهم كتّاب الوحي. وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يفتي على عهده. وشهد مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس. وأمره عثمان بجمع القرآن، فاشترك في جمعه، وله في الصحيحين وغيرهما ١٦٤ حديثاً. وكان نحيفاً قصيراً أبيض الرأس واللحية. مات بالمدينة سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م.

ترجمته في: مسند أحمد ٥/ ١١٣ـ ١٤٤، طبقات ابن سعد ٣/ ٤٩٨ـ ٥٠٢، المغازي للواقدي ٩ و١٣ و٢٤ و١٣٨ و١٣٩ و١٦٣ و٢٠٤ و٢٩٢ و٤٠٥ و٤٣٤ و٤٩٢ و٦٢٤ و٧٢١و٧٨٢ و٩٦٦، طبقات خليفة ٨٨، التاريخ الكبير ٢/ ٣٩ـ ٤٠ رقم ١٦١٥، تاريخ خليفة ١٦٧، العقد الفريد ٤/ ١٦١، و٢٥٨، و٢٥٩، المعارف ٢٦١ و٤٤٢، المحبّر ٧٣ و٢٨٦، مُسْند بقيّ بن مَخْلد ٨٢ رقم ٢٤، تاريخ أبي زرعة ١/ ٦٥٠، التاريخ لابن معين ٢/ ١٩، الأخبار الموفقيّات ٥٧٩، سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٣، تهذيب السيرة ١٢٧، فتوح البلدان ٣/ و٤٨ و١٠٦، أنساب الأشراف ١/ ٢٠٥ و٢٦٤ و٢٦٧ و٢٧١ و٣١٤ و٣٤٤ و٣٧١ و٥٣١ وق٤ ج١/ ٤٨٧، و٥/ ٥، تاريخ الطبري ١/ ٧٣، و١٦٠ و٣٦٦ و٣٦٩ و٣٧٣ و٣٧٥ و٣/ ١٧٣ و٦/ ١٧٩، المعرفة والتاريخ ١/ ٣١٥، الجرح والتعديل ٢/ ٢٩٠ رقم ١٠٥٧، الاستبصار ٤٨، الكنى والأسماء ١/ ٥٦، حلية الأولياء ١/ ٢٥٠ـ ٢٥٦ رقم ٣٩، مشاهير علماء الأمصار ١٢ رقم ٣١، الثقات لابن حبّان ٣/ ٥، تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٣٨، الزهد لابن المبارك ٦٩ و١٧٠ و٣٣١ و٥٦٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ٤٤ـ ٤٥، المعجم الكبير للطبراني ١/ ١٩٧ـ ٢٠٢ رقم ١٥، الاستيعاب ١/ ١٩ـ ٢٠، الإرشاد للخليلي ١/ ١٦(رسالة ماجستير لآسيا كليبان علي ـ مطبوعة على الستنسل)، المستدرك ٣/ ٣٠٢ـ ٣١٢، الكامل في التاريخ ١/ ٥٢، و١٦١ و٢/ ٣١٣ و٤٨٩ و٥٦٢ و٣/ ١٥٩، أسد الغابة ١/ ٤٩ـ ٥١، تهذيب الأسماء واللغات ق١ ج١/ ١٠٨ـ ١١٠ رقم ٤٤، الزيارات للهروي ١٣ و٩٤، تهذيب الكمال ٢/ ٢٦٢ـ ٢٧٢ رقم ٢٧٩، تحفة الأشراف ١/ ١١ـ ٤٠ برقم ٤، صفة الصفوة ١/ ٤٧٤ـ =

معه من أبي أبيه، شرف بما عارضه به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القراءة، وشرع له في القراءة البداءات وله سابق الصحبة، وسابق الرتبة من الأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان وضمنوا النصر، وبذلوا نفوسهم في الضمان، يحبون من هاجر إليهم، ويحبّون أخوانهم بمشاطرة ما في أيديهم، فعلُ من أحب الله وأحبه ـ ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[1].

عرض القرآن على رسول الله ﷺ وأخذ القراءة عنه عبد الله بن عباس، وأبو هريرة، وعبد الله بن السائب، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وأبو عبد الرحمن السلمي، وحدّث عنه سويد بن غفلة، وعبد الرحمن بن أبزى، وأبو المهلب، وآخرون.

شهد بدراً والمشاهد كلها، ومناقبه كثيرة وكان رَبْعَةً من الرجال، شيخاً أبيض الرأس واللحية.

روى أبو سعيد الخُدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم هذه الأمة بها أبو بكر..» وذكر الحديث، وفيه «وأقرأهم لكتاب الله أبي بن كعب»[2].

وروى أبو قلابة مرسلاً: إن رسول الله ﷺ / ٧٥/ قال: «أقرأهم أبي بن كعب»[3].

وقال ابن عباس، قال عمر: «أقضانا علي، وأقرأنا أبي»[4].

وعن أنس ـ أن النبي ﷺ قال لأبي: إني أمرت أن أقرأ عليك، وفي لفظ «أن

= ٤٧٧، مجمع الزوائد ٩/ ٣١١ـ ٣١٢، نهاية الأرب١٩/ ٣٦٣، سير أعلام النبلاء ١/ ٣٨٩ـ ٤٠٢ رقم ٨٢، معرفة القراء الكبار ٣١ رقم٣ (بتحقيق د. بشّار عوّاد)، المعين في طبقات المحدّثين ١٩ رقم١١، الكاشف ١/ ٥٢ رقم ٢٣٠، دول الإسلام ١/ ١٦، العبر ١/ ٢٣، تذكرة الحفاظ ١/ ١٦ و١٧، تلخيص المستدرك ٣/ ٣٠٢ـ ٣١٢، الوفيات لابن قنفذ ٤٧ رقم ١٩، سمط اللآلي ٤٩٤، المؤتلف والمختلف ٢٤، مرآة الجنان ١/ ٧٥، البداية والنهاية ٧/ ٩٧، الوافي بالوفيات ٦/ ١٩٠ـ ١٩١ رقم ٢٦٤٤، تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٣٢٥ـ ٣٣٤، غاية النهاية ١/ ٣١ رقم ١٣١، تهذيب التهذيب ١/ ١٨٧ـ ١٨٨ رقم ٣٥٠، تقريب التهذيب ١/ ٤٨ رقم ٣٢١، الإصابة ١/ ١٩ـ ٢٠ رقم ٣٢، النكت الظراف ١/ ١١ـ ٤٠، التحفة اللطيفة للسخاوي ١/ ١٤١ـ ١٤٢، طبقات الحُفّاظ للسيوطي ٥، خلاصة تذهيب التهذيب ٢٤، طبقات الشعراني ١/ ٢٣، المغني في ضبط أسماء الرجال ١٦، شذرات الذهب ١/ ٣٢ـ ٣٣، كنز العمّال ١٣/ ٢٦١ـ ٢٦٨، القاموس الإسلامي ١/ ١٧، الجامع لأبي مطرف ١/ ٦٩ـ ٧٠، البدء والتاريخ ٥/ ١١٦، الأعلام ١/ ٨٢، تاريخ الإسلام (السنوات ١١ـ ٤٠هـ) ص١٩١.

(١) سورة البينة: الآية ٨.
(٢) سنن الترمذي ٥/ ٦٢٣ رقم ٣٧٩١.
(٣) الاستيعاب ١/ ١٦٣.
(٤) صحيح البخاري ٩٣٢ رقم ٤٤٨١.

أقرئك القرآن» قال: الله سماني لك؟، قال: «نعم»، فبكى أُبي[١].

وقال أبو المهلب: كان أبي يختم القرآن في ثمانٍ.

وقال رسول الله ﷺ لأبي:

أي آية معك في كتاب الله أعظم؟، قال: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم..» فقال: «ليهنك العلم أبا المنذر»[٢].

وقال عمر يوم موت أبي: اليوم مات سيد المسلمين.

وكان رسول الله ﷺ يقول:

«استقرئوا القرآن من أربعة، عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة»[٣].

وتوفي أبي بن كعب بالمدينة، قال ابن معين: سنة عشرين، أو تسع عشرة. وقال الواقدي، وابن نمير، والترمذي، وغيرهم: سنة اثنتين وعشرين.

[٢]

أبو عبد الرحمن السلمي[٤] مقرىء الكوفة

واسمه عبد الله بن حبيب بن ربيعة.

---

(١) صحيح البخاري ١٠٩٢ رقم ٤٩٦١. (٢) الاستيعاب ١/ ١٦٢.

(٣) صحيح البخاري ٧٨٨ رقم ٣٧٥٨.

(٤) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/ ١٧٢ـ ١٧٥، وطبقات خليفة ١٥٣، وتاريخ خليفة ٢٧٣، والتاريخ لابن معين ٢/ ٣٠١، ومصنف ابن أبي شيبة ١٣ رقم ١٥٧٨٢، والعلل لأحمد ١/ ٣٧، والتاريخ الكبير ٥/ ٧٢ رقم ١٨٨، والتاريخ الصغير ٨١، وتاريخ الثقات ٢٥٣ رقم ٧٩٣ و٥٠٣ رقم ١٩٩٠، والمعارف ٥٢٨، والمعرفة والتاريخ ١/ ٢١٩ و٢٢٠ و٢/ ٥٨٩ و٥٩٠ و٧٧٥ و٧٧٩ و٣/ ١٣٤ و١٣٧ و١٤٧ و١٤٩ و٢٠٧، والكنى والأسماء للدولابي ٣/ ٦٤، والجرح والتعديل ٥/ ٣٧ رقم ١٦٤، والمراسيل ١٠٦، ومشاهير علماء الأمصار، رقم ٧٥٣، والثقات ٥/ ٩، وتاريخ بغداد ٩/ ٤٣٠ـ ٤٣١ رقم ٥٠٤٨، والسابق واللاحق ١٥٧، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٢٤٩، والأنساب ٧/ ١١٢، وتاريخ الطبري ١/ ٧٦ و٢/ ٤٢٠ و٥/ ٤٠، والكامل في التاريخ ٥/ ١٢٦، وتهذيب الكمال ١٤/ ٤٠٨ـ ٤١٠ رقم ٣٢٢٢، والمعين في طبقات المحدّثين ٣٣ رقم ٢١٠، والكاشف ٢/ ٧١ رقم ٢٧٠٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٨، ودول الإسلام ١/ ٥٤، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٧ـ ٢٧٢ رقم ٩٧، والزهد لابن المبارك ١٤١ رقم ٤٢٠، والبداية والنهاية ٩/ ٦، وجامع التحصيل ٢٥٤ رقم ٣٤٧، والوافي بالوفيات ١٦/ ١٢١ رقم ١٠٦، وصفة الصفوة ٣/ ٢٩ـ ٣٠، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٥٢ـ ٥٧ رقم ١٥، والعبر ١/ ٩٦، ونكت الهميان ١٧٨، والعقد الثمين ٨/ ٦٦، وغاية النهاية ١/ ٤١٣، ٤١٤ رقم ١٧٥٥، وتهذيب =

ولد في حياة النبي ﷺ ووجد له ما يحق له به أن يتقدم.

لقي جُل الصدر الأول حتى كاد يُعدّ منهم، وصَدَرَ ريَّانَ بما روي عنهم قراءات تلقى عنهم حفظها، وتلقن منهم لفظها، عرضها مكرّراً، وعرفها تدبراً بحسن إيراد كأنه جنى النحل المشار، وذكاء فهم كأنه ذُكاء الشمس، ولهذا كان مثل عثمان إذا سئل عن شيء إليه أشار.

قرأ القرآن، وجوده، وبرع في حفظه، وعرضه على عثمان، وعلي، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وحدث عن عمر، وعثمان. وأخذ عنه القراءة عرضاً عاصم بن أبي النجود، ويحيى بن وثاب، وعطاء بن السائب، وعبد الله بن عيسى ابن أبي ليلى، وأبو عون محمد بن أيوب الثقفي، والشعبي، وإسماعيل بن أبي خالد، وعرض عليه الحسن والحسين.

وقال أبو مرثد: تعلّم أبو عبد الرحمن / ٧٦/ السلمي القرآن من عثمان وعرضه على عليّ.

وقال أبو إسحاق السبيعي: كان أبو عبد الرحمن يقرىء الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة.

وقال سعد بن عبيدة: أقرأ أبو عبد الرحمن في خلافة عثمان، إلى أن توفي في إمرة الحجاج.

وقال أبو عبد الرحمن: أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يجاوزوهنَّ إلى العشر الأُخر، حتى يعلموا ما فيهن، وكنا نتعلم القرآن والعمل به، وأنه سيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم، بل لا يجاوزها هنا، ووضع يده على حلقه.

وجاء أبو عبد الرحمن بيته فوجد فيه جلالاً وجزراً، فقال: ما هذا؟

قالوا: بعث بها عمرو بن حريث؛ لأنك علمت ابنه القرآن، قال: ردوه. إنا لا نأخذ على كتاب الله أجراً.

وروى أبو عبد الرحمن عن عثمان: أنّ النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلَّم القرآن

= التهذيب ٥/ ١٨٣ـ ١٨٤ رقم ٣١٧، وتقريب التهذيب ١/ ٤٠٨ رقم ٢٥٠، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٩٤، وطبقات الحفاظ للسيوطي ١٩، وحلية الأولياء ٤/ ١٩١ـ ١٩٥ رقم ٢٦٨، ورجال مسلم ٢/ ٣٥٨ـ ٣٥٩ رقم ٧٧٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٦١ـ ٨٠هـ) ص٥٥٦ رقم ٢٧٤.

وعلّمه»(١) قال أبو عبد الرحمن: فذلك الذي أقعدني هذا المقعد.

وقال اسماعيل بن أبي خالد: كان أبو عبد الرحمن يعلّمنا القرآن خمس آيات خمس آيات.

وقال أبو عبد الرحمن: خرج علينا علي بن أبي طالب وأنا أُقرىء.

وكان أبو عبد الرحمن يسأل عثمان عن القرآن، وكان ولي الأمر، فشقّ عليه، فقال: إنك تشغلني عن أمر الناس، فعليك بزيد بن ثابت، فأقبلت على زيد، فقرأت القرآن عليه ثلاث عشرة سنة.

وقال أبو عبد الرحمن: حدّثني الذين كانوا يقرئوننا: عثمان، وابن مسعود، وأُبيّ ابن كعب، أنَّ رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر، فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى، حتى يتعلموا ما فيها من العمل.

وقال عطاء بن السائب: دخلنا على أبي عبد الرحمن نعوده، فذهب بعضهم يرجيه، فقال: أنا أرجو ربي. قد صمتُ له ثمانين رمضاناً.

وحديثه مخرَّج في الكتب الستة.

توفي سنة أربع وسبعين، / ٧٧/ وقيل: سنة ثلاث وسبعين، وقيل: في امرة بشرٍ على العراق، وقيل في أوائل ولاية الحجاج ـ والله أعلم ـ.

وأما قول ابن نافع: مات سنة خمس ومائة، فغلط.

ومنهم:

[٣]

مجاهد بن جبر(٢)

الإمام أبو الحجاج المكي المقرىء المفسر، أحد الأعلام، والمتقدّمين من قرّاء

---

(١) صحيح البخاري ١١٠٨ رقم٥٠٢٧.

(٢) مُجَاهِد بن جَبْر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة، وله سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. وكان لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها: ذهب إلى «بئر برهوت» بحضرموت، وذهب إلى «بابل» يبحث عن هاروت وماروت. أما كتابه في «التفسير» فيتقيه المفسرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يَسأل أهل الكتاب، يعني النصاري واليهود. ويقال: إنه مات وهو ساجد سنة ١٠٤هـ/ ٧٢٢م. =

الإسلام، وأهل الرواية في حديث النبي ـ صلى الله عليه أفضل الصلاة والسلام ـ وممن يؤخذ عنه أسرار التنزيل، وحقائق التفسير بالنقل لا بالتأويل.

بحراً أخذ عن حبر الأمة علماً جمّاً غير قليل، وراوٍ عن ابن عباس هم في سلسلة الذهب، كعب من كعابها أو قنديل.

قرأ على ابن عباس، وروى عن عائشة، وأبي هريرة، وسعد، وعبد الله بن عمرو، وجماعة من الصحابة.

وقرأ عليه ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن، وغيرهم، وحدّث عنه قتادة، والحكم، وعمرو بن دينار، وخلق.

وجاء عنه: أنه قرأ القرآن على ابن عباس ثلاثين مرّة، والذي صحّ عنه أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات، أقفه عند كل آية، أسأله فيمَ نزلت؟ وكيف كانت؟.

= ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٤٦٦ـ ٤٦٧، الطبقات لخليفة ٢٨٠، تاريخ خليفة ٣٣٠، التاريخ الكبير ٧/ ٤١١ـ ٤١٢ رقم ١٨٠٥، تاريخ الثقات ٤٢٠ـ ٤٢١ رقم ١٥٣٨، التاريخ لابن معين ٢/ ٥٤٩ـ ٥٥١، المعارف ٤٤٤، المعرفة والتاريخ ١/ ٧١١، الكنى والأسماء ١/ ١٤٤، الجرح والتعديل ٨/ ٣١٩ رقم ١٤٦٩، المراسيل ٢٠٣ـ ٢٠٦ رقم ٣٧٣، الثقات لابن حبّان ٥/ ٤١٩، مشاهير علماء الأمصار ٨٢ رقم ٥٩٠، حلية الأولياء ٣/ ٢٧٩ـ ٣١٠ رقم ٢٤٣، فتوح البلدان ١/ ٢٧٩، أنساب الأشراف ١/ (فهرس الأعلام ـ ص٦٨٣)، التاريخ الصغير ١١٥، تاريخ الرسل والملوك (أنظر فهرس الأعلام ١٠/ ٣٨٩)، مروج الذهب ٣/ ٢١٤، الكامل في التاريخ ٥/ ٧٨، طبقات الفقهاء ٦٩، تهذيب الأسماء واللغات ق١ج٢/ ٨٣ رقم ١١٤، خلاصة الذهب المسبوك ٣٠، تهذيب الكمال ٣/ ١٣٠٥، دول الإسلام ١/ ٧٢ـ ٧٣، الكاشف ٣/ ١٠٦ رقم ٥٣٨٧، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٣٩ـ ٤٤٠ رقم ٧٠٧٢، العبر ١/ ١٢٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩ـ ٤٥٧ رقم ١٧٥، تذكرة الحفّاظ ٩٢ـ ٩٣ رقم ٨٣، معرفة القراء الكبار ١/ ٦٦ـ ٦٧ رقم ٢٣ (تحقيق د. بشّار عوّاد معروف وغيره)، غاية النهاية ٢/ ٤١ـ ٤٢، الجمع بين رجال الصحيحين ٥١٠، معجم الأدباء ١٨/ ٧٧ـ ٨٠ رقم ٢٦، تحفة الأشراف ١٣/ ٣٤٩ـ ٣٥٣ رقم ١٢٦١، جامع التحصيل ٣٣٦ـ ٣٣٧ رقم ٧٣٦، وفيات الأعيان (انظر فهرس الأعلام ٨/ ١٩٥)، البداية والنهاية ٩/ ٢٢٤، الوفيات لابن قنفذ ١٠٢ رقم ١٠٠، العقد الثمين ٧/ ١٣٢، الإصابة ٣/ ٤٨٥ـ ٤٨٦ رقم ٨٣٦٣، النكت الظراف ١٣/ ٣٤٩، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٢ـ ٤٤ رقم ٦٨، تقريب التهذيب ٢/ ٢٢٩ رقم ٩٢٢، طبقات الحفّاظ للسيوطي ٣٥، تاريخ الخميس ٢/ ٣٥٥، خلاصة تذهيب التهذيب ٣٦٩، شذرات الذهب ١/ ١٢٥، طبقات المفسّرين للداودي ٢/ ٣٠٥ـ ٣٠٨ رقم ٦١٧، صفة الصفوة ٢/ ٢٠٨ـ ٢١١ رقم ٢٠٨، الأعلام ٥/ ٢٧٨، تاريخ الإسلام (السنوات ١٠١ـ ١٢٠هـ) ص٢٣٥ رقم ٢٢١.

وروى عنه أبو مرشد، أنه قال: ختمت القرآن على ابن عباس تسعاً وعشرين مرة.
قال قتادة: أعلم من بقي في التفسير مجاهد.
وقال سلمة بن كُهيل: كان مجاهد ممَّن يُريد بعلمه الله.
توفي سنة ثلاث ومائة، وقد نيّف على الثمانين.
ومنهم:

[٤]

عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة أبو عمران اليحصبي(١)

إمام أهل الشام في القراءة، وأحد السبعة، لكن تقدَّمت وفاته، فحصلت به البداءة. قرأ القرآن، وأمّ به، وحكم، فقضى بموجبه، ونظر في أمر جامع دمشق حين أُمر ببنائه، فشيّد بناءه، وصرف إليه اعتناءه، ثم كان رئيساً به لا يرى فيه بدعة إلاّ غيّرها، ولا ثغرة إلاّ عمَّرها.

ولد على عهد رسول الله ﷺ ففاز ببركة ذلك /٧٨/ المولد، ونشأ بين ظهراني الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في كرم المحتد، فأمسى وفضله يقصُّ آثاره ولا يستقصى، وأصبح وبه شرف يحصب ولا يحصى.

قال خالد بن يزيد المُرّي: سمعتُ عبد الله بن عامر يقول: قبض رسول الله ﷺ

---

(١) عبد الله بن عامر بن يزيد، أبو عمران اليحصبي الشامي: أحد القراء السبعة. ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك. ولد في البلقاء، في قرية «رحاب» سنة ٨هـ/ ٦٣٠م وانتقل إلى دمشق، بعد فتحها، وتوفي فيها سنة ١١٨هـ/ ٧٣٦م وهو مقرىء الشاميين.
ترجمته في: الطبقات الكبرى ٧/ ٤٤٩، الطبقات لخليفة ٣١١، التاريخ الكبير ٥/ ١٥٦ رقم ٤٨١، الثقات للعجلي ٢٦٢ رقم ٨٣١، المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٠٢ و٤٨٣، تاريخ أبي زرعة ١/ ٢٠١ و٣٤٣ـ ٣٤٤ و٣٤٦ـ ٣٤٧، الجرح والتعديل ٥/ ١٢٢ـ ١٢٣ رقم ٥٦١، الثقات لابن حبّان ٥/ ٣١، أخبار القضاة لوكيع ٣/ ٢٠٣، الفهرست ٢٩، تاريخ دمشق ط الفكر ٢٩/ ٢٧١ـ ٢٧٢ رقم ٣٣٥٨، تهذيب الكمال ٢/ ٦٩٧، العبر ١/ ١٤٩، معرفة القراء (تحقيق د. بشّار عوّاد) ١/ ٨٢ـ ٨٦ رقم ٣٣، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٩٢ـ ٢٩٣ رقم ١٣٨، الكاشف ٢/ ٨٩ رقم ٢٨٢٥، دول الإسلام ١/ ٨١، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٤٩ رقم ٤٣٩٦، تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٣، غاية النهاية ١/ ٤٢٣ـ ٤٢٥ رقم ١٧٩٠، الوافي بالوفيات ١٧/ ٢٢٧ـ ٢٢٨ رقم ٢١٢، الوفيات لابن قنفذ ١١٦ (انظر الحاشية رقم ٢)، القضاة الشافعية للنعيمي ٥ـ ٦، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٧٤ـ ٢٧٥ رقم ٤٧٠، تقريب التهذيب ١/ ٤٢٥ رقم ٤٠٠، خلاصة تذهيب التهذيب ٢٠٢، شذرات الذهب ١/ ١٥٦، الأعلام ٤/ ٩٥، تاريخ الإسلام (السنوات ١٠١ـ ١٢٠هـ) ص٣٩٩ رقم ٤٥٥.

ولي سنتان، وانتقلتُ إلى دمشق ولي تسع سنين، وقرأت على معاذ وأبي الدرَداء، وقرأتُ على معاوية، وواثلة بن الأسقع، وقرأ على رسول الله ﷺ.

وقيل: إنه عرض على عثمان، وقيل: لم يقرأ عليه بل سمع قراءته في الصلاة.

وذكر الأهوازي في الإيضاح في قراءة ابن عامر اثني عشر قولاً.

وروى يحيى بن الحارث عن ابن عامر أنه عرض على أبي الدرداء، وهو خبر غريب، وعليه اعتمد أبو عمرو الداني وغيره في قراءة ابن عامر على أبي الدرداء.

والذي عند هشام وابن ذكوان، والكبار أنَّ ابن عامر إنما قرأ على المغيرة المخزومي عن عثمان وهذا هو الحقّ.

وذكر الأهوازي في الإيضاح: ستة وأربعين نفساً أخذوا القراءة عن ابن عامر.

ولي ابن عامر قضاء دمشق بعد أبي إدريس الخولاني، وكان على نظر جامع دمشق.

وقال يحيى بن الحارث: كان ابن عامر قاضي الجند، وكان رئيس المسجد لا يرى فيه بدعة إلاّ غيّرها.

وقال الهيثم بن عمران: كان رأس المسجد بدمشق في زمن عبد الملك، ومن بعده عبد الله بن عامر.

وكان يُغمز في نسبه، فجاء شهر رمضان، فقيل: من يؤمّنا؟ فذكروا المُهاجر بن أبي المهاجر، فقالوا: ـ ذلك مولًى ولسنا نريد أن يؤمنا مولًى، فبلغتْ سليمان بن عبد الملك؛ فلما استخلف بعث إلى المهاجر، فقال: إذا كان أول ليلة من رمضان فقف خلف الإمام فإذا تقدّم ابن عامر، فخذ بثيابه، واجذبه، وقلْ: تأخر فلن يتقدّمنا دعي، وصلّ أنت يا مهاجر. ففعل.

توفي ابن عامر سنة ثمان عشرة ومائة.

/ ٧٩/ ومنهم:

[٥]

عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان(١)

أبو معبدٍ الكناني، الداري، المكي، مولى عمرو بن علقمة الكناني، إمام المكيين

---

(١) عبد الله بن كَثِير الداري المكي، أبو معبد: أحد القراء السبعة. كان قاضي الجماعة بمكة. وكانت =

في القراءة، أصله فارسي إلاّ أنه عجمي أتقن الكتاب العربي حفظاً وأداءً،

وأجاد فيه قراءة وإقراءً، وكان بمكة المعظّمة إمام حرمها، وغمام كرمها، وتصدّر لإقراء القرآن الكريم في أول بقعة نزل بها، وصدع بنوره جنح غيهبها، فامتَّد بها مُشرعه حيث نبع، وتلألأ في جوانبها فجره حيث انصدع، وكان حول الكعبة البيت الحرام مدارس آياته، ومدار منطقِهِ حلقة جماعاته، لو حَيي إلى زمانه جدّه زاذان لا زدان، وحلّ محل سيف بن ذي يزن في غمد غمدان.

قرأ على عبد الله بن السائب المخزومي، ومجاهد، ودرباس مولى ابن عباس.

وتصدّر للإقراء، وصار إمام أهل مكة في ضبط القرآن؛ قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء، وخلق.

قال سفيان: رأيته يُخضّب بالصفرة، ويقُصّ للجماعة، وكان فصيحاً، بليغاً، مفوَّهاً، أبيض اللحية، طويلاً، جسيماً، أسمر، أشهل العينين، عليه سكينة ووقار، وكان دارياً بمكة، وهو العطّار، وهو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى إلى صنعاء، فطردوا عنها الحبشة.

قال سفيان بن عُيَيْنة: حضرتُ جنازة عبد الله بن كثير سنة عشرين ومائة.

وقال ابن سعد: سنة اثنتين وعشرين، وقيل: عاش خمساً وسبعين سنة.

وبعض القرّاء يغلط، ويورد هذه الأبيات لعبد الله بن كثير: [من المتقارب]

بُـنـيَّ كـثـيـرٌ كـثـيـرُ الـذُّنـوبِ ... فَـفـي الـحِـلَّ والـبِـلِّ مَـنْ كَـانَ سبّـه

وإنما هي لمحمد بن كثير أحد شيوخ الحديث بعد المائتين ـ والله أعلم ـ ومات

= حرفته العطارة. ويسمون العطار «داريًّا» فعرف بالداري. وهو فارسي الأصل. مولده بمكة سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م ووفاته فيها سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٨م.

ترجمته في: الطبقات الكبرى ٥/ ٤٨٤، الطبقات لخليفة ٢٨٢، التاريخ الكبير ٥/ ١٨١ رقم ٥٦٧، الجرح والتعديل ٥/ ١٤٤ رقم ٦٧٣، تهذيب الأسماء واللغات ق١ج١/ ٢٨٣ رقم ٣٢٧، وفيات الأعيان ٣/ ٤١ـ ٤٢ رقم ٣٢٧، تهذيب الكمال ٢/ ٧٢٦، دول الإسلام ٢/ ٨٢، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣١٨ـ ٣٢٢ رقم ١٥٥، الكاشف ٢/ ١٠٨ رقم ٢٩٦١، معرفة القراء الكبار ١/ ٨٦ـ ٨٨ رقم ٣٤، الوفيات لابن قنفذ ١١٨ رقم ١٢٠، مرآة الجنان ١/ ٢٥٧، الوافي بالوفيات ١٧/ ٤٠٩ـ ٤١٠ رقم ٣٤٦، الفهرست ٢٨، العبر ١/ ١٥٢، العقد الثمين ٥/ ٢٣٦، غاية النهاية ١/ ٤٤٣ـ ٤٤٤، تهذيب التهذيب ٥/ ٣٦٧ـ ٣٦٨ رقم ٦٣٤، تقريب التهذيب ١/ ٤٤٢ رقم ٥٦٠، خلاصة تذهيب التهذيب ٢١٠، شذرات الذهب ١/ ١٥٧، الأعلام ٤/ ١١٥، تاريخ الإسلام (السنوات ١٠١ـ ١٢٠هـ) ص٤٠٣ رقم ٤٦١ .

شيخه عبد الله بن السائب بُعيد السبعين، وقد قرأ على أُبي بن كعب، وقرأ مجاهد على ابن عباس.

/ ٨٠/ ومنهم:

[٦]

يزيد بن القعقاع[1]، أبو جعفر القارىء

أحد العشرة. مدني مشهور، رفيع الذكر، قرأ على مولاه المخزومي وفاقاً، وعلى أناسٍ آخرين ممن أنس منهم إشفاقاً، وصلى بابن عمر إماماً اتفاقاً.

أقرأ دهراً، وعمر ثاني المساجد عمراً، وحلّى أطراف آنائه بسبح تسابيحه، ونوّر جباه محاريبه بأزهى من مصابيحه.

وقرأ القرآن كما تلقاه عن النبي ﷺ على ضريحه ـ

وكان إذا جلس يُقرىء القرآن الكريم أمال له رأساً، ولقي منه أَمَنَةً نعاساً، وكان يتحيل بأنواع الحيل؛ لطرد طارق كراه الملمّ؛ لينفضه عن هدبه، ويدحضه لينقّي دَنَس تغطيته على قلبه، ويحرص، ولا يجد سبيلاً إلى تمزيق ما خاطه النعاس على جفنيه، ويجهد في نزع مخيطه ولا يقدر عليه.

قرأ القرآن على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي وفاقاً، وقال غير واحد: قرأ أيضاً على أبي هريرة، وابن عباس عن قراءتهم عن أُبيّ بن كعب.

وصلّى بابن عمر، وحدّث عن أبي هريرة وابن عباس، وتصدّى لإقراء القرآن دهراً، فورد أنه أقرأ القرآن في مسجد النبيّ ﷺ من قبل وقعة الحرّة ـ وكانت الحرّة سنة ثلاث وستين ـ وأنّه كان يُمسك المصحف على مولاه عبد الله بن عياش، وأنه أتى به إلى أم سلمة، وهو صغير، فمسحت على رأسه، ودعت له بالبركة.

وكان يقوم الليل، فإذا أصبح، جلس يُقرىء الناس، فيقع عليه النوم، فيقول لهم: خذوا الحصى، فضعوه بين أصابعي، ثم ضُمّوها، فكانوا يفعلون ذلك، وكان

---

(١) يزيد بن القعقاع المخزومي بالولاء، المدني، أبو جعفر القارىء: أحد القراء «العشرة» من التابعين. كان إمام أهل المدينة في القراءة وعُرف بالقارىء. وكان من المفتين المجتهدين. توفي في المدينة سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م.

ترجمته في: التاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٣٥٣، الجرح والتعديل ٩/ ٢٨٥، تهذيب التهذيب ١٢/ ٥٨، تقريب التهذيب ٢/ ٤٠٦، خلاصة تذهيب التهذيب ٤٤٦، الأعلام ٨/ ١٨٦، تاريخ الإسلام (السنوات ١٢١ـ ١٤٠هـ) ص٣١٠.

النوم يغلبه، فقال: أراني أنام على هذا، فإذا رأيتموني قد نمت، فخذوا خصلة من لحيتي، فمدّوها. قال: فيَمُرّ عبد الله بن عياش مولاه، فيرى ما يفعلون به، فيقول: أيها الشيخ ذهبت بك /٨١/ الغفلة، فيقول أبو جعفر: إنَّ هذا الشيخ في خلقه شيء، دوروا بنا وراء القبر موضعاً لا يرانا.

وقال سليمان بن مسلم: رأيتُ أبا جعفر القارىء على الكعبة، فقلت: أبا جعفر؟، قال: نعم. أقرىء أخواني السلام، وأخبرهم أنَّ الله جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين، وأقرىء أبا حازم السلام، وقُل له: يقول لك أبو جعفر: الكيس الكيس؛ فإنَّ الله وملائكته يتراؤون مجلسك بالعشيات.

قال: وشهدتُ أبا جعفر حين احتضر جاءه أبو حازم ومشيخة، فأكبوا عليه يصرخون به، فلم يُجِبْهُم، فقال خَتَنُهُ شيبة: أَلا أريكم منه عجباً؟

قالوا: بلى فكشف عن صدره فإذا دوارة بيضاء مثل اللبن، فقال أبو حازم وأصحابه: هذا والله نور القرآن.

قال سليمان: فقالت لي أم ولده بعد ما مات: صار ذلك البياض غرَّة بين عينيه.

وقال نافع: لمّا غسل أبو جعفر، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف، فما شكَّ من حضر أنه نور القرآن.

وتوفي سنة سبع وعشرين ومائة في قول محمد بن المثنى، وقيل: سنة ثمانٍ وعشرين.

وقال خليفة: سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: سنة إحدى وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين عن نيِّف وتسعين سنة.

ومنهم:

[٧]

عاصم بن أبي النَّجُود بهدلة الأسدي(١)

مولاهم الكوفي القاريء الحّناط، الإمام أبو بكر أحد السبعة، وواحد الكل في

---

(١) ترجمته في: التاريخ الكبير ٦/ ٤٨٧، مشاهير علماء الأمصار ١٦٥. تهذيب التهذيب ٥/ ٣٨، تهذيب ابن عساكر ٧/ ١١٩. ميزان الاعتدال ٢/ ٣٥٧، غاية النهاية ١/ ٣٤٦، معرفة القراء الكبار ١/ ٧٣، وفيات الأعيان ٣/ ٩. تاريخ مدينة دمشق ـ نشره د. شكري فيصل (تراجم حرف العين) ٣ـ ٢٦، طبقات خليفة ٣٧٨، الجرح والتعديل ٣ق١/ ٣٤٠. التاريخ الصغير ١/ ١٩٤. العبر ١/ ١٦٧. =

السمعة. ما قرأ عليه من حرمٍ، ولا أوى منه إلى عاصم من أَمرِ الله إلاّ من رحم، من حاجّ به، وأسكت مخاصماً، ومن حادّ به، كان له من الخطأ عاصماً، ذو همزٍ ومدّ في القراءة، لا يجاري البحر جواد مده، ولا يستطيع البرق من الهمز ما عنده، ولم يكن مثله في نسك شمّر له أزاره، وزهدٍ غضَّ بصره عن النهار الواضح، فلم يرض فيما فضض الضحى لُجينه، / ٨٢/ ولا فيما ذهب الأصل نُضاره، مع ميل إلى المساجد حيث مرَّ بها عاج بركابه، وانصرف حتى يكون سرّاً تحنى عليه أضالع محرابه.

حميت منه أسد بليث عرينها، وغيث قرينها، وناسك حيّها الذي تصيب سهام دعائِهِ ما أخطأته رواشق النبل أَعْيُن عِيْنِها.

قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السُّلمي، وزر بن حُبيش، وحدّث عنهما، وعن غيرهما.

وقرأ عليه أبو بكر بن عياش، وأبو عمر البزار، وخلق، واختلفوا اختلافاً كثيراً في حروف كثيرة، وتصدّى لإقراء كتاب الله تعالى، وانتهت إليه الإمامة في القراءة بالكوفة بعد شيخه أبي عبد الرحمن السلمي، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن.

قال أبو إسحاق السبيعي: ما رأيت أحداً أقرأ من عاصم بن أبي النجود.

وقال حسن بن صالح: ما رأيت أحداً قطّ كان أفصح من عاصم بن أبي النجود إذا تكلَّم يكاد يدخلُه خيلاء.

وقال عاصم: ما قدمت على أبي وائل من سفر إلاّ قبَّل كفّي.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألتُ أبي عن عاصم؟، فقال: رجل صالح، خيّرٌ ثقة، فسألته: أيّ القراءة أحبّ إليك؟، قال: قراءة أهل المدينة، فإن لم يكن فقراءة عاصم.

وقال عاصم: مرضت سنتين، فلما قمت، قرأت القرآن، فما أخطأت حرفاً.

وكان عاصم صاحب همز ومدّ، وقراءة شديدة، وسنة ونسك.

قال ابن عياش: كان إذا صلّى، ينتصب كأنّه عود، وكان عابداً خيّراً، أبداً

= المغني في الضعفاء ١/ ٣٢٢، ابن سعد ٦/ ٢٢٤، العبر ١/ ١٦٧، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٦ رقم ١١٩، الخلاصة ١٨٢، مراتب النحويين ٢٤، المعارف ٥٣٠، ذيل المذيّل ٦٤٧، تاريخ العلماء النحويين ٢٣١، الجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٣٨٤، مرآة الجنان ١/ ٢٧١، الوافي بالوفيات ١٦/ ٥٧٢ رقم ٦٠٨، شذرات الذهب ١/ ١٧٥، تاريخ الإسلام (السنوات ١٢١ـ ١٤٠هـ) ص١٣٨ .

يُصلّي. ربما أتى حاجة، فإذا رأى مسجداً، قال: مل بنا إليه فإنَّ حاجتنا لا تفوت، ثم يدخل، فيصلي.

قال: ودخلت عليه، فأغمي عليه، ثم أفاق فقرأ: «ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم، وهو أسرع الحاسبين»، فهمز، فعلمتُ أنَّ القراءة تنجيه منه.

وقال عاصم: من لم يحسن من العربية إلاّ وجهاً واحداً، لم يحسن شيئاً.

وقال حفص بن سليمان؛ قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتك بها، فهي القراءة التي قرأتها على أبي /٨٣/ عبد الرحمن السلمي، وما كان من القراءة التي أقرأت أبا بكر بن عياش، فهي القراءة التي كنت أعرضها على زر بن حُبيش عن ابن مسعود.

وقال ابن عياش: لم يكن عاصم يعد ﴿الٓمٓ﴾ آية، ولا ﴿حمٓ﴾ آية، ولا ﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾ آية، ولا ﴿طه﴾ ولا نحوها آية.

توفي في آخر سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة ثمانٍ وعشرين ومائة، فلعَلّه في أولها.

وكانت وفاته بالكوفة ـ رحمه الله ـ.

ومنهم:

[٨]

حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام أبو عمارة الكوفي الزيات(١)

أحد السبعة. مولى آل عكرمة بن ربعي التميمي.

إمام أنس بالقرآن، وغرس في القلوب شجراته المثمرة الأفنان، وتحلّى بالعفاف، وتخلّى إلاّ عمّا يقوم به من الكفاف، قنع بما يقتات به من ربحه متجراً؛ ولمّا تفيأ بجزلِهِ من فضل التقى مئزراً.

ذو معرفةٍ بالفرائض لا يخطىء في الذهن فرضه، ومعارض لا يخطف الأبصار إلاّ ومضه.

---

(١) ترجمته في: مشاهير علماء الأمصار ١٦٨، الجرح والتعديل ٣/ ٢٠٩، المنتخب من ذيل المذيل ٦٥٥، المعارف ٥٢٩، التهذيب ٣/ ٢٧، التاريخ الكبير ٣/ ٥٢، البداية والنهاية ١٠/ ١١٥، التاريخ لابن معين ٢/ ١٣٤ رقم ١٦١٢، المعرفة والتاريخ ٣/ ١٨٠، تاريخ الإسلام (السنوات ١٤١ـ ١٦٠هـ) ص٣٨٣.

يُغنيك فهماً يشرق فجره، وعلماً يفرق بحره، وهو حجة أهل الكوفة في القراءة، وفي علم كتاب الله، وما وراءه.

ناهيك به علماً فرداً، وواحداً تجاوز حدّاً، وفريداً جاء من معجز القرآن بما به يتحدى.

ولد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسن، فلعله رأى بعضهم، وقرأ القرآن عرضاً على الأعمش، وحُمران بن أعين، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وغيرهم.

وتصدَّر للإقراء مدَّة، وقرأ عليه عدد كثير منهم أبو الحسن الكسائي، وحدَّث عن خلق، وحدّث عنه أمم.

وكان إماماً حجة، قيّماً بكتاب الله، حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض والعربية، عابداً، خاشعاً، قانتاً لله، ثخين الورع، عديم النظير.

وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، ويجلب من حلوان أعواضه إلى الكوفة.

قال أبو عبيد: / ٨٤/ حمزة هو الذي صار أهل الكوفة إلى قراءته من غير أن تطبق عليه جماعتهم.

وقال شعيب بن حرب: أمَّ حمزة الناس سنة مائة، ودرس عليه سفيان الثوري القرآن أربع درسات.

وقال حمزة: ولدتُ سنة ثمانين، وأحكمت القرآن ولي خمس عشرة سنة.

وقال مندل: إذا ذكر القرّاء، فحسبك بحمزة في القراءة والفرائض.

وقال عبد الله العجلي: كان حمزة سنة يكون بالكوفة، وسنة بحلوان، فختم عليه رجل من أهل حلوان ـ من مشاهيرهم ـ فبعث إليه بألف درهم، فقال لابنه: كنت أظن لك عقلاً.

أنا آخذ على القرآن أجراً؟! أنا أرجو على هذا الفردوس.

وقال خلف بن تميم: مات أبي وعليه دين فأتيت حمزة؛ ليكلّم صاحب الدين، فقال: ويحك، إنه يقرأ علي القرآن، وأنا أكره أن أشرب الماء من بيت من يقرأ عليَّ.

وقال حسين الجعفي: ربما عطش حمزة، فلا يستسقي كراهية أن يصادف من قرأ عليه.

وقال جرير بن عبد الحميد: مرّ بي حمزة، فطلب ماءً فأتيته به، فلم يشرب، لكوني أحضر القراءة عنده.

وقال أبو حنيفة لحمزة: شيئان غلبتنا عليهما، لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض.

وروى مسلم في صحيحه[١] عن علي بن مسهر، قال: سمعت أنا وحمزة من أبان ابن أبي عياش خمسمائة حديث، أو ذكر أكثر، فأخبرني حمزة بن حبيب. قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فعرضتها عليه، فما عَرَفَ منها إلاّ اليسير خمسة أحاديث، أو ستة، فتركت الحديث عنه.

توفي سنة ست وخمسين ومائة.

ومنهم:

[٩]

أبو عمرو بن العلاء المازني المقرىء، النحوي، البصري[٢]

أحد السبعة، ومقرىء أهل البصرة، ومؤدي أهلها إلى جناح النصرة، ما فتحت على مثله البصرة بَصَرَها، ولا مُنحت شبيهه ممن نصرها.

عدلت به مازن ميزانها/ ٨٥/ ، وسوّلت بالقبائل الرجح أوزانها، كان شُرفاً مُذ ترقى على أُطُمها، وشَرَفاً مذ ساقه العدد في أممها، وشَنَفاً إلاّ أنه مع زينته أسمع آذانها من صممها، وصلاحاً لها لم تشكُ بعده مسَّ سقمها، وصباحاً ما تفرّى عن مثل وجهه المنير من ظلّ النخيل المتراكم سُدف ظلمها، ناهيك رجلاً ما بلّت الأُبلّة بمثله ريق نهرها، ولا حيَّتْ حدائق نهر معقِل شبيهه بيانع زهرها، ولا سلمت سلامان أنه دار على نظيره نطاقُ نَحْرها، ولا فساح البيد أَنها ضمّت برّاً عديله إلى صدرها.

وقد اختلفوا في اسمه على تسعة عشر قولاً أصحّها: زبّان ـ بالزاي، والباء

---

(١) صحيح مسلم ٢٥ رقم٨٩.

(٢) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني، اسمه زبان وقيل العريان «تاريخ الإسلام».

ترجمته في: معرفة القراء الكبار ١/ ٨٣، الفهرست ٤٨، المعرفة والتاريخ ٢/ ١٢٥، تاريخ أبي زرعة ١/ ٦٤٠، التاريخ لابن معين ٢/ ٧١٧ رقم ٣٣٥٩، التاريخ الكبير ٩/ ٥٥، طبقات الزبيدي ٢٨/ ١٢٦، مراتب النحويين ١٣، نزهة الألباب ١٥، وفيات الأعيان ٣/ ٤٦٦، سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٧٠ رقم ١٦٧، العبر ١/ ٢٢٣، فوات الوفيات ٢/ ٢٣١، أخبار النحويين البصريين ٢٢، بغية الوعاة ٣٦٧، طبقات القرّاء لابن الجوزي ١/ ٢٨٨، تاريخ الإسلام (السنوات ١٤١ـ ١٦٠هـ) ص٦٨٣ .

الموحدة ـ ولد سنة ثمان وستين، وقيل: سنة سبعين، وعرض بمكة على مجاهد، وابن جبير، وعطاء، وعكرمة، وابن كثير.

وقيل: إنه قرأ على أبي العالية الرياحي، ولم يصح، مع أنه أدرك من حياته نيفاً وعشرين سنة.

وقيل: إنه عرض بالمدينة على أبي جعفر، ويزيد بن رومان، وشيبة، وعرض بالبصرة على يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، والحسن، وغيرهم.

وقرأ عليه خلق منهم: اليزيدي، وعبد الوارث التنوري، وشجاع البلخي، وعبد الله بن المبارك، وأخذ عنه القراءة والحديث والآداب أبو عبيدة، والأصمعي، وخلق، وانتهت إليه الإمامة في القراءة بالبصرة. قال أبو عمرو: كنت رأساً والحسن حي.

وقال اليزيدي: كان أبو عمرو قد عرف القراءات، فقرأ من كل قراءة بأحسنها، وبما يختار العرب، وبما بلغه من لغة النبي ﷺ وجاء تصديقه في كتاب الله.

وقال شجاع بن أبي نصر رأيت النبي ﷺ في المنام، فعرضت عليه أشياء من قراءة أبي عمرو، فما ردَّ عليّ إلاّ حرفين أحدهما: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾[1] والآخر قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾[2] فإنَّ أبا عمرو كانت قراءته / ٨٦/ ﴿أوْ نَنْسَأْها﴾.

وقال سفيان بن عيينه: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يارسول الله، قد اختلفت عليّ القراءات، فبقراءة من تأمرني أن أقرأ؟ فقال: بقراءة أبي عمرو بن العلاء.

وقال أبو عبيدة: كانَ أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن والعربية، وأيام العرب، والشعر، وأيام الناس.

وقال للأصمعي: لو تهيأ لي أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك، لفعلت، لقد حَفِظتُ في علم القرآن أشياء لو كُتبت ما قدر الأعمش على حملها، ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قُرىء لقرأتُ كذا وكذا. وذكر حروفاً.

وقال أبو عبيدة: كانت دفاتر أبي عمرو ملء بيت إلى السقف، ثم تنسّك، فأحرقها. وكان من أشراف العرب ووجوههم.

وقال الأصمعي، قال أبو عمرو: إنما نحن فيمن مضى كبقل في أصول نخل طوال. قال: وسمعت أبا عمرو يقول: ما رأيت أحداً قبلي أعلم مني، وقال الأصمعي:

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٦.

وأنا ما رأيت بعد أبي عمرو أعلم منه.

وكان إذا دخل شهر رمضان لم يتمّ فيه بيت شعرٍ.

وسمعته يقول: أشهد أنَّ الله يضل ويهدي، ولله مع هذا الحجة على عباده.

وقال أبو عمرو: نظرت في هذا العلم قبل أن أُختَن، ولي أربع وثمانون سنة.

وكان أبو عمرو متوارياً، فدخل عليه الفرزدق، فأنشده: [من البسيط]

مَـازِلْـتُ أَفْـتَـحُ أَبْـوَابـاً وَأَغْـلـقُـهـا   حتَّـى أَتَـيْـتُ أَبَـا عَـمْـرو بـن عـمـارِ

حَتَّى أَتَيْتُ فَتًى ضَخماً دسيْعَتُهُ   مُـرُّ الـمَـرِيْـرَةِ حُـرٌّ وَابْـنُ أَحْـرارِ

تَـنـميُـهـم مَـازِنٌ فـي فَـرْعِ نَـبعـتـهـا   جَـدٌ كَـرِيْـمٌ وَعُـودٌ غَـيْـرُ خـوارِ

وقال أبو عمرو: وأنا زدتُ هذا البيت في أول قصيدة الأعشى واستغفر الله منه: [من البسيط]

وَأَنْـكَـرتْـنِـيْ وَمَـا كَـانَ الَّـذي نَـكِـرَتْ   مِـنَ الـحَـوادِثِ إلاّ الـشَّـيْـبَ والـصَّـلـعَـا

وكان لأبي عمرو كل يوم بفلسٍ كوز، وبفلسٍ ريحان، فيشرب في الكوز يوماً، ثم يهبه، ويأمر /٨٧/ فتدّق الريحان مع الأشنان.

قال الأصمعي، وغيره: توفي سنة أربعٍ وخمسين ومائة.

ومنهم:

[١٠]

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعَيم الليثي(١)

مولاهم أبو رويم المقرىء المدنيّ أحد السبعة الأعلام، وأحد من له أثر في

(١) ترجمته في: التاريخ لابن معين ٢/ ٦٠٢، والتاريخ الكبير ٨/ ٨٧ رقم ٢٢٨١، وتاريخ الثقات للعجلي ٤٤٧ رقم ١٦٧٨، والمعارف ١٣٣ـ ٤٥٦ و٥٢٨، وتاريخ أبي زرعة ١/ ٦٢٠، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ٢٧٠، والجرح والتعديل ٨/ ٤٥٦ـ ٤٥٧ رقم ٢٠٨٩، والثقات لابن حبّان ٧/ ٥٣٢، وطبقات المحدّثين بأصبهان لأبي الشيخ الأنصاري ١/ ٣٨١ـ ٣٨٣ رقم ٤٧، والفرج بعد الشدّة للتنوخي ٣/ ٩١، ونشوار المحاضرة له ٢/ ١٤٣، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين ٣٢٢ رقم ١٤٠٤، وذكر أخبار أصبهان ٢/ ٣٢٦ـ ٣٢٧، ومشاهير علماء الأمصار ١٤١، والكامل في الضعفاء لابن عديّ ٧/ ٢٥١٥، وتهذيب الكمال (المصوّر) ٣/ ١٤٠٤، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٢، ودول الإسلام ١/ ١١٣، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٣٢٦ـ ٣٣٨ رقم ١٢١، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٤٢ رقم ٨٩٩٧، والمغني في الضعفاء ٢/ ٦٩٣ رقم ٦٥٨٦، والعبر ١/ ٢٥٧، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٠٧ـ ١١١ رقم ٤١، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٦٨ـ ٣٦٩، ومرآة الجنان ١/ =

الإسلام، بقراءات حرّر مناهجها، وحقق بأداء الحروف مخارجها، وكان أخضر الجلدة من بيت العرب، مسكي الطّينة، إذا فاح طيبه لا عجب. كان ذا سوادٍ آذن بسؤدده، واتباع تدلّ كثرتها على تفرّده.

وروي أنه كان يتضوّع شذا المسك من كلمه، ويفوح طيباً، وما مسّه سوى أن رأى النبي ﷺ يقرأ في فمه؛ وحسبه به طيباً لا يحادثه الدهر بغيره، ورؤية رآها بعين بصيرته، لما فاته أن يراها بعين بصره.

قرأ على طائفة من تابعي المدينة.

قال أبو قرة سمعته يقول: قرأت على سبعين من التابعين، وأقرأ الناس دهراً طويلاً.

وقرأ عليه خلقٌ كثير، منهم من قرأ عليه، ومنهم من أخذ عنه الحروف.

قال مالك بن أنس: قراءة نافع سُنة، وهو إمام الناس في القراءة.

روى أبو خليد الدمشقي عن الليث بن سعد أنه قدم المدينة سنة عشر فوجد نافعاً إمام الناس في القراءة لا ينازع.

والمحفوظ عن الليث أنه قال: قدمت المدينة سنة ثلاث عشرة.

وقال أحمد بن هلال المصري؛ قال لي الشيباني، قال لي رجل ممن قرأ على نافع: أنَّ نافعاً كان إذا تكلم شُمَّ من فيهِ رائحة المسك، فقلت له: يا أبا عبد الله أو ـ يا أبا رؤيم ـ: أتطيّبُ كلّما قعدت تقرىء، قال: ما أمسّ طيباً، ولكني رأيت النبي ﷺ وهو يقرأ في فيّ، فمن ذلك الوقت أشمّ من فيّ هذه الرائحة.

وقال نافع: قرأتُ على هؤلاء فنظرت إلى ما /٨٨/ اجتمع عليه اثنان منهم، فأخذته، وما شذّ فيه واحد، تركته حتى ألفت هذه القراءة.

وقال قالون: كان نافع لا يهمز همزاً شديداً، ويمُدّ، ويُحقّق القراءة ولا يشدّد، ويقرب بين الممدود وغير الممدود.

وقال نافع: إنَّ هذا القرآن لعظيم جاء من عند عظيم، فإذا قرأت، فلا تشتغلن بغيره، وانظر من تخاطب، وإياك أن تملّ منه أو تؤثر عليه غيره؛ فإني لم أزل أتردد إلى

= ٣٥٨، والوفيات لابن قنفذ ١٣٧ رقم ١٦٩، وغاية النهاية ٢/ ٣٣٠ـ ٣٣٤ رقم ٣٧١٨، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٤٠٧ـ ٤٠٨ رقم ٧٣٢، وتقريب التهذيب ٢/ ٢٩٥ـ ٢٩٦، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٩٩، وشذرات الذهب ١/ ٢٧٠، وتاريخ الإسلام (السنوات ١٦١ـ ١٧٠هـ) ص٤٨٤ رقم ٤٠٤ .

الأعرج حتى قلت حسبي.

وقال نافع: أرسل إليَّ بعض الخلفاء مصحف عثمان لأصلحه، فقلت له: إنَّ الناس يقولون: إنّ مصحفه كان في حجره حين قتل، فوقع الدم على قوله ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1]، قال نافع: فنظرت عيني الدم على ذلك.

ولما حضرت نافعاً الوفاة، قال له أبناؤه: أوصنا، قال: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ ﴾[2] الآية.

وتوفي سنة تسع وستين ومائة، وهو معدود في صغار التابعين وأهله من أصبهان، وكان أسود اللون حالكاً، صاحب دعابة، وطيب أخلاق.

ومنهم:

[١١]

إسماعيل بن عبد الله بن قُسطنطين، أبو اسحاق المخزومي[3]

مولاهم المكي المقرىء المعروف بالقسط. قارىء أهل مكة في زمانه، وآخر أصحاب ابن كثير وفاءً، وأول أمثاله فضلاً، إذا قدم به كفاه. تصدَّر في البلد الحرام، وتصدّى حيث يأمن الحمام، وكان في مكة واحداً ضمَّه حرمها، وأرضعه زمزمها، وآواه البيت العتيق إلى حجره، وأضاء ليل الحجر الأسود يتبلج فجره، وعرفه ركن الحَطيم، وألفه؛ لتقلب وجهه في السجود مقام إبراهيم، وأخرج شِعبُ بني مخزوم له عن سكنه، وتَنحَّى له سهم بني سهم عن سَنَنِهِ، وتبدل منه بالمعاصي الطائع، وعوّض عن ذي النسب الصريح بخير منه، مولًى / ٨٩/ يُقرىء الأمي، ويَقْرِي الجائع.

عرض على ابن كثير، وعلى صاحبيه: شبل بن عباد، ومعروف بن مشكان، وأقرأ الناس دهراً.

وكان الناس يجيئون بمصاحفهم، فيصلحون بقراءته، وكان يجلس على موضعٍ مرتفعٍ.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٧. (٢) سورة الأنفال: الآية ١.

(٣) ترجمته في: الجرح والتعديل ٢/ ١٨٠ رقم ٦١١، العبر ١/ ٣٠٥، معرفة القراء الكبار ١/ ١٤١ـ ١٤٤ رقم ٥٣، الوافي بالوفيات ٩/ ١٤٦ رقم ٤٠٤٩، العقد الثمين للفاسي ٣/ ٣٠٠ـ ٣٠١، غاية النهاية لابن الجزري ١/ ١٦٥ـ ١٦٦ رقم ٧٧١، شذرات الذهب ١/ ٢٣٦، تاريخ الإسلام (السنوات ١٨١ـ ١٩٠هـ) ص٧٠ رقم ١٩.

قال أبو عبد الله الشافعي: قرأتُ على إسماعيل، وكان يقول: القرآن اسم، وليس بمهموز، ولو كان من قرأتُ، كان كلّ ما قرئ قرآناً، ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل. تُهمز «قرأتُ» ولا يُهمز القرآن.

نقل أبو عبد الله القصاع: إنَّ وفاة القسط سنة تسعين ومائة.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: فلعلّه سنة سبعين تصحفت عليه.

ومنهم:

[١٢]

حفص بن سليمان، أبو عمر الأسدي(١)

مولاهم الغاضري الكوفي البزار وصاحب عاصم، وابن زوجته. كانت قراءته يتّصل بعليّ ـ رضي الله عنه ـ نسبها، وتنشأ به عن عاصم سُحبها، ضابطاً للحروف التي قرأ عليه بها، كثير الفوائد لمن رغب إليه في طلبها. أقرأ الناس دهراً. رقّم صحفه، ونوّر

---

(١) ترجمته في: معرفة الرجال لابن معين برواية ابن محرز ١/رقم ٣٨ و٥٤٦، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد برواية ابنه عبد الله ٢/رقم٣٣٢٠، وتاريخ الدارمي عن ابن معين، رقم ٢٦٩، والتاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٣٦٣ رقم ٢٧٦٧، والتاريخ الصغير له ١٤٣، والضعفاء الصغير له ٢٥٧ رقم ٧٣، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٧١، وأحوال الرجال للجوزجاني ١١٠ رقم ١٧٤، وتاريخ واسط لبحشل ١١٣، والجامع الصحيح للترمذي ٥/ ١٧٢ رقم ٢٩٠٥، والضعفاء والمتروكين للنسائي ٢٨٨ رقم ١٣٤، والضعفاء لأبي زرعة الرازي ٥٠٢، ٦٠٩، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ٤٠، والضعفاء الكبير للعقيلي ١/ ٢٧٠ـ ٢٧١ رقم ٣٣٥، والجرح والتعديل ٣/ ١٧٣ـ ١٧٤ رقم ٧٤٤، والمجروحين لابن حبّان ١/ ٢٥٥، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عديّ ٢/٢٨٨ـ ٧٩١، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ٧٨ رقم ١٧٠، ورجال الطوسي ١٧٦ رقم ١٨١، وتاريخ جرجان للسهمي ٣١٦، و٤٧١، وفيه (الفروي) وصحّحه المحقق في الحاشية، وتاريخ بغداد ٨/ ١٨٦ـ ١٨٨ رقم ٤٣١٢، والفهرست لابن النديم ٢٩، وموضح أوهام الجمع والتفريق ٢/ ٤٧ـ ٤٨، ومعجم الأدباء ١٠/ ٢١٥ـ ٢١٦، وفيه (الفاخري) بدل «الغاضري» وهو غلط، ومعجم البلدان ١/ ١٠٩٣، واللباب ٢/ ١٦٤، والكامل في التاريخ ٥/ ٣٩٤، وتهذيب الكمال ٧/ ١٠ـ ١٦ رقم ١٣٩٠، والعبر ١/ ٢٧٦، وميزان الاعتدال ١/ ٥٥٨ـ ٥٥٩ رقم ٢١٢١، والكاشف ١/ ١٧٧ رقم ١١٥٥، والمغني في الضعفاء ١/ ١٧٩ رقم ١٦١٥، ومرآة الجنان ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٤٠ـ ١٤١ رقم ٥٢، ١/ ٣٧٨، والكشف الحثيث ١٥٤ رقم ٢٥٠، والوافي بالوفيات ١٣/ ٩٨ رقم ٩٧، وغاية النهاية ١/ ٢٥٤ـ ٢٥٥ رقم ١١٥٨، والنشر في القراءآت العشر ١/ ١٥٦، وتهذيب التهذيب ٢/ ٤٠٠ـ ٤٠٢ رقم ٧٠٠، وتقريب التهذيب ١/ ١٨٦ رقم ٤٤٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ٧٨، وشذرات الذهب ١/ ٢٩٣، والأعلام ٢/ ٢٩١، وتاريخ التراث العربي ١/ ١٥٥ رقم ٣، تاريخ الإسلام (السنوات ١٧١ـ ١٨٠هـ) ص٨٥ رقم ٥٨ .

أيامه وسدفه، وجلّى به الليل، وأماط سجفه، أقرأه عاصم بما أقرأه أبو عبد الرحمن السُّلمي، فنقله، وأفاده خالص ذهبه الإبريز، فحصَّله.

قال أبو هشام الرفاعي: كان حفص أعلمهم بقراءة عاصم.

وقال أبو الحسين بن المنادي: قرأ على عاصم، وكان الأولون يعدّونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأها على عاصم. أقرأ الناس دهراً ممتداً، وكانت القراءة التي أخذها ترتفع إلى علي.

وقال يحيى بن معين: القراءة قراءة حفص بن سليمان.

وقال ابن مجاهد: بينه وبين أبي بكر بن عياش من الخُلْفِ في الحروف في خمسمائة وعشرين حرفاً في المشهور عنهما.

وقال حسين الجُعفي: سمعتُ حفص بن سليمان / ٩٠/ يقول: قلت لعاصم: أبو بكر يخالفني.

فقال: أقرأتكَ بما أقرأني أبو عبد الرحمن السُّلمي، وأقرأته بما أقرأني زر بن حُبيش.

توفي سنة ثمانين ومائة، ومولده سنة تسعين.

ومنهم:

[١٣]

سُليم بن عيسى بن مُسيلم بن عامر بن غالب[(١)]، أبو عيسى

ويقال أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي المقرىء، المُوفي على النجم إذا يسري، المُولي مِنناً تناط بالمسامع، وتنال بها الكلم الجوامع، غلب به غالب، وحَضَرَ به مجالس الذكر وهو غائب، وأصبحت سليم الحمراء تأسف إذ لم يكن إليه منتهى قبيلها، ومُنتأى فخذها وفصيلتها، بل لو فطنت مَرهاء كل عين لما اكتحلت إلاّ بجوهري

(١) ورد اسمه في بعض المصادر: «سليم بن عامر الحنفي، مولاهم الكوفي، أبو عيسى المقرىء، المجوّد...»

ترجمته في: العلل ومعرفة الرجال ٢/ ٣٤٧ رقم ٢٥٣٦، ٣/ ١٢١ رقم ٤٥٠٨، والتاريخ الكبير ٤/ ١٢٧ رقم ٢١٩٨، والجرح والتعديل ٤/ ٢١٥ رقم ٩٣٣، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٣٨ ـ ١٤٠ رقم ٥١، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٣١ رقم ٣٥٤٠، والمغني في الضعفاء ١/ ٢٨٥ رقم ٢٦٤١، وغاية النهاية ١/ ٣١٨ـ ٣١٩ رقم ١٣٩٧، والوافي بالوفيات ١٥/ ٣٣٥ رقم ٤٧٧، تاريخ الإسلام (السنوات ١٨١ ـ ١٩٠هـ) ص رقم ١٤٥.

جوهره، ولو تنبَّه كل كحّال لعزًّا في التشييف بأصغر سلم إليه نسبه أصغره.

كان صاحب حمزة بن حبيب الزيات، وكان أحسن من أخذ عنه، وأحذقهم بالقراءة، وأقومهم بالحروف، وهو الذي خلّف حمزة في الإقراء بالكوفة.

قرأ عليه خلف بن هشام البزار، وخلاّد بن خالد الصيرفي، وأبو عمرو الدوري، وعدد كثير، حتى إن رفقاءه في القراءة على حمزة قرؤوا عليه؛ لإتقانه.

منهم: خالد الطبيب وحمزة بن القاسم، وجعفر الخشكي، وإبراهيم الأزرق، وعبد الله بن صالح.

وسمع الحديث من حمزة وسفيان الثوري، وسمع منه جماعة.

قال يحيى اليزيدي: كنا نقرأ على حمزة، ونحن شباب، فإذا جاء سليم، قال لنا حمزة: تحفظوا وتثبَّتوا قد جاء سليم.

وقال الدوري: حدثنا الكسائي، قال: كنت أقرأ على حمزة، فجاء سليم، فتلكأت، فقال لي حمزة: تهابُ سليماً، ولا تهابني؟، فقلت: يا أستاذ أنت إن أخطأتُ قوّمتني، وهذا إن أخطأتُ عيَّرني.

وقال خلف: افتتحت بسورة يوسف، فقرأتها على سليم، فقال لي: كيف ابتدأت بها، قلتُ: لصعوبتها، ثم ابتدأت بالفاتحة، فلم أزل إلى سورة النور، فلم أغلط، ولم ألحن، حتى قلت: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾، ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[1]، فأومأ إليَّ سليم، فلم أدرِ، ورددت كذلك / ٩١/ ، فأخرج رجله، ونصبها، وكان أعرج.

ثم قال: وأين أنا فقرأتها، فقال: لو ختمت ولم تخطىء، لقلت: إنك منافق.

وقال ضرار بن صرد: سمعتُ سُليم بن عيسى وأتاه رجل فقال: يا أبا عيسى جئتك لأقرأ عليك بالتحقيق، فقال: يا ابن أخي شهدت حمزة؟ وأتاه رجل في مثل هذا، فبكى، وقال: يا ابن أخي التحقيق صون القرآن، فإن صنته، فقد حققته. هذا هو التحقيق، فمضى الرجل، ولم يقرأ.

وقال سليم: قرأت على حمزة عشر مرات.

قال خلف وهارون بن حاتم: توفي سنة ثمانٍ وثمانين ومائة.

وقال أبو هشام الرفاعي: توفي سنة تسعٍ وثمانين ومائة، ومولده سنة ثلاثين ومائة.

---

(١) سورة النور: الآية ٦١، وقد أسقط من وسطها قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾.

وقال خلف: بل سنة تسع عشرة.

ومنهم:

[١٤]

عليّ بن حمزة الكسائي، الإمام أبو الحسن الأسدي[(١)]

مولاهم، الكوفي، المقرىء، النحوي، أحد الأعلام.

لفَّ الفضل كلّه كساؤه، ورُدّ على العلم جميعه رداؤه، ونُشر كساء كسائيه أضواء من ملاءة النهار، وأظهر من غرر فوائده أمتع من كواكب الأسحار، وأسعد الله بصلته

---

(١) علي بن حمزة بن عبد الله بن بِهْمَن بن فيروز، مولى بني أسد، أبو الحسن الأسدي الكوفي الكسائي.

ترجمته في: التاريخ الكبير ٦/ ٢٦٨ رقم ٢٣٦٨، والتاريخ الصغير ٢٠٤، والمعارف ٥٤٥، وعيون الأخبار ٤/ ٢٦، والجرح والتعديل ٦/ ١٨٢ رقم ١٠٠٠، والزاهر للأنباري ١/ ١٢٣ و١٤٦ و١٨١ و٢٠٩ و٢٤٢ و٣٧٨ و٤١٣ و٤٣٥ و٤٣٦، و٢/ ٨٦ و٣١٤ و٣٥٩ و٣٩٨، والعقد الفريد ٣/ ١٧٠، ومراتب النحويين ٧٤ـ ٧٥، وطبقات النحويين ١٣٨ و١٤٢، والفهرست لابن النديم ٢٩، وثمار القلوب ٥٦٩، وأمالي القالي ١/ ٩ و٥٩ و٦٧ و١٦٩ و١٩٣، والذيل ٤٣، ومروج الذهب (محمد محيي الدين عبد الحميد) ٣/ ٣٥٤، وتاريخ بغداد ١١/ ٤٠٣ ـ ٤١٥ رقم ٦٢٩٠، والمقتبس ٢٨٣ ـ ٢٩١، وإنباه الرواة ٢/ ٢٥٦، ونور القبس ٢٨٣، والأنساب ١٠/ ٤١٩، ونزهة الألباء ٦٧، ٧٥، ومجالس العلماء ٩، ١٠ و٢٥٧ للزجاجي أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (توفي ٣٤٠هـ) تحقيق محمد عبد السلام هارون ـ طبعة الكويت ١٩٦٢، وشرح أدب الكاتب ٢٠ و٢٩ و٣٠ و١٠٠ و١٠٨ و٢٥٥ و٣٤٨ و٤٠٠ و٤٠٧ والمثلث لابن البطليوسي ٢/ ٦٨ و١٦٩ و١٩٦، ومعجم الأدباء ١٣/ ١٦٧ ـ ٢٠٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧ رقم ٤٣٣، وبدائع البدائه ٤٦، والحمقى والمغفلين ١٤١، والظرفاء ٦٨ و٦٩ و٧٢ و٧٣، ولباب الأدباء ١٦٦ و٣٠١، وخلاصة الذهب المسبوك ١٥٧ ـ١٠٦، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٧، ودول الإسلام ١/ ١٢٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٣١ ـ ١٣٤ رقم ٤٤، والعبر ١/ ٣٠٢، ومرآة الجنان ١/ ٤٢١ـ ٤٢٢، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٠١ و٢١٢، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٢٠ـ ١٢٨ رقم ٤٥، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣١٣، و٣١٤ رقم ٥٣٢، وغاية النهاية ١/ ٥٣٥ـ ٥٤٠ رقم ٢٢١٢، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٣٠، وبغية الوعاة ٢/ ١٦٢ـ ١٦٥ رقم ١٧٠١، وطبقات المفسرين ١/ ٣٩٩، وشذرات الذهب ١/ ٣٢١، وتلخيص الشواهد لابن هشام الأنصاري ٥٨ و١٧٥ و١٩٤ و٣٠٧ و٣٣٦ و٣٧٣ و٤٨٥ و٤٩٦ و٥١١، وأمالي المرتضى ١/ ٣٣٥ و٢/ ٢٦٦، وتهذيب الكمال (المصور) ٢/ ٩٦٦ (مذكور دون ترجمة)، وتاريخ الطبري ٨/ ٣٦٦، والكامل في التاريخ ٦/ ١٥٩، والأسامي والكنى للحاكم، ج١ ورق ١٣٣ب ـ ١٣٤أ، ونزهة الظرفاء للملك الأفضل الغساني ٦٨، ٦٩، و٧٢ و٧٣، وتاريخ الإسلام السنوات (١٨١ ـ ١٩٠هـ) ص٢٩٩ رقم ٢٦١.

ببيت الخلافة جدّه، ولازم تأديب الأمين بن الرشيد حتى أوتي رشده، وأغدقت عليه أم جعفر المواهب، وأَغصَّت بالعطايا إليه حلوق المذاهب، وأصبح بانضمامه إلى جناح ابنها يحلّق حيث تُقصّ القوادم، وتقصر لوامع البروق في الليالي العواتم، وعزّت إفاداته، حتى عدّت للقعود للطلبة أوقاته.

وكان لا يجلس إلاّ مجلساً عاماً، وينصب له كرسي يصعده، ويقرأ، وذو التحصيل يصغي إلى ما يقرأ به ويقيّده، إذ كان زمانه لا يسع إشغال كل واحدٍ بمفرده ولا قوله بلسانه وتقييده بيده.

ولد في حدود سنة عشرين ومائة، وسمع من جماعة /٩٢/ وقرأ القرآن، وجوّده على حمزة الزيات، وعيسى بن الهَمْداني، وزائدة.

ونقل أبو عمرو الداني، وغيره: أنَّ الكسائي قرأ على محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى أيضاً، واختار لنفسه قراءة، ورحل إلى البصرة، فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد، وأخذ الحروف أيضاً عن أبي بكر بن عياش وغيره، وخرج إلى البوادي، فغاب مدة طويلة، وكتب الكثير من اللغات والغريب عن الأعراب بنجد وتهامة، ثم قدم وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبر.

وقرأ عليه أبو عمرو الدوري، وأبو الحارث الليث، وخلق سواهم، وانتهت إليه الإمامة في القراءة [و]العربية.

قال ابن معين: ما رأيت بعيني أصدق لهجة من الكسائي.

وقال أبو عبيد في كتاب القراءات: كان الكسائي يتخيَّر القراءات فأخذ من قراءة حمزة ببعض، وترك بعضاً، وكان من أهل القراءة، وهي كانت علمه وصناعته.

ولم يجالس أحداً كان أضبط ولا أقوم بها منه.

وقال خلف: قرأ الكسائي على حمزة القرآن أربع مرات.

وقال أبو بكر بن الأنباري: اجتمعتْ في الكسائي أمور: كان أعلم الناس بالنحو، وواحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن، فكانوا يكثرون عليه حتى لا يُضبط الأخذ عليهم، فيجمعهم، ويجلس على كرسي، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون، ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادىء.

وكان في الكسائي تِيهٌ وحشمة؛ لما نال من الرئاسة بإقراء محمد الأمين ـ ولد الرشيد ـ وتأديبه أيضاً للرشيد، فنال ما لم ينله أحد من الجاه، والمال، والإكرام، وحصل له رئاسة العلم والدنيا.

وقال خلف: عملت وليمة فدعوت الكسائي واليزيدي، فقال اليزيدي للكسائي: يا أبا الحسن أمور تبلغنا عنك ننكر بعضها، فقال الكسائي: أوَمثلي يخاطب بهذا؟ وهل مع العالم /٩٣/ من العربية إلاّ فضل بصاقي هذا؟ ثم بصق، فسكت اليزيدي.

وكان الكسائي يؤدّب الأمين بن هارون الرشيد، ويُعلّمه الأدب، ولم تكن له زوجة، ولا جارية، فكتب إلى هارون الرشيد يشكو العُزْبة في هذه الأبيات: [من الكامل]

قُلْ لِلخليفةِ: مَا تقولُ لِمَنْ أَمْسَى إليْكَ بِحُرمَةٍ يُدلِي
مَا زِلتُ مُذْ صَارَ الأَمِيْنُ مَعِيْ عَبْدِي يَدِيْ وَمَطِيَّتي رِجْلِي
وَعَلَى فِرَاشِي مَنْ ينبِّهُنِي مِنْ نومِهِ وقِيامِهِ قَبْلِيْ
أَسْعَى بِرِجْلٍ مِنْهُ ثَالِثَةٍ مَوْفُورَةٍ مِنِّي بِلا رِجْلِ
وإِذَا رِكِبْتُ أَكُونُ مُرْتَدِفاً قُدَّامَ سَرْجِي رَاكِبٌ مِثْلِي
فَامْنُنْ عَلَيَّ بِمَا يُسَكِّنُهُ عَنِّيْ إهدِ الغمد لِلْنَّصْلِ

فأمر له الرشيد بعشرة آلاف درهم، وجارية حسناء بجميع آلاتها، وخادم، وبرذون بجميع آلاته.

واجتمع يوماً محمد بن الحسن الشيباني والكسائي في مجلس الرشيد، فقال الكسائي: من تَبحَّر في علم يهدى إلى جميع العلوم؟ فقال له محمد: ما تقول فيمن سها في سجود السهو؟ هل يسجد مرّة أخرى؟، فقال الكسائي: لا، قال: لماذا؟، قال: لأنَّ النحاة تقول المصغّر لا يصغَّر، فقال محمد: فما تقول في تعليق الطلاق بالملك؟، قال: لا يصحّ، قال: لِمَ؟، قال: لأنَّ السيل لا يسبق المطر. كذا وردت هذه الحكاية في عدّة مواضع.

وذكر أبو بكر الخطيب في تاريخه: أنَّ هذه القصة جرت بين محمد بن الحسن والفراء.

وقال الكسائي: صليت بهارون الرشيد، فأعجبتني قراءتي، فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قطّ، أردت أن أقول ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، فقلت: لعلّهم يرجعين، فوالله ما اجترأ هارون أن يقول أخطأت، ولكنه لمّا سلّم قال: أيّ لغة هذه؟، قلت: /٩٤/ يا أمير المؤمنين قد يعثر الجواد، قال: أما هذا، فنعم.

وقال ابن الدورقي: اجتمع الكسائي واليزيدي عند الرشيد، فحضرت صلاة، فقدّموا الكسائي يُصلّي، فارتج عليه قراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾.

فقال اليزيدي: قراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا﴾ تُرتج على قارىء الكوفة؟ قال: فحضرتُ

صلاة، فقدَّموا اليزيدي، فارتج عليه في الحمد؛ فلمّا سلَّم قال: [من الكامل]

احْـفَـظْ لِسَـانَـكَ لاْ تَـقُـولُ فَـتُـبْـتَـلَـى إنَّ الـبَـلاءَ مُـوَكَّـلٌ بِـالْـمَـنْـطِـقِ

وعن الفراء، قال: ناظرت الكسائي يوماً، وزدتُ فكأنّي كنتُ طائراً أشرب من بحر. قال: وإنما تعلّم النحو على كبر؛ لأنه جاء إلى قوم، وقد أعيا، فقال: قد عَيّيتُ، فقالوا له: تجالسنا وأنت تَلحنُ، قال: كيف لحنتُ؟، قالوا له: إن كنت أردت من التعب، فقل أعييتُ، وإن أردت انقطاع الحيلة والحيرة في الأمر فقل: عَيِيت، فأنف من ذلك، وقام من فوره، فسأل عمن يعلم النحو فدُلّ على معاذ الفراء، فلزمه، ثم خرج إلى البصرة، فلقي الخليل، ثم خرج إلى بادية الحجاز.

قال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو، فهو عِيَال على الكسائي.

وقال الفراء: لقيت الكسائي يوماً، فرأيته كالباكي، فقلتُ: ما يبكيك؟، فقال: هذا الملك يحيى بن خالد يُحضرُني، فيسألُني عن الشيء، فإن أبطأتُ في الجواب، لحقني منه عتب، وإن بادرت لم آمن الزلل، فقلت: يا أبا الحسن من يعترض عليك؟ قل ما شئت، فأنت الكسائي؟، فأخذ لسانه بيده، وقال: قطعه الله إذاً إن قلت ما لا أعلم.

وروى نصير بن يوسف، قال: دخلت على الكسائي في مرض موته، فأنشأ يقول: [من الكامل]

قَـدَرٌ أَحَـلَّـلـكَ ذَا الـنُّـخَـيْـلُ وَقَـدْ أَرَى وأبـي ومـالـك ذو الـنـخـيـل بـدارِ
إلاَّ كَـدَارِكُـمُ بِـذِي بَـقَـرِ الـلِّـوَى هَـيْـهَـاتَ ذُو بَـقَـرٍ مِـنَ الـمُـزْدَارِ

/ ٩٥/ فقلتُ: كلاّ، ويمتّع الله الجميع بك. فقال: لئن قلت ذلك، لقد كنتُ أقرىء الناس في مسجد دمشق، فأغفيت في المحراب، فرأيتُ النبي ﷺ داخلاً من باب المسجد، فقام إليه رجل، فقال: بحرف من تقرأ؟ فأومأ إليّ.

وقال أبو سعيد السيرافي: ـ رثى يحيى اليزيدي محمد بن الحسن والكسائي وكانا خرجا مع الرشيد فماتا في الطريق فقال: [من الطويل]

تَـصَـرَّمَـتِ الـدُّنْـيَـا فَـلَـيْـسَ خُـلُـودُ ومَـاقَـدْ تَـرَى مِـنْ بَـهْـجَـةٍ فَـيَـبِـيْـدُ
لِـكُـلِّ امْـرِىءٍ كَـأْسَ مِـنَ الـمَـوتَ مُـتْـرَعٌ وَمَـا إنْ لَـنَـا إلاَّ عَـلَـيْـهِ وُرُوْدُ
أَلَـمْ تَـرَ شَـيْـبـاً شَـامِـلاً يُـنْـذرُ الـبِـلَـى وأَنَّ الـشَّـبَـابَ الـغـضَّ لَـيْـسَ يَـعُـوْدُ
سَـآتِـيْـكَ مَـاْ أَفْـنَـى الْـقُـرُوْنَ الـتَّـي مَـضَـتْ فَـكُـنْ مُـسْـتَـعِـدّاً فَـالـفَـنَـاءُ عَـتِـيْـدُ
أَسِـيْـتُ عَـلَـى قَـاضِـيْ الـقُـضَـاةِ مُـحَـمَّـدٍ فَـأَذْرَيْـتُ وَمَـعِـيْ والـفُـؤَادُ عَـمِـيْـدُ
وَقُـلْـتُ: إذَا مَـاالـخَـطْـبُ أَشْـكَـلَ مَـنْ لَـنَـا بِـإيْـضَـاحِـهِ يَـومـاً وأَنْـتَ فَـقِـيْـدُ

وَأَقْلَقَنِيْ مَوْتُ الكِسَائِيِّ بَعْدَهُ وكَادَتْ لِيَ الأَرْضُ الفَضَاءُتَمِيْدُ
وَأَذْهَلَنِيْ عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ وَأَرَّقَ عَيْنِي وَالعُيُونُ هُجُوْدُ
هُمَا عَالِمَانا أَوْدَيَا وتَخَرَّمَا ومَا لَهُمَا فِيْ العَالَمِيْنَ نَدِيْدُ
فَحُزْنِيَ إنْ تخَطُرْ عَلَى القَلْبِ خَطْرَةٌ بِذِكْرِهِمَا حَتَّى المَمَاتِ جَدِيْدُ

قال أبو عمر الدوري: توفي الكسائي بالريّ بقرية أرنبوية.

وقال مجاهد: بِرْ نَبَويةٍ، سنة تسع وثمانين ومائة على الصحيح.

وقيل: إنه عاش سبعين سنة، ومات هو ومحمد بن الحسن في يوم واحد، فقال الرشيد: دفنا الفقه والنحو بالريّ.

وسمِّي الكسائي؛ لأنه أحرم في كساء.

/٩٦/ ومنهم:

[١٥]

أبو بكر بن عيّاش بن سالم الأسدي الكوفي(١)

أحد الأعلام، كان ذا علم نافع لا يمنعه، وعمل صالح لا يقطعه، وزهد يرى

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٣٨٦، والتاريخ لابن معين ٢/ ٦٩٦، ومعرفة الرجال له ١/ رقم ١٥٤ و٢٥٥ و٥٤٦ و٢/ رقم ٤٢٠ و٥٣٢ و٧١٥ و٨٢٩، وطبقات خليفة ١٧٠، وتاريخه ٤٦٦، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد ١/ رقم ٧٦ و٦٤٣ و٦٦٣ و٩٦٣ و٢/ رقم ١٥٢٧ و٢٦٧٤ و٣١٥٥ و٣/ رقم ٤٨٧٥ و٦٠٧٣، والورع له ٨٨، والعلل لابن المديني ٩٢ و٩٩، والتاريخ الصغير ٢١١، والتاريخ الكبير ٩/ ١٤ رقم ١٠٠، والمعارف ١٧٤، والمعرفة والتاريخ ١/ ١٥٠ و١٨٢ و٢/ ١٧٢، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ١٢، وتاريخ الثقات للعجلي ٤٩٢ رقم ١٩١٣، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/ ٢٩٥ و٣٠٢ و٤٧٩ و٥٤١ و٦٥٧ و٦٦٠ و٦٦٢، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ٩٣، ٩٤ و٢/ ٣ و٣٨ و١٩٩ و٢٢٧ و٢٦٨ و٢٦٩ و٤٠٤ و٤٢٣ و٣/ ٣ و٤ و٢٤ و٣١ و١٢٩ و١٤٤ و١٤٦ و١٨٦، ومشاهير علماء الأمصار ١٧٣ رقم ١٣٧٣، والثقات لابن حبان ٧/ ٦٦٨، ومروج الذهب ٣/ ٣٩٨، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/ ٨٢٩ـ ٨٣٠، رقم ١٤٠٣، ومشتبه النسبة لعبد الغني (مخطوطة المتحف البريطاني) ورقة ١١أ، وحلية الأولياء ٨/ ٣٠٣ ـ ٣١٣ رقم ٤٢١، والزهد الكبير للبيهقي ٦٦ رقم ١٨، وثمار القلوب للثعالبي ٦٨، والأسامي والكنى للحاكم، ج١ ورقة ٦٣ب، والسابق واللاحق ١٥٦ ـ ١٥٨، والجمع بين رجال الصحيحين ٢/ ٥٩٤ رقم ٢٣١٧، وتاريخ جرجان للسهمي ٣٠٠ و٤٧١ و٤٧٢ و٥٣٨، والكامل في التاريخ ٦/ ٢٢٦، وصفة الصفوة ٣/ ١٦٤ ـ ١٦٧ رقم ٤٥١، والتذكرة الحمدونية ١/ ٣٥٨ رقم ٩٢٨، وعيون الأخبار ٢/ ١٧٩، ونور القبس ٦١ـ ٦٢، وربيع الأبرار ١/ ٧٨١، وبهجة المجالس =

أقلَّ شيءٍ يقنعه. أخذ عن عاصم فعُصم، وعُمِّرَ دهراً لم يعم، ولم يصُم، مُتّع بالعمر المديد، وأدرك سلطان بني أمية، وعُمِّرَ إلى أيام الرشيد، وكان حجة لا يسع خصمها الجحود، ولا يحتاج مع الإقراء إلى إداء الشهود.

في اسمه ثلاثة عشر قولاً أصحّها كنيته وشُعبة.

ولد سنة خمس وتسعين، وقرأ القرآن ثلاث مرات على عاصم، وعُمِّر دهراً، وكان يقول: أنا نصف الإسلام.

وكان سيداً، إماماً، حجة، كثير العلم والعمل، منقطع القرين، قرأ عليه أبو الحسن، الكسائي وجماعة، وروى عنه خلق.

قال عثمان بن أبي شيبة: أُحضر أبو بكر بن عياش من الكوفة، فجاء ومعه وكيع، فدخل، ووكيع يقوده، فأدناه الرشيد، وقال: أدركت أيام بني أمية وأيامنا، فأينا خير، قال: أولئك كانوا أنفع للناس؟ وأنتم أقوم بالصلاة، فصرفه الرشيد، وأجازه بستة آلاف دينار، وأجاز وكيعاً بثلاثة آلاف دينار.

وقال أبو عبد الله النخعي: لم يفرش لأبي بكر بن عياش فراش خمسين سنة، وروي أنه مكث أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة.

وقال يحيى بن سعيد: زاملتُ أبا بكر بن عياش إلى مكة فما رأيت أورع منه، ولقد أهدى له رجل رطباً، فبلغه أنه من البستان الذي أخذ من خالد بن مسلمة المخزومي، فأتى آل خالد، فاستحلّهم، وتصدّق بثمنه.

وقال أبو عبد الله المعيطي: رأيت أبا بكر بن عياش بمكة، فأتى سفيان بن عُيينة

= ١/ ٨٠، وزهر الآداب ٩٨٤، والآداب ٤٩، والجوهر النفيس ٣٨، ومحاضرات الأبرار ٢/ ٣٠٨، ومختار الحِكم ٢٩٩، وتسهيل النظر ٥٩، والمحاسن والأضداد ١٧، والتمثيل والمحاضرة ٤٢٦، والمستطرف ١/ ٨٢، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٣٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٤١ و٢٤٢ و(٣٥٣ ـ ٣٥٤)، وتهذيب الكمال (المصور) ٣/ ١٥٨٦ـ ١٥٨٧، والعبر ١/ ٣٠٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٦٥ـ ٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٣٥ ـ ٤٤٦ رقم ١٣١، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٣٤ ـ ١٣٨ رقم ٥٠، والمغني في الضعفاء ٢/ ٧٧٤ رقم ٧٣٤٦، والمعين في طبقات المحدّثين ٧١ رقم ٧٤٢، والكاشف ٣/ ٢٢٧ رقم ٥٨، وميزان الاعتدال ٤/ ٤٤٩ رقم ١٠٠١٦، ودول الإسلام ١/ ١٢٢، ومرآة الجنان ١/ ٤٤٤، وغاية النهاية ١/ ٣٢٥ ـ ٣٢٧ رقم ١٣٢١، والاغتباط ١١١ـ ١١٢، رقم ١٢٦، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٣٤ ـ ٣٧ رقم ١٥١، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٩٩ رقم ٦٥، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٤٤، وطبقات الحفاظ ١١٣ـ ١١٤، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٤٥، وشذرات الذهب ١/ ٣٣٤، تاريخ الإسلام (السنوات ١٩١ ـ ٢٠٠هـ) ص٤٩٤ رقم ٣٧٢ .

فبرك بين يديه، فجاء رجل فسأل سفيان عن حديث، فقال: لا تسألني ما دام هذا الشيخ قاعداً.

وقال أبو هشام الرفاعي: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: أبو بكر خليفة رسول الله في القرآن؛ لأنَّ الله تعالى /٩٧/ يقول ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾(١) فما سماه الله صادقاً فليس يكذب، هم قالوا: يا خليفة رسول الله.

وقال يحيى الحماني؛ حدثني أبو بكر بن عياش قال: جئتُ ليلة إلى زمزم، فاستقيتُ منه دلواً لَبَناً وعسلاً.

وقال أبو هشام الرفاعي: سمعت أبا بكر يقول الخلق أربعة: معذور، ومخبور، ومجبور، ومثبور؛ فالمعذور: البهائم، والمخبور: ابن آدم، والمجبور: الملائكة، والمثبور: الجن.

وقال أبو بكر: أدنى نفع السكوت السلامة، وكفى بها عافية، وأدنى ضرر المنطق الشهرة، وكفى بها بلية.

وقال: من زعم أنَّ القرآن مخلوق، فهو عندنا كافر زنديق عدّو لله. لا نُجالسه، ولا نكلّمه.

وقال أبو بكر: الدخول في العلم سهل، والخروج منه إلى الله شديد.

وقال عبد الله بن المبارك: ما رأيتُ أحداً أسرع إلى السنة من أبي بكر.

وقال الحماني: لما حضرت أبا بكر الوفاة بكت أختُه، فقال لها: ما يبكيك انظري إلى تلك الزاوية قد ختمت فيها ثمان عشرة ألف ختمة.

وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة.

قال أحمد بن حنبل: وكان صاحب قرآن وخير.

ومنهم:

[١٦]

يحيى بن المبارك بن المغيرة العَدَوي(٢)

أبو محمد المقرىء، النحوي، اللغوي. عرف باليزيدي؛ لاتصاله بيزيد بن منصور

---

(١) سورة الحشر: الآية ٨.

(٢) ترجمته في: المعارف ٥٤٤، والبيان والتبيين ٣/ ٣٧٤، وطبقات الشعراء لابن المعتز ١٢٩ـ ١٣٠، ومعجم الشعراء للمرزباني ٤٩٨، ومروج الذهب ٨٣٥، والفهرست لابن النديم ٥٠ـ ٥١، =

ـ خال المهدي ـ يؤدّب ولده، ويُهذّب سؤدده، وكان فصيح اللسان، صريح الإحسان، صحيح القصد في تصانيفه الحسان. عَلَم هداية، لا يضلّ من به اهتدى، ولا يُضرّ من به اقتدى.

قرأ عليه أعيان القراء، وكان له اختيار خالف فيه أبا عمرو، ولم يعدل عن الطريقة الغرّاء.

جوّد القرآن على /٩٨/ أبي عمرو، وحدَّث عنه، وعن ابن جُريج، وقرأ عليه الدوري، والسوسي، وطائفة، وله اختيار كان يقرىء به أيضاً، خالف فيه أبا عمرو في أماكن يسيرة.

وهو الذي خلف أبا عمرو في القيام بالقراءة بعده.

قال ابن مجاهد: إنما عوّلنا على اليزيدي، وإن كان سائر أصحاب أبي عمرو أجلّ منه؛ لأنه انتصب للرواية عنه، وتجرّد لها، ولم يشتغل بغيرها. وهو أضبطهم.

قال الفضل: كان اليزيدي معلماً على باب أبي عمرو، وكان يخدمه في حوائجه، وربما أمسك المصحف على أبي عمرو، فقرأ عليه، وكان أبو عمرو يُدنيه، ويميل إليه؛ لذكائه، وكان صحيح الرواية.

واتصل اليزيدي أيضاً بالرشيد وأدّب المأمون، وكان ثقة، علامة، فصيحاً، مفوّهاً، بارعاً في اللغاتِ، والآداب.

= وتاريخ جرجان للسهمي ٥٦١، والأغاني ٢/ ٢١٦ ـ ٢٣٩، وطبقات النحويين للزبيدي ٦١ ـ ٦٦، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٤٦ ـ ١٤٨ رقم ٧٤٦٥، ودرة الغواص للحريري ٤٢، ووفيات الأعيان ٦/ ١٨٣ ـ ١٩٣ رقم ٧٩٩، ونور القبس ٨٠ ـ ٨٧، وديوان الحماسة بشرح المرزوقي ١٥٤٩، ونزهة الألباء ٤٩ ـ ٥٣، والكامل في التاريخ ٦/ ٣٥٠، ومعجم الأدباء ٢٠/ ٣٠ ـ ٣٢، ومراتب النحويين ٩٨، وأخبار البصريين ٤٠ ـ ٤٢، وفهرسة ابن خير الإشبيلي ٦٧، والمقتبس ٨٠ ـ ٨٧، واللباب ٣/ ٣٠٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣، ودول الإسلام ١/ ١٢٦، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٥١ـ ١٥٢ رقم ٦٢، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٦٢ـ ٥٦٣ رقم ٢١٩، والعبر ١/ ٣٣٨، ومرآة الجنان ٢/ ٣ ـ ٧، والبُلغة في أئمة اللغة ٢٨٤، وغاية النهاية لابن الجزري ٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٧ رقم ٣٨٦٠، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٧٣، والمزهر ٢/ ٤٠٥، وبغية الوعاة ٢/ ٣٤٠ رقم ٢١٣٢، وشذرات الذهب ٢/ ٤، وخزانة الأدب للبغدادي ٤/ ٤٢٦، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٠٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٠١ ـ ٢١٠هـ) ص رقم ٤٣٩.

أخذ عن الخليل وغيره حتى قيل: إنه أملى عن أبي عمرو خاصة عشرة آلاف ورقة.

وأخذ عن الخليل من اللغة شيئاً كثيراً، وكتب عنه العروض في ابتداء وضعه له، إلاّ أنَّ اعتماده كان على أبي عمرو أكثر؛ لسعة علمه باللغة، وصنَّف عدَّة تصانيف، وله النظم الجيد، وشعره مدوّن.

قال الأثرم: دخل اليزيدي يوماً على الخليل بن أحمد؛ وهو جالس على وسادة فأوسع له، وأجلسه معه، فقال له اليزيدي: أَحْسَبُني ضيَّقتُ؟، فقال الخليل: ما ضاق موضع على اثنين متحابين، والدنيا لا تسع مُتباغضين.

وسأل المأمون اليزيدي شيئاً؟، فقال: لا وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين!، فقال: لله درّك ما وضعت الواو قطّ في موضع أحسن من موضعها في لفظك هذا، ووصله، وحمله.

وقال اليزيدي: دخلت على المأمون يوماً والدنيا غضّة وعنده «نُعْم» تغنّيه، وكانت من أجمل أهل دهرها، فأنشدت: [من الكامل]

وَزَعَمْتِ أَنّي ظَالِمٌ فَهَجَرْتِني ... وَرَمَيْتِ في قَلْبي بِسَهْمٍ نَافِذِ
فَنَعَمْ هَجَرْتُكِ فَاغْفِري وَتَجاوَزي ... هَذَا مَقَامُ المُسْتَجِيْرِ العَائِذِ
هَذَا مَقَامُ فَتًى أَضَرَّ بِهِ الهَوَى ... قَرِحِ الجُفُونِ بِحُسْنِ وَجْهِكِ لائِذِ
وَلَقَدْ أَخَذْتُمْ مِنْ فُؤَادِي أُنْسَهُ ... لا شَلَّ رَبِّي كَفَّ ذَاكَ الآخِذِ

فاستعادها المأمونُ الصوتَ ثلاثَ مراتٍ، ثم قال: يا يزيدي، أيكون شيء أحسن مما نحن فيه؟، قلتُ: نعم، يا أمير المؤمنين!، قال: فما هو؟، قلتُ: الشكر لمن خوَّلك هذا الإنعام الجليل العظيم، فقال: أحسنت، وصدقت، ووصلني، وأمر أن يُتصدَّق بمائة ألف.

وكأنّي أنظرُ إلى البِدَر، وقد أُخرجت والمال يفرَّق.

توفي اليزيدي سنة اثنتين ومائتين، وله أربع وسبعون سنة، وكان له عدّة أولاد فضلاء علماء أخذوا عنه، وأخذ عنه أيضاً ابن ابنه أحمد بن محمد.

ومنهم:

[١٧]

يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي[١] بالولاء البصري المقرىء المشهور

قاريء أهل البصرة، في زمانه أبو يوسف أحد القراء العشرة، وهو المقرىء الثامن.

وكان بالبصرة قائماً بمعناها، وعامراً لمغناها، يكاثر بعلمه مدّها، ويقادِحُ بفهمه زندها، ويجلّى بقيامه في دياجي الليل مسودّها.

يحيى بتهجُّده موات لياليها، ويصل في مواضع صلاته مساحة نواحيها، يأوي منه إلى أروحَ من ظلِّ نخيلها، ويروي عنه أعذب من نُطَف سلسبيلها.

ينافح طيبها الهنديّ أرجاً، ويفاخر لؤلؤها البحري بلجاً، ويحدّث عن عجائبه فيها ما لا يقدِر الواصف ـ وإن جهد ـ يوفِّيها.

قرأ القرآن على أبي المنذر سلاّم بن سليمان، وعلى أبي الأشهب العطاردي وغيرهما، وسمع من حمزة الزيات، وجماعة، وبرع في الإقراء. وكان أقرأ أهل زمانه، وكان لا يلحّنُ في كلامه، وله في القرآن / ١٠٠/ رواية مشهورة، منقولة عنه. وكان من بيت العلم بالقراءات، والعربية، وكلام العرب، والرواية الكثيرة الحروف، والفقه، وكان من أقرأ القراء، وأخذ عنه عامة حروف القرآن مسنداً، وغير مسند من قراء الحرمين، والعراقين، وأهل الشام، وغيرهم خلق كثير.

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٠٤، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد برواية ابنه عبد الله ١/ رقم ١٢٢٧، وتاريخ خليفة ٤٧٢، وطبقات خليفة ٢٢٧، والتاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٣٩٩ـ ٤٠٠ رقم ٣٤٧٦، والتاريخ الصغير له ٢١٩، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٢٣٥، ٢/ ١١ و٢٥٠ و٧٨١ و٣/ ٣٦٢، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ١٠٣، وتاريخ الطبري ٤/ ٢٢٤، والجرح والتعديل ٩/ ٢٠٣ـ ٢٠٤ رقم ٨٤٩، والثقات لابن حبان ٩/ ٢٨٣، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه ٢/ ٣٧٢ رقم ١٩٠٥، والمعين الجمع بين رجال الصحيحين ٢/ ٥٨٩ رقم ٢٢٩٨، ومعجم الأدباء ٢٠/ ٥٢ـ ٥٣ رقم ٢٧، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٧، وطبقات النحويين ٥٤، والمقتبس ١٧٨ـ ١٧٩، والفهرست ٣٠، وإنباه الرواة ٤/ ٤٥، وتهذيب الكمال للمزي (المصور) ٣/ ١٥٤٩، والكاشف ٣/ ٢٥٤ رقم ٦٥١٠، ودول الإسلام ١/ ١٢٧، والمعين في طبقات المحدثين ٨٠ رقم ٨٧٥، ومرآة الجنان ٢/ ٣٠، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٥٥، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٨٢ رقم ٧٤٣، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٧٥ رقم ٣٧٢، وبغية الوعاة ٢/ ٣٤٨ رقم ٢١٥٨، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٣٦، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٩٠ ـ ٣٩٢، وغاية النهاية ٢/ ٣٨٦ ـ ٣٨٩ رقم ٣٨٩١، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٧٩، ونور القبس ١٧٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٠١ ـ ٢١٠هـ) ص رقم ٤٤٧.

قال أبو حاتم ـ وهو من بعض تلامذته ـ: هو أعلم من رأيت بالحروف، والاختلاف في القرآن، وعلله، ومذاهبه، ومذاهب النحو.

وقال أبو القاسم الهذلي: لم ير في زمن يعقوب مثله، وكان عالماً بالعربية ووجوهها، والقرآن واختلافه، فاضلاً، تقياً، نقياً، ورعاً، زاهداً، بلغ زهده أنه سُرق رداؤه عن كتفه، وهو في الصلاة، وردّ إليه، ولم يشعر به؛ لشغله بالصلاة، وبلغ من جاهه بالبصرة أنه كان يحبس ويطلق.

ولبعضهم: [من الطويل]

أَبُوهُ مِنَ القُرَّاءِ كَانَ وَجَدُّهُ وَيَعْقُوبُ فِي القُرَّاءِ كَالكَوكَبِ الدُّرِّي
تَفَرُّدُهُ مَحْضُ الصَّوَابِ وَوَجْهُهُ فَمَنْ مِثْلُهُ فِي وَقْتِهِ وإِلَى الحَشْرِ

قال طاهر بن غلبون: وإمام أهل البصرة بالجامع لا يقرأ إلاّ بقراءة يعقوب ـ يعني في الصلوات الخمس ـ.

قال ابن سوّار، وغيره: توفي في ذي الحجة سنة خمسٍ ومائتين عن ثمانٍ وثمانين سنة.

ومنهم:

[١٨]

يحيى بن آدم بن سليمان(١)

أبو زكريا القرشي مولى أبي مُعَيط الكوفي صاحب أبي بكر بن عياش.

روى حُروفَ عاصم سَمَاعاً، ورَوَّى بسَلْسَلِة العَذْبِ أسماعاً، وكان للعلم جماعاً، وللفهم زند ذُكاء يقدح شعاعاً، ولأهل الطلب قمراً يسوق وراءه النجوم اتباعاً.

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٤٠٢، والتاريخ لابن معين برواية الدوري ٢/ ٦٣٩، ٦٤٠ رقم ٢١٨٨، ومعرفة الرجال له برواية ابن محرز ١/ رقم ٥٤٨ و٧٩٨، وتاريخ خليفة ٤٧١، وطبقات خليفة ١٧٢، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد برواية ابنه عبد الله ٢/ رقم ١٦٠١ و١٧٤٩ و٣/ ٤٧٣٠، والزهد لأحمد ٥٥ و١٥١ و١٩٣ و٢٥٣ و٢٦١ و٤٣٠ و٤٣٦، والعلل لابن المديني ٤٠ و٦١، والتاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٢٦١ـ ٢٦٢ رقم ٢٩٢٧، والتاريخ الصغير ٢١٧، والمعارف لابن قتيبة ٢٨٧ و٥١٦، والمعرفة والتاريخ للفسوي (انظر فهرس الأعلام) ٨٢٠، وتاريخ أبي رزعة الدمشقي ١/ ٦٥٥ و٦٧٦ و٦٧٧، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ٤ و٥٢ و٨٩ و٢/ ١٣ و٥٣ و٥٤ و١٩٥ و٢٢٨ و٢٦١ و٢٦٩ و٢٧٦ و٢٧٦ و٢٨٠ و٣١٠ و٣٢٢ و٣٣٠ و٣٧٩ و٤٠٦ و٣/ ٢٤ و٦٨ و١١٥ و١٥٤ و١٨٤ و١٨٥ و٢٦٠، وتاريخ الطبري ١/ ١٢ و٣٣٣ و٣٦٦، ٢/ ٦٠٧ و٦٤٩ و٣/ ١٥٨ و١٩٣ و٤/ ٥٤١، والجرح والتعديل ٩/ ١٢٨ـ ١٢٩ رقم ٥٤٥، والثقات لابن =

وحدَّث عن جماعة، وأخذ عنه أضعافها، ومُثّلت بين يديه الأهلّة، فلم يُر إلاّ من بُراة قلمه أنصافها / ١٠١/. وقد كان رأساً في زمانه، كما كان قبله الثوري فيمن غبر، وقيل: كان فلان، ثم فلان، كل واحد في وقته منه إلى عمر.

سئل أبو داود عنه، فقال: ذاك واحد الناس.

وقال علي بن المديني: يرحم الله يحيى بن آدم، أيّ علمٍ كان عنده؟!

وقال أبو أسامة: ما رأيت يحيى بن آدم إلاّ ذكرت الشعبي - يعني أنه كان جامعاً للعلم -، كان عمر في زمانه رأس الناس، وكان بعده ابن عباس، ثم كان بعده الشعبي في زمانه، وكان بعد الشعبي الثوري في زمانه، وكان بعد الثوري يحيى بن آدم.

وأثبت الروايات عن أبي بكرٍ رواية يحيى بن آدم، وما ذكر صاحب التيسير غيرها، وهي كما قال: سماع لا تلاوة.

وقال يحيى بن آدم: سألت أبا بكر عن حروف عاصم التي في هذه الكراسة أربعين سنة، فحدّثني بها كلها، وقرأها عليَّ حرفاً حرفاً.

توفي يحيى بفم الصلح في ربيع الأول سنة ثلاث ومائتين، وهو في عشر السبعين.

ومنهم:

[١٩]

حسين بن علي الجعفي(١)

مولاهم الكوفي أبو عبد الله الزاهد. أحد الأعلام، أشار الكسائي إلى فضله،

= حبان ٩/ ٢٥٢، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/ ٧٨٧ـ ٧٨٨ رقم ١٣١٥، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه ٢/ ٣٣٢ رقم ١٨١١، وتاريخ جرجان للسهمي ٢٨٢، والأسامي والكنى للحاكم، ج١ ورقة ٢٠٩ ب، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين ٣٥٧ رقم ١٥٤٤، والسابق واللاحق ١٣٧، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٨٥ و١٣٦، ٦/ ٣٥٦، وتهذيب الكمال للمزّي (المصوّر) ٣/ ١٤٨٥، والمعين في طبقات المحدّثين ٨٠ رقم ٨٦٦، ودول الإسلام ١/ ١٢٧، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٥٢٢ ـ ٥٢٩ رقم ٢٠٤، والعبر ١/ ٣٤٣، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٩، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ١٦٦ ـ ١٦٨ رقم ٧٤، ومرآة الجنان ٢/ ١٠، والفهرست لابن النديم ٢٨٣، وغاية النهاية لابن الجزري ٢/ ٣٦٣ـ ٣٦٤ رقم ٣٨١٧، وتهذيب التهذيب ١١/ ١٧٥ـ ١٧٦ رقم ٣٠٠، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٤١ رقم ٧، وطبقات الحفاظ للسيوطي ١٥٢، وطبقات المفسرين للداوودي ٢/ ٣٦٠ـ ٣٦١ رقم ٦٧٦، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٢٠، وشذرات الذهب ٢/ ٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٠١ ـ ٢١٠هـ) ص رقم ٤١٦.

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٣٩٦، وتاريخ الدارمي، رقم ٢٧٢، وتاريخ خليفة =

وَعَلم الرشيد بنبله، وقبّل سفيان يده، ولو مكنّه لما استنكف من تقبيل رجله، وأتاه قادماً فوثبَ له قائماً.

وقال: قدم أفضل رجل. وكان في عصره أجلّ من يُنفض عليه صبغ أصل، وأقرأ من ترمي إليه متون الأينق الذُّلل.

ما اشتمل في زمانه على مثله ضحًى، ولا هزيع، ولا اكتنفه أو انفرج عنه صدى مساء، ولا صديع.

قرأ القرآن على حمزة، وأخذ الحروف عن أبي عمرو، وأبي بكر بن عياش، وبرع في القراءات والحديث، وأقرأ الناس بعد حمزة.

قال أحمد بن حنبل: ما رأيتُ أفضل /١٠٢/ منه.

وقال قتيبة: قيل لسفيان بن عُيينة: قدم حسين الجعفي، فوثب قائماً، وقال: قدم أفضل رجل يكون قطّ.

وقال موسى بن داود: كنت عند ابن عيينة، فأتاه حسين الجعفي، فقام سفيان، وقبّل يده.

وعن الكسائي قال: قال لي الرشيد: من أقرأ الناس؟ قلت: حسين الجعفي.

= ٤٧١، وطبقات خليفة ١٧١، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد ٢/رقم ٢٧١٦، و٣٦٢٧، والتاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٣٨١ رقم ٢٨٤٨، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٦٤، وتاريخ الثقات للعجلي ١٢٠ رقم ٢٩٢، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ١٩٥ و٤٥٣ و٢/ ١٤٦ و٣/ ٢٤١، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/ ٤٧٤، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ٤١١ و٣/ ٤ و٣١ و٣٢، والجرح والتعديل ٣/ ٥٥ رقم ٢٥٢، والثقات لابن حبان ٨/ ١٨٤، وتاريخ أسماء التابعين ومن بعدهم للدارقطني، رقم ٢١٣، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/ ١٧١ـ ١٧٢ رقم ٢١٧، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه ١/ ١٣٥ـ ١٣٦ رقم ٢٥٩، وتاريخ جرجان للسهمي ٤٧٤، والسابق واللاحق للخطيب ١٨٦، والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/ ٨٧ رقم ٣٣٤، ومعجم البلدان لياقوت ١/ ٥٥٠ و٢/ ١٤٩، وتهذيب الكمال ٦/ ٤٤٩ ـ ٤٥٤ رقم ١٣٢٤، والعبر ١/ ٣٣٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣١٨، ودول الإسلام ١/ ١٢٧، والكاشف ١/ ١٧١ رقم ١١٠٦، سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٩٧ ـ ٤٠١ رقم ١٢٩، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٦٤ـ ١٦٥ رقم ٧٢، ومرآة الجنان ٢/ ٨، والوافي بالوفيات ١٣/ ٢٠ـ ٢١ رقم ١١، وغاية النهاية لابن الجزري ١/ ٢٤٧ رقم ١١٢٣، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣٥٧ ـ ٣٥٩ رقم ٦١٦، وتقريب التهذيب ١/ ١٧٧ رقم ٣٧٦، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٧٤، وطبقات الحفاظ ١٤٦، وخلاصة تذهيب التهذيب ٨٤، وشذرات الذهب ٢/ ٥، وتاريخ الإسلام (السنوات ٢٠١ ـ ٢١٠هـ) ص١٠٩ رقم ٩١.

وقال أحمد بن عبد الله: كان حسين يقرىء القرآن، ورأس فيه، ولم أرَ رجلاً قطّ أفضل منه، وهو ثقة، ولم نره إلاّ مقعداً، ولم يطأ قطّ، وكان جميلاً لباساً يخضب، وخلّف ثلاثة عشر ديناراً.

وقال يحيى بن يحيى النيسابوري: إن كان بقي من الأبدال أحد، فحسين الجعفي.

توفي في ذي القعدة سنة ثلاث ومائتين عن أربعٍ وثمانين سنة.

ومنهم:

[٢٠]
قالون[١] أبو موسى[٢]

واسمه عيسى بن ميناء بن وردان بن عيسى الزرقي، مولى بني زهرة.

قارىء أهل المدينة في زمانه، ونحويهم. كان لأهل المدينة المشرّفة حلية مسجدهم، وزينة معبدهم، وأنس قائمهم ومتهجّدهم، لا يذمّ فيه المغالون، ولا يطاول به المتغالون، تزاحم عليه القراء حلقاً، وتوكل به أسماعاً وحدقاً، وهم لسواه قالون، وإليه غاية منتهاهم.

إذا قال قالون، غَني بإفادة التربية عن شافع، وكفى في ثبوت فضله، فلم يحتج إلى إبداء دافع، ووقي فلم يخشى ضرّاً إذ أخذ عن نافع، قيل: إنه كان ربيب نافع.

وهو الذي لقبّه قالون؛ لجودة قراءته، وهي لفظة رومية معناها جيد، فلم يزل يقرأ على نافع حتى مهر، وحذق، وتبتّل لإقراء القرآن والعربية، وطال عمره وبعُد صيته.

وكان شديد الصمم، وكان يقول للقارئ: لو رفَعت صوتك لا إلى غاية لا

---

(١) واسم قالون عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى الزُّرقيّ، مولى الزهريين. أبو موسى المدنيّ النَّحوي، ومعلم العربية. يقال إنه ربيب نافع، وهو الذي لقبه قالون بجودة قراءته.
وقالون معناه جيد، وهي لفظة رومية «معجم الأدباء ١٦/ ١٥٢».

(٢) ترجمته في: الجرح والتعديل ٦/ ٢٩٠، ومعجم الأدباء ١٦/ ١٥١ـ ١٥٢ رقم ٢٤، والعبر ١/ ٣٨٠، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٥٥ـ ١٥٦ رقم ٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/٣٢٦ـ ٣٢٧ رقم ٧٩، وميزان الاعتدال ٣/ ٣٢٧ رقم ٦٦٢١، ودول الإسلام ١/ ١٣٣، ومرآة الجنان ٢/ ٨٠، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٨٣، والوفيات لابن قنفذ ١٦٦، وغاية النهاية ١/ ٦١٥ـ ٦١٦ رقم ٢٥٠٩، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٥، وشذرات الذهب ٢/ ٤٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٢١١ ـ ٢٢٠هـ) ص ٣٥٠ رقم ٣٢٧.

يسمع، وكان ينظر إلى شفتي القارىء فيردّ عليه اللحن والخطأ.

وقال قالون؛ قال لي نافع: إلى كم تقرأ؟ /١٠٣/ اجلس إلى أسطوانة حتى أرسل إليك من يقرأ.

وتوفي سنة عشرين ومائتين، وله نيِّف وثمانون سنة.

ومنهم:

[٢١]

خلاّد بن خالد(١)

وقيل: ابن عيسى أبو عيسى، وقيل: أبو عبد الله الشيباني، مولاهم الصيرفي، الكوفي الأحول، المقرىء، صاحب سُليم، /١٠٤/ وساحب ذيل ما تكشَّف عن مثله غيم. الصيرفي الذي لا يدخل عليه زيف، الكوفي الذي لا يُسأل عن شيء وجهه بكيف، له فضل نفس ووالد، وحسن ذكر، إن نسب إليه، فهو خلاد، أو إلى أبيه، فهو خالد.

أقرأ الناس مدّة، وحدّث عن زهير بن معاوية، والحسن بن صالح بن حيّ، وقرأ عليه محمد بن شاذان الجوهري، ومحمد بن الهيثم قاضي عُكبرا، ومحمد بن يحيى الخُنيسي، والقاسم بن يزيد الوزّان، وهو أنبل أصحابه، وحدّث عنه أبو زرعة، وأبو حاتم، وكان صدوقاً.

توفي سنة عشرين ومائتين.

/ تتمة ١٠٣/ ومنهم:

[٢٢]

أحمد بن عبد الله بن القاسم بن أبي بزّة أبو الحسن البَزّي المكي(٢)

قارىء مكة، ومؤذن المسجد الحرام، ومولى بني مخزوم.

---

(١) ترجمته في: التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ١٨٩ رقم ٦٤٠، والتاريخ الصغير له ٢٢٧، والجرح والتعديل ٣/ ٣٦٨ رقم ١٦٧٦، والنشر في القراءات العشر ١/ ١٦٦، والعبر ١/ ٣٧٩، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٧٣ رقم ٢٥، والوافي بالوفيات ١٣/ ٣٧٥ رقم ٤٧١، وغاية النهاية لابن الجزري ١/ ٢٧٤ رقم ١٢٣٨، وشذرات الذهب ٢/ ٧٤، والأعلام ٢/ ٣٠٩، تاريخ الإسلام (السنوات ٢١١ ـ ٢٢٠هـ) ص١٤١ رقم ١١٨.

(٢) ترجمته في: معرفة القراء الكبار ١/ ١٧٣، المعرفة والتاريخ ١/ ٧٠٣، غاية النهاية ١/ ١١٩، الجرح والتعديل ٢/ ٧١.

ثلاثة لكلٍّ منها فضل معلوم، يقرأ كتاب الله المنزل لدن بيته الحرام، ويُؤذنُ، والمؤذن ثاني الإمام، ومولى القوم منهم. ومن له بأن يكون من قريش ومنهم النبي ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ وهو ممن أقرأ في أواخر المفصّل بالتكبير، وبه إلى الآن يُعمل، إذا ختم كتاب الله المنير.

مولده سنة سبعين ومائة. وقرأ القرآن على عكرمة بن سليمان، وأبي الأخريط وعبد الله بن زياد، عنهم أخذه عن إسماعيل بن عبد الله القسط، واذَّن في المسجد الحرام أربعين سنة، وأقرأ الناس بالتكبير من ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾.

وروى في ذلك خبراً غريباً عن عكرمة بن سليمان، قال: قرأت على القسط؛ فلّما بلغت ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾، قال: كبّر عند خاتمة كل سورة حتى تختم.

وأخبره ابن كثير أنه قرأ على مجاهد، فأمره بذلك، وأخبره مجاهد: أنَّ ابن عباس أمره بذلك، وأخبره ابن عباس أن أُبيّ بن كعب أمره بذلك، وأخبره أُبيّ أن النبي ﷺ أمره بذلك.

قال الحاكم: هذا صحيح الإسناد.

وقال الحسين بن الحباب: سألتُ البزيّ: كيف التكبيرُ؟ فقال: لا إله إلاّ الله والله أكبر.

توفي البزي سنة خمسين ومائتين.

ومنهم:

[٢٣]

خلف بن هشام بن ثعلب، أبو محمد البغدادي[1] المقرىء البزار

أحد الأعلام، وحدّ الكلام، الذي أنفق للتحصيل ما شاء مالاً، وأنفذَ لما تبقى

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٤٨، ومعرفة الرجال برواية ابن محرز ٢/ ٥٠٧، والعلل لأحمد ١/ ٣٨٩، والتاريخ الكبير للبخاري ٣/ ١٩٦ رقم ٦٦٦، وتاريخه الصغير ٢٣١، والكنىٰ والأسماء لمسلم، ورقة ٩٩، والمعارف لابن قتيبة ٥٣١، وأنساب الأشراف للبلاذري ٣/ ٨، ٣٠، ٣٣، ٣٨، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ٤٥ و٣/ ١٨، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ٩٥، وتاريخ الطبري ١/ ٣٣٣، والجرح والتعديل ٣/ ٣٧٢ رقم ١٦٩٥، والثقات لابن حبان ٨/ ٢٢٨، وأخبار النحويين للسيرافي ٢١، وطبقات النحويين للزبيدي ٢١، وسنن الدار قطني ١/ ١٤٨، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه ١/ ١٨٨ـ ١٨٩ رقم ٣٩٤، وطبقات الصوفية للسلمي ٨٦، ٨٠، والسابق واللاحق للخطيب ٦٣، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٢٢، والجمع بين رجال =

مالا. فضل بفضله من سلف، وخلّى وراءه في الأعقاب شكراً لا يذمّ معه خلف، كان بزاراً، إلاّ أنه ينشر حُللاً لا ترقم الأنامل طُرزَها، ولا ترقى يد الدهر الغالبة لتبتزّها، ولا تحكى سجوف الغمام في الرفع بزّها، ولا يُصنع مثلها صنعاً إذا جئت تعزها.

له اختيار أقرأ به، وخالف فيه حمزة، وكان عابداً فاضلاً.

قال حمدان بن هانىء المقرىء: سمعتُ خلف بن هشام يقول: أشكل باب من النحو، فأنفقتُ ثمانين ألف درهم حتى حذقته.

وقال خلف: أعدت الصلاة أربعين سنة، كنت أتناول فيها الشراب على مذهب الكوفيين.

وقال إدريس: سمعتُ خلفاً يقول: قرأتُ القرآن على سُليم مراراً، وكنت أسأله عند الفراغ من آخر القرآن: أأروي عنك هذه القراءة التي قرأت عليك عن حمزة الزيات؟، فيقول: نعم.

وسمعتُ خلفاً يقول: حفظت القرآن، وأنا ابن عشر سنين، /١٠٥/ وأقرأت أول شيء، ولي ثلاث عشرة سنة. وورد: إن خلفاً كان يصوم الدهر.

وقال: قدمتُ الكوفة، فصرتُ إلى سليم، فقال لي: ما أقدمك؟، قلت: أقرأ على أبي بكر بن عياش، فقال: ألا تريده؟، قلت: بلى، فدعا ابنه، وكتب معه ورقة إلى أبي بكر لم أدر ما كتب فيها، فأتيناه فقرأ الورقة، وصعد فيَّ النظر، ثم قال: أنت خلف؟، قلت: نعم، قال: أنت لم تخلف أحداً ببغداد أقرأ منك، فسكتُّ، فقال لي:

= الصحيحين لابن القيسراني ١/ ١٢٥ رقم ٤٩١، والأنساب لابن السمعاني ٢/ ١٨٢ـ ١٨٣، والمعجم المشتمل لابن عساكر ١١٥ رقم ٣٢٠، والإرشاد للخليلي (طبعة ستنسل) ١/ ٤٧، ومعجم البلدان ٣/ ٨٩٠، واللباب لابن الأثير ١/ ١٤٦، والكامل في التاريخ ٧/ ١١، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٣، وتهذيب الكمال للمزي ٨/ ٢٩٩ ـ ٣٠٣ رقم ١٧١٣، والعبر ١/ ٤٠٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٧٦ ـ ٥٨٠ رقم ٢٠٣، ودول الإسلام ١/ ١٣٨، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٠٨ ـ ١١٠ رقم ١٠٣، والكاشف ١/ ٢١٥ رقم ١٤١٥، ومرآة الجنان ١/ ٩٨، وغاية النهاية ١/ ٢٧٢ـ ٢٧٣ رقم ١٢٣٥، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ١٥٣، ١٥٤ رقم ٢٠٧، ومرآة الجنان ٢/ ٩٨، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٠٢، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٣٢، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٢٣، والنشر في القراءات العشر ١/ ١٩١ـ ١٩٢، وتهذيب التهذيب ٣/ ١٥٦ـ ١٥٧ رقم ٢٩٧، وتقريب التهذيب ١/ ٢٢٦ رقم ١٤٦، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ١٦٣ـ ١٦٤ رقم ١٦٢، والوافي بالوفيات ١٣/ ٣٥٨ رقم ٤٤٢، وتاريخ الخميس للديار بكري ٢/ ٣٧٦، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٠٦، وشذرات الذهب ٢/ ٦٧، والأعلام ٢/ ٣١١.

اقعد، هات اقرأ، قلتُ: عليك؟، قال: نعم.

قلت: لا والله لا أقرأ على رجل يستصغر رجلاً من حملة القرآن، فوجه إلى سليم يسأله أن يردّني، فأبيت، ثم ندمت، واحتجبت، فكتبت قراءة عاصم عن يحيى بن آدم عنه.

توفي في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين، ومولده سنة خمسين ومائة.

ومنهم:

[٢٤]

الليث بن خالد، أبو الحارث البغدادي(١)

المقرىء، ذو العلم المروي، والفهم المؤدي، لا يوصف باع من نكل عنه بالقصور، ولا يطاق مسه مغالبة الليث الهصور.

لا تكشف عن مجادلته المباحث، ولا تقتحم عليه غايته، وهو الليث، وهو أبو الحارث.

تُقَدِّمه آفاق العراق حيث تعد جلّتها وتنقع أكناف بغداد به ما لا يُبلّ أوامه دجلتها.

وكان صاحب الكسائي، والمقدم من بين أصحابه، قرأ عليه، وسمع الحروف من حمزة بن قاسم الأحول، وأبي محمد اليزيدي.

قال أبو عمرو: وقد غلط أحمد بن نصر في نسبته، فقال: الليث بن خالد المروزي، وذلك رجل آخر سمع من مالك بن أنس وجماعة، يكنّى أبا بكر.

وممن قرأ على الليث سلمة بن عاصم، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير.

وتوفي سنة أربعين ومائتين.

ومنهم:

[٢٥]

عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذَكْوان(٢)، أبو عمرو /١٠٦/ البهراني الدمشقي

مقرىء دمشق، وإمام الجامع، ومُدام حانها، إلاّ أنه الذي يُشرَبُ بالمسامع،

---

(١) ترجمته في: تاريخ بغداد ١٣/ ١٦ رقم ٦٩٧١، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٣١ ـ ٢٤٠هـ) ص٣٠٥ رقم ٣٣٤.

(٢) ترجمته في: المعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ١٢٢، ٢٠٠ و٣/ ١٥٩، والجرح والتعديل ٥/ ٥ رقم =

حاش لله، بل هو مصباح مسجدها، وضوء فرقدها، وأثبت ما تَعُدّه منها إرم ذات العماد من عُمدها، ما الذي يوصف منه بالمدام إن لم يكن خُلقه الدمث، ووجهه المنبسط، وكفّه المنبعث، لا بل هو أرقُّ هواءً، وأقلّ شغباً من المدام والتواءً، بل هو النار تَوَقُّدَ ذِهْنٍ، وتوفُّر حِلم يغدو والجبال معه كالعهن، كأنَّ الذكاء أربى لابن ذكوان، والفطنة لا يشاركه فيها شريكٌ إلاّ توقُّد ذكاء، إنْ كان.

ولد يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين، وقرأ على أيوب بن تميم، وغيره.

وقيل: إنَّ الكسائي قدم دمشق فقرأ عليه ابن ذكوان.

قال أبو زرعة: لم يكن بالعراق، ولا بالحجاز، ولا بالشام، ولا بمصر، ولا بخراسان في زمن ابن ذكوان أقرأ عندي منه.

وقال محمد بن الفيض الغساني: جاء رجل من الحرجُلّة يطلب لأخيه لعّابين لعُرسه، فوجد ولي الأمر قد منعهم، فجاء يطلب المغبّرين، فلقيه صوفي ماجن، فأرشده إلى ابن ذكوان؛ وهو خَلْفَ المنبر فجاءه، وقال: إنَّ السلطان قد منع، فقال: أحسن والله.

فقال: نعمل العرس بالمغبرّين، وقد أرشدت إليك، فقال: لنا رئيس، فإن جاء معك، جئت، وهو ذاك، وأشار إلى هشام بن عمار، فقام الرجل إليه، وهو متكىء بحذاء المحراب، فقال لهشام: أبو من؟ فردَّ عليه ردّاً ضعيفاً، وقال أبو الوليد؛ قال: يا أبا الوليد أنا من الحرجلة، قال: لا أبالي من أين كنت، قال: إنَّ أخي يعمل عُرسه، قال: فماذا أصنع؟، قال: قد أرسلني أطلب المخنثين له يعني المغاني - قال: لا بارك الله فيهم ولا فيك، /١٠٧/ قال: وقد طلب المغبّرين، فأرشدت إليك، قال: ومن

= ٢٦، والثقات لابن حبان ٨/ ٣٦٠، وتاريخ دمشق ط الفكر ٢٧/ ٦ـ ١١ رقم ٣١٤٠، وتهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٢٧٩ـ ٢٨٠، و(طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق) ٢٩٦ - ٣٠٠ رقم ١٣٦، والمعجم المشتمل لابن عساكر ١٥١ رقم ٤٦٠، والتذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ١٦٥، وتهذيب الكمال للمزي ١٤/ ٢٨٠ - ٢٨٣ رقم ٣١٥٥، والعبر ١/ ٤٣٧، والكاشف ١/ ٦٣ رقم ٢٦٤٩، والمعين في طبقات المحدثين ٨٦ رقم ٩٤١، ودول الإسلام ١/ ١٤٧، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٩٨ - ٢٠١ رقم ٩٢، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٤، والوافي بالوفيات ١٧/ ٢٠ رقم ١٧، وغاية النهاية ١/ ٤٠٤ـ ٤٠٥ رقم ١٧٢٠، والوفيات لابن قنفذ ١٧٧ رقم ٢٤٢، وتهذيب التهذيب ٥/ ١٤٠ـ ١٤١ رقم ٢٤٣، وتقريب التهذيب ١/ ٤٠١ رقم ١٧٦، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٩٠، وشذرات الذهب ٢/ ١٠٠، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٣/ ١٥٩ـ ١٦٠ رقم ٨٣٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٤١ - ٢٥٠هـ) ص رقم ٢٣٤.

أرشدك؟، قال: ذاك الرجل، فرفع هشام رجله، ورفسه، وقال: قم، ثم صاح: يا ابن ذكوان قد تفرغت لهذا؟، قال: أي والله أنت رئيسنا، لو مضيت، لمضينا.

وقيل: إنَّ هشاماً كان الخطيب، وكان ابن ذكوان يؤمّ في الصلوات، أو لعله كان نائب هشام.

وتوفي ابن ذكوان يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

ومنهم:

[٢٦]

هشام بن عمّار بن نُصَير بن مَيْسَرة، أبو الوليد السلمي[1]، ويقال: الظفري الدمشقي

شيخ أهل دمشق، ومفتيهم، ومحّدثهم، وخطيبهم، ومقرئهم.

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٤٧٣، والتاريخ الكبير للبخاري ٨/ ١٩٩ رقم ٢٧٠١، والتاريخ الصغير، له ٢٣٥، والمعارف لابن قتيبة ٦٢٤، والمعرفة والتاريخ للفسوي (انظر فهرس الأعلام) ٣/ ٨٠٩، وعمل اليوم والليلة للنسائي ٣٩٨ رقم ٦١٥، وأنساب الأشراف للبلاذري ٣/ ٥، ١٤، ٧٨، ٨٥، ٢٨٨ و٤ق/ ١٥ ـ ١٧، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣٢، ٤٠، ٤٥، ٥٩، ٧٤، ٧٦، ٧٩، ١٠٨، ١٠٩، ١١٨، ١٢٦، ١٣١، ١٤٥ ـ ١٤٧، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٧٨، ٣٥٧ ـ ٣٥٩، ٤٤٥، ٤٤٦، ٥٠٢، ٥١٢، ٥٢٣، ٥٥٦، وفتوح البدان لوكيع ٣/ ٢٠١، وتاريخ الثقات للعجلي ٤٥٩ رقم ١٧٤١، والجرح والتعديل ٩/ ٦٧٧٦٦ رقم ٢٥٥، والثقات لابن حبان ٩/ ٢٣٣، مروج الذهب للمسعودي ٢٩٧٦، والبدء والتاريخ للمقدسي ١/ ٦٣، والفهرست لابن النديم ٥٥، وسُنن الدارقطني ١/ ٥٥ رقم ٦، والعيون والحدائق لمجهول ٣/ ١٤٣، والمستدرك على الصحيحين ١/ ٢٢٩، وفيه «هشام بن عمارة» وتاريخ جرجان للسهمي ٢٣٥، ٢٨١، ٣٨٠، ٤١٣، ٤٨٤، ٥١٨، والسابق واللاحق للخطيب ٣٦٣، والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ٢/ ٥٤٨ـ ٥٤٩ رقم ٢١٣٦، وذم الهوى لابن الجوزي ٦٥، ١٥٥، والمعجم المشتمل لابن عساكر ٣١٢ رقم ١١٢٠، وتاريخ دمشق ط الفكر ٧٤/ ٣٢ـ ٣٦ رقم ١٠٠٦٢، والإرشاد للخليلي (طبعة ستنسل) ٢/ ٣٧ ـ ٤٠، ٥٦، ومعجم البلدان ١/ ٢٦٦، وتهذيب الكمال (المصور) ٣/ ١٤٤٣ ـ ١٤٤٥، والكاشف ٣/ ١٥٩، والمغني في الضعفاء ٢/ ٧٣ رقم ٦٧٥٥، وميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤ رقم ٩٢٣٤، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٢٠ ـ ٤٣٥ رقم ٩٨، ودول الإسلام ١/ ١٤٨، والعبر ١/ ٤٤٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٥١، والمعين في طبقات المحدثين ٩١ رقم ١٠٢٣، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٩٥ ـ ١٩٨ رقم ٦٠٧٨، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٤٥، وغاية النهاية ٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٦ رقم ٣٧٨٧، والاغتباط لمعرفة من رُمي بالاختلاط ١٠٥ رقم ١١٩، ومشارع الأشواق للدمياطي ٢/ ٧٥٢، وتهذيب التهذيب ١١/ ٥١ ـ ٥٤ رقم ٩٠، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٢٠ رقم ٩٣، ولسان الميزان ٧/ ٤١٩ رقم ٥١٠٤، وطبقات =

رفعت به سليم رايتها الحمراء، ومهدت له دمشق ربوته الخضراء. ونسب إلى ميسرة، فتيسّر ما صعب من أمله القصي، وظفر بإجابة دعائه.

فلا عجب أن عرف بالظَفَري. تيمن به المنبر، منبر المسجد الجامع، وتفنن، فأودع الدرّ المسامع، وحدّث، وخطب، وأقرأ، وهو في هذا أحمد، وفي هذا قُسّ، وفي هذا نافع.

ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة، وقرأ القرآن على عراك بن خالد، وأيوب بن تميم، وغيرهما من أصحاب يحيى الذماري، وسَمِعَ من مالك بن أنس، وخلقٍ كثير.

وحدّث عنه البخاري في صحيحه، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه في سننهم، وحدَّث الترمذي عن رجل عنه.

وكان طلاّبةً للعلم، واسع الرواية، متبحراً في العلوم، روى عنه عبدان الأهوازي، قال: ما أعدتُ خطبةً منذ عشرين سنة.

وقال عبدان أيضاً: ما كان في الدنيا مثل هشام.

وقال محمد بن خُريم: كان هشام فصيحاً، /١٠٨/ مفوّهاً، سمعته يقول في خطبته: «قولوا الحقّ، يُنْزلكم الحقّ منازل أهل الحق، يوم لا يقضى إلاّ بالحق».

وقال هشام: سألتُ الله سبع حوائج، سألته: «أن يغفر لي ولوالدي، فما أدري ما صنع في هذهِ؟ وسألته الستة، فقضاهنَّ لي؛ وهي: الحج، والعمرة، وأن يعمرني نحو المائة، وأن يجعلني مصدّقاً على حديث نبيّه، وأن أخطب على منبر دمشق، وأن يرزقني ألف دينار حلالاً، وأن يغدو الناس إليَّ في طلب العلم، فقيل له: من أين لك الذهب؟، قال: وجه المتوكل بولده؛ ليكتب عني لما قدم إلينا، فجلستُ، فانكشف ذكري، فقال الغلام: يا عم أستر، فقلت: رأيتَه؟ أمَا إنك لن ترمد، فلمّا دخل على المتوكل، ضحك، فسأله، فأخبره، فقال: حسن من الشيخ. احملوا إليه ألف دينار، فحملت إليَّ من غير مسألة، ولا استشراف نفس.

وكان يخطب، ويُصلي بالناس الجمعة فقط.

= المفسرين للداودي ٢/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣ رقم ٦٦٧، وطبقات الحفاظ للسيوطي ١٩٧، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٢١، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤١٢، وشذرات الذهب ٢/ ١٠٩ـ ١١٠، والأعلام ٩/ ٥٦٧، وتاريخ التراث العربي ١/ ١٦٦، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٥/ ١٤٥ـ ١٤٦ رقم ١٧٧٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٤١ ـ ٢٥٠هـ) ص٥٢٠ رقم ٥٧٥ .

وقال أبو علي الأصبهاني: لما توفي أيوب بن تميم، رجعت الإمامة في القراءة إلى رجلين: ابن ذكوان، وهشام.

قال: وهشام كان مشتهراً بالنقل، والفصاحة، والعلم، والرواية، والدراية، رزق كبر السن، وصحة العقل، والرأي، فارتحل الناس إليه في القراءات، والحديث، زاد على ابن ذكوان بأخذه القراءة عن الوليد بن مسلم وسويد بن عبد العزيز، وصدقة بن يحيى، وغيرهم.

قال البخاري وغيره: ـ مات في آخر المحرم سنة خمسٍ وأربعين ومائتين.

ومنهم:

[٢٧]

أبو عمر الدوري(١)

واسمه حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صُهبان، ويقال: صُهيَب الأزدي، البغدادي المقرىء، النحوي، الضرير، نزيل / ١٠٩/ سامراء، مقرىء الإسلام، وشيخ العراق في وقته، والمنحطّ درجة كل كوكب عن سَمْتِه.

يقال: إنه أول من جمع القراءات، والَّفها، وبيَّن للناس الروايات، وأحرفها. وكان ممن تضرب إليه الإبل آباطَها، وتشدّ إليه الكران مناطَها، وتأتي إليه

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد٧/ ٣٦٤، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ٤١، والجرح والتعديل ٣/ ١٨٣ـ ١٨٤ رقم ٧٩٢، والثقات لابن حبان ٨/ ٢٠٠ وفيه: «صهبان» بدل: «صُهيب»، والفهرست لابن النديم ٢٨٧، والسابق واللاحق للخطيب ٣٢٢، وتاريخ بغداد ٨/ ٢٠٣، والأنساب لابن السمعاني ٥/ ٣٥٦، والمعجم المشتمل لابن عساكر ١٠٨ـ ١٠٩ رقم ٢٩٣، واللباب لابن الأثير ١/ ٥١٢ـ ٥١٣، ومعجم الأدباء ٤/ ١١٨، وتهذيب الكمال للمزي ٧/ ٣٤ ـ ٣٧ رقم ١٤٠١، والمغني في الضعفاء ١/ ١٨١ رقم ١٦٣٨، وميزان الاعتدال ١/ ٥٦٦ رقم ٢١٥٤، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٩١ـ ١٩٢ رقم ٨٧، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٤١ ـ ٥٤٣ رقم ١٥٩، والكاشف ١/ ١٧٩ رقم ١١٦٤، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٠٦، ودول الإسلام ١/ ١٤٨، والعبر ١/ ٤٤٦، وغاية النهاية ١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧ رقم ١١٥٩، والوافي بالوفيات ١٣/ ١٠٢ رقم ١٠٦، ونكت الهميان ١٤٦، والوفيات لابن قنفذ ١٧٩ رقم ٢٤٦، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٧٨، وتهذيب التهذيب ٢/ ٤٠٨ رقم ٧١٤، وتقريب التهذيب ١/ ١٨٧ رقم ٤٥٤، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٢٣، والنشر في القراءات العشر ١/ ١٣٤، ومفتاح السعادة ٢/ ٣٣، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ١٦٢ـ ١٦٣، وخلاصة تذهيب التهذيب ٨٧، وشذرات الذهب ٢/ ١١١، والأعلام ٢/ ٢٦٤، ومعجم المؤلفين ٤/ ٦٩، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٤١ ـ ٢٥٠هـ) ص رقم ١٦٦.

أفواج الطلبة لا تمدُّ عليهم سجوف المجَّرة أنماطَها، ولا تفرش لهم إلاّ نمارق البيد بساطَها، وتقتحم إليه حوامل المزن ترمي إليه من زناد البروق أسقاطَها، وتخوض إليه لجُجُ الليل لا تستسقي إليه من نجوم الجوزاء أرشيتها، ولا من كواكب الدلو أقساطَها.

قرأ على إسماعيل بن جعفر، والكسائي، ويحيى اليزيدي، وسمع الحروف من أبي بكر، وروى عن أحمد بن حنبل، وهو من أقرانه، وطال عمره، وقصد من الآفاق وازدحم عليه الحُذَّاق؛ لعلوّ سنده، وسعة علمه.

قال الدوري: قرأتُ على إسماعيل بن جعفر ختمة بقراءة أهل المدينة، وأدركت حياة نافع، لو كان عندي عشرة دراهم لرحلت إليه.

وقال الأهوازي: رحل الدوري في طلب القراءات، وقرأ بالحروف السبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئاً كثيراً، وذهب بصره في آخر عمره، وكان ذا دين وخير.

وقال أبو داود: رأيتُ أحمد بن حنبل يكتب عن عمر الدوري.

توفي في شوال سنة ستٍ وأربعين ومائتين.

والدور المنسوب إليها الدوري محلّة معروفة بالجانب الشرقي من بغداد.

ومنهم:

[٢٨]

أبو شُعيب السُوسي

واسمه صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل الرُستُبيُّ الرقي[1].

حسبُك به من صالح، ومن ابن زياد؛ لأنه بالزيادة رابح، ومن أبي شعيب تشعبت

---

(١) ترجمته في: الكنى والأسماء للدولابي ٢/ ٩٨، والجرح والتعديل ٤/ ٤٠٤ رقم ١٧٦٦، والثقات لابن حبان ٨/ ٣١٩، وطبقات الحنابلة ١/ ١٧٦، ١٧٧ رقم ٢٣٥، والأنساب ٧/ ١٩٠، والمعجم المشتمل ١٤٢ رقم ٤٢٧، وتهذيب الكمال ١٣/ ٥٠ ـ ٥٢ رقم ٢٨١٣، والعبر ٢/ ٢٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٩، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٨٠ـ و٣٨١ رقم ١٦٤، والكاشف ٢/ ١٩، رقم ٢٣٦٢، والمعين في طبقات المحدثين ٩٧ رقم ١٠٩١، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٩٣ رقم ٨٨، والوفيات لابن قنفذ ١٥٥، ومرآة الجنان ٢/ ١٧٣، والوافي بالوفيات ١٦/ ٢٥٨ رقم ٢٨٦، وغاية النهاية ١/ ٣٣٢ـ ٣٣٣ رقم ١٤٤٦، وتهذيب التهذيب ٤/ ٣٩٢ رقم ٦٦٠، وتقريب التهذيب ١/ ٣٦٠ رقم ٢٤، وخلاصة التذهيب ١٧٠، وشذرات الذهب ٢/ ١٤٣، والمغني في الضعفاء ١/ الترجمة ٢٨٢٩، تهذيب الكمال «تحقيق د. بشار عواد معروف» ١٣/ ٥٠ حاشية ٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ ـ ٢٨٠ هـ) ص ١٠٨ رقم ٧٦.

طرق رواته، ومن رُستبي يُنْمى في ثرى إسماعيل عرق شجراته. قرأ، وسمع، وَتَبع، وجَمَعَ القراءة، ثم له جُمِعَ، ما عرف / ١١٠/ قبله رقيّ تُرهفُ الأبصار نواحيه، ولا سوسي غيره لا يرغب إلاّ فيه.

قرأ القرآن على اليزيدي، وسمع بالكوفة عبد الله بن نمير، وأسباط بن محمد، وبمكة سفيان بن عيينة، وقرأ عليه جماعة وأخذ عنه الحروف أبو عبد الرحمن النسائي.

قال المروذي: أخبرت أحمد بن حنبل أنَّ أبا شُعيب السوسي الرقي زوّج بنته رجلاً؛ فلما وقف في القرآن، فرَّق بينه وبين ابنته، وقد كان شاور النفيلي، فأمره أن يفرّق بينهما، فقال أحمد: أحسن السوسي ـ عافاه الله ـ.

ومات السوسي في أول سنة إحدى وستين ومائتين، وقد قارب تسعين سنة.

ومنهم:

[٢٩]

قُنْبل(١)

مقرىء أهل مكة، أبو عمر، محمد بن عبد الرحمن المخزومي مولاهم، المكي، والبحر الزاخر لا الرُّكيّ؛ كأنه ما سميّ قُنبل إلاّ فراسةً صدقت بأنه ينبل، رزن وقد خفت الأجبل، وجمع وقد انبتت الأحبل وأقرأ بمكة المعظمة، وولي شُرطتها، وما نقصه ولايتها، ولا غصَّصه غايتها، وكان بها في سُرّة بطحائها، تسبل عليه الكعبة الغراء ستورها، وتشكر الصفا والمروة لمساعيه بينهما مرورها، وتشرق به ليالي منًى حتى كأنها منه بسنى الصباح تطرف، وتشرف منه ثنيته كُديٍّ وكداء على ما لا ينفرد به جمع، ولا ينكره المعرف.

جوَّد القراءة على أبي الحسن القواس، وأخذ القراءة عن البزي أيضاً، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، وقرأ عليه خلق كثير منهم: أبو بكر بن مجاهد، وأبو الحسن بن شنبوذ، وولي الشرطة بمكة في وسط عمره، فحمدت سيرته، ثم إنه طَعَن في السن، وشاخ، وقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين.

---

(١) ترجمته في: معجم الأدباء ٦/ ٢٠٦ـ ٢٠٧، ودول الإسلام ١/ ١٧٦، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٣٠ رقم ١٢٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٩، والمشتبه في أسماء الرجال ٢/ ٥٣٦، ومرآة الجنان ٢/ ٢٢٠، والبداية والنهاية ١١/ ٩٩، والوافي بالوفيات ٣/ ٢٢٦ـ ٢٢٧، والعقد الثمين ٢/ ١٠٩ـ ١١٠، والوفيات لابن قنفذ ١٩٠، وغاية النهاية ٢/ ١٦٥ـ ١٦٦ رقم ٣١١٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٩١ ـ ٣٠٠هـ) ص رقم ٣٤٩.

قيل: إنه كان يستعمل دواء يسقى للبقر يُسمى «قُنيبل»؛ فلما أكثر /١١١/ من استعماله عرف به، ثم خفّف، وقيل: «قُنبل»، وقيل: بل هو من قوم يقال لهم القنابلة.

مولده سنة خمسٍ وتسعين ومائة، وتوفي سنة إحدى وتسعين ومائتين.

ومنهم:

[٣٠]

أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد[١]

شيخ العصر أبو بكر البغدادي الأستاذ مصنف كتاب «القراءات السبعة»، ومشنّف من أمال إليه سمعه، لم يكن في زمانه أكثر منه عدد طالب، ومدد راغب، وجدد فوائد تفضُّ بها المذاهب، منّور الإناء بقراءات لا يُوْني في تلاوتها، ولا يُولي وجهه صاداً عن إبلاغ أمانتها، حتى قُصد من شاسع الأرجاء، وأقدم على التحصيل منه طامع الرجاء، وكان عصره به ضحى، وبقي فضله أثراً على جبين الدهر إلاّ أنه ما انمحى.

قرأ على ابن عبدوس عشرين ختمة، وعلى قنبل المكي، وسمع القراءات من طائفة كثيرة ذكرهم في صدر كتابه، وسمع الحديث، وتصدّر للإقراء، وازدحم عليه أهل الأداء، ورُحل إليه من الأقطار، وبعُد صيته، وفاق في عصره سائر نظراته من أهل صناعته، مع اتساع علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وظهور نسكه.

وتصَّدر للإقراء في حياة محمد بن يحيى الكسائي الصغير.

قال أبو الحسن بن سالم البصري: سمعتُ ابن مجاهد يقول: رأيتُ ربّ العزَّة في المنام، فختمت عليه ختمتين، فلحنت في موضعين، فاغتممت، فقال: يا ابن مجاهد، الكمالُ لي، الكمال لي.

---

(١) ترجمته في: الفهرست لابن النديم ٤٧، وتاريخ بغداد ٥/ ١٤٤ ـ ١٤٨، والمنتظم ٦/ ٢٨٢، ٢٨٣، ومعجم الأدباء ٥/ ٦٥ ـ ٧٣، والكامل في التاريخ ٨/ ٣٢٨، ودول الإسلام ١/ ١٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤ رقم ١٢١، والعبر ٢/ ٢٠١، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢١٦ ـ ٢١٨، والوافي بالوفيات ٨/ ٢٠٠، ومرآة الجنان ٢/ ٢٨٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٥٧ـ ٥٨، والبداية والنهاية ١١/ ١٨٥، وطبقات الشافعية للإسنوي، رقم ١٠٣٧، وغاية النهاية ١/ ١٣٩ ـ ١٤٢، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٩٣، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١٠٨ـ ١٠٩ رقم ٥٤، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٥٨، وشذرات الذهب ٢/ ٣٠٢، وكشف الظنون ١٤٣١، ١٤٤٨، وهدية العارفين ١/ ٥٩، وإيضاح المكنون ٢/ ٢٥٠، وديوان الإسلام ٤/ ٢٦١ـ ٢٦٢ رقم ٢٠١٥، والأعلام ١/ ٢٦١، ومعجم المؤلفين ٢/ ١٨٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٢١ ـ ٣٣٠هـ) ص١٤٤ رقم ١٦٤.

وحكى ابن الأخرم: أنه دخل بغداد، فرأى في حلقة ابن مجاهد نحواً من ثلاثمائة متصدرٍ، وسأل رجل أبا بكر بن مجاهد: لِمَ لا يختار الشيخ لنفسه حرفاً يُحمل عنه؟، فقال: نحنُ إلى أن نُعمِل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا أحوج منا إلى اختيار حرف / ١١٢/ يقرأ به من بعدنا.

وانفرد ابن مجاهد عن قنبل بعشرة أحرف لم يتابع عليها، وكان في حلقته أربعة وثمانون خليفة يأخذون عن الناس، وخمسة عشر رجلاً أُخر يتلقنون لعاصم.

ومولده سنة خمسٍ وأربعين ومائتين بسوق العطش ببغداد، وتوفي في شعبان سنة أربعٍ وعشرين وثلاثمائة.

ومنهم:

[٣١]

محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ البغدادي(١)

شيخ الإقراء بالعراق مع ابن مجاهد، ذو الرحلة التي وسعت الدنا، وسعت حتى لم يجد مركباً، ودعت إليه عَلَناً، ورعت حقّه حين صوّبت إليه أسنّةُ الأعداء أَلسُنا كان رجلاً متبحراً، وعالماً متكثّراً إلاّ أنه ما سلم من عثرة رُعي له فيها دينه، فأقيلت، وزلة إن لم يكن قصدها، فإنها قيلت.

قرأ القرآن على عدد كثير بالأمصار، وكان يرى جواز الصلاة بما جاء في مصحف أُبيّ، ومصحف ابن مسعود وبما صحّ في الأحاديث، ويتعاطى ذلك، وكان ثقة

---

(١) ترجمته في: الفهرست لابن النديم ٤٧ ـ ٤٨، وذكر أخبار أصبهان رقم ١٥٣٦ (طبعة جديدة) وتاريخ بغداد ١/ ٢٨٠ـ ٢٨١ رقم ١٢٢، والأنساب ٧/ ٣٩٥ـ ٣٩٦، ومعجم الأدباء ١٧/ ١٦٧ ـ ١٧٣، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٥١/ ١٦ـ ١٩ رقم ٥٨٧٧، والمنتظم ٦/ ٣٠٧ـ ٣٠٨، وطبقات المحدّثين بأصبهان لأبي الشيخ، رقم ٥٧٣، والكامل في التاريخ ٨/ ٣٦٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٩٩ ـ ٣٠١، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٩ رقم ١٩٢، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٤٤، والعبر ٢/ ١٩٥ـ ١٩٦، ودول الإسلام ١/ ٢٠١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦ رقم ١١٣، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٨٧، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٧٢، ومرآة الجنان ٢/ ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩١، والبداية والنهاية ١١/ ١٩٤ـ ١٩٥، والوافي بالوفيات ٢/ ٣٧ـ ٣٨، وغاية النهاية ٢/ ٥٢ـ ٥٦، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٧، وشذرات الذهب ٢/ ٣١٣ـ ٣١٤، وهدية العارفين ٢/ ٣٤، وديوان الإسلام ٣/ ١٨٦ رقم ١٣٠١، والأعلام ٥/ ٣٠٩، ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٣٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٢١ ـ ٣٣٠هـ) ص٢٣٣ رقم ٤٠١ .

في نفسه، صالحاً، ديناً، متبحراً في هذا الشأن، لكنه كان يحطّ على ابن مجاهد، ويقول: هذا العطشي لم تغبَّر قدماه في طلب العلم ـ يعني أنه لم يرحل من بغداد ـ وليس الأمر كذلك قد حجّ، وقرأ على قنبل، ولكن أين هو من سعة رحلة ابن شنبوذ، ولقيه الأعيان في الأقطار، وكان ابن شنبوذ إذا تاه رجل من القراء قال: هل قرأت على ابن مجاهد فإن قال: نعم، لم يقرئه.

قال أبو عمرو الداني: حدثت عن إسماعيل بن عبد الله الأشعري، حدثنا أبو القاسم بن زنجي الكاتب الأنباري، قال: حضرت مجلس الوزير أبي علي بن مقلة ـ وزير الراضي ـ وقد أحضر ابن شنبوذ، وجرت معه مناظرات في حروف حكي عنه أنه يقرأ بها، وهي شواذ، فاعترف منها بما عُرف مما عمل به محضر بِحضرة /١١٣/ أبي علي بن مقلة، وأبي بكر بن مجاهد ومحمد بن موسى الهاشمي، وأبي أيوب محمد بن أحمد وهما يومئذ شاهدان مقبولان.

نسخة المحضر:

«سُئل محمد بن أحمد بن أيوب ـ المعروف بابن شنبوذ ـ عمّا حكي عنه أنه يقرأه وهو «فامضوا إلى ذكر الله» فاعترف به وعن «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» فاعترف به، وعن «كل سفينة صالحة غصبا» فاعترف به، وعن «فاليوم ننجّيك ببدنك» فاعترف به، وعن «تبَّت يدا أبي لهب وقد تب» فاعترف به، وعن «فلما خرّ تبينت الإنس أن الجنّ لو كان يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين» فاعترف به، وعن «والذكر والأنثى» فاعترف به، وعن «فقد كذّب الكافرون فسوف يكون لزاماً» وعن «ينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم أولئك هم المفلحون» وعن «وفسادٍ عريض» فاعترف بذلك.

وفيه اعترف ابن شنبوذ بما في هذه الرقعة بحضرتي، وكتب ابن مجاهد بيده يوم السبت لستٍّ خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة».

ونقل ابن الجوزي ـ وغير واحدٍ ـ في حوادث سنة ثلاث هذه أن ابن شنبوذ أحضر، وأحضر عمر بن محمد بن يوسف القاضي، وابن مجاهد، وجماعة من القراء، ونُوظر، فاغلظ للوزير في الخطاب، وللقاضي، ولابن مجاهد، ونسبهم إلى قلّة المعرفة، وأنّهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر، فأمر الوزير بضربه سبع دِرَر، وهو يدعو على الوزير بأن يقطع الله يده، ويشتت شمله، ثم أوقف على الحروف التي يقرأ بها، فأهدر منها ما كان شنيعاً، وتوَّبوه عن التلاوة بها غصباً.

وقيل: إنه أُخرج من بغداد، فذهب إلى البصرة.

/ ١١٤/ ثم إنَّ ابن مقلة عُزل بعد نكبَة الشيخ بسنة واحدة، فجرى عليه من الإهانة بالضرب والتعليق والمصادرة أمر عظيم، ثم آل أمره إلى قطع يده ولسانه، وابن شنبوذ فما كان مصيباً فيما ذهب إليه، لكنّ خطأه في واقعة لا يُسقط حقّه من حرمة أهل القرآن والعلم، وكان الرفق أولى به من إقامته مقام الزُّعار والمفسدين، وكان اعتقاله والإغلاظ له كافياً.

وذكر ابن خلكان: أنَّ ابن شنبوذ كتب بخطّه ما صورته:

«يقول محمد بن أحمد بن أيوب ـ المعروف بابن شنبوذ ـ ما في هذه الرقعة صحيح، وهو قولي واعتقادي، وأُشهد الله ـ عزّ وجل ـ وسائر من حضر على نفسي بذلك، وكتب بخطّه، فمتى خالفت ذلك، أو بان مني غيره، فأمير المؤمنين في حلٍّ من دمي، وسعة؛ وذلك يوم الأحد لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة في مجلس الوزير أبي علي بن مقلة ـ أدام الله توفيقه ـ».

وكلَّم أبو أيوب السمسار الوزير أبا علي في أمره، وسأله إطلاقه، وعرّفه أنه إن صار إلى منزله، قتلته العامة، وسأله أن يُنفذه في الليل سرّاً إلى المدائن.

وتوفي ابن شنبوذ يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر سنة ثمانٍ وعشرين وثلاثمائة، وفيها هلكِ ابن مقلة.

ومنهم:

[٣٢]

محمد بن النضر بن مرّ بن الحرّ الربعي الإمام أبو الحسن بن الأخرم الدمشقي(١)

سيد ربيعة، وسند أهل الشريعة، وابن الحرّ الذي ما مسّه رقّ الضيعة، والفاخرة دمشق بطلوع نيِّره المحمديّ في أفقها، والرابية جنانها المزخرفة من أبيه النضر أينع من ورقها، والمتصدّر والناس دونه، والإمام وسهيل قائم، وصفوف النجوم، وراءه تتمنّى أن تكونه.

---

(١) ترجمته في: تاريخ دمشق ط الفكر ٥٦/ ١٢٠ـ ١٢٤ رقم ٧٠٧١، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٣٤ـ ٢٣٥، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٦٤ ـ ٥٦٦ رقم ٣٣٧، والعبر ٢/ ٢٥٧، والإعلام بوفيات الأعلام ١٤٤، والوافي بالوفيات ٥/ ١٣١، وغاية النهاية ٢/ ٢٧٠ـ ٢٧١، وشذرات الذهب ٢/ ٣٦١، وديوان الإسلام ١/ ١٦٤ ـ ١٦٥ رقم ٢٤٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٣١ ـ ٣٥٠هـ) ص رقم ٤٠٥.

/ ١١٥/ قرأ على هارون بن موسى بن شريك، وجعفر بن أحمد بن كُراز، وأحمد بن نصر بن شاكر، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالشام، وكانت له حلقة عظيمة، وتلامذة جلّة.

قال أبو عمرو الداني: روى القراءة عنه عرضاً جماعة لا يحصى عددهم.

قال علي بن داود: لما قدم ابن الأخرم بغداد، حضر مجلس ابن مجاهد، فقال لأصحابه: هذا صاحب الأخفش الدمشقي فأقرؤوا عليه.

قال الشنبوذي: قرأت على أبي الحسن بن الأخرم، فما رأيت أحسن معرفة منه بالقرآن، ولا أحفظ، وكان مع ذلك يحفظ تفسيراً كثيراً ومعاني. قال لي: إنَّ الأخفش لقنه القرآن.

وقال عبد الباقي بن الحسن؛ قال لي ابن الأخرم: قرأتُ على الأخفش، وكان يأخذ عليَّ في منزلي.

قال عبد الباقي: كان أبوه يخلّص للأخفش رزقه من السلطان في كلّ سنة.

وحكى الأهوازي عن ابن الأخرم؛ قال: قدمتُ بغداد سنة عشرين وثلاثمائة في وفد الدمشقيين، فأتيت مسجد ابن مجاهد فحزرت أن فيه ثلاثمائة متصدّر، ولم أجد فيه موضعاً، فجلستُ في أقصاه، فسمعتُ رجلاً يقرأ على واحد منهم لابن عامر، ويغلط فيها، فرددت عليه، فانتهرني، وصاحوا عليّ، فخرجت، فإذا بخياط، فجلست إليه؛ ليخيط خرقاً في درّاعتي، فقال: من أين أنت؟، فقلت: من الشام، جئت إلى ابن مجاهد، فلم أصل إليه، فقال: له امرأة شامية، فامض، وسَلْ عنها، فمضيت، وسألت عنها، فخرجت جارية، فقالت: من أيّ موضع أنت بدمشق؟، قلت: من قبنية. وكانت قائمة وراء الباب تسمع، فقالت ـ هي بنفسها ـ: كيف مولاي أبو الحسن بن الأخرم وأخوه؟، قلت: أنا هو، ففرحت بي فرحاً كادت أن تظهر لي، وأخذت تسألني عن / ١١٦/ أهلي وجيراني، وقالت: ألك حاجة؟، قلت: أريد أن أقرأ على الشيخ، قالت: إذا كان من الغد، فاذهب إلى المسجد، فإنك تصل إلى ما تريده؛ فلما أصبحت، وقفت على باب المسجد، فإذا الشيخ قد أومأ إليّ بالدخول، وإذا جماعة من أصحابه قد تبادروا إليّ، ووسعوا لي؛ فلما جلست، قال: أنت ابن الأخرم؟ قلت: نعم، فأخذ يسألني عن الحروف، وأنا أجيبه عن الغريب، وعن الشواذ، وعن معاني ذلك، فجذبني إلى عنده، وأقعدني بجنبه، ثم قال لأصحابه: هذا صاحب الأخفش؛ فلما قام ابن مجاهد، اجتمع إليّ جميع أصحابه، وقرؤوا عليّ، وأدخلني ابن مجاهد على الوزير ابن عيسى، فقضى حوائجنا، وألزمني الوزير بالمقام عنده، فلم أزل ببغداد سبع سنين،

وبالجهد حتى أذن لي وقت وفاة أخي بالرجوع إلى دمشق.

قال أبو القاسم بن عساكر: طال عمر بن الأخرم، وارتحل الناس إليه، وكان عارفاً بعلل القراءات، بصيراً بالتفسير والعربية، متواضعاً، حسن الأخلاق، كبير الشأن.

قال محمد بن علي السُّلمي: قمتُ ليلة للآذان الكبير؛ لآخذ النوبة على ابن الأخرم، فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئاً، ولم أدرك النوبة إلى العصر.

وتوفي ابن الأخرم سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وقيل: سنة اثنتين.

وقال عبد الباقي بن الحسن: توفي بعد سنة أربعين، وصليت عليه في المصلّى بعد الظهر، وكان يوماً صائفاً، وصَعِدَت غمامة على جنازته من المصلّى إلى قبره، فكانت شبه الآية له ـ رحمه الله ـ.

ومولده سنة ستين ومائتين.

ومنهم:

[٣٣]

عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم، أبو طاهر /١١٧/ البغدادي[(١)]

المقرىء أحد الأعلام، ومصنّف «كتاب البيان» ومن انتهى إليه الحذق بأداء القرآن، ينصتُ لتلاوته، وينصف إذا قيل الزخرف من بدائعه، وجني النحل من حلاوته، ذو فضل لو تمثّل، لتهدّلت أفنانه بالثمر، وفعل ماذا يقال عنه إلاّ ما يحدث عن ابن عمر.

قرأ القرآن على أحمد بن سهل الأشناني، وجماعة، وقرأ القرآن على ابن مجاهد، وأطنب أبو عمرو الداني في وصفه، وقال: لم يكن بعد ابن مجاهد مثله في

---

(١) ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/ ٧ـ ٨ رقم ٥٦٥٩، والمنتظم ٦/ ٣٩٧ رقم ٦٧٣، وإنباه الرواة ٢/ ٢١٥، والعبر ٢/ ٢٨٢، والإعلام بوفيات الأعلام ١٤٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٢١ـ ٢٢، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٥١ـ ٢٥٢، وتلخيص ابن مكتوم ١٢٢، والبداية والنهاية ١١/ ٢٣٧، وغاية النهاية ١/ ٤٧٥ ـ ٤٧٧، والنشر في القراءات العشر ١/ ١٢٣، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣٢٥، وبغية الوعاة ٢/ ١٢١، وشذرات الذهب ٢/ ٣٨٠، وتاريخ الإسلام (السنوات ٣٣١ ـ ٣٥٠هـ) ص٤٢٣ رقم ٧٠٦.

علمه وفهمه، مع صدق لهجته، واستقامة طريقته.

قرأ عليه خلق كثير، وكان ينتحل في النحو مذهب الكوفيين، وكان بارعاً فيه.

قال القفطي في تاريخ النحاة: قرأ كتاب سيبويه على ابن درستويه الفارسي، ولم يُر بعد ابن مجاهد في القراءات مثله.

قال الداني: سمعت عبد العزيز الفارسي يقول: لما توفي ابن مجاهد وأحقَّ يوم موته، أرجعوا على أن يقدّموا شيخنا أبا طاهر، فتصّدر للإقراء في مجلسه، وقصده الأكابر فتحلّقوا عنده، وكان قد خالف جميع أصحابه في إمالة الناس لأبي عمرو، وكانوا ينكرون ذلك عليه.

قال الخطيب: كان ثقة أميناً.

مات في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وقال غيره: عاش سبعين سنة.

ومنهم:

[٣٤]

محمد بن الحسن بن محمد بن زياد، أبو بكر النقاش الموصلي ثم البغدادي(١)

المقرىء المفسّر، أحد الأعلام. فضله البحر الذي ما زجر، وعلمه النقش في الحجر، فهماً يجلّي الغبش، وثباتاً لا يمحو الدهر منه ما نقش، يفوق نقشه ما تتزين به الحدود، وتُسْهم البرود، وينقش شبيهه الغمام الصَنَاعُ زخرفاً في حُلل الروض المجود.

ولد سنة ستٍّ /١١٨/ وستين ومائتين، وعنى بالقراءات من صغره، وسمع

---

(١) ترجمته في: تاريخ بغداد ٢/ ٢٠١، الفهرست ٣٣، معجم الأدباء ١٨/ ١٤٦، الوافي بالوفيات ٢/ ٣٤٥، تذكرة الحفاظ ٩٠٨، غاية النهاية ٢/ ١١٩، طبقات السبكي ٢/ ١٤٨، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٢١، الرسالة المستطرفة ٧٧، وفيات الأعيان ٤/ ٢٩٨، المنتظم ٧/ ١٤ رقم ١٣، غاية النهاية ٢/ ١١٩، الوافي بالوفيات ٢/ ٣٤٥ رقم ٧٩٨، البداية والنهاية ١١/ ٢٤٢، العبر ٢/ ٢٩٢، دول الإسلام ١/ ٢١٨، تاريخ بغداد ٢/ ٢٠١ رقم ٦٣٥، طبقات المفسرين ٢/ ١٣١ رقم ٤٨١، معرفة القراء الكبار ١/ ٢٣٦ رقم ٢٧، الكامل في التاريخ ٨/ ٥٤٥، الفهرست ٥٠، معجم الأدباء ١٨/ ١٤٦ ـ ١٤٩، وفيات الأعيان ٤/ ٢٩٨ـ ٢٩٩، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٠٨، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٧٣ ـ ٥٧٦ رقم ٣٤٨، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٢٠، مرآة الجنان ٢/ ٣٤٧، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٤٥ـ ١٤٦، لسان الميزان ٥/ ١٣٢، شذرات الذهب ٣/ ٨، ٩، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٥١ ـ ٣٨٠هـ) ص٩، ٦١.

الحروف من جماعة كثيرة، وطاف في الأقطار، وتجوّل في البلدان، وكتب الحديث وقيَّد السنن، وصنَّف المصنّفات في القراءات والتفسير، وطالت أيامه، فانفرد بالإمامة في صناعته، مع ظهور نسكه، وورعه، وصدق لهجته، وبراعة فهمه، وحسن اطلاعه، واتساع معرفته.

روى القراءة عنه عرضاً خلقٌ لا يحصى عددهم.

قال أبو بكر الخطيب: كان النقاش عالماً بالحروف، حافظاً للتفسير.

صنّف التفسير، وكتباً في القراءات، وغيرها، وسافر الكثير شرقاً وغرباً، وكتب بمصر، والشام، والجزيرة، والجبال، وخراسان، وما وراء النهر، وفي حديثه مناكير بأسانيد مشهورة.

وقال الداني: سمعت عبد العزيز بن جعفر يقول: كان النقاشُ يُقصد في قراءة ابن كثير وابن عامر لعلو إسناده، وكان له بيت ملآن كتباً، وكان الدارقطني يستملي له، وينتقي من حديثه.

وقد حدّث عنه ابن مجاهد، وكان حسن الخلق ذا سخاء.

وقال أبو الحسين القَطّان: حضرت أبا بكر النقاش، وهو يجود بنفسه في ثالث شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، فجعل يحرّك شفتيه، ثم نادى بعلوّ صوته: «لمثل هذا فليعمل العاملون» يردّدها، ثم خرجت نفسه ـ رحمه الله ـ.

ومنهم:

[٣٥]

محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الفرج البغدادي(١) المقرىء الشَّنَّبُوذِي(٢)

غلام ابن شنبوذ، وإمام فضلٍ عنه مأخوذ، عَلَمُ عِلْمٍ نافع، وأدب واسع، وطلب

---

(١) ترجمته في: تاريخ بغداد ١/ ٢٧١ رقم ١١٠، المنتظم ٧/ ٢٠٤ رقم ٣٢٤، البداية والنهاية ١١/ ٣٢٥، العبر ٣/ ٤٠، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٢٠، معرفة القراء الكبار ١/ ٢٦٨ ـ ٢٧٠ رقم ٣، النجوم الزاهرة ٤/ ١٩٩، اللباب ٢/ ٢١١ ـ ٢١٢، شذرات الذهب ٣/ ١٢٩، وذكره المؤلف في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٩٥ دون أن يترجم له، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٨١ ـ ٤٠٠هـ) ص١٧١.

(٢) الشَّنَّبُوذي: بفتح الشين المعجمة والنون ضم الباء الموحدة وسكون الواو وفي آخرها ذال معجمة، نسبة إلى شَنَّبوذ جد المقرىء الشنبوذي. (اللباب ٢/ ٢١١).

وَجّه ركابه إلى كل شاسع، وحفظٍ لا يتخوَّنه النسيان، ورِيٍّ من العلم لا يبلغ حاجته منه الصديان، حصل ما قصر دونه جهد ابن مجاهد، وعزَّ على ابن شنبوذ أن يأتي منه بشاهد، وانخرم على ابن الأخرم به نظامه، ونفذ / ١١٩/ إلى نفطويه منه ما أحرقه ضرامه.

ولد أبو الفرج سنة ثلاثمائة، وقرأ على ابن شنبوذ، وابن مجاهد وإبراهيم نفطوية، وابن الأخرم، وغيرهم، وأكثر الترحال في طلب القراءات، وتبحّر فيها، واشتهر اسمه، وطال عمره، وقرأ عليه خلق. وكان عالماً بالتفسير، وعلل القراءات.

قال أبو بكر الخطيب: سمعتُ عبيد الله بن أحمد يذكر الشنبوذي، فعظم أمره، وقال: سمعته يقول: أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقرآن.

وقال أبو عمرو الداني: مشهور، نبيل، حافظ، ماهر، حاذق، كان يتجوّل في البلدان.

سمعتُ عبد العزيز بن علي المالكي يقول: دخل أبو الفرج ـ غلام ابن شنبوذ ـ على عضد الدولة زائراً، فقال له: يا أبا الفرج، إنَّ الله يقول: «يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس». ونرى العسل يأكله المحرور، فيتأذّى به، والله الصادق في قوله.

قال: أصلح الله الملك: إنَّ الله لم يقل فيه الشفاء بالألف واللام اللذين يدخلان لاستيفاء الجنس، وإنما ذكره مُنكَّراً فمعناهُ فيه شفاء لبعض الناس دون بعض.

قال التنوخي: توفي أبو الفرج في صفر سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة.

ومنهم:

[٣٦]

عليّ بن داود، أبو الحسن الداراني القطّان[١]

إمام جامع دمشق ومقرئه.

حقيق أن يتنافس الناس على إمامته، وتتحاسد الأرض على إقامته، وتُوجأ أعناق

(١) علي بن داود بن عبد الله.

ترجمته في: حديث خيثمة الأطرابلسي ٤٢ رقم ٥٦، وتاريخ دمشق ط الفكر ٤١/ ٤٦٩ـ ٤٧٢ رقم ٤٩٠٤، وتبيين كذب المفتري ٢١٤ـ ٢١٥، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٦٦ـ ٣٦٧ رقم ٢٩٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٦٢، والعبر ٣/ ٧٩، وغاية النهاية ١/ ٥٤١ـ ٥٤٢ رقم ٢٢١٨، وشذرات الذهب ٣/ ١٦٤، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٣/ ٣٢٨ـ ٣٢٩ رقم ١٠٧٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٠١ ـ ٤٢٠هـ) ص٦٣ رقم ٦٩.

المنابر إليه متلّفنة، وتهدأ له هام المحاريب مخبتة.

قطع الدنيا زهداً، وعاش في الأنام فرداً، ما وقعت العيون على صفاته الممثلة، ولا رأت في كل داراني مثل قطوفه المهدّلة / ١٢٠/ ، ولا أتى عنقود الثريا منه بحبة ومما استعان بالسنبلة، ولا ادّعت جنى كرمه الكرام، ولا طمعت في رشف ريقته الآثام، ولا سمعت له قهقهة إبريق؛ لأن الداراني لا يُقصر منه المدام.

قرأ القرآن بالروايات على طائفة منهم: ابن الأخرم، وسمع من جماعة، وقرأ عليه آخرون.

قال رشأ بن نظيف: لم ألق مثله حذقاً، وإتقاناً في رواية ابن عامر.

وقال عبد المنعم بن النحوي: خرج القاضي أبو محمد العلوي، وجماعة من الشيوخ إلى داريا إلى ابن داود، فأخذوه ليؤم بجامع دمشق في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وجاؤوا به بعد منعهم أهل داريا، وتنافسوا.

قال الحافظ ابن عساكر: سمعتُ ابن الأكفاني يحكي عن بعض مشايخه: أنَّ أبا الحسن بن داود كان إمام داريا، فمات إمام الجامع، فخرج أهل البلد إلى داريا؛ ليأتوا به، فلبس أهل داريا السلاح، وقالوا: لا نمكنكم من أخذ إمامنا، فقال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي نصر: يا أهل داريا ألا ترضون أن يُسمع في البلاد، أنَّ أهل دمشق احتاجوا إليكم في إمام، فقالوا: قد رضينا فقدمت له بغلة القاضي فأبى وركب حمارَه، ودخل معهم، فسكن في المنارة الشرقية، وكان يُقرىء بشرقي الرواق الأوسط، ولا يأخذ على الإمامة رزقاً، ولا يقبل ممن يقرأ عليه برّاً، ويقتات من غَلَّة أرض له بداريا، ويحمل ما يكفيه من الحنطة، ويخرج بنفسه إلى الطاحون، فيطحنه، ثم يعجنه، ويخبزه.

وانتهت إليه الرئاسة في قراءة الشاميين، ومضى على سداد، وكان يذهب مذهب أبي الحسن الأشعري.

وتوفي في جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعمائة، وقد نيَّف على الثمانين.

/ ١٢١/ ومنهم:

[٣٧]

علي بن أحمد بن عمر بن حفص أبو الحسين بن الحمَّامي البغدادي(١)

مقرىء العراق، ومسند الآفاق، وصدر قراءِ دار الخلافة بالاستحقاق، وشمس

(١) ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/ ٣٢٩ـ ٣٣٠، والإكمال لابن ماكولا ٣/ ٢٨٩، والأنساب ٤/ =

الشرق المشرقة بالعراق في أفق بغدادها، وبدر بلادها المتالق في جنح سوادها، الساطع مصباحه الذي لا يمشي في ضوئه نريب، والطامع كوكبه الذي لا يُخاف عليه مغيب، والجامع فَضْله الذي استمد منه حتى الخطيب.

قرأ على النقاش أوجاعه، وبرع في الفن، وسمع الحديث من خلق كثير، وحدّث عنه: أبو بكر الخطيب، والبيهقي، وطرّاد الزينبي، وغيرهم.

قال الخطيب: كان صدوقاً، ديناً، فاضلاً، تفرَّد بأسانيد القراءات وعُلُوّها.

مولده سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

وتوفي في شعبان سنة سبع عشرة وأربعمائة، وهو في تسعين سنة.

ومنهم:

[٣٨]

أبو علي الأهوازي

واسمه الحسن بن علي بن إبراهيم المقرىء[(١)].

الأستاذ، المحدّث.

بقي سهماً في الكنانة واحداً، ومخلفاً لأهل جيله فاقداً، وأتته الوفود تحثّ

= ٢٠٧، والمنتظم ٨/ ٢٨ رقم ٥٢، واللباب ١/ ٣٨٥، والكامل في التاريخ ٩/ ٣٥٦، والعبر ٣/ ١٢٥، ومعرفة القرّاء الكبار ١/ ٣٠٢ـ ٣٠٣، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٠٢ـ ٤٠٣ رقم ٢٦٥، ودول الإسلام ١/ ٢٤٨ وفيه «عمران» بدل «عمر»، والمعين في طبقات المحدّثين ١٢٣ رقم١٣٧٠، والإعلام بوفيات الأعلام١٧٥، وتذكرة الحفّاظ ٣/ ١٠٧٣، والبداية والنهاية ١٢/ ٢١، وغاية النهاية ١/ ٥٢١ـ ٥٢٢، وشذرات الذهب ٣/ ٢٠٨، وديوان الإسلام ٢/ ١٦٦ـ ١٦٧، رقم ٧٨٤، وتاريخ التراث العربي ١/ ٣٨١ رقم ٣١٧، تاريخ الإسلام السنوات(٤٠١ـ ٤٢٠هـ) رقم ٣٠٠.

(١) الحسن بن عليّ بن إبراهيم بن يَزْداد بن هُرْمز بن شاهو.
ترجمته في: من حديث خيثمة الأطرابلسي ١٨٩، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ١٣/ ١٤٣ـ ١٤٧ رقم ١٣٧١، وتبيين كذب المفتري ٣٦٤، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (مخطوط) ج١١ ق٢/ ٢١١، وأخبار الحمقى والمغفّلين لابن الجوزي ٨٦، وفهرسة ما رواه عن شيوخه لابن خير الإشبيلي ٣٧ـ ٣٨، ومعجم الأدباء ٣/ ١٥٢، وبغية الطلب لابن العديم ٥/ ٢٤٦٥ـ ٢٤٧٣، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٦/ ٣٥١ـ ٣٥٢ رقم٢٣٠، ودول الإسلام ١/ ٢٦٢، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٤٠٢ـ ٤٠٥ رقم ٣٤٣، والمعين في طبقات المحدّثين ١٢٩ رقم١٤٢٨، والإعلام بوفيات الأعلام ١٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٣ـ ١٨ رقم ١١، والعبر ٣/ ٢١٠ـ ٢١١، والمغني في الضعفاء ١/ ١٦٢ رقم١٥٣٢، وميزان الاعتدال ١/ ٥١٢، ومرآة الجنان ٣/ ٦٣، =

قلاصها، وتتماثل فوق ظهور المطي أشخاصها حتى انتهى به أجله، وارتمى به إلى الغاية أمله، فأوتر له هلال الأجل قوسه، ثم رمى به إلى هدف ترابه، وأطاحه، وما نجا به من ريش العقاب كاسره، ولا جرّه وكان لا بدّ أن سيرمى به، أو يكسر السهم كاسره.

ولد سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وقدم دمشق سنة إحدى وتسعين، فاستوطنها، وكان أعلى من بقي في الدنيا إسناداً في القراءات؛ عُني بالرواية والأداء من صغره، وصنّف عدة/ ١٢٢/ كتب في القراءات، ورحل إليه القراء لتبحره في الفنّ وعُلوّ إسناده. وكان عالي الرواية في الحديث أيضاً، وله تواليف في الحديث، فيها أحاديث واهية، وله أيضاً مصنّف في الصفات أورد فيه أحاديث موضوعة، فتكلَّم فيه الأشعريون لذلك؛ ولأنه كان ينالُ من أبي الحسن الأشعري، ويذمُّه.

قال ابن عساكر: كان يقول بالظاهر، ويتمسك بالأحاديث الضعيفة، وقد تلقى القراءُ رواياته بالقبول، وكان يُقرىء بدمشق في حياة بعض شيوخه من بعد سنة أربعمائة.

وتوفي في رابع ذي الحجة سنة ستّ وأربعين وأربعمائة.

ومنهم:

[٣٩]
عبد الرحمان بن أبي أحمد بن الحسن بن بُنْدار الرازي العجلي(١) المقرىء أبو الفضل

أحد الأعلام، وشيخ الإسلام، قطع الأرض شتاتاً، ولقي الناس أشتاتاً، وقنع

= وغاية النهاية ١/ ٢٢٠ـ ٢٢٢ رقم ١٠٠٦، والكشف الحثيث ١٣٨ رقم ٢٢١، ولسان الميزان ٢/ ٢٣٧ـ٢٤٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ٥٦، والتحفة اللطيفة للسخاوي ١/ ٤٧٧ـ ٤٧٨، وشذرات الذهب ٣/ ٢٧٤، وكشف الظنون ١/ ١٤٠، ٢١١ و٢/ ١٣٠٣، والأعلام ٢/ ٢٤٥، وهدية العارفين ١/ ٢٧٥، وديوان الإسلام ١/ ١٥٦ رقم ٢٢٧، ومعجم المؤلفين ٣/ ٢٤٧، وفهرست الحديث بالظاهرية ١٧٩، ودائرة المعارف للأعلمي ١٦/ ٧٢، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/ ١٩٤ـ ٢٩٥، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٢/ ١١٠ـ ١١٣ رقم ٤٢٩، تاريخ الاسلام السنوات (٤٤١ـ ٤٦٠هـ) ص ١٢٤ رقم١٦٤.

(١) ترجمته في: تاريخ دمشق ط دار الفكر ٣٤/ ١١٦ـ ١٢٠ رقم ٣٧٣٤ وفيه اسمه «عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن...»، والمطبوع ـ ج٤٠/ ٧١ـ ٧٤، والمنتخب من السياق ٣٠٨ رقم ١٠١٤، والتقييد لابن النقطة ٣٣٤ـ ٣٣٥ رقم ٤٠٤، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٤/ ١٨٥، ١٨٦ رقم١٢٢، والإعلام بوفيات الأعلام ١٨٨، والعبر ٣/ ٢٣٢، والمعين في طبقات المحدّثين ١٣١ رقم ٧٣، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٤١٧ـ ٤١٩ رقم٣٥٦، وغاية النهاية ١/ ٣٦١ـ ٣٦٣ رقم١٥٤٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ٧١، وبغية الوعاة ٢/ ٧٥، وشذرات الذهب ٣/ ٢٩٣، تاريخ الاسلام (السنوات ٤٤١ـ ٤٦٠هـ) ص٣٦٠ رقم ١١٣.

باليسير، لا يملك بياتاً مع نسب له في عجل، إلاَّ أنه هدى قومه وما أضلّ، وقضى يومه في الرشد، وظلَّ لو بصر به السامري لحدّثه عن موسى ـ صلوات الله عليه ـ بالأثر المنقول، وقال: قبضت قبضة من أثر الرسول، بل لو رأى هو قريبه أبا دُلف العجلي، لم يجعل دالة بالقِرى عليه، ولتنحّى عن سحابه لئلا يدبّ دلف كرمه الدُلفي إليه.

ورد أنَّ مولده بمكة، وما زال ينتقل في البلاد على قدم التجريد والأنس بالله.

قال أبو سعد السمعاني: كان مقرئاً، فاضلاً، كثير التصانيف، حسن السيرة، زاهداً، متعبداً، خشن العيش، منفرداً، قانعاً باليسير، يُقرىء أكثر أوقاته، ويروي الحديث، وكان يسافر وحده، ويدخل البراري سمع بمكة، والري، ونيسابور، وأصبهان، وطوس، وجرجان، وبغداد، والكوفة، والبصرة، ودمشق، ومصر.

قال: /١٢٣/ وكان الشيوخ يُعظّمونه، وكان لا ينزل الخوانق، بل يأوي إلى مسجد خراب فإذا عُرف مكانه تركه، وإذا فتح عليه بشيء آثر به.

قال يحيى بن منده في تاريخه: قرأ عليه جماعة، وخرج من أصبهان إلى كرمان وحدّث بها، وبها مات. وهو ثقة، ورع، متدين، عارف بالقراءات والروايات، عالم بالآداب، والنحو، أكبر من أن يدلّ عليه مثلي؛ وهو أشهر من الشمس، وأضوأ من القمر، ذو فنون من العلم، مَهيب، منظور، فصيح، حسن الطريقة.

بلغني أنه ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وله شعر رائق في الزهد.

وقال أبو عبد الله الخلال: لما توجه أبو الفضل من أصبهان إلى كرمان خرج الناسُ يشيعونه، فصرفهم، وقصد الطريق وحده، وقال: [من الطويل]

إِذَا نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَأَنْتَ إِمَامُنَا ... كَفَى لِمَطَايَانَا بِذِكْرَاكَ حَادِيَا

قال الخلال: وكان في طريق، ومعه خبز، وشيء من الفانيذ، فقصده قطّاع الطريق، وأرادوا أن يأخذوا ذلك، فدفعهم بعصاه، فقيل له في ذلك، فقال: إنما منعتهم منه؛ لأنه كان حلالاً، وربما كنت لا أجد حلالاً مثله.

ودخل كرمان في هيأة رثّة، فحُمل إلى الملك، وقالوا: هو جاسوس، فسأله الملك: ما الخبر؟، فقال: إن كنت تسألني عن خبر الأرض فـ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾[1]، وإن كنت تسألني عن خبر السماء فـ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[2] فتعجب الملك من كلامه، وهابه، وأكرمه، وعرض عليه مالاً، فلم يقبله.

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٦. (٢) سورة الرحمن: الآية ٢٩.

وتوفي في جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وأربعمائة.

ومنهم:

[٤٠]

أبو عليّ غلام الهرّاس

واسمه الحسن بن القاسم بن / ١٢٤/ علي الواسطي[١]، المقرىء.

شيخ القرّاء ومسند العراق، ومساد الركائب إليه من الآفاق، خُلِفَ بعد جيله، وخُلِّيَ فرداً في قبيله، وأقام بمكة ـ شرفها الله ـ لاجئاً إلى أبطحها، جائلاً في أنيق مسرحها، حتى كان يقال له: إمام الحرمين؛ لتقدمه على أهل زمانه، وتأخرهم، وهو نزيل ذلك الحرم، ومصدر ذلك المحراب الذي هو قبلة الأمم.

ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، ورحل في القراءات شرقاً وغرباً، وقرأ على صاحب ابن مجاهد وعمر، وتأخرت وفاته عن رفقائه.

وقرأ بالروايات ـ قبل الأربعمائة وبعدها ـ على طائفة بواسط، وبغداد، والكوفة، والبصرة، وحرّان، ومصر.

وقرأ بدمشق على أبي علي الأهوازي، وغيره، وتصدّر للإقراء بدمشق في حياته، ثم حجّ، وجاور. وكان بفرد عين، ثم شاخ وعمي، ورحل الناس إليه من الآفاق، وقرؤوا عليه، وكان يلقب إمام الحرمين.

وتوفي في يوم الجمعة السابع من جمادى الأولى سنة ثمان وستين وأربعمائة.

ومنهم:

---

(١) ترجمته في: تاريخ دمشق ط دار الفكر ١٣/ ٣٤٩ـ ٣٥٠ رقم ١٤٢١، والمنتظم ٨/ ٢٩٨ـ ٢٩٩ رقم ٣٥٦ (١٦/ ١٧٣ رقم ٣٤٥٠)، وسؤآلات الحافظ السلفي لخميس الحوزي٨٨ـ ٩٠ رقم ٦٩، والكامل في التاريخ ١٠/ ١٠١، ودول الإسلام ٢/ ٤، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩٣، والعبر ٣/ ٢٦٦ـ ٢٦٧، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٤٢٧ـ ٤٢٩ رقم ٣٦٦، وميزان الاعتدال ١/ ٥١٨ رقم ١٩٣٢، والمغني في الضعفاء ١/ ١٦٦ رقم١٤٦٦، ومرآة الجنان ٣/ ٩٦، والوافي بالوفيات ١٢/ ٢٠٤ رقم ١٧٩، وغاية النهاية ١/ ٢٢٨ـ ٢٢٩ رقم١٠٤٠، ولسان الميزان ٢/ ٢٤٥ رقم ١٠٣١، وشذرات الذهب ٣/ ٣٢٩، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٢٤٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٦١ـ ٤٧٠هـ) ص٢٥٠ رقم٢٤٤.

[٤١]

أبو طاهر بن سوار(١)

الضرير، الحنفي، «صاحب المستنير في القراءات العشر» أحد الحذاق المنوّر قلبه لا بصره المسور، وما أسواره المنيعة إلاّ سوره. ابن سوّارٍ ومن للهلال بأن يكون له سواراً، أبو طاهر كناية عن التصريح إنّه المطهر إزاراً، المأخوذ عنه كتاب الله يندى غضاره، وينأى أن يجف نضاره، القاهر شهواته في طلبه، القائم في قهر الأعداء متحصناً بيلبه.

ولد سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، وقرأ القراءات على عتبة بن عبد الملك العثماني، وأبي علي الشرمقاني، والحسن بن علي العطار، وجماعة.

وسمع الحديث / ١٢٥/ الكثير عن طائفة، وقرأ عليه القراءات أبو علي بن سكرة الصفديُّ، وجماعة، وحدّث عنه آخرون.

قال ابن سُكرة: هو حنفي المذهب، ثقة خيّرٌ، حبس نفسه على الإقراء والتحديث.

وقال ابن ناصر: نبيلٌ، ثقةٌ، ثبتٌ، متقنٌ.

وقال السمعاني: كان ثقة، أميناً، مقرئاً، حسن الأخذ للقرآن، ختم عليه جماعة كتاب الله، وكتب بخطه الكثير من الحديث.

قال السِّلفي: سمعت منه معظم المستنير، وتوفي في شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة ببغداد، واسمه أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن سوار البغدادي.

ومنهم:

---

(١) وهو أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن سِوار أبو طاهر البغدادي.
ترجمته في: المنتظم ٩/ ١٣٥ رقم ٢٠٨ (١٧/ ٨١ رقم ٣٧٣٠) وفي الطبعة الجديدة «عبد الله»، ومعجم الأدباء ٤/ ٤٦ـ ٤٨، والمعين في طبقات المحدثين ١٤٥ رقم ١٥٥٠، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٤٤٨ـ ٤٤٩ رقم ٣٨٧، ودول الإسلام ٢/ ٢٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٢٥ـ ٢٢٧ رقم ١٣٩، والعبر ٣/ ٣٤٣، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٠٤، وعيون التواريخ (مخطوط) ١٣/ ١١٩ـ ١٢٠، والوافي بالوفيات ٧/ ٢٠٤ـ ٢٠٥ رقم ٣١٥٠، والبداية والنهاية ١٢/ ١٦٣، ومرآة الجنان ٣/ ١٥٩، وغاية النهاية ١/ ٨٦، وتبصير المنتبه ٢/ ٦٩٩، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٨٧، وشذرات الذهب ٣/ ٤٠٣، وتاج العروس ٣/ ٢٨٤، ومعجم المؤلفين ٢/ ١٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٩١ـ ٥٠٠هـ) ص ٢٢٩ رقم ٢٣٦.

[٤٢]

محمد بن الحسين بن بُنْدار، أبو العزّ الواسطي القلانسي(١)

الأستاذ مقرىء العراق، وصاحب التصانيف، وصاحب الدرّ في العقود بحسن التأليف؛ الواسطي الذي ما جالت في يدٍ مثله أقلامها، ولا جاءت بشبيهه تحت ثياب العشي أيامها. ما التقى على شروي ليث شراه رافدها، ولا طافت على نظير نضاره دجلة، وقد طفح جانباها، لقد فخر به سالف نسبه، وكان لبندار البدار إلى ما أولاهما.

قرأ بالروايات المشهورة والشاذة على أبي عليّ غلام الهراس، وغيره، وأخذ أيضاً عن أبي القاسم الهذلي، ورحل إلى بغداد سنة إحدى وستين وأربعمائة، وسمع من جماعة وتصدّر للإقراء حصراً، ورحل إليه من الأقطار، وكان بصيراً بالقراءات وعللها وغوامضها، عارفاً بطرقها عالي الإسناد.

مولده سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وتوفي بواسط في شوال سنة إحدى وعشرين وخمسمائة.

ومنهم:

[٤٣]

عبد الله بن علي بن أحمد(٢)

الأستاذ البارع أبو محمد البغدادي /١٢٦/ النحوي سبط أبي منصور الخياط.

---

(١) ترجمته في: عيون التواريخ ١٢/ ١٩٣، والوافي بالوفيات ٣/ ٤، خريده القصر ـ قسم العراق ٤/ ١/ ٣٥٢، معرفة القراء الكبار١/ ٤٧٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٢٥، غاية النهاية ٢/ ١٢٨، طبقات الشافعية للسبكي ٦/ ٩٧.

(٢) ترجمته في: المنتظم ١٠/ ١٢٢ رقم ١٧٨ (١٨/ ٥١ـ ٥٢ رقم٤١٢٦) والأنساب ٥/ ٢٢٥، ونزهة الألبّاء ٢٩٨، وخريدة القصر (قسم العراق) ١/ ٨٣ـ ٨٤ ومناقب الإمام أحمد ٥٣٠، والكامل في التاريخ ١١/ ١١٨، والتقييد ٣٢٥ رقم ٣٨٩، وإنباه الرواة ٢/ ١٢٢ـ ١٢٣ رقم٣٣٢، ومرآة الزمان ج٨ ق١/ ١٩٣، والمعين في طبقات المحدّثين ١٦٠ رقم ١٧٨٢، والعبر ٤/ ١١٣، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٢٢، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٠٣، ٤٠٦ رقم ٣٨٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٣٠ـ ١٣٣ رقم ٨٠، ودول الإسلام ٢/ ٥٧ـ ٥٨، وتلخيص ابن مكتوم ٩٤، وعيون التواريخ ١٢/ ٤١١، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٢٢، ومرآة الجنان ٣/ ٨٦، والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٣١ـ ٣٣٢ رقم ٤٨٢، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٠٩ـ ٢١٢، وغاية النهاية ١/ ٤٣٤ـ ٤٣٥ رقم ١٨١٧، والنشر في القراءات العشر ١/ ٨٣ـ ٨٤، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة ٣٣٧ـ ٣٣٩، وكشف الظنون ٥٢، ٢٠٦، ٣٣٨، ١٣٤٤، ١٤٩٩، ١٥٨٢، وشذرات الذهب ٤/ ١٢٨ـ ١٣٠، =

ممن يطرب له السامع، وأيّد بالملائكة إذ أيّد الشياطين ابن جامع، يحنُّ إليه الجماد، ويحجّ إليه أهل البلاد، إتقاناً في فنه، وإحساناً. ما مال إليه السامع حتى عاد بملء أذنه. له المحاسن الشاملة، والمصنفات المفيدة كتمام ميقات موسى تلك عشرة كاملة.

ولد سنة أربع وستين وأربعمائة، وسمع من جماعة، وقرأ القراءات على طائفة كثيرة، وأقرأ الناس بمسجد ابن جرده، وأمَّ به دهراً، وكان رئيس المقرئين في عصره، ختم عليه خلق كثير، وعرض عليه جماعة.

وكان إماماً محققاً، واسع العلم، متين الديانة، وكان أطيب أهل زمانه صوتاً بالقرآن على كبر السنّ، صنّف التصانيف المليحة نحو العشرة.

قال أبو سعد السمعاني: كان متواضعاً، متودّداً، حسن القراءة في المحراب، سيّما ليالي رمضان، كان يحضِر عنده الناس لاستماع قراءته، له تصانيف في القراءات، خولف في بعضها، وشنع عليه، وسمعت أنه رجع عن ذلك، والله يغفر لنا وله.

وقال أحمد بن صالح الجيلي: سار ذكر سبط الخياط في الأغوار والأنجاد، ورأس أصحاب الإمام أحمد، وصار أوحدَ وقته، ونسيجَ وحْدِهِ، لم أسمع في جميع عمري من يقرأ الفاتحة أحسن ولا أصحّ منه، وكان جمال العراق بأسره، وكان ظريفاً كريماً لم يخلّف مثله في أكثر فنونه. وكان أيضاً من كبار أئمة اللغة.

ومن شعره: [من الخفيف]

أَيُّهـا الـزَّائِـرُونَ بَـعْـدَ وَفَـاتِـي ... جَـدَثـاً ضَـمَّـنِـي وَلَـحْـداً عَـمِـيْـقـا

سَـتَـرَونَ الَّـذِي رَأَيْـتُ مِـنَ الـمَـوتِ ... عِـيـانـاً وَتَـسْـلِـكُـون الـطَّـرِيْـقـا

وتوفي في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة،/ ١٢٧/ وصلّى عليه الشيخ عبد القادر الجيلي، ودفن عند جدّه أبي منصور على دكّة الإمام أحمد، وكان الجمع يفوق الإحصاء، وغلق أكثر البلد ذلك اليوم.

قال ابن الجوزي: ما رأيتُ جمعاً أكثر من جمع جنازته ـ رحمه الله ـ.

ومنهم:

= وهدية العارفين ١/ ٤٥٥، ٤٥٦، ومعجم المؤلفين ٦/ ٨٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٤١ـ ٥٥٠هـ) ص٦٩ رقم٢٣ .

[٤٤]

الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد[١]

الأستاذ أبو العلاء الهمذاني، العطّار، الحافظ، المقرىء، شيخ أهل همذان. كان لما عنده من العلم الجمّ، والفضل الذي تمّ، هو العطار الذي عنده كل دواء، ولديه كل ما يصلح للهوى، وهو القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور، وصلاح لفساد الأمور، وكان يُعنى بالعلم لتعليمه، ويُقيده بالضبط لزيادة تفهيمه، رافقاً ولو عمل يومٍ في شهر، قاصداً للإصلاح: [من الطويل]

وَهَلْ يُصْلِحُ العَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ

ولد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وارتحل إلى أصبهان، فقرأ بها القراءات والحديث على أبي علي الحدّاد، وإلى بغداد، فقرأ على أبي عبد الله البارع، وغيره، وإلى واسط فقرأ على أبي العزّ القلاّنسي، وسمع من ابن بيان وطبقته، وحصل الأصول النفيسة، والكتب الكبار، وانتهت إليه مشيخة العلم ببلده، وبرع في

(١) ترجمته في: مناقب أحمد ٥٣٢، والمنتظم ١٠/ ٢٤٨ رقم٣٤٥ (١٨/ ٢٠٨ـ ٢٠٩ رقم ٤٢٩٩)، والكامل في التاريخ ١١/ ٤١١، ومعجم الأدباء ٨/ ٥ـ ٥٢ رقم٢، ومعجم البلدان ٤/ ٦٠١، والتقييد لابن نقطة ٢٣٩ـ ٢٤١ رقم ٢٨٤، وذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي (مخطوطة باريس٥٩٢٢) ورقة٢، ومرآة الزمان ٨/ ٣٠٠، وتلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ٤ق/ ٤/ ٦٢٦ـ ٦٢٧، ودول الإسلام ٢/ ٨٤، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٣٥، والعبر ٤/ ٢٠٦ـ ٢٠٧، والمختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي ١/ ٢٧٦ـ ٢٧٧، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٥٤٢ـ ٥٤٤ رقم ٤٨٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٠ـ ٤٦ رقم٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٤، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد للدمياطي ٩٦ـ ٩٧ رقم٦٣، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٨٦ وفيه: «الحسن بن الحسن بن أحمد بن محمد العطار»، والوافي بالوفيات ١١/ ٣٨٤ـ ٣٨٥ رقم٥٥٢، ومرآة الجنان ٣/ ٣٨٩ـ ٣٩٠، والذيل على طبقات الحنابلة١/ ٣٢٤ـ ٣٢٩ رقم ٩٧٣، وتاريخ ابن الدبيثي١٥/ ١٥٧، والفلاكة والمفلوكين للدلجي ١٣٠ـ ١٣١، وغاية النهاية ١/ ٢٠٤ـ ٢٠٦ رقم ٩٤٥، وعقد الجمان (مخطوط) ورقة ١٢٤، ونهاية الغاية (مخطوط) ورقة ٣٨ـ ٣٩، والنجوم الزاهرة٦/ ٧٢، وطبقات المفسرين للسيوطي ٤٧٣ـ ٤٧٤، وبغية الوعاة ١/ ٤٩٤ـ ٤٩٥ رقم ١٠٢٧، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ١٢٨ـ ١٣١ رقم ١٢٧، وشذرات الذهب٤/ ٢٣١ـ ٢٣٢، والتاج المكلّل للقنوجي ٢٠٦، وديوان الإسلام٣/ ٣٠٢ـ ٣٠٣ رقم ١٤٦٠، وروضات الجنات ٣/ ٧٩٠ـ ٧٩١، وكشف الظنون ١١٤، ١١٠٦، ١١٨٩، ١٣٨٧، ١٧٧٣، ٢٠٢٦، وإيضاح المكنون ١/ ٢٠٦ و٢/ ٧١٥، وأعيان الشيعة ٢٠/ ٤٦٨ـ ٤٧٠، والأعلام ٢/ ١٨١، ومعجم المؤلفين ٣/ ١٩٧ـ ١٩٨، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين ٧٥ رقم ١٠٥٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٦١ـ ٥٧٠هـ) ص ٣٣٤ رقم٣١٦.

فنّي القراءات والحديث، وروى عنه خلائق.

وقد أثنى عليه عبد القادر، وقال: تعذّر وجود مثله في أعصار كثيرة وأربى على أهل زمانه في كثرة السماعات مع تحصيل أصول ما سمع، وجودة النسخ، وإتقان ما كتب، فما كان يكتب شيئاً إلاّ معرباً منقوطاً، وبرع على الحفّاظ. جاءته فتوى في أمر عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فكتب فيها من حفظهِ ـ ونحن جلوس ـ درجاً طويلاً.

وله التصانيف في الحديث، والزهد، والرقائق. وصنّف «زاد المسافر» في خمسين مجلداً، وصنَّف في القراءات العشر، والوقف، والابتداء، /١٢٨/ والتجويد، ومعرفة القرّاء وأخبارهم، وهو كبير.

وكان إماماً في النحو واللغة. سمعتُ: أنه حفظ كتاب «الجمهرة»، وكان من أبناء التجار، فأنفق جميع ما ورثه في طلب العلم، حتى سافر إلى بغداد وأصبهان مرات ماشياً، وكان يحمل كتبه على ظهره، قال لي: كنت أبيت في بغداد في المساجد، وآكل خبز الدُّخل. إلى أن قال عبد القادر: ثم عظم شأنه حتى كان يمرُّ بالبلد، فلا يبقى أحد رآه إلاَّ قام، ودعا له حتى الصبيان، واليهود.

وكان يُقرىء نصف نهاره القرآن والعلم، ونصفه الآخر الحديث، وكان لا يغشى السلاطين، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وكانت السنة شعاره ودثاره اعتقاداً وفعلاً، ولا يمسّ جزء الحديث إلاّ على وضوء.

توفي في تاسع عشر جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمائة.

ومنهم:

[٤٥]

عبد الله بن منصور بن عمران بن ربيعة(١)

الأستاذ أبو بكر الربعي الواسطي المعروف بابن الباقِلاّني.

مسند القراءِ بالعراق، ومورد الضماء ما راق، كم راد منتجع ربيعه ورام مثله فلم يكن إلا من ربيعة. عرف بابن الباقلاني؛ لأنه من خليطي المسك والكافور مصوّر،

(١) ترجمته في: الكامل في التاريخ ١٢/ ١٣٠، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٣٣/ ٢٢٦ـ ٢٢٧ رقم ٣٥٨٧، ومرآة الزمان ج٨ ق٢/ ٤٥٣ـ ٤٥٤، والتكملة لوفيات النقلة ٢/ ٧٦ـ ٧٨ رقم ٣٨١، وذيل الروضتين ١٢، والتقييد لابن نقطة ٣٢٧ـ ٣٢٨ رقم ٣٩٤، وذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي ١٥/ ٢٢٥، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٤/ ٨١ رقم ٣٥، والمختصر المحتاج إليه ٢/ ١٧٢ـ =

وعرف به أرج ذكره لو تصوّر، وجاء برواياته الباقلانية، وكان سوادها في البياض زهرةُ المنوّر.

ولد في أول سنة خمسمائة، وقرأ القراءات على أبي العز القلانسي، وسبط الخياط، وغيرهما؛ ونظر في الفقه، والعربية، وقال الشعر، وقدم دمشق، فسمع بها، وانتهى إليه علوَّ الإسناد، ورحل إليه الطلبة، وطار ذكره، وبعُد صيته.

وروى عنه من شعره ابنُ السمعاني وابنُ عساكر. وماتا قبله بدهرٍ، وقرأ عليه بالروايات أبو الفرج ابن الجوزي، وابنه يوسف، وجماعة، ودار عليه /١٢٩/ إسناد العراق.

وذكره ابن عساكر، فقال: قدم دمشق، ومدح بها بعض الناس بقصيدة يقول فيها: [من البسيط]

بِـأَيِّ حُـلْـم دَمُ الـعُـشَّـاقِ مَـطْـلُـولُ فَلَيْسَ يُودَى لَهُمْ فِي الشَّرْعِ مَقْتُولُ
لَـيْـتَ الـبَـنَـانَ الَّتِي فِيْـهـا رَأَيْـتُ دَمِـي يُـرَى بِـهـا لِـيَ تَـقْـلِـيْـبٌ وتَـقْـبِـيْـلُ

وقال ابن الدُبيثي: انفرد في وقته برواية العشرة عن أبي العزّ القلانسي وادّعى رواية شيء آخر من الشواذ عنه، فتكلّم الناس فيه، ووقفوا في ذلك، واستمر هو على روايته المشهور والشاذ شَرَهاً منه، وكان عارفاً بوجوه القراءات حسن التلاوة. وأقرأ الناس أكثر من أربعين سنة، وتوفي في سلخ ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

وقال عبد المحسن بن أبي العميد الصوفي: رأيتُ في النوم كأَنَّ شخصاً يقول لي: صلى عليه سبعون ولياً لله.

ومنهم:

= ١٧٣، رقم ٨١٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٤٧ـ ٢٤٨ رقم ١٢٧، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٠٨، وميزان الاعتدال ٢/ ٥٠٨ رقم ٤٢٢٦، والعبر ٤/ ٢٨١، ودول الإسلام ٢/ ٧٢، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٤٤، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٤٥٠ـ ٤٥٢، والمعين في طبقات المحدّثين ١٨١ رقم ١٩٣٠، ومرآة الجنان ٣/ ٤٥٣ـ ٤٥٤، والوافي بالوفيات ١٧/ ٦٤٠ـ ٦٤١، رقم ٥٣٨، وغاية النهاية ١/ ٤٦٠ـ ٤٦١، رقم ١٩٢٧، ولسان الميزان ٣/ ٣٦٦ رقم ١٤٦٦، وعقد الجمان ١٧/ ورقة ٢١٤، ٢١٥، والعسجد المسبوك ٢/ ٢٤١، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٤٦، وشذرات الذهب ٤/ ٣١٤، تاريخ الاسلام (السنوات ٥٩١ـ ٦٠٠هـ) ص ١٣١ رقم ١٣٢.

[٤٦]

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم العلامة ذو الفنون، شهاب الدين أبو القاسم المقدسي، ثم الدمشقي الشافعي(١)

المقرىء، النحوي، الأصولي: عُرف بأبي شامة.

صاحب التصانيف المتنوعة، والتواليف المبدعة، والفضائل التي لا يُنتهى إلى قرارها، والفواضل التي لا يسمع معها طوائف الحساد غير إقرارها. كان في وجنة الشام شامة، وفي وجنة جنانها رضواناً أو عليه علامة. ما ألمت قبله بعيون دمشق سِنَتُها، ولا سمعت فاضلها منه بأبي شامة إلآ وهو حسنتها. يجفّ اللسان، وما بلغ في وصفه أدنى مناه، وتبذخ الشهب خيلاء، إذ لُقِّب بنعت أحدها، أين النجم من / ١٣٠/ هدايته؟ والشهاب من سناه؟.

ولد في أحد الربيعين سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وقرأ القرآن صغيراً، وأكمل

---

(١) ترجمته في: صلة التكملة للحسيني ٢/ ورقة ٨٨، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٧، والمقتفي للبرزالي ١/ ورقة٦أ، وتكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ٢١١ـ ٢١٣ رقم ١٨٤، وتالي كتاب وفيات الأعيان للصقاعي ٩٩ رقم١٤٧، ومشيخة قاضي القضاة ابن جماعة ١/ ٣٠٠ـ ٣٠٤ رقم٣٠، ومعجم شيوخ الدمياطي ٢/ورقة ١٥أ، ودول الإسلام ٢/ ١٧٠، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٦٠ـ ١٤٦١ رقم ١١٥٧، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ١٦٤، وعيون التواريخ ٢٠/ ٣٥٢ـ ٣٥٥، وفوات الوفيات ٢/ ٢٦٩ـ ٢٧١ رقم ٢٦١، وطبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٦٥ـ ١٦٨، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ١١٨ـ ١١٩، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٥٠، ودرّة الأسلاك ١/ورقة ٣٧، والوافي بالوفيات ١٨/ ١١٣ـ ١١٦ رقم ١٢٨، وذيل التقييد ٢/ ٨٠ـ ٨١ رقم ١١٨٩، وغاية النهاية ١/ ٣٦٥ رقم ١٥٥٨، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٤٦٤ـ ٤٦٦ رقم٤٣٤، ونهاية الغاية، ورقة ٨٧ـ ٨٨، والسلوك ج١ ق٢/ ٥٦٢، وعقد الجمان(٢) ١٣ـ ١٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٤، والدليل الشافي ١/ ٣٩٨، وبغية الوعاة ٢/ ٧٧ـ ٧٨ رقم ١٤٨٠، وتاريخ الخلفاء ٤٨، وطبقات الحفاظ ٥٠٧، والدارس١/ ٢٣، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٢٦٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣١٨، وروضات الجنات ٤٢٩، والأعلام ٤/ ٧٠، وديوان الإسلام ٣/ ١٥٠ـ ١٥١، رقم ١٢٥١، وكشف الظنون ٧٢ وغيرها، وإيضاح المكنون ١/ ٩٣، وهدية العارفين ١/ ٥٢٤، ومعجم المؤلفين ٥/ ١٢٥، وطبقات الشافعية لابن كثير، ورقة ١٧٨ب ـ ١٧٩ أ، وعلم التاريخ عند المسلمين ٥٢٤، ٥٥١، ٦١٠، ٦٣١، ٦٧٣، ٦٩٠، ٧١٩، ٧٢٣، والتاريخ العربي والمؤرخون ـ شاكر مصطفى ٢/ ٢٦٦ـ ٢٦٨، ومقدمة كتاب الروضتين ١/ ٣ـ١٢، وعقود الجمان للزركشي، ورقة ١٠١، والإعلان بالتوبيخ ٥٢٤، ٥٥١، ٦١٠، ٦٣١، ٦٧٣، ٦٩٠، ٧١٩، ٧٢٣، والرسالة المستطرفة ١٣٢، ومعجم طبقات الحفّاظ والمفسرّين ١٠٨ رقم ١١٢٣، وتاريخ الأزمنة ٢٥٠، والمنهل الصافي ٧/ ١٦٤ـ ١٦٦ رقم ١٣٧٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٦١ـ ٦٧٠هـ) ص ١٩٤ رقم ١٦٤ .

القراءات على شيخه السخاوي سنة ستّ عشرة وستمائة، واعتنى بأولاده قبل الأربعين، وأسمعهم الكثير، وقرأ بنفسه وكتب الكثير من العلم، وأحكم الفقه، ودرس، وأفتى، وبرع في العربية، وصنّف، وشرح، واختصر، وحصل له الشيب، وهو ابن خمس وعشرين سنة.

وولي مشيخة القراءة بالتربة الأشرفية، ومشيخة الحديث بالدار الأشرفية، وكان مع فرط ذكائه، وكثرة علمه متواضعاً مُطّرِحاً للتكلف، وربما ركب الحمار بين المداوير.

وفي جمادى الآخرة سنة خمس وستين وستمائة جاءه اثنان من الجبلية، وهو في بيته عند طواحين الأشنان، فدخلا يستفتيانه فضرباه ضرباً مبرّحاً كاد أن يأتي على نفسه، ثم ذهبا، ولم يدر من سلطهما عليه، فصبر، واحتسب.

وتوفي في تاسع عشر رمضان من السنة المذكورة، وكان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة، فلذا قيل له أبو شامة.

ومنهم:

[٤٧]

أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع أبو العباس موفق الدين الكَوَاشي، الشافعي(١)

المقرىء، المفسر، الزاهد.

بقية الأعلام، وطوية خير أظهرها الله به للإسلام، تفسيره الذي صنّفه عِلماً باقياً، وعَلَماً هادياً من الضلال واقيا، صدر عن صدرٍ ماج البحر في جانبه، ومال الطودُ من

---

(١) ترجمته في: المقتفي للبرزالي ١/ ١٠٠ب، وذيل مرآة الزمان ٤/ ١٠٤ـ ١٠٥، والمختار من تاريخ ابن الجزري ٣٠٦ـ ٣٠٧، وتلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ٥/ ٨٣٩ـ ٨٤٠، وتالي كتاب وفيات الأعيان للصقاعي ٤٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٦٥، والعبر ٥/ ٣٢٧ـ ٣٢٨، والمعين في طبقات المحدّثين ٢١٦ رقم ٢٢٥٠، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٦٨٥ـ ٦٨٦، رقم ٦٥٤، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٨٠، وتذكرة النبيه ١/ ٨٦، ودرّة الأسلاك ١/ ورقة ٢٩، والسلوك ج١ ق٣/ ٧٠٥، والنجوم الزاهرة٧/ ٣٥، وبغية الوعاة ١/ ٤٠١ رقم٧٩٦، وطبقات المفسّرين للداوودي ١/ ٩٨ـ ١٠٠، وشذرات الذهب ٥/ ٣٦٥ـ ٣٦٦، وروضات الجنات ١/ ٣٠٤ـ ٣٠٥، ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٠٩، وديوان الإسلام ٤/ ٧٥ رقم ١٧٥٩، وهدية العارفين١/ ٩٨، وكشف الظنون ٣٣٩، وإيضاح المكنون ١/ ٢٢٢، ومفتاح السعادة ١/ ٤٣٥، والأعلام ١/ ٢٧٤، ودول الإسلام ٢/ ١٨٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٢٨، ونكت الهميان ١١٦، والكنى والألقاب ٣/ ١٠٧، =

مناكبه، وبرٌّ تقيٌّ ما سحب الفلَك الدوّار على نظيره سبائب سباسبه. إن لقب بالموفق، فهو الذي ما عدمه، أو عرف بالكواشي؛ فلأن كل شيءٍ من علم كتاب الله علمه، أوْ ولد مثله الزمان، فإنه حمد بعده عقمه.

ولد في ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة، وقرأ / ١٣١/ على والده، وقدم دمشق، وأخذ عن السخاوي، وغيره، وسمع من ابن روزبة، وتقدم في معرفة القراءات، والتفسير، والعربية.

وكان منقطع القرين، عديم النظير، زهداً، وصلاحاً، وصدقاً، وتبتلاً، وورعاً، واجتهاداً، صاحب أحوالٍ، وكرامات. وكان السلطان فمن دونه يزورونه، فلا يقوم لهم، ولا يعبأ بهم، ولا يقبل صلتهم، أضرَّ قبل موته بسنوات، وصنف التفسير الكبير والتفسير الصغير.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: بلغنا أنه اشترى قمحاً من قرية الجابية؛ لكونها من فتوح عمر ثلاثة أمداد، وجملها إلى الموصل، فزرعها بأرض البقعة، وخدمها بيده، ثم حصده، وتقوّت منه، وخبّأ بذاراً، ثم زرعه، فنما وكبر إلى أن بقي يدخل عليه من ذلك القمح ما يقوم به وبجماعته من أصحابه، وكان إذا أُرسل إلى عند صاحب الموصل، لا يردّه.

وتوفي في سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثمانين وستمائة. وكواشة قلعة من بلاد الموصل.

ومنهم:

[٤٨]

إبراهيم بن عمر بنِ إبراهيم، الأستاذ برهان الدين، أبو محمد الربعي، الجعبري[(١)]

المقرىء، الشافعي، النحوي.

شيخ بلد الخليل - عليه السلام - بل شيخ القراء في وقته والسلام، نزيل ذلك

= وطبقات الشافعية لابن شهبة ٢/ ٤٦١- ٤٦٢ رقم ٤٣٠، وتاريخ الخلفاء ٤٨٣- ٤٨٤، ومرآة الجنان ٤/ ١٩٢ وفيه: «أبو العباس يوسف بن حنين الشيباني الموصلي الكواشي»، وهو غلط، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢٩، وعيون التواريخ ٢١/ ٢٩٨- ٣٠٠ وفيه: «أحمد بن الحسن بن يوسف الكواشي»، وهو غلط، وتذكرة النبيه ١/ ٦٨، ودرّة الأسلاك ١/ ورقة ٦٨، والوافي بالوفيات ٨/ ٢٩١- ٢٩٢ رقم ٣٧١١، والمقفى الكبير ١/ ٧٤٢ رقم ٦٨٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٧١- ٦٨٠هـ) ص٣٤٢ رقم ٤٩٦ .

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٦/ ٧٣، فوات الوفيات ١/ ٣٩، أعيان العصر ١/ ١٠٣، معرفة القراء الكبار ٢/ ٧٤٣، غاية النهاية ١/ ٢١، طبقات الشافعية للسبكي ٩/ ٣٩٨.

الحرم، وضيف ذلك الكرم، وجليس ذلك المحراب المعمور، وأنيس ذلك المكان المتألق مع وجود ذلك النور المتقلل من كثير الدنيا، والموفي بنذره في طلب العليا، المناجي بلسانه الخليل: «أن يا إبراهيم صدقت الرؤيا» المنقطع إلى من تسمى باسمه إبراهيم، المجمع على أنه لا يرحل عن جواره الكريم الذي شاد، وما خلت البقاع، واشرق، وما أطلّ فرع الليل البهيم.

قرأ بالسبع على أبي الحسن الوجوهي صاحب / ١٣٢/ الفخر الموصلي، وبالعشر على المنتجب بن حسن التكريتي. وروى القراءات بالإجازة، وتصدّر للإقراء دهراً، وصنّف التصانيف الرائعة في فنون العلم، وهاجر إليه الطلبة من الآفاق، وله شرح الشاطبية كامل في معناه، وآخر للرائية، ونظم في السبع، والعشر، والرسم، والتجويد. وله نحو من مائة مصنّف.

ولد في حدود سنة أربعين وستمائة، أو قبلها بقلعة جعبر، واشتغل ببغداد، ثم قدم دمشق، فنزل بالشميساطية، وأعاد بالغزالية، ثم ولي مشيخة حرم الخليل بعد البديع، فبقي هناك إلى أن توفي في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة.

ومنهم:

[٤٩]

حمد بن بَصْخان بن عين الدولة، الإمام بدر الدين بن السراج(١)

متقدم بالعلم لا بالزمان، ومفضَّلٌ يحتج به أهل الإيمان، ومحلاً ورده للطالب لا يردّ عنه بغلّته ظمآن، ومهناً بفضل ما أوتي لا يضرُّه فيه أهل الشنآن، وله في الموسيقى ما يقرع له العود، ويقرّ له الحسود، ويقرّر أنه ما غاب نصيبه مما قيل له: اعملوا شكراً آل داود(٢)، إلاّ أنه لم يكن معتدل المزاج، ولا معتد الجسم للعلاج، لإفراط سوداء به منعته من المآكل كل بيضاء شحمه، وكل حمراء لحمه، وكل خضراء نضرةٍ نعماء، وكل زرقاء نطفة ماء، وكل صفراء فلذة حلواء، تسمى باسم من الأسماء، فقضى مدة حياته منغّصاً واستوفى رزقه من الدنيا، إلاّ أنه أخذه منقصاً، وهيهات

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢/ ١٥٩، أعيان العصر ٤/ ٢٨٢، معرفة القراء الكبار ٢/ ٧٤٤، غاية النهاية٢/ ٥٧.

(٢) من قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ سورة سبأ: الآية ١٣.

وهيهات بتجنب الطيبات من الرزق طول طيب الحياة: [من الكامل]

وَإِذَا الـمَـنِـيَّـةُ أَنْـشَـبَـتْ أَظْـفَـارَهَـا أَلْـفَـيْـتَ كُـلَّ تَـمِـيْـمَـةٍ لاَ تَـنْـفَـعُ

ولد سنة ثمان وستين، وسمع الكثير بعد الثمانين، واعتنى بالقراءات سنة / ١٣٣/ تسعين، وبعدها، وحجّ غير مرّة، وانتقل إلى مصر سنة سبعمائة، وجلس في حانوتٍ تاجراً، ثم أقبل على العربية فأحكمها، وقدم دمشق بعد ستة أعوام، وتصدّر لإقراء القراءات والنحو، وقصده القراء والمشتغلون، وظهرت فضائله وبهرت معارفه، وبَعُدَ صيتُه، ثم إنه أقرأ لأبي عمرو بإدغام «الحمير لتركبوها» وبابه، ورآه واسعاً في العربية والتزم إخراجه من القصيد، وصمّم على ذلك مع اعترافه بأنّه لم يقرأ به، وقال: أنا قد اذن إن أقرأُ بما في القصيد، وهذا يخرج منها، فقام عليه التونسي وابن الزملكاني وغيرهما فطلبه قاضي القضاة ابن صصري بحضورهم وراجعوه وناظروه فلم يرجع فمنعه الحاكم المذكور من الإقراء به وأمره بمراجعة الجمهور فتألم وانقطع في بيته، وامتنع من الإقراء جملةً، ثم إنه استخار الله ـ تعالى ـ واستأذن الحاكم في الإقراء بجامع دمشق فأذن له، وجلس للإفادة، وازدحم عليه الطلبة، وأخذوا عنه القراءات والعربية، وكان له ملك يقوم بمصالحه، ولم يتناول من الجهات درهماً ولا طلب جهةً مع كمال أهليته.

ثم ولي مشيخة الإقراء بتربة أم الملك الصالح بعد التونسي لكونه أقرأ من وجد بدمشق من المتصدرين، وكذلك ولي إمامة مسجد أبي الدرداء بقلعة دمشق، ثم تركها وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالشام، وتوفي في ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

وهذا آخر من كان يُعَدُّ في فنه واحداً في الزمان، وفرداً لا يُلَزّ بثان، فلما قرَّ القبر بإيابه، ونُفضت الأيدي من ترابه، تساوت بعده الأنظار، وتواست لواحدٍ في عدم الإقرار، على أنَّ في الأيام منهم شموساً لوامع، وفي الليالي بدوراً طوالع، إلاّ أنه لم ينبغ منهم في هذا الفن متفرّداً / ١٣٤/ به واحد، ولا قنع به دون ضم أطراف العلوم الشوارد، بل ما في جلّه الوقت ممن أتقن القراءات إلا من جعلها تماماً لحليّة من غير نقيصة، ومشاركة في عموم معارفه لا خصيصة؛ قلّما مَنْ تمَّحضَ للقراءات. فما منهم رأس ارتفع، ولا واحد عليه يجتمع، وكان موته إذ حُمل على أعناق الرجال، وقُدّم له النعش للارتحال كما زعم الأول وقال: [من السريع]

تَـسَـاوَتِ الـنَّـاسُ وَمَـاتَ الـكَـمَـالْ

تغمده الله بالرضوان، وآنسه بالقرآن، فبموته خُتم قُرَّاء الجانب الشرقي، وتظلَّم لحظّهِ الشقي.

* * *

[مشاهير القرَّاء في الجانب الغربي]

فأمّا القراء بالجانب الغربي ومن قرأ في بلاد البرابرة العجم الكتاب المنزل باللسان العربي، فسأذكر منهم طائفة، لولا مصر لما جمع منهم كثرة، ولا قلّة، ولا من يُروى منه بنهلةٍ، ولا عَلَّة.

وها أنا أقول منهم:

[٥٠]

محمد بن خيرون المعافِري، أبو عبد الله المغربي[١]

شيخ الإقراء بالقيروان، مضى زمن وهو صدر ذلك الأوان، عمَّت به الإفادة، وحصل بجِدِّه ما حصل في جَدِّه من خير وزيادة. رَحَلَ، وقرأ، وحذق في قراءة ورش، وله مسجد بالقيروان منسوب إليه.

قال أبو عمرو الداني: روى عنه عامة اهل القيروان وسائر المغرب، وكان رجلاً صالحاً، فاضلاً، كريم الأخلاق، إماماً في القرآن، شديد الأخذ، ولم يكن يقرأ أهل إفريقية بحرف نافع إلاَّ خواص، حتى قدم ابن خيرون، فاجتمع عليه الناس.

وتوفي بمدينة سوسة في نصف شعبان سنة ست وثلاثمائة.

ومنهم:

---

(١) ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢١٧ رقم ١١٩، وفيه ذكر محقّقه السيد أكرم البوشي: جذوة المقتبس، وبغية الملتمس كمصدرين لترجمته، وهذا فيه شكّ، فالذي فيهما: «محمد بن خيرون أبوجعفر، أندلسي، رحل ووصل إلى العراق، وسمع بها من صاحب يعلى بن المديني، ويحيى ابن معين يسمّى محمد بن نصر، ورجع إلى القيروان فاستوطنها، وحدّث بها وسكن بموضع منها يعرف بالزيادية، وبنى هنالك مسجداً يُنسب إليه». (انظر: الجذوة ٥٤ رقم ٤٦، والبغية ٧٣، ٧٤ رقم ١٠٩). تاريخ الإسلام (السنوات ٣٠١ـ ٣٢٠هـ) ص ١٩٥ رقم٢٩٩.

[٥١]

أبو عمر الطّلمنكي، واسمه أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري، الأندلسي(١)

المقرىء، الحافظ، نزيل قرطبة.

إذ كانت تزهر بخلائفها، وتزهي / ١٣٥/ كالغادة العذراء بأُلاّفها، وكان لقرطبة قُرْطاً لأذنها، وللزهراء زهراً يُفتح في فننها. يفيدُ أهلها، ويغيث الرياح اللواقح أن يلحق فضلها. تقلَّدت منه صارماً أفتك من نحرها، وأثبت على عواتقها من مستقر الخلافة في صدرها، فقام والدهر قد قعد، وسحّ حَيَاً فأنجز حُرٌّ منه ما وعد.

ولد سنة أربعين وثلاثمائة، وسمع سنة اثنتين وستين، وهو أول سماعه، وقرأ على أبي الحسن علي بن محمد الانطاكي، وأبي الطيب بن غلبون، ومحمد بن علي الأُدفوي، وقيل: سمع منه ولم يقرأ عليه.

وروى عن جماعة، ورجع إلى الأندلس بعلم جم، وروى عنه أبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد بن حزم، وطائفة كثيرة.

وكان رأساً في علم القرآن؛ قراءاته، وإعرابه، وأحكامه، وناسخه، ومنسوخه، ومعانيه، رأساً في علم الحديث، ومعرفة طرقه، حافظاً للسنن، ذا عناية بالآثار والسنة، إماماً في عقود الديانات، ذَا هَدْيٍ وسَمْتٍ، ونسك وصمت.

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لُبّ بن يحيى:
ترجمته في: جدوة المقتبس للحميدي ١١٤ رقم ١٨٧، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/ ٧٤٩ـ ٧٥١، والصلة لابن بشكوال ١/ ٤٤ـ ٤٥ رقم ٩٢، وبغية الملتمس للضبّي ١٦٢ رقم ٣٤٧، ومعجم البلدان ٤/ ٣٩، وملء العيبة للفهري ٢/ ٧٤، ٣٦٦، والروض المعطار ٣٩٣، والعبر ٣/ ١٦٨، وتذكرة الحفاظ ٣/١٠٩٨ـ ١١٠٠، والمعين في طبقات المحدّثين ١٢٥ رقم ١٣٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٦٦ـ ٥٦٩ رقم ٣٧٤، والإعلام بوفيات الأعلام ١٧٩، ومعرفة القراء الكبار١/ ٣٨٥ـ ٣٨٧ رقم ٣٢٢، وعيون التواريخ (المخطوط)١٢/ ١٧٣أ، وفهرسة ما رواه عن شيوخه ٤٤ـ ٤٥، والوافي بالوفيات ٨/ ٣٢ـ ٣٣، والديباج المذهب ١/ ١٧٨ـ ١٨٠، وغاية النهاية ١/ ١٢٠ رقم ٥٥٤، والمقفّى للمقريزي (مخطوط) ورقة ١٢٨، والنجوم الزاهرة٥/ ٢٨، وطبقات الحفاظ ٤٢٣ـ ٤٢٤، وطبقات المفسّرين للسيوطي ١٧ـ ١٨ رقم ٨، وطبقات المفسّرين للداوودي ١/ ٧٧ـ ٧٩، وطبقات المفسّرين للأدفوي (مخطوط) ورقة ٣٠ب، وصفة جزيرة الأندلس١٢٨، وشذرات الذهب ٣/ ٢٤٣ـ ٢٤٤، وشجرة النور الزكية ١/ ١١٣، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٢/ ٦٩ (في ترجمة: حاتم بن محمد الطرابلسي رقم ٣٨٥)، ومعجم طبقات الحفّاظ ٦٠ رقم ٩٥٩ وفيه: «أحمد بن محمد بن عبد الله بن غالب بن يحيى»، ومدرسة الحديث في القيروان٢/ ٨٥١و ٨٥٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٢١ـ ٤٤٠هـ) ص ٢٥١ رقم ٢٩١ .

قال أبو عمرو الداني: كان فاضلاً، ضابطاً شديداً في السنة.

وقال ابن بشكوال في كتابه الصلة: كان سيفاً مجرّداً على أهل الأهواء والبدع، قامعاً لهم، غيوراً على الشريعة، شديداً في ذات الله. أقرأ الناس محتسباً، وأسمع الحديث، وأم بمسجد مُتعة، ثم إنه خرج إلى الثغر، فجال فيه، وانتفع الناس بعلمه، ثم قصد بلده في آخر عمره، فتوفي به في ذي الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

ومنهم:

[٥٢]

مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار، أبو محمد القيسي، المغربي، القيرواني، ثم الأندلسي القرطبي(١)

العلاّمة المقرىء، الماشي رويداً، والسحاب خلفه يجري. سمح به على بخله الزمن، وأصاب به من لم يقس قيساً بيمن، ووجلت منها بـ «من» حتى حملت شعارها الأصفر إشعاراً بأنها من ذممها، وأوجفت عليها قيس /١٣٦/ تحت رايتها الحمراء مخضّبة بدمها. ولقد عُرفت له دعوة مجابة وساعة ما مدّ فيها

(١) ترجمته في: جذوة المقتبس للحميدي ٣٥١ رقم ٨٢٠، ونزهة الألباء لابن الأنباري ٢٥٤ـ ٢٥٥، وفهرسة ما رواه عن شيوخه الإشبيلي ٤١، ٤٤، ٥١، ٦٧، ٧٦، ٤٢٩، والصلة لابن بشكوال ٢/ ٦٣١ـ ١٧١، وإنباه الرواة للقفطي ٣/ ٣١٣ـ ٣١٩، ووفيات الأعيان ٥/ ٢٧٤ـ ٢٧٧، وترتيب المدارك للقاضي عيّاض ٤/ ٧٣٧ـ ٧٣٨، والإعلام بوفيات الأعلام ١٨٢، والمعين في طبقات المحدّثين ١٢٧ رقم ١٤٠٨، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٣٩٤ـ ٣٩٦ رقم٣٣٣، والعبر ٣/ ١٨٧ـ ١٨٨، ودول الإسلام ١/ ٢٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٩١ـ ٥٩٣ رقم ٣٩٥، وتلخيص ابن مكتوم (مخطوط) ورقة ٢٥١ـ ٢٥٤، وعيون التواريخ (مخطوط) ١٢/ ٢١٧، ومرآة الجنان ٣/ ٥٧ـ ٥٨، والديباج المذهب ٢/ ٣٤٢ـ ٣٤٣، والوفيات لابن قنفذ ٢٤٢، ٣٤٣ رقم ٤٣٧، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة للفيروزآبادي ٢٦٣ـ ٢٦٤، وغاية النهاية لابن الجزري ٢/ ٣٠٩ـ ٣١٠ رقم ٣٦٤٥، وطبقات ابن قاضي شهبة ٢٥٧، والنجوم الزاهرة٥/ ٤٦، وبغية الوعاة ٢/ ٣٩٦، رقم ٢٠١٨، وتاريخ الخلفاء ٤٢٢، ومعالم الإيمان للدبّاغ ٣/ ٢١٣، وطبقات المفسّرين للداوودي ٢/ ٣٣١ـ ٣٣٢، و٣٣٧ـ ٣٣٨، وشذرات الذهب ٣/ ٢٦٠ـ ٢٦١، ومفتاح السعادة ١/ ٤١٩، وكشف الظنون ٢/ ٣٣، ١٢١، ١٧٤، ٢٠٦، ٢١٠، ٣٣٩، ٣٩٣، ٤٠٤، ٤٥٩، ٤٩٥، ٦٦٠، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩٣٨، ١٣٨٨، ١٤٣٢، ٢٠٤٨، وإيضاح المكنون ١/ ٨٥ و٢/ ٥٥٤، وعقد الجوهر لجميل العظم ٢٩٧ـ ٣٠٠، وهدية العارفين ٢/ ٤٧٠ـ ٤٧١، وإيضاح المكنون ١/ ٨٥، وديوان الإسلام ٤/ ١٢٣ـ ١٢٤ رقم ١٨٢٣، والأعلام ٧/ ٢٨٦، ومعجم المؤلفين ١٣/ ٣، ومدرسة الحديث في القيروان ٢/ ٦٤٠، ٧٩٩. في «ترتيب المدارك» ٤/ ٧٣٧: «حمّوس» (بالسين المهملة)، تاريخ الاسلام (السنوات ٤٢١ـ ٤٤٠هـ) ص ٤٥٢ رقم ٢١٢.

يده حتى فُتحت له أبواب السماء بالإجابة.

ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة بالقيروان، وحجَّ وسمع بمكة، وقرأ القراءات على أبي الطيب بن غلبون، وابنه طاهر، وسمع من محمد بن علي الأذفوي، وكان متبحراً في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف في علوم القرآن، محسناً، مجوداً، عالماً بمعاني القراءات، سافر إلى مصر ـ وهو ابن ثلاث عشرة سنة ـ وتردد إلى المؤدبين بالحساب، وأكمل القرآن، ورجع إلى القيروان، ثم رحل، فقرأ القرآن على ابن غلبون سنة ستّ وسبعين، وقرأ بالقيروان أيضاً بعد ذلك، ثم رحل سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، وحجّ، وجاور ثلاثة أعوام، ودخل الأندلس سنة ثلاث وتسعين، وجلس للإقراء بجامع قرطبة، وعظم اسمه، وجلّ قدره.

قال ابن بشكوال: قلّده أبو الحزم جهور خطابة قرطبة بعد يونس بن عبد الله القاضي، وكان قبل ذلك ينوب عن يونس وله ثمانون تأليفاً، وكان خيراً، متديّناً، مشهوراً بالصلاح وإجابة الدعوة. دعا على رجل كان يسخر به في وقت الدعاء، فأُقعد ذلك الرجل.

توفي في ثاني المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

ومنهم:

[٥٣]

أبو عمرو الداني[١] واسمه عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي، مولاهم القرطبي[٢]

الإمام، العلم، المعروف في زمانه بابن الصيرفي، وفي زمننا بأبي عمرو الداني؛ لنزوله بدانية، ونزوحه منها إلى حيث النجوم بانية، هو أبو عمرو وقته، ونافع زمانه، أو

---

(١) نسبة إلى دانية: بعد الألِف نون مكسورة بعدها ياء مثنّاة من تحت مفتوحة. مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقاً، مَرْساها عجيب يسمّى السُّمّان، ولها رساتيق واسعة كثيرة التين والعنب واللوز، وكانت قاعدة ملك أبي الجيش مجاهد العامري، وأهلها أقرأ أهل الأندلس لأن مجاهداً كان يستجلب القرّاء ويُفْضل عليهم وينفق عليهم الأموال، فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده فكثروا في بلاده.
(معجم البلدان ٢/ ٤٣٤).

(٢) ترجمته في: جذوة المقتبس للحميدي ٣٠٥ رقم ٧٥٢، والصلة لابن بشكوال ٢/ ٤٠٥ـ ٤٠٧ رقم ٨٧٦، وبغية الملتمس للضبّي ٤١١ـ ٤١٢، رقم ٣٩٩، ومعجم البلدان ٢/ ٤٣٤، ومعجم الأدباء =

ساميه في سَمْته، الذي لم يتأخر إذ جاء في آخر الزمان، ولم يتعذر ملاقاة القراء السبعة الأُول على من لم /١٣٧/ يعاصرهم، وعاصر منه عثمان.

ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. قال أبو عمرو: وابتدأتُ بطلبِ العلم في سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة، ورحلتُ إلى المشرق سنة سبع وتسعين، فمكثتُ بالقيروان أربعة أشهر أكتبُ، ثم دخلت مصر في شوال من السنة، فمكثت بها سنة، وحججت، ودخلت الأندلس في ذي القعدة سنة تسع وتسعين، وخرجت إلى الثغر سنة ثلاث وأربعمائة، فسكنت سرقسطة سبعة أعوام، [ثم رجعت إلى قرطبة. قال: وقدمت دانية سنة سبع عشرة.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي:] فاستوطنها حتى مات. وقرأ بالروايات، وسمع كتاب ابن مجاهد في اختلاف السبعة، وسمع الحديث.

وقال ابن بشكوال: كان أبو عمرو وأحد الأئمة في علم القرآن: رواياته، وتفسيره، ومعانيه، وطرقه، وإعرابه. وجمع في ذلك كله تواليف حساناً مفيدة يطول تعدادُها، وله معرفة بالحديث وطرقه، وأسماء رجاله ونقلته. وكان حسن الخطّ، جيد الضبط من أهل الحفظ، والذكاء، والتفنُّن، ديناً، فاضلاً، ورعاً، سُنِّياً.

وقال المغامي: كان أبو عمرو الداني مجاب الدعوة مالكي المذهب، ومن تصانيفه كتاب الأرجوزة في أصول السنة منها يقول: [من الرجز]

كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيما وَلَمْ يَزَلْ مُدَبِّراً حَكِيما

= ١٢/ ١٢٤ـ ١٢٨، والاستدراك لابن النقطة (مخطوط) ١/ ورقة ٢١٣ب، وإنباه الرواة ٢/ ٣٤١ـ ٣٤٢، وصفة جزيرة الأندلس ٧٦، والعبر ٣٠/ ٢٠٧، ومعرفة القراء الكبار١/ ٣٢٥ـ ٣٢٨، وتذكرة الحفاظ٣/ ١١٢٠ـ ١١٢١، ودول الإسلام ١/ ٢٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٧٧ـ ٨٣ رقم ٣٦، والمعين في طبقات المحدثين ١٢٨ رقم ١٤٢٣، والإعلام بوفيات الأعلام ١٨٤، وتلخيص ابن مكتوم ١٦٦ـ ١٦٧، ومرآة الجنان ٢/ ٦٢، والوفيات لابن قنفذ ٢٤٣، والديباج المذهب ٢/ ٨٤ـ ٨٥، وغاية النهاية ١/ ٥٠٣ـ ٥٠٥، رقم ٢٠٩١، وطبقات النحاة لابن قاضي شهبة ٢/ ١٢٧، وتبصير المنتبه٢/ ٦٢١، وطبقات المفسّرين للسيوطي ١٥٩، وتاريخ الخلفاء ٤٢٣ والنجوم الزاهرة٥/ ٥٤، وطبقات المفسّرين للداوودي ١/ ٣٧٣ـ ٣٧٦، ومفتاح السعادة ٢/ ٤٧ـ ٤٨، ونفح الطيب ٢/ ١٣٥ـ ١٣٦، وكشف الظنون ١/ ١٣٥، ٣٥٥، ٥٢٠، وشذرات الذهب ٣/ ٢٧٢، وديوان الإسلام ٢/ ٢٧٤ـ ٢٧٥ رقم ٩٢٧، وروضات الجنات ٤٦٧، وهدية العارفين ١/ ٦٥٣، والرسالة المستطرفة ١٣٩، وشجرة النور الزكية ١/ ١١٥ رقم ٣١٥، والأعلام ٤/ ٢٠٦، ومعجم المؤلفين ٦/ ٢٥٤، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ٢٥٣ـ ٢٥٤ رقم ٣٢٦، ومدرسة الحديث في القيروان ٢/ ٨٣٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٤١ـ ٤٦٠هـ) ص ٩٧ رقم ١١٥ .

كَلاَمُهُ وَقَوْلُهُ قَدِيْمُ ... وَفَوق عرشهِ هو العظيم
وَالقَولُ فِي كِتَابِهِ المُرَتَّلْ ... بِأَنَّهُ كَلاَمُهُ المُنَزَّلْ
عَلَى رَسُوْلِهِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ ... لَيسَ بِمَخْلُوقٍ وَلاَ بِخَالِقِ
مَنْ قَالَ فِيْهِ: إِنَّهُ مَخْلُوقُ ... أَوْ مُحْدَثٌ فَقَولُهُ مُرُوقُ
أَهْوِنْ بِقَوْلِ جَهْمِ الخَسِيْسِ ... وَوَاصِلٍ وَبِشْرٍ المَرِيْسِيْ

/١٣٨/ وتوفي في بداية يوم الاثنين منتصف شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة، ودفن ليومه بعد العصر، ومشى صاحب دانية أمام نعشه، وشيَّعه خلقٌ عظيم.

ومنهم:

[٥٤]

سليمان بن أبي القاسم نجاح[١]، أبو داود المقرىء

مولى الأمير المؤيد بالله بن المستنصر الأموي، الأندلسي.

سند الإقراء، ومسند القراء، وعمدة الأداء، وعدّة الظفر على الأعداء، أيد به المؤيد، ونصر المستنصر إذ كان له أبا السيد الذي عمَّت تصانيفه نفعاً، وتمت فكادت لا تحصى جمعاً، المتيقظ لكتاب الله يدرسه، والعيون هجود، المستوقف بقراءته حتى الطير في السماء، ولا ينكر لسليمان أن يرث مزامير داود.

أخذ القراءات عن أبي عمرو الداني، ولازمه مُدّة وأكثر عنه، وهو أجلّ أصحابه، وقرأ عليه بشرٌ كثير.

قال ابن بشكوال: كان من جلّة المقرئين وفضلائهم وأخيارهم، عالماً بالقراءات وطرقها، حسن الضبط، ثقة، ديناً، له تواليف كثيرة عدّتها ستة وعشرون مصنّفاً، أخبرنا عنه جماعة ووصفوه بالعلم والفضل والدين، ومن تصانيفه كتاب «البيان الجامع لعلوم

---

(١) ترجمته في: الصلة لابن بشكوال ١/ ٢٠٣ـ ٢٠٤ رقم٤٥٨، وبغية الملتمس للضبّي ٢٨٩ـ ٢٩٠ رقم٧٧٨، وفهرست ابن خير ٤٢٨، ومعجم الصدفي ٣١٥، والمعين في طبقات المحدّثين ١٤٥ رقم ١٥٨١، ودول الإسلام ٢/ ٦٢، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٦٨ـ ١٧٠ رقم ٩٢، ومعرفة القراء الكبار١/ ٤٥٠ـ ٤٥١ رقم ٣٨٩، والعبر ٣/ ٣٤٣ـ ٣٤٤، وعيون التواريخ (مخطوط) ١٣/ ١٢٠، والوافي بالوفيات ١٥/ ٤٣٧ رقم ٥٨٨، ومرآة الجنان ٣/ ١٥٩، وغاية النهاية ١/ ٣١٦ـ ٣١٧ رقم ١٣٩٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٨٧، ونفح الطيب ٢/ ١٣٥، ١٥٣ و٤/ ١٧١، وشذرات الذهب ٣/ ٤٠٣ـ ٤٠٤، وطبقات المفسّرين للداوودي ١/ ٢٠٧ـ ٢٠٨ رقم ١٩٩ومعجم المؤلفين ٤/ ٢٧٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٩١ـ ٥٠٠) ص٢٣٤ رقم ٢٤٢.

القرآن» في ثلاثمائة جزء، «وعقود الديانة» وهي أرجوزة ثمانية عشر ألف بيتٍ وأربعمائة وأربعون بيتاً.

قال ابن بشكوال: ولد سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وتوفي ببلنسية في سادس عشر رمضان سنة ستّ وتسعين وأربعمائة، وتزاحموا على نعشه.

ومنهم:

[٥٥]

عبد الرحمن بن أبي بكر عتيق بن خلف العلامة الأستاذ، أبو القاسم، ابن الفحام الصقلي(١)، المقرىء

صاحب كتاب «التجريد»، والمعروف في القراءة «بالتجويد». الصقلي الصقيل المرآة، الجميل مرآه، /١٣٩/ ابن الفحام الذي أفحم كل ذي جدل، وسوّد وجه كل معارض بما اختنق من دم الخجل، الموافق لابن الصديق، فما نقص ولا زاد، عبد الرحمن بن أبي بكر عتيق، ولعله ما قيل إنه عتيق إلاَّ لأنه جواد.

قرأ القراءات على أبي العباس أحمد بن سعيد بن نفيس، وأبي الحسين نصر بن عبد الغافر الفارسي، وعبد الباقي بن فارس، وأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل المالكي، وقرأ العربية على ابن بابشاذ، وشرح مقدمته، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالإسكندرية علوّاً ومعرفة.

قال سليمان بن عبد العزيز الأندلسي: ما رأيت أحداً أعلم بالقراءات منه لا بالمشرق ولا بالمغرب.

وثَّقه السلفي، وقرأ عليه، وقرأ عليه أيضاً أبو العباس بن الحطيئة، ويحيى بن سعدون شيخ الموصل، وعبد الرحمن بن خلف بن عطية، وغيرهم.

توفي في ذي القعدة سنة ست عشرة وخمسمائة، وقد جاوز التسعين، وتردد في مولده هل هو في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، أو في سنة خمس وعشرين ـ والله أعلمَ.

ومنهم:

---

(١) ترجمته في: عيون التواريخ ١٢/ ١٤٠، إنباه الرواة٢/ ١٦٤، غاية النهاية ١/ ٣٧٤، معرفة القراء الكبار١/ ٤٧٢.

[٥٦]

علي بن محمد بن علي بن هذيل، الإمام أبو الحسن البَلَنْسي[(١)]

المقرىء، الزاهد، المقرّ بفضله له الخصم، فلا يحتاج إلى شاهد، المتفرّد كأنّه سهيل، والمراد به عصر أبي ذؤيب في هذيل، والتائه به الغرب على الشرق إذا جاء بابن هُذَيلِهِ العلاف، ليماثله، أو أقبل بجدله، وأكثره الباطل على هذا في الحق؛ ليجادله.

لازم أبا داود سليمان بن أبي القاسم مدة سنين بدانية وبلنسية، ونشأ في حجره؛ لأنه كان زوج أمه، فقرأ عليه القراءات، وسمع عليه شيئاً كثيراً، وهو أجلُّ أصحابه وأثبتهم، وصارت إليه أصوله/ ١٤٠/ العتيقة، وانتهت إليه رئاسة الإقراء في زمانه.

قال الأبار: كان منقطع القرين في الفضل، والدين، والورع، والزهد، والتواضع، والإعراض عن الدنيا، والتقلل، صوّاماً، قوّاماً، كثير الصدقة، كانت له ضيعة يخرج لتفقدها، فتصحبه الطلبة، فمن قارئ، وسامع، وهو منشرح لذلك، طويل الاحتمال على فرط ملازمتهم ليلاً ونهاراً، وعُمِّر، وهو آخر من حدّث عن أبي داود، وانتهت إليه رئاسة الإقراء عامة عمره؛ لعلوّ رتبته وإمامته في الاتقان والتجويد. وحدّث عن جلّة لا يحصون، وروى العلم نحواً من ستين سنة.

ولد سنة سبعين وأربعمائة، أو سنة إحدى وسبعين.

وتوفي يوم الخميس سابع عشر رجب سنة أربع وستين وخمسمائة، فحضره السلطان أبو الحجاج يوسف بن سعد، وتزاحم الناس على نعشه، ورثاه ابن واجب بقوله: [من البسيط]

لَمْ أَنْسَ يَوْمَ تَهَادَى نَعْشَهُ أَسَفاً ... أَيْدِي الوَرَى وتَرَامِيْها عَلَى الكَفَنِ
كَزَهْرَةٍ تَتَهَادَاهَا الأَكُفُّ فَلاَ ... تُقِيمُ فِي رَاحَةٍ إلاَّ عَلَى ظَعَنِ

قال الأبار: قال لنا محمد بن أحمد بن سلمون: هذا صحيح. كان الناس يتعلقون بالنُّطُق والسُّقُف؛ ليدركوا النعش بأيديهم، ثم يمسحون بها على وجوههم، وكان يتصدق على الأرامل واليتامى، فقالت له زوجته: إنك لتسعى بهذا في فقر أولادك، فقال لها: لا والله إلا أنا شيخ طماع أسعى في غناهم.

ومنهم:

---

(١) ترجمته في: الذيل والتكملة ٥/ ١/ ٣٦٩، التكملة لابن الأبار ٣/ ٢٠١، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٠، الفهرست لابن خير ٤٢٨، غاية النهاية ١/ ٥٧٣، معرفة القراء الكبار ٢/ ٥١٧.

[٥٧]

القاسم بن فِيُّره بن خلف بن أحمد، أبو محمد وأبو القاسم، الرعيني، الشاطبي[(١)]

المقرىء، الضرير.

أحد الأعلام، والمتحدّي بمعجزه في شاطبيته على علماء الإسلام، والفرد بلا نظير على كثرة الأنام، ولا شبيهٍ /١٤١/ يطمع أن يرى مثله حتى ولا في المنام، المبصر قلبه؛ لأنَّ القرآن نوره، والإيمان مشكاة فهمه إذا اشتبهت أموره، الذي قلَّ من لا استقى من بحره، أو اغترف غرفة بيده من نهره، أو جاء بعده من القرّاء مجيد إلاًّ وقصيدته «حرز الأماني» تميمة معلّقة على نحره.

ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، وقرأ ببلده القراءات، وأتقنها ثم ارتحل إلى بلنسية، وهي قريبة من شاطبة، فعرض بها القراءات والتيسير من حفظه، وسمع الحديث، وارتحل ليحجّ، واستوطن مصر، واشتهر اسمه، وبَعُدَ صيته، وقصده الطلبة من النواحي.

وكان إماماً، علامة، ذكياً، كثير الفنون، منقطع القرين، رأساً في القراءات، حافظاً للحديث، بصيراً بالعربية، واسع العلم، وقد سارت الركبان بقصيدته «حرز

---

(١) ترجمته في: معجم الأدباء ١٦/ ٢٩٣، ذيل الروضتين ٧، تكملة الصلة لابن الآبار (مخطوطة الأزهر) ٣/ ورقة ١٠١، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٣٤ـ ٢٣٦، والتكملة لوفيات النقلة ١/ ٢٠٧ رقم٢٣٧، وطبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح ٢/ ٦٦٥ـ ٦٦٦ رقم ٢٥٦، ودول الإسلام ٢/ ١٠٢، ومعرفة القراء الكبار٢/ ٥٧٣ـ ٥٧٥ رقم ٥٣١، والعبر ٤/ ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٦١ـ ٢٦٤ رقم ١٣٦، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٤٣، والوفيات لابن قنفذ ٢٩٦ رقم ٥٨٩، (وفيه وفاته سنة ٥٨٩هـ)، ونكت الهميان ٢٢٨ـ ٢٢٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥/ ٢٩٧ (٧/ ٢٧٠)، والبداية والنهاية١٣/ ١٠، ومرآة الجنان٣/ ٤٦٧ـ ٤٦٨، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٣٦٨ـ ٣٦٩ رقم ٣٣٦، وغاية النهاية٢/ ٢٠ـ ٢٣، ومفتاح السعادة ١/ ٣٨٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٣٦، ونفح الطيب ٢/ ٣٣٩، والعقد المذهب لابن الملقّن (مخطوط) ورقة ١٥٩، وعقد الجمان للعيني (مخطوط) ١٧/ ورقة ١٩٥، وحسن المحاضرة ١/ ٢٣٦، وبغية الوعاة ٢/ ٢٦٠، وكشف الظنون ٦٤٦، ٦٤٧، وشذرات الذهب ٤/ ٣٠١ـ ٣٠٣، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٠٩، وتاريخ الخلفاء ٤٥٧، وديوان الإسلام ٣/ ١٥٦ رقم ١٢٥٨، وهدية العارفين ١/ ٨٢٨، والأعلام ٥/ ١٨٠ (٦/ ١٤)، معجم المؤلفين ٨/ ١١٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٨١ـ ٥٩٠هـ) ص ٣٨٣ رقم ٣٩٩.

الأماني»، و«عقيلة أتراب القصائد» اللتين في القراءات والرسم، وحفظهما خلق لا يحصون، وخضع لهما فحول الشعراء، وكبار البلغاء، وحذّاق القراء؛ فلقد أبدع، وأوجز، وسهل الصعب، وقرأ عليه بالروايات عدد كثير.

قال الأبار في تاريخه: تصدّر للإقراء بمصر، فعظم شأنه، وبعد صيتِه، وانتهت إليه الرئاسة في الإقراء، وكان موصوفاً بالزهد، والعبادة، والانقطاع.

ومن شعره: [من مجزوء الكامل]

قُلْ لِلأَمِيْرِ نَصِيْحَةً لاَ تَرْكَنَنَّ إِلَى فَقِيْهِ

إنَّ الفَقِيْهَ إذَا أَتَى أَبْوَابَكُمْ لاَ خَيْرَ فِيْهِ

وعاش اثنتين وخمسين سنة.

وتوفي بمصر في ثامن عشر من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة.

/ ١٤٢/ ومنهم:

[٥٨]

عليّ بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غطاس أبو الحسن الهمذاني السخاوي[(١)] علم الدين

المقرىء المفسر النحوي، شيخ القراء بدمشق في زمانه، إلاَّ أنه مما جاز الغرب دينار شمسه، وهيأ موضع منشأه، ثم ضنّ بكوكبه الدريّ أن يهيىء له موضع رمسه ما

---

(١) ترجمته في: معجم الأدباء ١٥/ ٦٥ـ ٦٦ رقم ١٣، ومعجم البلدان ٣/ ١٩٦، وذيل مرآة الزمان ٧٥٨ـ ٧٥٩، وإنباه الرواة ٢/ ٣١١ـ ٣١٢ رقم ٤٩٤، وذيل الروضتين ١٧٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٤٠ـ ٣٤١ رقم٤٥٦، وتلخيص مجمع الآداب ٤ق ١/ ٦٠٤ رقم ٨٨٠، والمختصر في أخبار البشر ٤/ ١٧٤، وإشارة التعيين، ورقة ٣٦، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣١٩، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٠٢ رقم ٢١٣٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٢٢ـ ١٢٤ رقم ٩٤، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٢٢٢، والإعلام بوفيات الأعلام ٣٦٧، ومعرفة القراء الكبار ٦٣١ـ ٦٣٥ رقم ٥٩٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٢، والعبر٥/ ١٧٨، ودول الإسلام ٢/ ١٤٩، والوافي بالوفيات ٢٢/ ٦٤ـ ٦٦ رقم ١٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧٦، وتلخيص ابن مكتوم، ورقة ١٥٤ـ ١٥٥، ومرآة الجنان ٤/ ١١٠ـ ١١١، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ١٤١ رقم ٩٥٨، وطبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٢٦، و(٨/ ٢٩٧، ٢٩٨)، والبداية والنهاية ١٣/ ٨٧٠، وطبقات الشافعية لابن كثير (مخطوط) ورقة ١٧٢ب، وتاريخ الخميس ٢/ ٤١٥، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ١٦٦ـ ١٦٧، وغاية النهاية ١/ ٥٦٨ـ ٥٧١ رقم ٢٣١٨، ونهاية الغاية، ورقة ١٦٥، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة، ورقة ١٨٣، وطبقات الشافعية، له ٢/ ٤٤٧ـ ٤٤٨ رقم ٤١٦، والنجوم الزاهرة =

أهدى الغرب مثل نسيمه الخفاق، ولا أمدّ الشرق في نهاره المتدفق شبيه نهره الدفاق، ولا قرَّ هنا في قراره الغرب حتى كادت تتجاذبه الآفاق؛ لقد سنحت سخا منه بما يعذر فيه السمّيح، ويحذر في مثله آفة ذي الفهم الصحيح، وصعد إلى السماء، فجنى النجوم زهرات، وظهر على السحاب، فرمى البروق زفرات، ووطىء جبهة الأسد، وداس وذلّ الجبل، فما ارتفع له رأس، وغطس في البحر فجاء بما لا يقدر عليه قبله ابن غطّاس.

ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة، وقدم من سخا فسمع الحديث، وأخذ القراءات على الشاطبي، وأبي الجود اللخمي، وغيرهما، واقتصر في إسناد القراءات عليها، وأقرأ الناس نيّفاً وأربعين سنة، وقرأ عليه خلق كثير بالروايات.

وكان إماماً كاملاً، ومقرئاً محققاً، ونحوياً علامة، مع بصره بمذهب الشافعي، ومعرفته بالأصول، وإتقانه للغة، وبراعته في التفسير، وإحكامه لضروب الأدب، وفصاحته بالشعر، وطول باعه في النثر، مع الدين والمروءة، والتواضع، واطّراح التكلُّف، وحسن الأخلاق، ووفور الحرمة، وظهور الجلالة، وكثرة التصانيف، وكان من أفراد العالم، ومن أذكياء بني آدم؛ حلو النادرة، مليح المحاورة.

ومن شعره: [من السريع]

قَالُوا: غَداً نَأْتِي دِيَارَ الحِمَى ... وَنُنْزِلُ الرَّكْبَ بِمَغْنَاهُمُ

وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعاً لَهُمْ ... أَصْبَحَ مَسْرُوراً بِلُقْيَاهُمُ

/١٤٣/ قُلْتُ: فَلِيْ ذَنْبٌ فَمَا حِيْلَتِي ... بِأَيِّ وَجْهٍ أَتَلَقَّاهُمُ؟

قِيلَ: أَلَيْسَ العَفْوُ مِنْ شَأْنِهِمْ ... لاَسِيَّمَا عَمَّنْ تَرَجَّاهُمُ

ومن غرائب الاتفاق: أنّ الشيخ علم الدين السخاوي مدح السلطان صلاح

= ٩/ ٣٥٤، والبدر السافر، ورقة ٢٤، ومرآة الزمان ج٨ ق٢/ ٧٥٨، وبغية الوعاة ٢/ ١٩٢ـ ١٩٤ رقم ١٧٦٨، وحُسن المحاضرة ١/ ٤١٢ـ ٤١٣، وتاريخ الخلفاء ٤٨٦، وطبقات المفسّرين للسيوطي ٢٥ـ ٢٦، وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٤٢٥ـ ٤٢٨، وشذرات الذهب٥/ ٢٢٢ـ ٢٢٣، وخزانة الأدب للبغدادي ٢/ ٥٢٩، وروضات الجنات ٤٩٢ـ ٤٩٣، وديوان الإسلام ٣/ ٩٦ـ ٩٧، رقم ١١٧٧، ومفتاح السعادة ١/ ٣٩٠، وكشف الظنون ١٣٢، وإيضاح المكنون ١/ ٢٥٥، وهدية العارفين ١/ ٧٠٨، والأعلام ٤/ ٣٣٢، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٠٩، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ٢٥٩ رقم ٣٧٠، وذيل التقييد للفاسي ٢/ ٢١٣ رقم ١٤٦١، والقلائد الجوهرية٢٣٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ـ ٦٥٠هـ) ص١٩٣ رقم ٢٢١ .

الدين، ومدح الأديب رشيد الدين الفارقي، وبين وفاتي الممدوحين مائة سنة.

وتوفي الشيخ علم الدين في ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بمنزله بالتربة المعروفة بأم الملك الصالح؛ وهو أول من أقرأ بها، وكان يقرىء أيضاً بالجامع الأموي عند قبر زكريا ـ عليه السلام[1] ـ.

ومنهم:

[٥٩]

أبو عبد الله الفاسي، الإمام العلاّمة جمال الدين، محمد بن حسن بن محمد بن يوسف المغربي[2]

نزيل حلب إلا أنه من طينة الغرب بُعث، وروحه من نسيمه الغربي نُفث. نزل بحلب تحلُبُ منه أشطرها، وتجلب منه اسطرها، ودفن في ترابها، ودفع إذ ذكرناه إلى أقصى الغرب، وما عُدَّ من أترابها؛ لأنه ما أتى حلب إلا مكتهلاً، ولا قدم إليها إلا وقد رأى شيب رأسه مشتعلاً، لكنه جرّ عليها ذلاذل قطره، وحمل إليها الندى من قطره.

ولد بفاس سنة نيف وثمانين وخمسمائة، وقدم مصر بعد موت أبي الجود، فقرأ على اثنين من أصحاب الشاطبي، وأخذ القراءات بحلب عن جهاد الدين بن شداد، وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان إماماً متفنناً، ذكياً، متقناً واسع العلم، كثير المحفوظ، بصيراً بالقراءات وعللها، مشهورها وشاذّها، خبيراً باللغة، مليح الكتابة، وافر الفضائل، موطأ الأكناف، متين الديانة، ثقة، حجة. انتهت إليه رئاسة الإقراء ببلد حلب. ومات سنة ست وخمسين وخمسمائة.

/ ١٤٤/ ومنهم:

[٦٠]

محمد بن عبد الرحيم بن الطيب، أبو القاسم القيسي الضرير[3]

مقرىء المغرب، ومُوري المُغرب، ومُظهر المُحجب، ومُمطر روض المجرَّة

---

(١) القبر الموجود في الجامع الأموي هو ليحيى بن زكريا عليه السلام ولعل ورود ذلك سهو.

(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢/ ٣٥٤، غاية النهاية ٢/ ١٢٢، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٨، الذيل على الروضتين ١٩٩، معرفة القراء الكبار٢/ ٦٦٨.

(٣) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣/ ٢٤٨، أعيان العصر ٤/ ٥١، غاية النهاية٢/ ١٧١.

المُعشب. كفاه أنه من قيس في سرواتها، وفي حيث ينقطع عنده غاية رواتها، هو ابن الطيب، ولهذا ذكاؤه ينفح، وعلاؤه لا يستكثر فيه بما يسمح، وأرجه تتقاذف به الأرجاء، وورقه يندى، وقُمْرِيُّه يصدح، ولا عيب فيه، ولا عيب إلا أنه لا يبخل بما لا يزرّ عليه الجيب.

ولد في حدود ثلاثين وستمائة بالجزيرة الخضراء، وقرأ القرآن على خطيبها أبي محمد الركيني، وعلى أبي عبد الله الشريشي، ثم تحوّل إلى سبتة، فأكرمه أميرها أبو القاسم محمد بن أبي العباس الغرفي، فلما جاء رمضان، سأله أن يقرأ السيرة على الناس، فصار يدرس كل يوم ميعاداً ويورده.

وكان من أسرع الناس حفظاً، وأحسنهم صوتاً، وكان إليه المنتهى في معرفة القراءات، وضبطها وأدائها. وكان عارفاً بالتفسير، والعربية والحديث. حمل عنه أهل سبتة. وتوفي سنة إحدى وسبعمائة في رمضان.

ومنهم:

[٦١]

أحمد بن إبراهيم بن الزبير، أبو جعفر الثقفي الغرناطي(١)

المقرىء الحافظ، أحد الأعلام بالأندلس، والأعلام الشاهقة في القبور الدرس. لَعَمْرُ أبيك قد سترت به ثقيف سوءة حجَّاجِها، وصدرت، وتاج الثريا فوق حجاجها. تاهت به عروس غرناطة، وتطاولت، ونَسْر دمشق الحائم على قبة جامعها قد أظهر انحطاطه. بقية العلماء المكثرين، والفضلاء المتبحرين، والقراء الذين لكلام الله بهم بلاغ، ودونك هو، وانفض يديك للفراغ.

ولد سنة سبع وعشرين وستمائة وقرأ/ ١٤٥/ بالروايات على أبي الحسن علي بن محمد الشاري، وسمع التفسير من أبي عبد الله بن جوبر البلنسيّ، وسمع الحديث من أبي الخطاب بن خليل، وأبي عبد الله الأزدي، وخلق. وانتهت إليه معرفة الحديث ورجاله، ثم معرفة القراءات، وقرأ عليه خلق لا يحصون. ومات بغرناطة في آخر سنة ثمان وسبعمائة.

قال أبو عبد الله الحافظ الذهبي: وقفت على إجازة ابن الزبير بالسبع لجماعةٍ، وفيها فوائد نفيسة تدلُّ على براعته، وأنَّه قرأ على جماعة. وقد أفردت ذلك في كراس.

* * *

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١/ ٢١٢، أعيان العصر ١/ ١٥٤.

[مشاهير القراء في مصر]

وبهذا ختمت القراء المقطوع بأنهم من أهل الغرب وسأتبعهم بمن ألحق بهم من أهل مصر إن لم يكن دون ذلك طعن وضرب ليتلاحق المدد، وتتسابق الجياد، والكل إلى أمد.

فأقول منهم:

[٦٢]

عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان، أبو سعيد المصري القبطي[1]

مولى آل الزبير بن العوام الملقب بَوْرش، ويقال له الروّاس؛ لأنها كانت صناعته؛ ولأنه رأس، ثقة، سكنت إليه النفوس، وخضعت أولاً وآخراً له الرؤوس. ما بلغ بلاغته ساكن المشان، ولا صحت فصاحته لذي شان، ولا تكلم إلا وسكت كلّ قائل، وقال في فنه ورش، أو غرد على فَنَنِهِ وَرَشَان. بياناً يصدع العشاء، وقرب مستقى، لم يحتج به أحد عند ورش يُطيل الرشاء.

ولد سنة خمس وخمسين ومائة، وقرأ القرآن وجوّده على نافع عدّة ختمات في حدود سنة خمس وخمسين ومائة، ونافع هو الذي لقبه بورش لشدّة بياضه. والورش: شيء يصنع من اللبن، ويقال لقبه ـ بالورشان ـ وهو طائر معروف ـ فكان يقول: اقرأ يا ورشان، وهات يا ورَشان، ثم خفف وقيل: ورش. وكان لا يكرهه، ويُعجبه، ويقول: أستاذي سمّاني به.

وكان /١٤٦/ أول أمره رأساً، ثم اشتغل بالقرآن والعربية، ومهر فيهما، وكان أشقر، أزرق، سميناً، مربوعاً، يلبس مع ذلك ثياباً مقدرة، وإليه انتهت رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه.

---

(١) ترجمته في: الجرح والتعديل ٦/ ١٥٣ رقم ٨٣٦، ومعجم الأدباء ١٢/١١٦ـ ١٢١ رقم ٣٤، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٧٦ و٣٧٨ و٧/ ٢٥٠، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٩٥ رقم ٨٢، والعبر ١/ ٣٢٤، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٥٢ـ ١٥٥ رقم ٦٣، ودول الإسلام ١/ ١٢٤، والوفيات لابن قنفذ ١٥٤ رقم ١٩٧، وغاية النهاية ١/ ٥٠٢ـ ٥٠٣ رقم ٢٠٩٠، والتحفة اللطيفة ٣/ ٣٨٣، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٥٥، وحسن المحاضرة ١/ ٤٨٥، وشذرات الذهب ١/ ٣٤٩، وتاج العروس ٤/ ٣٦٤، تاريخ الإسلام (السنوات ١٩١ـ ٢٠٠هـ) ص ٤٣٦ رقم ٣٤٠.

قال أبو يعقوب الأزرق: لما تعمّق ورش في النحو وأحكمه، اتخذ لنفسه مقرّاً يسمّى ورش.

وقال ورش: خرجتُ من مصر لأقرأ على نافع؛ فلما وصلت إلى المدينة، صرت إلى مسجد نافع، فإذا هو لا تطاق القراءة عليه من كثرتهم، وإنما يُقرىء ثلاثين. فجلستُ خلف الحلقة، وقلت لإنسان: من أكبر الناس عند نافع؟، فقال لي: كبير الجعفريين، فقلت: كيف به؟ قال أجيء معك إلى منزله، وجئنا إلى منزله، فخرج شيخ، فقلت: أنا من مصر جئت لأقرأ على نافع، فلم أصل إليه، وأُخبِرتُ أنك من أصدق الناس له، وأنا أريد أن تكون الوسيلة إليه، فقال: نعم وكرامة، وأخذ طيلسانه ومضى معنا إلى نافع، فقال له الجعفري: هذا وسيلتي إليك، جاء من مصر ليس معه تجارة، ولا جاء يحجّ، إنما جاء للقراءة خاصة، فقال: ترى ما ألقى من أولاد المهاجرين والأنصار؟ فقال صديقه: تحتال له، فقال لي نافع: أيمكنك أن تبيتَ في المسجد، قلت: نعم، فبتُّ في المسجد؛ فلما إن كان الفجر جاء نافع، فقال: ما فعل الغريب؟ فقلت: ها أنا رحمك الله، قال: أنت أولى بالقراءة. قال: وكنت مع ذلك حسن الصوت، مداداً به، فاستفتحت، فملأ صوتي مسجد رسول الله ﷺ فقرأت ثلاثين آية، فأشار بيده أن أسكت، فسكت، فقام إليه شاب من الحلقة، فقال: يا معلم أعزّك الله، نحن معك، وهذا رجل غريب، وإنما رحل للقراءة عليك، وقد جعلت له عشراً، وأَقتصِرُ على عشرين، فقال: نعم /١٤٧/ وكرامة، فقرأت عشراً، فقام فتًى آخر، فقال كقول صاحبه، فقرأت عشراً، وقعدت حتى لم يبق له أحد ممن له قراءة. فقال لي: اقرأ، فأقرأني خمسين آية، فما زلت أقرأ خمسين آية في خمسين، حتى قرأت عليه قبل أن أخرج من المدينة ختمات.

وفي رواية قال ورش: فكانوا يهبون ليّ أسباقهم، حتى كنت أقرأ عليه كل يوم سبعاً، وختمت في سبعة أيام، فلم أزل كذلك، حتى ختمت عليه أربع ختم في الشهر، وخرجت من المدينة.

توفي ورش بمصر سنة سبع وتسعين ومائة.

ومنهم:

[٦٣]

عبد الله بن مالك بن عبد الله بن سيف أبو بكر التجيبي المصري(١)

شيخ الإقليم بالإقراء في زمانه، وفي استحقاق البداءة به على أقرانه، وطالت مدة

---

(١) ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٤٠ رقم٢٤٦، العبر ٢/ ١٣٤، معرفة القراء الكبار ١/ ٢٣١ـ =

إفادته، ودامَت جدّة سعادته، وثبت بجدّهِ على الوفاء، مع أخذه في زيادته؛ كأنما طبع من سيف جَدِّه زُبْرَةُ ذهنه، واستمد بجدّه قوة أيام وهنه؛ فقوي من سلفه بما تجيب، ودعا من أبيه مالكاً لو أسمع بواعثه من وراء البحار، لما عجزت أن تجيء وتجيب.

قرأ القرآن على أبي يعقوب الأزرق، وعُمِّر دهراً طويلاً، وحدّث عن محمد بن رمح ـ صاحب الليث بن سعد ـ وقرأ عليه خلق.

وتوفي في جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثمائة. كذا ورّخه أبو سعيد بن يونس، وحدَّث عنه في تاريخه.

ومنهم:

[٦٤]

محمد بن علي بن أحمد،[١] الإمام أبو بكر الأُدْفُوِي[٢]، المصري

المقرىء، النحوي، المفسر، والصدر المتصدر، والمقرىء المقرر، والنحوي الذي لا يعجز في توجيه غريب الأعراب متعذر، والحافظ المجيد الذي ما/ ١٤٨/ هو بحلِّهِ الكسائي متشبع، ولا بما عند ابن كثير متكثّر، فإن في تنقيح ما صنّف، وتصحيح ما كتب، لا بل ما قرّط بحبٍّ لؤلؤِهِ الحائك سامع الإملاء وشنّف، وترجيح آراء لا يحذفها إلاَّ من عذر، وإن عنَّ له أن عنّف.

قرأ القرآن على أبي غانم المظفر بن أحمد، وسمع الحروف من أحمد بن إبراهيم ابن جامع، وسعيد بن السكن، ولزم أبا جعفر النحاس، وحمل عنه كتبه، وبرع في علوم القرآن، وكان سيد أهل عصره بمصر.

= ٢٣٢ رقم ١٣١، غاية النهاية١/ ٤٤٥ رقم ١٨٥٥، حسن المحاضرة ١/ ٤٨٧، النشر في القراءات العشر١/ ١١٤، شذرات الذهب ٢/ ٢٥١، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٠١ـ ٣٢٠هـ) ص٢١٢ رقم ٣٣٤.

(١) ترجمته في: العبر٣/ ٤١، تذكرة الحفاظ٣/ ١٠٢٠، معجم البلدان ١/ ١٢٦، وطبقات القراء ٢/ ١٩٨ـ ١٩٩، الوافي بالوفيات ٤/ ١١٧ رقم ١٦١٠، طبقات المفسّرين للسيوطي ٣٨، بغية الوعاة ١/ ١٨٩ رقم ٣١٧ وفيه: «محمد بن علي بن محمد»، الطالع السعيد للأدفوي ٣٠٧ـ ٣٠٨، حسن المحاضرة ١/ ٢٨٠، وشذرات الذهب ٣/ ١٣٠، كشف الظنون ٧٩ و١٣٩ و٤٤١، ٤٤٢، هدية العارفين ٢/ ٥٦، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١/ ٢٠٥، معجم المؤلفين ١٠/ ٣٠٥، تاريخ التراث العربي ١/ ٧٨ رقم ٣٠، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٩٥ وفيه ذكر دون ترجمة، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٨١ـ ٤٠٠هـ) ص١٧٧رقم .

(٢) الأُدْفُوي: بضم الهمزة، وسكون الدال، وضم الفاء، وسكون الواو، نسبة الى قرية بصعيد مصر الأعلى بين أسوان وقوص ز(معجم البلدان١/ ١٢٦).

قال أبو عمرو الداني: انفرد أبو بكر بالإمامة في وقته في قراءة نافع، مع سعة علمِهِ، وبراعةِ فهمه، وصدق لهجته، وتمكنه من علم العربية، وبصره بالمعاني. روى عنه القراءة جماعة من الأكابر، وله كتاب في «التفسير» في مائة وعشرين مجلداً، وهو موجود بالقاهرة.

قال سهل بن عبد الله البزاز: صنّف شيخنا أبو بكر الأدفوي كتابه «الاستغناء في علوم القرآن» في اثنتي عشرة سنة، وتوفي في سابع ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وعاش خمساً وثمانين سنة.

سكن مصر، وكان خشّاباً يتّجر. وأدْفو: قرية من الصعيد، مما يلي أسوان.

ومنهم:

[٦٥]

غياث بن فارس بن مكي، الأستاذ أبو الجود اللخمي، المنذري[١]

المقرىء، الفرضي، النحوي، العروضي، الضرير، شيخ القراء بديار مصر؛ هو المصري إلاَّ أنه الذهب لا بل هو أعلى قدراً، وأغلى سعراً، وأفضل ما تعاملت به الناس، وتماثلت، إلاَّ أنه إذا غاب ـ والكرام أجناس ـ استمدت منه، ولم ينقصه الاقتباس، ورأت منه غياثاً، لا بل استمطرت غيثاً لا يعرف الاحتباس، وقهرت به القاهرة المعزِّية ما سواها، وعزَّت، لا بل عزَّ عليها أن تُنبت مثله، وإن سقاها النيل، ورواها.

قرأ القراءات على الشريف أبي الفتوح الخطيب، وسمع /١٤٩/ من عبد الله بن رفاعة، وتصدّر للإقراء من شبيبته، وتلا بالتيسير وطرقه واشتهر. وقرأ عليه خلق كثير منهم علم الدين السخاوي وخلق، آخرهم وفاةً أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله الملجي.

قال الحافظ زكي الدين المنذري: أقرأَ الناسَ دهراً، ورحل إليه وأكثر المتصدرين للإقراء بمصر. أصحابه وأصحاب أصحابه. وكان ديناً، فاضلاً، بارعاً في الأدب،

---

(١) ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٢/ ١٦٢ـ ١٦٣ رقم١٠٧٣، والمعين في طبقات المحدّثين ١٨٦ رقم ١٩٨٣، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٤٩، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣١٥، والعبر ٥/ ١٣ـ ١٤، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٥٨٩ـ ٥٩٠ رقم ٥٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٧٣ـ ٤٧٤ رقم ٢٣٨، ودول الإسلام ٢/ ٨٣، ونكت الهميان ٢٢٥، ومرآة الجنان٤/ ٥، وغاية النهاية٢/ ٤، وطبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة، ورقة ٢٣٦ـ ٢٣٧ (وقد سقطت منه بداية الترجمة ولم يبق منها إلاَّ آخرها)، وحسن المحاضرة ١/ ٢٣٧، وشذرات الذهب ٥/ ١٧، وديوان الإسلام ٢/ ٧٠ رقم ٦٥٥، تاريخ الإسلام (السنوات٦٠١ـ ٦١٠هـ) ص ١٨٤ رقم ٢٥٨.

حسن الأداء، متواضعاً، كثير المروءة. لا يطلب منه قصد أحد في حاجة إلاَّ يجيب، وربما اعتذر إليه المشفوع إليه، ولم يجبه، فيطلب منه العود إليه، فيعود.

تصدر بالجامع العتيق بمصر، وبمسجد الأمير موشك بالقاهرة، وبالمدرسة الفاضلية، إلى أن توفي في تاسع رمضان سنة خمس وستمائة. ومولده سنة ثمان عشرة وخمسمائة ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومنهم:

[٦٦]

محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي

المقرئ، مسند العصر، تقي الدين أبو عبد الله الصائغ، المصري، الشافعي، الشروطي.

هو الصائغ المصري، والسائغ ورده الكوثري، المنوّع فنوناً، المنوَّه باسمه فتوناً، المنوّل ما ترك البرق مضطرباً يهجس ظنوناً. لم يبق من قراء مصر إلاَّ من نقع منه غُلله، وأعرض عن النيل، وقنع بعقده المنظم، وخلّى التاج بسبع وجوه، وجبين الجبهة، وقد غصّ بالإكليل.

قرأ بعدة كتبٍ، وحصل الفقه، والقراءات، وطرفاً من العربية، وأعاد بالطيبرسية وغيرها، وولي عقد الأنكحة، وعُمِّر دهراً، وازدحم عليه القراء؛ لتفرّده، فتلا عليه بالسبع طلبةُ الديار المصرية. وكان عارفاً بالقراءات معرفة جيدة، متين الديانة،/ ١٥٠/ قوي العربية. وحجَّ، وجاور أشهراً، ولم يبق في طبقته إلى بعد العشرين وسبعمائة أحد.

وكتب له شيخنا العلامة أبو حيان في إجازة شهد عليه فيها: «أشهدني شيخنا الإمام العلامة شيخ المقرئين، ورئيس المتصدرين، حامل راية الرواية، والإسناد، مُلحق الأحفاد بالأجداد، تقي الدين بما وضع به خطّه في سنة تسع عشرة وسبعمائة. ومولده سنة ستّ وثلاثين وستمائة.

وبذكر هذا تمَّ ذكر القراء، ونمَّ المسك بختام أهل الإقراء، وسنعقب ذكرهم بالمحدّثين المفضلين بالاستقراء، ونصل بضوء الصباح سنى الليلة القمراء ليجيء الشيء ومثله، وينضمّ الشكل وشكله، ويعلم إذا انقضى من ذكرنا من قراء الأمة في كل زمان، وكبراء الأئمة من حفظة القرآن بأنه قد تمَّت بهم الختمة وكملت في الشرق والغرب بهم القسمة، ولم يبق إلاّ أن نلحق بأهل الكتاب أهل السنة.

* * *

[مشاهير الحفّاظ من أهل الحديث، مشاهير فقهاء المحدّثين]

[مشاهير الحفّاظ من أهل الحديث في الجانب الشرقي]

وسنبدأ بالمحدّثين بالجانب الشرقي أخذاً بالترتيب، وابتداءً بالبحر الزاخر ثم القليب، ونفتتحهم بالإمام العلم أحفظ أهل الأرض، وهو:

[١]

أبو هريرة الدَوْسي اليماني(١)

صاحب رسول الله ﷺ وإن كان في الرواية واحداً من ركب، نهلوا كلهم من

---

(١) دَوْس قبيلة من الأزد، اختلفوا في اسمه، واسمه عبد شمس. «تاريخ الإسلام».
ترجمته في: مسند أحمد ٢/ ٢٢٨ و٥/ ١١٤، وطبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٢ـ ٣٦٤ و٤/ ٣٢٥ـ ٣٤١، وطبقات خليفة ١١٤، وتاريخ خليفة ٢٢٥ و٢٢٧، والمعارف ٢٧٧ و٢٧٨ و٢٨٥، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٢ و٩٣ و٢/ ١٧٧ و٢٠٥ و٢١٣ و٢٧٩ و٢٩٨ و٣/ ٥ و٣٨ و٥٢ و٦١ و٦٨ و١٧١ و١٧٩ و٢٦٦ و٢٨٨ و٤/ ٩ و١٧ و١٨ و ٤٧ و٢٤٢ و٣٠٦ و٣٠٧، والمعرفة والتاريخ ١/ ٤٨٦ و٣/ ١٦٠ـ ١٦٢، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ١١١ـ ١١٢، والبرصان والعرجان ٣١ و٧٩ و١٣٧ و١٧١ و١٧٧ و٢٨٤ و٣٠٨ و٣٤٠ و٣٥٨، وتاريخ الطبري (انظر فهرس الأعلام) ١٠/ ٤٤٢، ومقدمة مسند بقيّ بن مخلد ٩، رقم١، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٣ و١٥٧ و١٦١ و١٩٩ و٢٣٨، وربيع الأبرار (انظر فهرس الأعلام) ٤/ ٥٠٥، والمحبّر ٨١ و٨٥، والسير والمغازي لابن إسحاق ١٤٧ و٢١٩ و٢٨١ و٢٨٢ و٢٨٤ و٢٨٦، والمغازي للواقدي (انظر فهرس الأعلام) ٣/ ١٢٤٧، وترتيب الثقات للعجلي ٥١٣ رقم ٢٠٦١، وحلية الأولياء ١/ ٣٧٦ـ ٣٨٥ رقم ٨٥، والتاريخ لابن معين ٢/ ٧٢٨، ٧٢٩، ومروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية) ١٢١٣ و١٤٧٩ و١٤٨٥، والزيارات ١٩ و٣٣ و٦٥ و٩٢، والعقد الفريد (انظر فهرس الأعلام) ٧/ ٩٥، وأنساب الأشراف ١/ ١٣٦ و٢٧٢ و٣٨٣ و٤١٢ و٤٢٠ و٤٢١ و٤٢٨ و٤٣٢، و٣/ ٤ و٣٠١ وق ٤ ج ١/ ١٢٧ و٢١٢ و٥٦٣ و٥٩٣ و٥٩٧، وفتوح البلدان١٥ و٩٩ـ ١٠١، والخراج وصناعة الكتابة ٢٦٤ و٢٨٠، والمستدرك ٣/ ٥٠٦ـ ٥١٤ والاستبصار٢٩١، وفتوح الشام للأزدي ١٦، وثمار القلوب ٢٢ و٩٦ و١١١ و١١٢ و ٢٨٩، والتذكرة الحمدونية ١/ ١٣٧ و٤٢٦، و٢/ ٣٦ و١٧٥ و٢١٥، والكامل في التاريخ ٣/ ٢١ و٣٠، وأسد الغابة ٥/ ٣١٥ـ ٣١٧، وتهذيب الأسماء واللغات ق١ ج ٢/ ٢٧٠ رقم ٤٣٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٤٢ و٣٧٥ و٣٩٩ و٥٠٩ و٣ / ١١٥ و٢٦٥ و٤/ ١٨١ و٦/ ٣٥ و١٦٤ و٢٧٤، وجمهرة أنساب العرب ٣٨١ـ ٣٨٢، ومشاهير علماء الأمصار ١٥ رقم ٤٦، وتاريخ أبي زرعة (انظر فهرس الأعلام) ٢/ ١٠٢٤ـ ١٠٢٥، وعيون الأخبار (انظر فهرس الأعلام) ٤/ ١٨٨، والبدء والتاريخ٥/ =

مكرع، وشربوا جميعهم من منبع، فإنه أمسى هنا بالذكر من بقية أصحابه؛ لأنه هو الذي تروى وَرَى ورَوِي وربما تدأدأ دون المطلع، وتكأكأ عن بعض ما عليه أطلع خوفاً في تلك الأيام التي وقدت متنها، وقَدَّتْ الطُّلى والأبدان محنُها، فكتم ولم يبُح، /١٥١/ وكعم فمه ولم ينُح، وقعد قائمه عن شُعَب تلك الأهواء، ولم يرح، وخمد برقه في عوارض تلك الفتن ولم يلح. وروى أنه كان يقول: الصلاة خلف عليّ أفضل، وطعام معاوية أدسم، والقعود فوق التلّ أسلم. وقد كان أكثر القوم ملازمة للنبي ﷺ قال: كنت ألزمه لشبع بطني، وإخواننا يلهيهم البيع والصفق بالأسواق.

واسمه على الأشهر عبد الرحمن بن صخر في الإسلام، وفي الجاهلية عبد شمس. وكني بأبي هريرة؛ لأنه كان يرعى غنماً، فوجد أولاد هرٍّ وحشية، فلما أبصرهُنّ، وسمع أصواتهُنّ، أخبر أباه، فقال له: أبو هرٍّ.

قال أبو هريرة: نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لابنة غزوان بطعام بطني، وعقبة رجلي، أحدو بهم إذا ركبوا، وأحتطب إذا نزلوا. فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً، وأبا هريرة إماماً.

= ١١٣، والكنى والأسماء للدولابي ١/ ٦١، والاستيعاب ٤/ ٢٠٢-٢١٠، وتحفة الأشراف ٩/ ٢٩٢-٥٠٥، وكامل الجزء العاشر من التحفة، و١١/ ٣-١٠٩ رقم ٦٦٣، وتهذيب الكمال٣/ ١٦٥٤، والوفيات لابن قنفذ٧١، والزاهر للأنباري (انظر فهرس الأعلام) ٢/ ٦٢٨، وصفة الصفوة ١/ ٦٨٥-٦٩٤ رقم ٩٧، والزيارات ١٩ و٣٣ و٦٥ و٩٢، وآثار البلاد ٧١ و١٠٨ و٣٧٧، والزهد لأحمد. ٢٢١-٢٢٣، والزهد لابن المبارك (انظر فهرس الأعلام) (ح) و(ع)، ومعرفة القراء الكبار١/ ٤٣-٤٤ رقم٨، والعبر ١/ ٦٣، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٥٧٨-٦٣٢ رقم ١٢٦، والكاشف ٣/ ٣٤١ رقم ٤٣٣، وتاريخ الإسلام(المغازي) (انظر فهرس الأعلام) ٧٦٩، والسيرة النبوية (انظر فهرس الأعلام) ٦٣٦، وعهدالخلفاء الراشدين (انظر فهرس الأعلام) ٧٢٠-٧٢١، ودول الإسلام ١/ ٤٢، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٨ رقم ١٥٢، وتلخيص المستدرك ٣/ ٥٠٦-٥١٤، والتاريخ الكبير ٦/ ١٣٢-١٣٣ رقم١٩٣٨، وجامع الأصول٥/ ٩٥، والجرح والتعديل ٦/ ٤٩-٥٠ رقم٢٦٤، والبداية والنهاية ٨/ ١٠٣، ومرآة الجنان ١/ ١٣٠، ومجمع الزوائد٩/ ٣٦١، وغاية النهاية١/ ٣٧٠ رقم ١٥٧٤، والنكت الظراف ٩/ ٢٩٦-٥٠٤، والإصابة ٤/ ٢٠٢-٢١١ رقم ١١٩٠، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٢٦٢-٢٦٧ رقم ١٢١٦، وتقريب التهذيب ٢/ ٤٨٤ رقم ١٤، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٦٢، وحسن المحاضرة ١/ ٢٥٠، وطبقات الحفّاظ ٩، وتدريب الراوي للسيوطي ٢/ ٢١٦، وشذرات الذهب ١/ ٦٣، تاريخ الإسلام (السنوات ٤١-٦٠هـ) ص ٣٤٧.

ولمحمد أبو رية «شيخ المضيرة أبو هريرة» ط٤/ بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ولعبد الحسين شرف الدين «أبو هريرة» ط النجف ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

وقدم مهاجراً ليالي فتح خيبر وذلك في صغره سنة سبع، وحفظ عن النبي ﷺ الكثير وروى عنه نيّفاً وخمسة آلاف حديث.

قال الإمام أبو عبد الله البخاريّ: روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر.

وقال أبو هريرة: حفظت عن رسول الله ﷺ دعائين، فأمّا أحدهما، فبثثتُهُ، وأما الآخر، فلو بثثته، لقطع هذا البلعوم.

وقال أبو صالح السمّان: كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب محمد ﷺ.

وقال أبو هريرة: لا أعرف أحداً من أصحاب محمد ﷺ أحفظ لحديثه مني.

وقال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره، وكان أبو هريرة من كبار أئمة العلم والفتوى مع الجلالة، والعبادة، والتواضع، وكثرة التلاوة، والذكر.

قال أبو عثمان النهدي: تضيَّفتُ /١٥٢/ أبا هريرة سبعاً، وكان هو وامرأته يعتقبون الليل أثلاثاً، يصلّي هذا، ثم يوقظ الآخر، فيصلي، ثم يوقظ الثالث.

وكان أبو هريرة من أصحاب الصُفّة، فقيراً ذاق جوعاً وفاقة، ثم بعد النبي ﷺ صلح حاله، وكثر ماله.

وقال أبو هريرة: لقد رأيتني أصرع من الجوع بين القبر والمنبر، حتى يقولوا: مجنون، فيجلس الرجل على صدري، فأرفع رأسي، فأقول: ليس الذي ترى، إنما هو الجوع. ثم إنَّ أبا هريرة ولي إمرة المدينة، وناب أيضاً عن مروان في إمرتها، وكان يمرّ في السوق يحمل الحزمة، وهو يقول: أوسعوا الطريق للأمير.

وكان يقول لبنتِهِ: لا تلبسي الذهب فإني أخشى عليك اللهب.

وقال أبو هريرة: قال لي رسول الله ﷺ: ألا تسألني من هذه الغنائم؟ فقلت: أسألك أن تعلّمني ما علمك الله. فنزع نَمِرَةً على ظهري، فبسطها بيني وبينه، حتى كأني أنظر إلى القمل يدبّ عليها، فحدثني حتى إذا استوعبتُ حديثه، قال: اجمعها، فصرّها إليك. قال: فأصبحت وأنا لا أسقط حرفاً.

وقال أبو هريرة: إني لأستغفر الله، وأتوب إليه كل يوم اثني عشر ألف مرة، وذلك على قدر ديتي، وكان له خيط فيه ألفا عقدة، لا ينام حتى يسبح به، وكان آدَمَ بعيدَ ما بين المنكبين، أفرق الثنيتين، له ضفيرتان، يخضب بالحمرة، وكان من أصحاب الصّفة، وله مسائل معروفة أفتى فيها بحضرة فقهاء الصحابة.

وقال رسول الله ﷺ: اللهم حبب عُبَيْدك هذا ـ يعني أبا هريرة ـ وأمّه إلى عبادك المؤمنين، وحببهم إليهما.

توفي سنة ثمان وخمسين في قول جماعة، وقيل سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة تسع.

/١٥٣/ وأمّا من نذكره من مشاهير الحفاظ فمنهم:

[٢]

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي، الزهري(١)

المدني، الإمام، والمُدني ما نأى على الأفهام المتوقد؛ لأنه ابن شهاب، المتوقل لأنه على ذيل الأصحاب، المتوقي الزلل فما حفظ شيئاً، ثم نسيه، ولا استحضره، ثم غاب، الناهض به شرف الأسرة في زُهرة بن كلاب، والنابض عِرْقه في أعراق التراب، والنافض صبغ دجى الليل بضوء صبحه المنجاب، والناقض حبال الآراء أنكاثاً برأيه الصواب، الطالع في أقمار زهرة حيث تُشرقُ خؤولة النبوَّة، ويُشرب في قلوب الآباء حبّ البنوَّة، ويلوي ذوائب لؤي بن غالب على ما تجلّ مفارقه أن تمس بالطيب، أو تدخَّن بالألوّة.

ولد سنة خمسين، ورأى جماعة من الصحابة وحدّث عنهم وعن كبار التابعين.

وروى عنه جماعة من الأئمة منهم: مالك بن أنس، والسفيانان. وقال أبو داود: حديثه ألفان ومائتان، النصف منها مسند.

وقال أبو الزناد: كنا نطوف مع الزهري على العلماء، ومعه الألواح والصحف يكتب كل ما سمع.

---

(١) ترجمته في: مشاهير علماء الأمصار ٦٦، التاريخ الكبير ١/ ٢٢٠، تقدمة المعرفة لكتاب الجرح ٢٠، الجرح والتعديل ٨/ ٧١، جامع بيان العلم لابن عبد البر ١/ ٧٣، التاريخ الصغير ٩٣، و١٠٤ و١٤٤، المعارف ٤٧٢، معجم الشعراء للمرزباني ٤١٣، الأغاني (بولاق) ٤/ ٤٨، و٢٤٥، حلية الأولياء ٣/ ٣٦٠، صفة الصفوة ٢/ ٧٧، البداية والنهاية ٩/ ٣٤٠، غاية النهاية ٢/ ٢٦٢، الكامل في التاريخ ٧/ ٢٨٩، الوافي بالوفيات ٥/ ٢٤ ـ ٢٦، ميزان الاعتدال ٤/ ٤٠، التقريب ٢/ ٢٠٧، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٤٥، طبقات ابن سعد ٤/ ١٢٦، خلاصة تذهيب التهذيب ٣٥٩، شذرات الذهب ١/ ١٦٢. طبقات خليفة ٢٦١. التاريخ لابن معين ٢/ ٥٣٨ رقم ٤٧٠. المعرفة والتاريخ ١/ ٦٢٠. طبقات الفقهاء ٦٣، تهذيب الأسماء ١/ ٩٠ و٩٢. وفيات الأعيان ٤/ ١٧٧، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦ رقم ١٦٠، تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٨ ـ ١١٣، العبر ١/ ١٥٨، النجوم الزاهرة ١/ ٢٩٤، تاريخ الإسلام (السنوات ١٢١ ـ ١٤٠هـ) ص٢٢٧.

وقال الليث: ما رأيت عالماً قطّ أجمع من الزهري. يحدث في الترغيب، فنقول: لا يحسن إلا هذا، وإن حدّث عن العرب والأنساب، قلت: لا يحسن إلاّ هذا، وإن حدّث عن القرآن والسنّة، فكذلك.

وقال الزهري: ما صبر أحد على العلم صبري، ولا نشره أحد نشري.

وقال عمر بن عبد العزيز: لم يبق أحد أعلم بسنّةٍ ماضيةٍ من الزهري.

وقال مالك: بقي ابن شهاب وما له في الدنيا نظير.

وقال عمرو بن دينار: ما رأيت الدينار عند أحدٍ أهون منه عند الزهري، كأنه بمنزلة البعر.

/ ١٥٤/ ورُوي عن عمرو بن دينار أنّه قال: أيُّ شيءٍ عند الزهري؟ أنا لقيت ابن عمر، وابن عباس، ولم يلقهما. فقدم الزهري مكة، فقال عمرو: احملوني إليه، وكان قد أُقعد فحُمِلَ إليه، فلم يأت إلى أصحابه إلا بعد ليل، فقالوا له كيف رأيته؟ فقال: والله ما رأيت مثل هذا الفتى القرشيّ.

وقيل لمكحول: من أعلم من رأيت؟، فقال: ابن شهاب.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق: عليكم بابن شهاب، فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه.

وقال سعيد بن عبد العزيز: أدّى هشام عن الزهري سبعة آلاف دينار، وكان يؤدب ولده، ويجالسه.

وقال سعيد أيضاً: سأل هشام بن عبد الملك الزهري أن يُمليَ على بعض ولده شيئاً فأملى عليه أربعمائة حديثٍ، وخرج الزهريّ فقال: أين أنتم يا أصحاب الحديث؟ فحدّثهم بتلك الأربعمائة، ثم لقي هشاماً بعد شهرٍ أو نحوه، فقال للزهريّ: إنّ ذلك الكتاب ضاع، فدعا بكاتبٍ، فأملّها عليه، ثم قابل بالكتاب الأول، فما غادر حرفاً واحداً.

ومن حفظ الزهريّ أنه حفظ القرآن في ثمانين ليلةً، وقال: ما استَعَدتُ عالماً قطّ.

وقال مالك: قدم الزهري المدينة فأخذ بيد ربيعة ودخلا بيت الديوان؛ فلّما خرجا وقت العصر خرج ابن شهاب وهو يقول: ما ظننت أنَّ بالمدينة مثل ربيعة، وخرج ربيعة وهو يقول: ما ظننت أنَّ أحداً بلغ من العلم ما بلغ ابن شهاب.

وقال معمر: كنا نرى أنّا قد أكثرنا عن الزهريّ حتى قُتل الوليد بن يزيد فإذا الدفاتر قد حُمّلت على الدوابّ من خزائنه، يقول: من علم الزهري. وكان الزهري إذا

جلس في بيته، وضع كتبه حوله يشتغل بها عن كل شيءٍ من أمور الدنيا، فقالت له امرأته يوماً: والله لهذه الكتب أشدّ عليّ من ثلاث ضرائر.

ولم يزل الزهري مع /١٥٥/ عبد الملك، ثم مع هشام بن عبد الملك، وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه.

وتوفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة وقيل بعد ذلك، ودفن في ضيعته أدامي بين الحجاز والشام.

ومنهم:

[٣]

قتادة بن دعامة بن قتادة الحافظ، العلامة، أبو الخطّاب السدوسي، البصري[1]

الأكمه، المفسّر، الأكمل في فتح المعسر، الأكمد بسبقه لقلب البرق المتلظّي، ونفس الرّعد المتحسّر. حجّةٌ إليه يُرجَع، وقدوةٌ عنه لا يُرجَع، لم تعرف بعده تيهاً خُطا

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢٩ ـ ٢٣١، الطبقات لخليفة ٢١٣، تاريخ خليفة ٣٣٢ و٣٤٨، التاريخ لابن معين ٢/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥، التاريخ الكبير ٧/ ١٨٥ ـ ١٨٦ رقم ٨٢٧، التاريخ الصغير ٢/ ٢٠ ـ ٢١ و٨٠ ـ ٨٩ و١٤٠ ـ ١٤١ و١٤٤ ـ ١٤٥ و١٥٠ ـ ١٥١ و٢٥٧ ـ ٢٥٨ و٢٧٧ ـ ٢٨٢ و٢٨٥ ـ ٢٨٦ و٦٣٣ ـ ٦٣٤ و٦٦٠ ـ ٦٦١ و٦٦٣ ـ ٦٦٤ و٣/ ٦١ ـ ٦٣، البرصان والعرجان للجاحظ ١٣٥ ـ ١٣٦ و١٣٨ و٢٨٤، البيان والتبيين ١/ ٢٤٢، المحبر ٢٩٨ و٤٧٥، أحوال الرجال للجوزجاني ١٨٢ رقم ٣٢٨، تاريخ أبي زرعة ١/ ١٥١، الكنى والأسماء ١/ ١٦٦، المنتخب من ذيل المذيل ٦٤٣، الجرح والتعديل ٧/ ١٣٣ ـ ١٣٥ رقم ٧٥٦، المراسيل ١٦٨ ـ ١٧٥ رقم ٣٢١، ثمار القلوب ٩٠، جمهرة أنساب العرب ٣١٨، أخبار القضاة ١/ ٣ و٤٣ و٢٩٧ و٣٣٠ و٢/ ٢٥ و٢٨ ـ ٢٩ و٣٩ و٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩، العيون والحدائق لمجهول ٣/ ٦٦، مشاهير علماء الأمصار ٩٦ رقم ٧٠٢، ربيع الأبرار ٤/ ٣٦٤، طبقات الفقهاء ٨٩، الكامل في التاريخ ٥/ ١٩٥، اللباب ٢/ ١٠٩، معجم الأدباء ١٧/ ٩ ـ ١٠ رقم ٤، التذكرة الحمدونية ١/ ١٨٠، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٥٧ ـ ٥٨ رقم ٦٦، وفيات الأعيان ٤/ ٨٥ ـ ٨٦ رقم ٥٤١، تهذيب الكمال ٢/ ١١٢١ ـ ١١٢٢، تحفة الأشراف ١٣/ ٣٣٨ رقم ١٢٤٨، المغني في الضعفاء ٢/ ٥٢٢ رقم ٥٠٢٨، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٨٥ رقم ٦٨٦٤، دول الإسلام ١/ ٨١، الكاشف ٢/ ٣٤١ رقم ٤٦٢١، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٩ ـ ٢٨٣ رقم ١٣٢، تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٢ ـ ١٢٤ رقم ١٠٧، العبر ١/ ١٤٦، مرآة الجنان ١/ ٢٥١، جامع التحصيل ٣١٢ ـ ٣١٤ رقم ٦٣٣، الوفيات لابن قنفذ ١١٥، نكت الهميان ٢٣٠، البداية والنهاية ٩/ ٣١٣ ـ ٣١٤، غاية النهاية ٢/ ٢٥، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥١ ـ ٣٥٦ رقم ٦٣٥، تقريب التهذيب ٢/ ١٢٣ رقم ٨١، النجوم الزاهرة ١/ ٢٧٦، =

البصرة كيف تدوس، ولا ضربت تردداً في رأيها أخماسها في أسداسها سدوس، ولا قدر أن يستثبت شعاعه ذو نظرٍ حسير، ولا ينازع ذو عينين أنه هو بالنسبة إليه ضرير، لا يطاوله ممتد إلاّ ويرجع وباعه القصير، ولا يناظره إلاّ ويعود وقد أظهر عجزه، وقال: «قل هل يستوي الأعمى والبصير».

قال معمّر: أقام قتادة عند سعيد بن المسيب ثلاثة أيام، فقال له في اليوم الثالث: ارتحل يا عمّي، فقد أنزفتني.

وقال قتادة: ما قلت لمحدّثٍ قطّ: أعد عليّ وما سمعت أذناي شيئاً قطّ إلاّ وعاه قلبي.

وقال ابن سيرين: قتادة أحفظ الناس.

وقال معمّر: سمعت قتادة يقول: ما في القرآن آيةٌ إلاّ وقد سمعت فيها شيئاً.

وقال أحمد بن حنبل: قتادة عالم بالتفسير وباختلاف العلماء. ووصفه بالفقه والحفظ، وقال: قلَّ أن تجد من يتقدّمه.

وقال قتادة: ما أفتيت بشيءٍ منذ عشرين سنة.

وقال معمّر: قلت للزُّهري أقتادة عندك أعلم أو مكحول؟، قال: بل قتادة.

وقال أحمد بن حنبل: كان قتادة احفظ أهل /١٥٦/ البصرة لا يسمع شيئاً إلاّ حفظه. قرأتُ عليه صحيفة جابرٍ، فحفظها.

وقال شعبة: قصصتُ على قتادة سبعين حديثاً كلّها يقول فيها: سمعتُ أنس بن مالكٍ إلاّ أربعةً، ومع حفظهِ وعلمه بالحديث كان رأساً في العربيةِ، واللغة، وأيّام العرب، والنسب.

وقال أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة من أنسب الناس.

وقال بكر بن عبد الله: من سرّهُ أن ينظر إلى أحفظ من أدركناه، فلينظر إلى قتادة.

وقال ابن المسيب: ما أتانا عَراقي أحفظ من قتادة.

ومات بواسط في الطاعون سنة ثماني عشرة ومائة، وقيل سنة سبع عشرة، وله سبع وخمسون سنة.

ومنهم:

= تاريخ الخميس ٢/ ٣٥٦، طبقات الحُفّاظ ٤٧، خلاصة تذهيب التهذيب ٣١٥، طبقات للداوودي ٢/ ٤٣ ـ ٤٤ رقم ٤١٥، شذرات الذهب ١/ ١٥٣، تاريخ الدارمي ٧٠٣، تاريخ الإسلام (السنوات ١٠١ ـ ١٢٠هـ) ص٤٥٣ رقم ٥٣٧ .

[٤]

شعبة بن الحجاج بن الورد[(١)]

الحجة الحافظ، شيخ الإسلام أبو بسطام الأزدي، العتكي مولاهم، الواسطي.

نزيل البصرة، ومحدّثها، وله قديمها، ومحدثها، زادت به الأزد أزد شنوءة شرفاً في يمنها، وإشراقاً على هامة ابن ذي يزنها، بقية فضل سبى سبأها، وسبق على جناح الهدهد نبأها، وأخرج بقية الدر والبحر الذي في صدره خبأها، وأمدّ بقريحته الرياح اللواقح، وأمسكت المهاب هبأها.

وكان متحرّجاً في دينه لا يوسعه التسمح به، ولا التبجح به إلاّ في منقلبه. تقي يبذخ بشرفه، ويشمخ لولا التواضع في لين منعطفه.

قال الحاكم: سمع من أربعمائة من التابعين.

وقال ابن المديني: له نحو ألفي حديث.

وكان الثوري يقول: شعبة أمير المؤمنين في الحديث.

وقال الشافعي: لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق.

وقال أبو بحر البكراوي: ما رأيتُ أحداً أعبد لله من شعبة. لقد عبد الله حتى جفّ جلده على عظمه واسود.

وقال عمرو بن هارون: كان يصوم الدهر.

وقال أبو قطن: ما رأيت شعبة قد ركع إلاّ ظننتُ /١٥٧/ أنه نسي، ولا سجد إلاّ قلت: نسي، وكانت ثيابه لونها كالتراب.

وقال أبو داود: سمعتُ من شعبة سبعة آلاف حديث.

---

(١) ترجمته في: تقريب التهذيب ١/ ٣٥١، المنتخب من ذيل المذيل للطبري ٦٥٦، المعارف ٥٠١، تاريخ بغداد ٩/ ٢٥٥، تذكرة الحفاظ ١٩٣، التهذيب ٤/٣٣٨، ابن سعد ٧/ ٢٨٠، العبر ١/ ٢٣٤، مشاهير علماء الأمصار ١٧٧، وفيات الأعيان ٢/ ٤٦٩، تهذيب الأسماء ٢/ ٢٤٤، المعرفة والتاريخ (راجع فهرس الأعلام). التاريخ لابن معين ٢/ ٢٥٢ رقم ٣٥٦، تاريخ أبي زرعة ١/١٥٨، تاريخ خليفة ٣٠١، و٤٣٠، طبقات خليفة ٥٣٥، التاريخ الكبير ٤/ ٢٤٤، تاريخ واسط ١٢٠، الجرح والتعديل ٤/ ٣٦٩، حلية الأولياء ٧/ ١٤٤، الجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٢١٨، صفة الصفوة ٣/ ٢٦٣، الوافي بالوفيات ١٦/ ١٥٥ رقم ١٧٩، طبقات الشعراني ١/ ٦٣، مجمع الرجال ٣/ ١٩١، تاريخ العلماء النحويين ١٥٠، شذرات الذهب ١/ ٢٤٧، تاريخ الإسلام (السنوات ١٤١ ـ ١٦٠هـ).

وقال أحمد بن حنبل: كان شعبة أمةً واحدةً في هذا الشأن ـ يعني الرجال. وبصره بالحديث ـ.

ووهبه المهدي ثلاثين ألف درهم، فقسمها، وأقطعه ألف جريب، فقدم البصرة، فلم يجد شيئاً يطيب له، فتركها.

وقال الأصمعيّ: لم نَرَ أحداً قطّ أعلم بالشعر من شعبة. قال لي: كنت ألزم الطرماح أسأله عن الشعر.

وقال شعبة: كان قتادة يسألني عن الشعر، فقلت: أنشدك بيتاً، وتحدثني حديثاً.

وقال أبو قطن: قال لي شعبة: ما شيء أخوف عندي أن يدخلني النار من الحديث.

اتفقوا على موته سنة ستين ومائة.

ومنهم:

[٥]

عبد الرحمن بن مهدي، أبو سعيد البصري[١]

الحافظ الكبير، والعَلَم الشهير، والعلى الذي لا يتناولها من النجوم منير، وقاراً لا يفتح لديه عين، واستحضاراً لا يمدّ عليه غين، اشتهاراً تخفى معه الشموس، وتغضُّ

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٢٩٧، والتاريخ لابن معين ٢/ ٣٥٩، ٣٦٠، ومعرفة الرجال له ١/ رقم ٥٥٣ و٨٣١ و٢/ رقم ١٦٢ و٤٢٢، ٥٢٦، ٦١٠، ٦٤١، وطبقات خليفة ٢٦٧، وتاريخ خليفة ٤٦٨، والعلل لابن المديني ٤٠ و٤٥ و٤٧ والعلل ومعرفة الرجال لأحمد ١/ رقم ٨٦ و٢٧٩ و٧٩٠ و٩٢٥ و٩٢٨ و٩٤ و١١٠٩ و١١١٩ و١١٣٦ و١٢١٠ و١٢٢٤ و١٢٧٧ و٢/ ١٣٦٨ و١٣٧٢ و١٤٠٤ و١٤٩٤ و١٦٨٦ و٢٤٢٣ و٢٤٢٦ و٢٦٠٧ و٢٩٩٦ و٣٢٨٩ و٣٣٣٣ و٣٥٨٢ و٣٥٨٢ و٣٦١٦ و٣٧٩٦ و٣/ ٤١٠٩ و٤٢١١ و٤٢٤١ و٤٢٧٩ و٤٣٢٩ و٤٣٨١ و٤٣٩٠ و٤٥٧٩ و٤٦٩٥ و٤٧٨٣ و٤٨٢٦ و٥١٥٨ و٥١٥٩ و٥٣٥٠ و٥٣٨٤ و٥٨٤٧ و٦٠٦٩ والتاريخ الكبير ٥/ ٣٥٤ رقم ١١٢٣، والتاريخ الصغير ٢١٤، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٤٤، وتاريخ الثقات للعجلي ٢٩٩ رقم ٩٨٥، وأنساب الأشراف ٣/ ٣٦، والمعرفة والتاريخ١/ ١٨٦ ـ ١٨٨ و٧١٤ ـ ٧١٨ و٢/ ١٣٧ـ ١٤٠ وانظر فهرس الأعلام ٣/ ٦٢٢، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/ ٣٠٣ و٤١١ و٤٣٨، و٤٦٢ و٤٦٣ و٤٧٢ و٥٠٧ و٥٤٠ و٥٥٣ و٥٩ و٦٢٥ و٢/ ٦٨١ و٦٨٦ و٦٩١، والكنى والأسماء للدولابي ١/ ١٨٧ و١٩٠، والمعارف ٥١٣، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ٥٣ و٢٦٠، و٢/ ١٢ و١٨ و٩٠ و٢١٩ و٢٣٢ و٢٥٢ و٢٧٠ و٤١٥ و٣/ ١٩ و٧٣ و٢٤٥ وتقدمة المعرفة١/ ٢٥١ ـ ٢٦٢، والجرح والتعديل ٥/ ٢٨٨ ـ ٢٩٠ رقم ١٣٨٢، والثقات لابن حبان ٨/ =

مقل النجوم الشوس، بحفظ لا تنافره الشوارد، ولا تنافيه الموارد، ولا تنافحه الصبا إلاّ ويعد من فعلها البارد، لا يشغله وَرِقُ الدنيا عن الدين، ولا يشغفه شك الباطل بحقّ اليقين.

قال أيوب بن المتوكل: كنا إذا أردنا أن ننظر إلى الدين والدنيا ذهبنا إلى دار عبد الرحمن بن مهدي.

وقال إسماعيل: سمعتُ علي بن المديني يقول: أعلم الناس بالحديث عبد الرحمن بن مهدي. قلت له: ـ وقد أتقنت حديث الأعمش ـ من يفيدني عن الأعمش؟ فأطرقَ ثم ذكر لي ثلاثين حديثاً ليست عندي /١٥٨/ تتبع أحاديث الشيوخ الذين لم ألقهم.

وقال محمد بن أبي بكر المقدمي: ما رأيت أحداً أتقن لما سمع، ولما لم يسمع لحديث الناس من عبد الرحمن بن مهدي. إمام ثبت أثبت من يحيى بن سعيد، وكان عرض حديثه على سفيان.

وقال القواريري: أملى عليّ ابن مهدي عشرين ألف حديث حفظاً.

وقال ابن مهدي: ما تركت حديث رجل إلاّ ودعوت الله له وأُسمّيه.

= ٣٧٣، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين ٢١٣ رقم ٧٦٠، وحلية الأولياء ٩/ ٣ ـ ٦٣ رقم ٤١٤، والأسامي والكنى للحاكم، ج١ ورقة ٢٢٥أ، ب، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٠ ـ ٢٤٨ رقم ٥٣٦٦، والسابق واللاحق ٢٦٣، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/ ٤٥٤ـ ٤٥٥ رقم ٦٧٩، ورجال صحيح مسلم ١/ ٤٢٠ـ ٤٢١ رقم ٩٤٣، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٢٨٨ رقم ١٠٨٤، وتاريخ جرجان ٨٣ و١٢٧ و١٣٩ و٢٤٦ و٢٨٣ و٣٩٢ و٥٥٢، وتاريخ الطبري (انظر فهرس الأعلام ١٠/ ٣٢١، ٣٢٢)، والزهد الكبير للبيهقي، رقم ٥٩٥ و٧٨٦، والورع لأحمد ٨٨ و١٢٢ و١٢٤، والتذكرة الحمدونية ١/ ١٦٧، وصفة الصفوة ٤/ ٥ ـ ٧ رقم ٥٦٦، والكامل في التاريخ ٦/ ٣٠١، وتهذيب الأسماء واللغات ق١ ج١/ ٣٠٤ـ ٣٠٥ رقم ٣٦٢، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٨٧ـ ٣٨٨، وتهذيب الكمال (المصور) ٢/ ٨١٩ ـ ٨٢١، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٢٠٦ـ ٢٠٧ رقم ٢٧٧، والعبر ١/ ٣٢٦، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٩، ودول الإسلام ١/ ١٢٥، والكاشف ٢/ ١٦٥ رقم ٣٣٦٨، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٩٢ ـ ٢٠٩ رقم ٥٦، والمعين في طبقات المحدّثين ٦٦ رقم ٦٧٥، ومرآة الجنان ١/ ٤٦٠، وشرح العلل لابن رجب ١/ ١٩٦، ١٩٧، وتهذيب التهذيب ٦/ ٢٧٩ ـ ٢٨١ رقم ٥٤٩، وتقريب التهذيب ١/ ٤٩٩ رقم ١١٢٦، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٥٩، وطبقات الحفاظ ١٣٩، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٣٥، وشذرات الذهب ١/ ٣٥٥، تاريخ الإسلام (السنوات ١٩١ ـ ٢٠٠هـ) ص رقم ١٨٢ .

وقال يحيى بن عبد الرحمن: قام أبي ليلة، وكان يُحيي الليل، فلما طلع الفجر، رمى بنفسه على الفراش، حتى طلعت الشمس، فجعل على نفسه أن لا يجعل بينه وبين الأرض شيئاً، فَقَرِح فخذاه.

وقال ابن مهدي: لو كان لي سلطان لألقيتُ من يقول بخلق القرآن في دجلة بعد أن أضرب عنقه.

وقال العجلي: شرب ابن مهدي حبّ البلاذر، فبرص، وكان فقيهاً بصيراً بالفتوى، عظيم الشأن، وكان لا يُتحدّث في مجلسه، ولا يُبرى قلم، ولا يقوم أحد كأنما على رؤوسهم الطير، وكأنّهم في صلاة.

وقال علي بن المديني: لو حُلِّفت بين الركن والمقام لحلفت أنّي لم أر مثل عبد الرحمن. وكان يقول: أعلم الناس بقول الفقهاء السبعة الزهري، ثم بعده مالك، ثم بعده ابن مهدي، وكان وِرْدُهُ كل ليلة نصف القرآن.

وقال الذهلي: ما رأيتُ في يد عبد الرحمن كتاباً قطّ.

ومات في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين ومائة، وورثه بنوه، وأبوه مهدي، وكان عاميّاً.

ومنهم:

[٦]

أبو داود الطيالسي، واسمه سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الأصل، البصري(١)

من أهل الطلب الذين بلغوا الفضل وتداولوه. ورجال /١٥٩/ فارس الذين لو أنَّ

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٢٩٨، والتاريخ لابن معين برواية الدوري ٢/ ٢٢٩، ٢٣٠، وتاريخ الدارمي، رقم ١٠٧ و١١٠، وطبقات خليفة ٢٢٧، وتاريخ خليفة ٤٧٢، والعلل لأحمد ١/ ٦٩ و٣٥٣، والعلل ومعرفة الرجال له برواية ابنه عبد الله ١/ رقم ١٢٢٨ و٢/ رقم ٢٤١٥، والتاريخ الكبير للبخاري ٤/ ١٠ رقم ١٧٨٨، والتاريخ الصغير له ٢١٧، وتاريخ الثقات للعجلي ٢٠١ـ ٢٠٢ رقم ٦٠٩، والمعارف لابن قتيبة ٥٢٠، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٥٦٧ و٢/ ١٠١ و١٠٣ و١٠٧ و١٠٨ و١١٠ و١٦٣ و٢٧٥ و٢٧٦ و٤٢٥ و٥٦٢ و٦٥٣ و٧٧١ و٧٧٢ و٣/ ٩ و٦٤ و١٧٠ و٢٠٩، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/ ٤٥٦، وتاريخ واسط لبحشل ٦٢ و٧٤ و١٢٢ و١٢٣ و١٩٥ و٣٠٥ و٣١٣ ـ و٣١٧، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ٣٧ و٤٦ ـ ٤٨ و٥٢ و٩٩ و٢٩٣ و٢/ ٢٠٣ و٣١٧ و٣/ ٢٤٥، والكنى والأسماء للدولابي ١/ ١٧٠، وتاريخ الطبري ١/ ٩١ =

العلم في الثريا؛ لتناولوه، روى الحديث ولقي أهله، وتروّى منه، ولم يقنع بنهله، وعجل إليه تلقفه من الأفواه، وتلقمه فم القلم وحلق الرواة، إشفاقاً أن يختانه النسيان، أو يَحْتالهُ الضياع في الأحيان، على أنه ما خلا من تغليط، ولا خبا كوكبه وقد أكثر عليه غبش علمه التخليط.

قال الفلاّس وابن المديني: ما رأينا أحفظ منه.

وقال رفيقه ابن مهدي: هو أصدق الناس.

قال أبو داود: كتبت عن ألف شيخ.

وقال وكيع: ما بقي أحد يحفظ لحديث طويل من أبي داود، فبلغه ذلك، فقال: ولا قصير.

وقال عمر بن شبة: كتبوا عن أبي داود من حفظه أربعين ألف حديث.

قال الحافظ الذهبي: كان يتكّل على حفظه، فغلط في أحاديث.

مات سنة أربع ومائتين، وكان من أبناء الثمانين.

ومنهم:

= و١٥٨ و١٧٨ و٤٢١ و٢/ ٢٣٥ و٣٠٤ و٣٨٩ و٦٢١ و٣/ ١٧٨ و١٨١، والجرح والتعديل ٤/ ١١١ ـ ١١٣ رقم ٤٩١، والثقات لابن حبان ٨/ ٢٧٥، وطبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ الأنصاري ١/ ٤٨ ـ ٥٠ رقم ٩٣، والزاهر للأنباري ٢/ ٣٢٨، ومروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية) ٢٧٣٧، وذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم ١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣، والعيون والحدائق ٣/ ٣٥٨ و٣٦٢، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٣/ ١١٢٧ ـ ١١٢٩، ورجال صحيح البخاري لابن منجويه ١/ ٢٩٩ رقم ٥٧٧، والأسامي والكنى للحاكم، ج١ ورقة ١٨٦ب، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٤ ـ ٢٩ رقم ٤٦١٧، والسابق واللاحق ٢١٥، وأدب القاضي للماوردي، والإرشاد الخليلي ١/ ١٢ و٤٤، والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ١/ ١٨٤ رقم ٦٨٧، والأنساب لابن السمعاني ٨/ ٢٨٢، وتاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ١٩/ ٥٧٩، واللباب ٢/ ٢٩٣، والكامل في التاريخ ٦/ ٣٥٩، وتهذيب الكمال ١٦/ ٤٠١ ـ ٤٠٨ رقم ٢٥٠٧، ووفيات الأعيان ١/ ٢٨٠ و٢/ ٢٤٣، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٥١، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ رقم ٣٤٥٠، والكاشف ١/ ٣١٣ رقم ٢١٠٢، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٣٧٨ ـ ٣٨٤ رقم ١٢٣، والمغني في الضعفاء ١/ ٢٧٩ رقم ٢٥٨٠، والمعين في طبقات المحدثين ٧٤ رقم ٧٨٢، ودول الإسلام ١/ ١٢٧، ومرآة الجنان ٢/ ٢٩، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٥٥، وشرح علل الترمذي لابن رجُب ٧١، وطبقات المدلسين ٣٠ رقم ٢٩، ٦٣ رقم ٥٣، وطبقات الحفاظ ١/ ٣٢٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٥١، وشذرات الذهب ٢/ ١٢، والأعلام ٣/ ١٨٧، ومعجم المؤلفين ٤/ ٢٦٢، ٢٦٣، وتاريخ التراث ١/ ٢٧٥، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٢/ ٣١٩ ـ ٣٢٠ رقم ٦٥٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٠١ ـ ٢١٠هـ) ص١٧٩ رقم ١٨٠.

[٧]

يحيى بن يحيى، أبو زكريا التميمي النيسابوري(١)

الحافظ، شيخ خراسان، وموضع نطق كلّ لسان، نسب إلى نيسابور، وحُسب أنّه الطود الصبور، وصدر منه في خراسان ما ملأ كل صدر، وخبأ الخمول معه كل قدر عجائب شَيَّبَتْ لمم جبالها، وشيبت ديم أنوائها رواشق نبالها. كان تميمة لتميم، وضميمة إليه غولة كل حميم ـ أنشر من رفاتها كل رميم، وانشق من عبق ريحانها كل شميم، وأنسى كل سالف إلا أنه غير ذميم.

قال الحاكم: هو إمام عصره بلا مُدافعة. ولد سنة اثنتين وأربعين ومائة.

وقال ابن راهويه: ما رأيت مثل يحيى بن يحيى، ولا أظنّه رأى مثل نفسه.

وقال أحمد بن حنبل: ما رأى يحيى بن يحيى مثل نفسه.

/ ١٦٠/ وقال الذهلي: ما رأيت أحداً أجلّ، ولا أخوف لربّه من يحيى بن يحيى؛ ولو أشاء، لقلت: هو رأس المحدثين في الصدق.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يثني على يحيى ويقول: ما أخرجت خراسان مثله، كنّا نسمِّيه يحيى الشكَّاك من كثرة ما كان يشك في الحديث،

---

(١) ترجمته في: التاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٣١٠ رقم ٣١٣١، وتاريخه الصغير ٢٣٠، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٤٠، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٥٠١، ٥١٢، ٥٢٠، ٥٢٧، ٥٣٦، ٢/ ١٧٨ و٣/ ١٢٦، ١٣٣، والكنى والأسماء للدولابي ١/ ١٧٩، والجرح والتعديل ٩/ ١٩٧ رقم ٨٢٣، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين ٣٥٥ رقم ١٥٣٢، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/ ٨٠٢ رقم ١٣٤٦، والأسامي والكنى للحاكم، ج١ ورقة ٢٠٩ ب، ومعجم الشيوخ لابن جُميع (بتحقيق التدمري) ١٠٦، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه ٢/ ٣٥٣، ٣٥٤ رقم ١٨٦٢، والفوائد العوالي المؤرخة للتنوخي بتخريج الصوري (بتحقيق التدمري) ١٢٦، والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ٢/ ٥٦٥ـ ٥٦٦، رقم ٢١٩٦، والأنساب لابن السمعاني ١١/ ٥٠٣، والمعجم المشتمل لابن عساكر ٣٢٣ رقم ١١٦٥، والكامل في التاريخ ٦/ ٥٢١، وتهذيب الأسماء للنووي ق١ ج٢/ ١٥٩ـ ١٦٠ رقم ٢٤٨، وتهذيب الكمال للمزي (المصور) ٣/ ١٥٢٤ـ ١٥٢٥، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥١٢ ـ ٥١٩ رقم ١٦٧، ودول الإسلام ١/ ١٣٦، والعبر ١/ ٣٩٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤١٥ـ ٤١٦، والكاشف ٣/ ٢٣٧ رقم ٦٣٧٦، ومرآة الجنان ٢/ ٩١، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٩٤، والديباج المذهب ١٠ وفيه (بكير) بدل (بكر) وكذلك في ٣٤٩ ـ ٣٥١، وتهذيب التهذيب ١١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٩ رقم ٥٧٨، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٦٠ رقم ١٩٨، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٤٨، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٢٩، وشذرات الذهب ٢/ ٥٩، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٢١ ـ ٢٣٠هـ) ص٤٥٩ رقم ٤٧٧.

يعني أنه كان كلّما توقف في كلمة، أبطل سماعه لذلك الحديث، ولم يروه.

قال ابن راهويه: ظهر ليحيى نيف وعشرون ألف حديث، ومات يوم مات، وهو إمام أهل الدنيا.

ومات في صفر سنة ستّ وعشرين ومائتين، وكان أسنّ من الشافعي بثمانية أعوام.

ومنهم:

[٨]

علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي[١]

مولاهم المديني ثم البصري حافظ العصر، وقدوة أرباب هذا الشأن.

صاحب التصانيف الكثير عددها، الكبير مددها، النثير كالنجوم بددها، الغزير معينها، لا تدرك أقمارها؛ دأريها ولا درها، لا يعادل وزنه الرجيح، ولا يوازي حده وهو نجيح، حفظ المضاع، وحيز له الحديث كأنما تلقنه بولادته في سعد من الرضاع.

ولد سنة إحدى وستين ومائة.

قال أبو حاتم: كان ابن المديني علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل، وما سمعت أحمد بن حنبل سمّاه قط، إنما كان يكنيه تبجيلاً له.

وقال ابن عيينة: تلومونني على حبّ ابن المديني، والله لما أتعلم منه أكثر مما يتعلّم مني.

وكان ابن عيينة يسمّيه حية الوادي.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ ابن المديني وخاصة بحديث سفيان.

وقال النسائي: كأنّ ابن المديني خُلق لهذا الشأن.

وقال البخاري: ما استصغرتُ نفسي عند /١٦١/ أحد إلاّ عند علي بن المديني.

وقال أبو داود: علي بن المديني أعلم من أحمد باختلاف الحديث.

ومناقبه جمّة، لولا ما كدَّرها بتعلّقه بشيء من مسألة القرآن، وتردّده إلى أحمد

---

(١) ترجمته في: التاريخ الكبير ٦/ ٢٨٤، الجرح والتعديل ١/ ٣١٩، تاريخ بغداد ١١/ ٤٥٥، المعرفة والتاريخ ١/ ٢١٠، تهذيب الكمال ٢١/ ٥، طبقات علماء الحديث ٢/ ٧٧، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤١.

ابن أبي دُواد إلاّ أنه تنصل وندم وكفّر من قال بخلق القرآن ـ فالله يرحمه ـ.

ومات بسامراء في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين.

قال العلاّمة أبو زكريا النووي: لابن المديني نحو مائتي مصنف.

ومنهم:

[٩]

يحيى بن مَعِين بن عَوْن بن زياد بن بِسْطام البغدادي(١)

الحافظ المشهور، الحافل سحابه، المشرق على الربى أثار ذيله المجرور، تدفَّق منه ابن معين، وأشرق به على بغداد ليل طلع صاحبه من كمين، وعلا نسبه إلى بسّام،

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٥٤، ومعرفة الرجال برواية ابن محرز ١/ رقم ٨٠٨ و٨٤٩ و٨٥١ و٨٦٢، ٨٨٦، و٨٨٨ و٩٠٦ و٩٣٨ و٢/ رقم ٧٥٥، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد برواية ابنه عبد الله ١/ رقم ٦٩٦، ٢/ رقم ٢٥٣٣، ٢٦٥١ و٣٨٠٨ و٣/ رقم ٣٩٤٠ و٥٢٢١ و٥٣٢٦ و٥٥٧٢، والزهد لأحمد ٤٠، ٦٦، ١٦٠، ٣٦٦، ٤٣٨، والورع له، ٨٧، والتاريخ الكبير للبخاري ٨/ ٣٠٧ رقم ٣١١٦، وتاريخه الصغير ٢٣١، والأدب المفرد، له، رقم ١١٦١ و١١٦٥، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٤٠، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٢٠٠، ٤٢٧، ٤٩٧، ٧١٦ ـ ٧١٨، ٧٢٢، ٧٢٨ و٢/ ٢٠٠، ١٧١، ١٩٨، ٢٨٦، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٣، ٤٠٩، ٤٦٦ ـ ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٥ ـ ٤٧٧، ٥٠٢، ٦٥٤، ٦٦٩، ٦٨٠، ٧٩٩ و٣/ ٥٦، ٨١، ١٣١، ١٧٩، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٥ ـ ٤٧٧، ٥٠٢، ٦٥٤، ٦٦٩، ٦٨٠، ٧٩٩ و٣/ ٥٦، ٨١، ١٣١، ١٧٩، ٤٧٢، وتاريخ الثقات للعجلي ٤٧٥ رقم ١٨٢٦، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ١٤٥، ١٦٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٩٥، ٣٢٢، ٣٢٣، ٢/ ٤، ١٩٣، ٢٢٨، ٤٠٨، ٤١٢، ٤٢٦، ٤٢٧، و٣/ ٦٦، ١٠٩، ١٢٤، ١٣١، ١٣٣، ١٤٨ ـ ١٥٠، ١٥٤، ١٨٢، ١٨٩، ١٩٧، ٢٥٣ ـ ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٨٦، ٣٠٥، ٣١٣، والكنى والأسماء للدولابي ١/ ١٧٩، وتاريخ الطبري ٢/ ١٥٥ و٤/ ٢٢٥، ٤٥٣، ٤٧٦، و٨/ ٦٣٤ و٨/ ١٣٥، والجرح والتعديل ٩/ ٢٩٢ رقم ٨٠٠، والثقات لابن حبان ٩/ ٢٦٢، ومن حديث خيثمة الأطرابلسي (بتحقيق التدمري) ١٣٠ـ ١٣١، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/ ٧٩٩ـ ٨٠٠ رقم ١٣٤٠، والفهرست لابن النديم ١/ ٢٣١، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه ٢/ ٣٥٠ـ ٣٥١ رقم ١٨٧٥٥، وحلية الأولياء ٤/ ١٦١ و٨/ ٣٧١ و٩/ ٩٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٨١ و١٠/ ١٤، والأسامي والكنى للحاكم ج١ ورقة ٢١١أ، والفوائد المنتقاة للعلوي، تخريج الصوري (بتحقيق التدمري) ١٠٩، والفوائد العوالي المؤرخة للتنوخي (بتحقيق التدمري) ٨٣، ومعجم الشيوخ لابن جُميع الصيداوي (بتحقيق التدمري) ١٠١، وتاريخ جرجان للسهمي ٧١، ٢١٧، ٢٧٩، ٤٠٨، ٤٣١، ٤٦٥، ٥٤٧، ٥٥١ ـ ٥٦٠، والسابق واللاحق ٣٧١، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٧٧ رقم ٧٤٨٤، والجمع بين رجال الصحيحين ٢/ ٥٦٤ رقم ٢١٩١، والأنساب لابن السمعاني ٣/ ٢٦٨ ـ ٢٧٠، والمعجم المشتمل لابن عساكر ٣٢٢ رقم ١١٦٢، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٤٠٢ ـ ٤٠٧ رقم ٥٣٠، والكامل في التاريخ ٧/ =

وهو ضحّاك سروراً بما قدّم، وحبوراً بأنَّهُ على ما أسلف من عمل صالح تقدّم، ويقيناً يقيه بأنه سيقدم على الله تحت رأيه رواية حديث نبيّه ﷺ.

كان أبوه كاتباً لعبد الله بن مالك، وقيل: إنه كان على خراج الريّ، فمات، فخلّف لابنه يحيى المذكور ألف ألف درهم، وخمسين ألف درهم، فأنفق المال جميعه على الحديث، حتى لم يبق له نعل يلبسه.

وسئل: كم كتبت من الحديث؟، فقال: كتبتُ بيدي هذه ستمائة ألف حديث.

وخلف من الكتب مائة قمطر، وأربع جباب شرابية مملوءة كتباً؛ وهو صاحب «الجرح والتعديل».

وروى عنه الحديث كبار الأئمة، كالبخاري، ومسلم، وأبي داود، وغيرهم من الحفاظ، وكان بينه وبين الإمام أحمد من الصحبة والألفة والاشتراك في الاشتغال بعلوم الحديث ما هو مشهور لا حاجة الى الإطالة بذكره.

وقال أحمد بن حنبل: كلّ حديث لا /١٦٢/ يعرّفه يحيى بن معين، فليس هو بحديث.

وكان يقول: صاحبنا خلقه الله لهذا الشأن، يُظهر كذب الكذّابين - يعني يحيى بن معين -.

وقال علي بن المديني: انتهى العلم بالبصرة إلى يحيى بن أبي كثير، قتادة، وعلم

= ٤٠، وأداب القاضي للماوردي ١/ ٤٤٢، ٤٥٢، ٥٨٢، والفرج بعد الشدة للتنوخي ٤/ ٣٨٧، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٤٩، ونزهة الألباء ٢٢، ٣٧، ١٠٠، ١٠١، ١١٣، والاقتراح في بيان الاصطلاح لابن دقيق العيد ١٥٩، وملء العيبة للفهري ٢/ ١٨٨، ٢٦٦، ٢٨٩، ٣٥٠، ٣٦٠، ومختصر التاريخ لابن الكازروني ٥٩، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٥٦ ـ ١٥٩ رقم ٢٤٦، ووفيات الأعيان ٦/ ١٣٩ ـ ٢١٤٣ رقم ٧٩١، وتهذيب الكمال (المصور) ٣/ ١٥١٩ ـ ٥١٢٢، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٣٧، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٧١ ـ ٩٦ رقم ٢٨، والكاشف ٣/ ٢٣٥ رقم ٦٣٦٢، وميزان الاعتدال ٤/ ٤١٠ رقم ٩٦٣٦، ودول الإسلام ١/ ١٤٢، والمعين في طبقات المحدثين ٩٢ رقم ١٠٣١، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٩، والعبر ١/ ٤٥١، ومرآة الجنان ٢/ ١٠٨، والبداية والنهاية ١١/ ٣١٢، وتهذيب التهذيب ١١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٨ رقم ٥٦١، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٥٨ رقم ١٨١، ولسان الميزان ٦/ ٧٦٨، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٧٣، وطبقات الحفاظ ١٨٥، وخلاصة تذهيب التهذيب ٤٢٨، والرسالة المستطرفة ١٢٩، وتاريخ التراث العربي ١/ ١٥٨ رقم ١٤٨، ومقدمة تاريخه برواية الدوري، تحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف، طبعة مكة المكرمة، وترجمته في مقدمة الجرح والتعديل ١/ ٣١٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٣١ ـ ٢٤٠هـ) ص٤٠٤ رقم ٤٩٥.

الكوفة إلى أبي إسحاق، والأعمش، وعلم الحجاز إلى ابن شهاب، وعمرو بن دينار، وصار علم هؤلاء الستة بالبصرة إلى سعيد بن أبي عروبة، وشُعبة، ومعمّر، وحمّاد بن سلمة، وأبي عوانة، ومن أهل الشام إلى الأوزاعي، وانتهى علم هؤلاء إلى محمد بن اسحاق، والهيثم، ويحيى بن سعيد، وابن أبي زائدة، ووكيع، وابن المبارك، وهو أوسع هؤلاء علماً، وابن مهدي، ويحيى بن آدم، وصار علم هؤلاء جميعاً إلى يحيى بن معين.

وكان يحجُّ، فيذهب إلى مكة على المدينة، ويرجع على غير المدينة. فلما كان آخر حجّة حجّها، خرج على المدينة، ورجع على المدينة، فأقام بها ثلاثة أيام، ثم خرج حتى نزل المنزل مع رفقائه، فباتوا، فرأى في النوم هاتفاً يهتف به: يا أبا ذكريا، أترغبُ عن جواري؟ فلمّا أصبح قال لرفقائه: امضوا فإني راجع إلى المدينة، فمضوا ورجع، فأقام بها ثلاثاً، ثم مات، فحمل على أعواد النبي ﷺ وذلك سنة ثلاث وثلاثين ومائتين. كذا قال الخطيب.

[١٠]

عبد الله بن محمد بن أبي شَيْبَة إبراهيم بن عثمان العبسي(١)

مولاهم الكوفي أبو بكر الحافظ.

العديم النظير، الثبت، النحرير، صاحب المسند، والمصنف، والمقلّد والمشنف. حرّر النقول، وحبّر تصانيفه بأحاديث الرسول، وابقى بعده ما هو قدوة

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٤١٣، وطبقات خليفة ١٧٣، والتاريخ الصغير للبخاري ٢٣٢، والأدب المفرد له، رقم ٨٣ و١٣٣ و٢٣٥ و٢٦٢ و٢٩٠ و٥٦٧، والزهد لأحمد ٢٨، ٢٩، ١٩٧، ٣٥٣، ٤٠٣، ٤٧٧، والورع ١٨٩، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ١٣، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٢١٠، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٨٦، ٢٩٣، ٣٣٥، ٣٦٥، ٤٥٤، ٤٩٦، ٥١٨، ٥٣٦، ٧١٢، و٢/ ٥٤١، ٥٤٦، ٥٥٣، ٦١٧، ٦١٨، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٣٦، ٦٩٨، ٧٧٠، ٧٧١، و٣/ ٨٠، ١٢٧، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٥، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٦٤، ٢٨٨، ٣١٨، وتاريخ الثقات للعجلي ٢٧٦ رقم ٨٧٨، والجرح والتعديل ٥/ ١٦٠ رقم ٧٣٧، والثقات لابن حبان ٨/ ٣٥٨، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/ ٤٢٧ رقم ٦٢١، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه ١/ ٣٨٥، ٣٨٦ رقم ٨٥٢، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٢٥٩ رقم ٩٤٨، والأسامي والكنى للحاكم، ج١ ورقة ٦٨أ، والفوائد العوالي المؤرخة للتنوخي، بتخريج الصوري ١١٢، ١١٤، والسابق واللاحق، للخطيب ٢٥٧، وتاريخ بغداد ١٠/ ٦٦ رقم ٥١٨٥، والأنساب لابن السمعاني ٨/ ٣٦٦، والمعجم المشتمل لابن عساكر ١٥٨ رقم ٤٩٢، =

للاتّباع، وذروة للأَتباع، وأُسوة في /١٦٣/ إزالة الابتداع. علماً ظَهَر، وفضلاً بَهَر، ورواية لا يحدث كإروائها عن البحر، ولا النهر، وتفنناً لا يلقط شبيه أفنانه من الثمر، ولا الزهر، وظهوراً كالشمس، لا بل سار ضوؤها مثله، ولا أشتهر.

قال الفلاّس، وأبو زُرعة الرازي: ـ ما رأينا أحفظ من أبي بكر ابن أبي شيبة.

وقال أبو عبيد: انتهى الحديث إلى أربعة: فأبو بكر أسردهم له، وأحمد أفقههم له، وابن معين أجمعهم له، وابن المديني أعلمهم.

وقال صالح بن محمد: أعلم من أدركت بالحديث وعلله علي بن المديني، وأحفظهم له عند المذاكرة أبو بكر بن شيبة.

وقال أبو عبيد: أحسنهم وضعاً لكتاب أبو بكر بن أبي شيبة.

وقال الخطيب: كان أبو بكر متقناً، حافظاً، صنّف المسند، والأحكام، والتفسير.

قال البخاري: مات في المحرّم سنة خمس وثلاثين ومائتين.

ومنهم:

[١١]

عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهْرام بن عبد الصّمد التميمي الدارمي السمرقندي(١)

صاحب المسند العالي، والمقلّد بالدّر الغالي، والذي إذا عرضت على مناقبه

= والإرشاد للخليلي (طبعة ستنسل) ١/ ٤، والفهرست لابن النديم ٢٢٩، وتهذيب الكمال (المصور) ٢/ ٧٣٢ـ ٧٣٣، والمعين في طبقات المحدثين ٨٦ رقم ٩٤٥، ودول الإسلام ١/ ١٤٣، والكاشف ٢/ ١١١ رقم ٢٩٨٤، وميزان الاعتدال ٢/ ٤٩٠ رقم ٤٥٤٩، وسير أعلام النبلاء ١١/ ١٢٢ ـ ١٢٧ رقم ٤٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٢ـ ٤٣٣، والعبر ١/ ٤٢١، ومرآة الجنان ٢/ ١١٦، والبداية والنهاية ١٠/ ٣١٥، والوافي بالوفيات ١٧/ ٤٤٢ رقم ٣٨٢، ومشارع الأشواق (انظر فهرس الأعلام) ٢/ ١١٥٩، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٤٦ـ ٢٤٧ رقم ٢٣٥، وتهذيب التهذيب ٦/ ٢ ـ ٤ رقم١، وتقريب التهذيب ١/ ٤٤٥ رقم ٥٨٩، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٨٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢١٢، وشذرات الذهب ٢/ ٥، والرسالة المستطرفة ١٣، والأعلام ٤/ ٢٦٠، ومعجم المؤلفين ٦/ ١٠٧، وتاريخ التراث العربي ١/ ١٦١ رقم ٥١. تاريخ الإسلام (السنوات ٢٣١ ـ ٢٤٠هـ) ص٢٢٧ رقم ٢٢٦.

(١) ترجمته في: التاريخ الصغير للبخاري ٢/ ٣٩٧، وتاريخ واسط لبحشل ٣١٧، وعيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٣٣٢، والجرح والتعديل ٥/ ٩٩ رقم ٤٥٨، والثقات لابن حبان ٨/ ٣٦٤، والعلل =

الدرر. قال لا تصلح هذه اللآلي إلاّ لي، تعرضت له الدنيا، فأعرض عن زخارفها، وتنكر لها؛ لمعرفته بمعارفها، وردّ عليها ما خوّلت من غرورها، ونولت من سرورها، هذا وهو بسمرقند حيث يضرب المثل رونق صغدها، ومونق رغدها، ومشرق ضحوات يومها وغدها، أنفةً أن يتدنس بآثامها، أو يُفتَتن بما تحت لثامها ورعاً وزهداً، وديناً عمَّر به داراً ولَحْداً.

سمع بالحرمين، ومصر، والشام، والعراق، وخراسان، وحدّث عنه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وخلائق.

قال /١٦٤/ أبو بكر الخطيب: كان أحد الحفاظ والرحالين، موصوفاً بالثقة والزهد، والورع. استقضي على سمرقند، فقضى قضية واحدة، ثم استعفي، فأُعفي، وكان على غاية العقل، وفي نهاي الفضل، يُضرب به المثل في الديانة، والحلم، والاجتهاد، والعبادة، والتقلل. صنّف المسند، والتفسير، وكتاب الجامع.

وذكر أحمد بن حنبل الدارمي فقال: عُرضت عليه الدنيا، فلم يقبل.

= للدارقطني ١/ ١٢، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه ١/ ٣٥١ رقم ٧٥٧، والكامل في الأدب للمبرد ١/ ١٣٩، والمستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي ٢٠٨، وتاريخ بغداد ١٠/ ٢٩ ـ ٣٢ رقم ٥١٤٨، وربيع الأبرار للزمخشري ٣/ ١٨٦، وتاريخ جرجان للسهمي ١٣٢، ١٣٣، ١٩١، ٤١٢، وسراج الملوك للطرطوشي ١٥٨، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٢٧٠ رقم ٩٨٩، والأنساب لابن السمعاني ٥/ ٢٥٢، وطبقات الحنابلة ١/ ٨٨، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون ١/ ٩٨، والمعجم المشتمل لابن عساكر ١٥٦ رقم ٤٨١، وتاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية ٢١/ ٢٠١ ـ ٢٠٨، والكامل في التاريخ ٧/ ٢١٧، والتقييد لابن النقطة ٣٠٨ ـ ٣١٠ رقم ٣٧٥، وتهذيب الكمال ١٥/ ٢١٠ ـ ٢١٧ رقم ٣٣٨٤، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٤٧، وفيه «الداراني» بدل «الدارمي» وهو غلط، والمعين في طبقات المحدثين ٩٧ رقم ١٠٩٧ وفيه «عبيد الله» بدل «عبد الله» ودول الإسلام ١/ ١٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٢٤ ـ ٢٣٢ رقم ٧٨، والعبر ٢/ ٨٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٤، والكاشف ٢/ ٩٣ رقم ٢٨٥٤، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٣٣، ومرآة الجنان ٢/ ١٦١، والبداية والنهاية ١١/ ٢٠، والوافي بالوفيات ١٧/ ٢٤٢ رقم ٢٢٤، وتاريخ الخميس للديار بكري ٢/ ٣٨٠، وشرح علل الترمذي لابن رجب ٥٧، ١٩٥، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٩٤؛ ٢٩٦ رقم ٥٠٣، وتقريب التهذيب ١/ ٤٢٩ رقم ٤٣٢، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٢ـ ٢٣، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٦٠، وطبقات الحفاظ ٢٣٥، وخلاصة التذهيب ٢٠٤، وطبقات المفسرين ١/ ٢٣٥، وشذرات الذهب ٢/ ١٣٠، والرسالة المستطرفة ٣٢، والأعلام ٤/ ٢٣٠، ومعجم المؤلفين ٦/ ٧١، وتاريخ التراث العربي ١/ ١٧٢ رقم ٦٩، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٣/ ١٩٢ـ ١٩٣ رقم ٨٨٠ تاريخ الإسلام (السنوات ٢٥١ ـ ٢٦٠هـ) ص ١٧٩ رقم ٢٨١.

وقال رجاء بن مُرجّى: رأيت الشاذكوني، وابن راهويه ـ وسمّى جماعة ـ فما رأيت أحفظ من الدارمي.

وقال أبو حاتم: عبد الله الدارمي إمام أهل زمانه.

توفي يوم التروية سنة خمس وخمسين ومائتين.

ومنهم:

[١٢]

الإمام العلم، أبو عبد الله البخاري

واسمه: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجُعفي[(١)] مولاهم.

صاحب الجامع الصحيح المقدّم على الصحاح، والمجرّب للنجاح، والمشهور منه في نُوب النوائب سلاح يعرف على التجريب، ونجاح يتحف بالفرج القريب، وجناح يلحف بشعار النصر، وقد كادت سهام الأعداء تصيب، والمعدّ مفتاحاً لأبواب الحوائج إذا تعسّرت أقفالها، وصلاحاً لأدواء الأيام إذا فسدت أحوالها، وصباحاً إذا

---

(١) ترجمته في: الجرح والتعديل ٧/ ١٩١ رقم ١٠٨٦، والثقات لابن حبان ٩/١١٣، والعقد الفريد ١/ ٧٠، والرحلة في طلب الحديث ٢٣، وتاريخ بغداد ٢/ ٤ ـ ٣٦، ٣٧ رقم ٤٢٦، والفهرست ٢٣٠، وتاريخ جرجان للسهمي ٥٩، ١١٠، ١٢٦، ٢١٥، ٢٨١، ٢٨٥، ٣٤٠، ٣٦١، ٤٢٧، ٤٥٥، ٤٨١، ٤٨٨، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٧١ ـ ٢٧٩ رقم ٣٨٧، والأنساب ١/ ٢٩٣، واللباب ١/ ١٢٥، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٦٢، والكامل في التاريخ ٧/ ٢٤٠، والإشارات لمعرفة الزيارات ٩٩، وفهرست ابن خير ٤٧٨، ٥٠١، ٥٠٢، ٥١٨، ٥٢٨، والمعجم المشتمل ٢٢٦ رقم ٧٦٢، والتقييد لابن النقطة ٣٠ ـ ٣٤ رقم ٦، وتهذيب الأسماء واللغات ج١ ق١/ ٦٧ ـ ٧٦، ووفيات الأعيان ٤/١٨٨ ـ ١٩١، وجامع الأصول ١/ ١٨٦، وتهذيب الكمال (المصور) ٣/ ١١٦٨ ـ ١١٧٢، والمختصر في أخبار البشر ٢/٤٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٩١ ـ ٤٧١، رقم ١٧١، ودول الإسلام١/ ١٥٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٥ ـ ٥٥٧، والكاشف ٣/ ١٨ رقم ٤٧٩٠، والعبر ٢/ ١٢، ١٣، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٣٤ـ ٢٣٥، ومرآة الجنان ٢/ ١٦٧ ـ ١٦٩، والبداية والنهاية ١١/ ٢٤ ـ ٢٧، والوافي بالوفيات ٢/ ٢٠٦ ـ ٢٠٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٢١٢ ـ ٢٤١، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٢، والوفيات لابن قنفذ ١٨٠ رقم ٢٥٦، وتهذيب التهذيب ٩/ ٤٧ ـ ٥٥ رقم ٥٣، وتقريب التهذيب ٢/ ١٤٤ رقم ٤٣، ومقدمة فتح الباري، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٥ـ ٢٦، وطبقات المفسرين ٢/ ١٠٠، ومفتاح السعادة ٢/ ١٣٠، ودائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٤١٩ ـ ٤٢٦، والأعلام ٦/ ٢٥٨ـ ٢٥٩، ومعجم المؤلفين ٩/ ٥٢ ـ ٥٤، وتاريخ التراث العربي ١/ ٧٤ ـ ٢٠٦ رقم ٧٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٥١ ـ ٢٦٠هـ) ص٢٣٨ رقم ٤٠١.

طغت في سيل الليل النجوم، وطعُنت ذبالها.

وهو الذي ما سُبق إلى ترتيبه، ولا عُرف كيف الوصول إليه من تبويبه، ولا ادّعى أحد مثل ضبطه، ولا قدر على التوفية بشرطه، وما برح من فضله يغترف، وبتفضيله يَعْترف.

وأكثر الناس على أنه في كتب الحديث أصحّ كتاب، وأسحّ سحاب، وأفسح معتًى يدخل إليه من كل باب، تدفّق، فاستوشلت / ١٦٥/ البحار، وتألّق، فتدأدأت الأقمار، وطلع من بخارى، فعقد الشكر عليها سحاب عنبر من بخار، وهمع ما وراء النهر، نوؤه فرقصت في وشاح الحَبب الأنهار، وقطع مؤلفه به الدنيا حتى دخلت عليه الملائكة قائلة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[1].

رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدّثي الأمصار، وكتب بخراسان، والجبال، ومدن العراق، والشام، ومصر، والحجاز. ولمّا قدم، اجتمع إليه أهلها، واعترفوا بفضله، وشهدوا بتفرّده في علم الرواية والدّراية.

قال محمد بن أبي حاتم الورّاق: قلتُ لأبي عبد الله البخاري كيف كان بَدْء أمرك في طلب الحديث؟، قال: أُلهمت حفظ الحديث، وأنا في الكُتّاب، وقد أتى عليّ عشر سنين، أو أقل، ثم خرجت من الكُتّاب بعد العشر، فجعلتُ أختلف إلى الداخليّ وغيره.

وقال يوماً فيما كان يقرأ للناس سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، فقلتُ له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل، ونظر فيه، ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟، فقلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم، فأخذ القلم مني، وأحكم كتابه، فقال: صدقت، فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت إذ رددت عليه؟، فقال: ابن إحدى عشرة سنة، فلما طعنت في ستّ عشرة سنة، حفظت كتب ابن المبارك، ووكيع، وكلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة. فلما حججت رجع أخي أحمد، وتخلّفت بها في طلب الحديث، فلما طعنت في ثماني عشرة، جعلت أصنّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى عند قبر النبي ﷺ في الليالي المقمرة.

وقال الفربري: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل، فقال: /١٦٦/ أقرئه مني السلام.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٤.

وكان البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه، فيصلي بهم، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية؛ وكذلك إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر في كلّ ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة، ويكون ختمه عند الإفطار كلّ ليلة، ويقول: عند كلّ ختمة دعوة مستجابة.

وقال البخاري: أرجو أن ألقى الله، ولا يحاسبني أني اغتبتُ أحداً.

وكان يصلّي ذات يوم، فلسعه الزنبور سبع عشرة. فلما قضى صلاته: قال انظروا ايش هذا الذي أذاني في صلاتي؟، فإذا الزنبور قد ورّمه في سبعة عشر موضعاً، ولم يقطع صلاته.

وقال محمد بن بشار: حفاظ الدنيا أربعة أبو زُرعة بالريّ، ومحمد بن إسماعيل ببخارى، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند.

وقال البخاري: ذاكرني أصحاب عمرو بن علي بحديث، فقلتُ: لا أعرفه فسرُّوا بذلك، وصاروا إلى عمرو، فقالوا: ذاكرنا محمد بن إسماعيل بحديث فلم يعرفه، فقال: حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث.

وقال أبو علي البغدادي: كان البخاري يجلس ببغداد، وكنت أستملي له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفاً.

وقال أبو أحمد بن عدي: سمعتُ عدّة مشايخ يحكون أنَّ البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا، وعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها، وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديث /١٦٧/ من الغرباء من أهل خراسان وغيرها؛ فلما اطمأن المجلس، انتدب إليه رجل من الغرباء، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري لا أعرفه، فما زال يلقى عليه واحداً بعد واحدٍ. حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه، فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: فهم الرجل، ومن كان منهم غير ذلك، يقضي على البخاري بالعجز والتقصير، وقلّة الفهم، ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول في

كل ذلك: لا أعرفه، ثم انتدب له الثالث، ثم الرابع إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلّهم من الأحاديث المقلوبة المائة، ولا يزيدهم البخاري على قوله: لا أعرفه؛ فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم، وقال: أما حديثك الأول، فهو كذا، وحديثك الثاني كذا، والثالث والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة، فردّ كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، وردّ متون الأحاديث إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقرَّ له الناس بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل.

وقال سليم بن مجاهد: كنت عند محمد بن سلاّر البيكندي، فقال لي: لو جئت قبلُ لرأيت صبياً يحفظ سبعين ألف حديث، قال: فخرجت في طلبه حتى لقيته، فقلت: أنت الذي تقول: أنا أحفظ سبعين ألف حديث قال: نعم، وأكثر منه، ولا أجيئك بحديثٍ من الصحابة أو التابعين إلاّ عرفت مولد أكثرهم، ووفاتهم، ومساكنهم، / ١٦٨/ ولستُ أروي حديثاً من حديث الصحابة أو التابعين إلاّ ولي في ذلك أصل أحفظه عن كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

وقال أبو سعيد بن منير: بعث الأمير خالد الذهلي - والي بخارى - إلى البخاري: أن احمل كتاب الجامع، والتاريخ، وغيرهما؛ لأسمع منك، فقال البخاري لرسوله: أنا لا أذلّ العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فأحضرني إلى مسجدي أو في داري، فإن لم يعجبك هذا، فأنت سلطان، فامنعني من المجلس؛ ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة؛ لأني لا أكتم العلم لقول النبي ﷺ: من سُئل عن علمٍ فكتمه، ألجم بلجام من نار.

قال: وكان سبب الوحشة بينهما هذا.

وقال ابن أبي حاتم: كان البخاري إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلاّ في القيظ أحياناً، فكنت أراه يقوم في ليلةٍ خمس عشرة مرّة إلى عشرين مرة في كلّ ذلك يأخذ القدّاحة، فيوري ناراً بيده، ثم يُخرج أحاديث، فيعلم بها، ثم يضع رأسه، وكان يصلّي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني، قال: أنت شاب، فلا أحبّ أن أفسد عليك نومك، ورأيته استلقى على قفاه يوماً، ونحن بغربر في تصنيف كتاب التفسير، وكان أتعب نفسه في كثرة إخراج الحديث، فقلتُ له: يا أبا عبد الله سمعتك تقول يوماً: إني ما أتيت شيئاً بغير علم قطّ منذ عقلت.

قلتُ: وأي علم في هذا الاستلقاء؟، قال: أتعبنا أنفسنا في هذا اليوم، وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو، فأحببت أن أستريح / ١٦٩/ وآخذ

أهبة ذلك، فإن غافصنا العدو، كان بنا حراك.

وقال البخاري: صنّفت كتابي الصحيح في ستّ عشرة سنة، وخرّجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجّة فيما بيني وبين الله تعالى، وما وضعت فيه حديثاً إلاّ اغتسلت قبل ذلك، وصليتُ ركعتين وكتبت عن ألف شيخ.

وأكثر ما عندي حديث لا أذكر إسناده، وربّ حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، وربّ حديث سمعته بالشام كتبته بمصر.

وقال عبد القدوس بن عبد الرحمن السمرقندي: جاء البخاري إلى خَرتنك ـ قرية من قرى سمرقند على فرسخين منه ـ وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، قال فسمعته ليلة من الليالي ـ وقد فرغ من صلاة الليل ـ يدعو، ويقول في دعائه: اللهم إنه قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك. قال: فما تمَّ الشهر حتى قبضه الله إليه، وقبره بخرتنك.

وقال عبد الواحد بن أحمد الطواويسي: رأيتُ النبي ﷺ في النوم ومعه جماعة من أصحابه، وهو واقف في موضع ذكره، فسلمتُ عليه فردّ عليّ السلام، فقلت: ما وقوفك يارسول الله، فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري؛ فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي ﷺ فيها، وكان ذلك ليلة السبت عند صلاة العشاء، وكانت ليلة عيد الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ستّ وخمسين ومائتين بخرتنك.

ومولده يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة.

ومنهم:

[١٣]

محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس، أبو عبد الله النيسابوري الذهلي[(١)]

مولاهم، شيخ الإسلام، وحافظ نيسابور، وحافل سحابها المجرور، /١٧٠/ حفظُه متسع، ولفظُه يدلّ على أنه مطّلع، وِرْدُهُ عِدّ، وفرنده عِقد، استفاء من إليه أوى،

(١) ترجمته في: الجرح والتعديل ٨/ ١٢٥ رقم ٥٦١، والثقات لابن حبان ٩/ ١١٥، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/ ٦٨٧ رقم ١١٢٢، وتاريخ بغداد ٣/ ٤١٥ ـ ٤٢٠ رقم ٦٥٤٨، وتاريخ =

واستفاد من أقبل عليه وروى، بتقريب يُسوّغ لطالب موارده المناهل، ويفطّن الراغب لفوائده، وما هو عن ذهليّة الحيّ ذاهل، تفرداً في ذلك الأوان، وأشجاً ما زاد قرنه الذي قطعه الحصر معه على أن تعرّض للهوان، وأظهر المسالمة لجهلة قومه، وقال: [من الهزج]

صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهْلٍ وَقُلْنَا الْقَوْمُ اخْوَانُ

سمع بالحرمين، ومصر، والشام، والعراق، والري، وخراسان، واليمن، والجزيرة، وبرع في هذا الشأن، وحدّث عنه خلق والجماعة سوى مسلم، وانتهت إليه مشيخة العلم بخراسان، مع الثقة، والصيانة، والدين، ومتابعة السنن.

وقال محمد بن سهل بن عسكر: كنا عند أحمد بن حنبل، فدخل يحيى الذهلي، فقام إليه أحمد، وتعجب الناس منه، وقال لأولاده وأصحابه: اذهبوا إلى أبي عبد الله، فاكتبوا عنه.

وقال أحمد: ما رأيت أحداً أعلم بحديث الزهري من محمد بن يحيى.

وقال الذهلي؛ قال لي علي بن المديني: أنت وارث الزهري.

وقال أبو حاتم: هو إمام أهل زمانه.

وقال أبو بكر بن زياد: كان الذهلي أمير المؤمنين في الحديث.

وقال الذهلي: ارتحلت ثلاث رحلات، وأنفقت على العلم مائة وخمسين ألفاً.

وقال الدارقُطني: من أراد أن يعرف قصور علمه، فلينظر في علل حديث الزهري لمحمد بن يحيى.

= جرجان للسهمي ١٠٧، ٢٨٣، و٤٠١، وطبقات الحنابلة ١/ ٣٢٧ رقم ٤٦٣، والجمع بين رجال الصحيحين ٢/ ٤٦٥ رقم ١٧٨٧ والمنتظم ٥/ ١٥، وتاريخ دمشق (مخطوطة التيمورية) ٣٧/ ٢١٣ و٣٩/ ٣٤٢، والمعجم المشتمل ٢٧٩ـ ٢٨٠ رقم ٩٩٥، فهرست ابن خير ٥٠٥، والكامل في التاريخ ٧/ ٢٥٨، وتهذيب الكمال (المصور) ٣/ ١٢٨٦، والعبر ٢/ ١٧، والكاشف ٣/ ٩٤ رقم ٥٢٩٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٠ ـ ٥٣٢، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٧٣ ـ ٢٨٥ رقم ١٠٤، ودول الإسلام ١/ ١٥٦، ومرآة الجنان ٢/ ١٦٩، والبداية والنهاية ١١/ ٣١، والوافي بالوفيات ٥/ ١٨٦، وتهذيب التهذيب ٩/ ٥١١ ـ ٥١٦ رقم ٨٤١، وتقريب التهذيب ٢/ ٢١٧ رقم ٨٠٩، والنجوم الزاهرة ٣/ ٩٢، وطبقات الحفاظ ٢٣٤، وخلاصة التذهيب ٣٦٣، وشذرات الذهب ٢/ ١٣٨، والأعلام ٨/ ٣، ومعجم المؤلفين ١٢/ ١٠٥، وتاريخ التراث العربي ١/ ٢٠٧ـ٢٠٨ رقم ٧٣، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٥/ ٤٠ ـ ٤٣ رقم ١٦٤١، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٥١ ـ ٢٦٠هـ) ص ٣٣٧ رقم ٥١٧ .

وقال أبو عمرو، وأحمد بن نصر الخفاف: رأيت محمد بن يحيى، فقلت: ما فعل الله بك؟، قال: غفر لي، قلت: فما فعل بحديثك؟، قال: كتب بماء الذهب ورفع في عليين.

توفي في ربيع الأول سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين، وهو في عشر التسعين.

/١٧١/ ومنهم:

[١٤]

أحمد بن الفرات[1]، الحافظ الحجة، أبو مسعود الرازي

محدّث أصبهان، وصاحب التصانيف الحسان، رقت حواشيها، وقرَّت عيوناً بأن النجوم لا تماشيها، صنفّها ابن الفرات، وكأنها بين ضفتيها تترقرق، وبين دفتيها تجمع من جدا جداولها ما تفرّق؛ فهي عذبة سلسال، ذات تدفق واسترسال، وسعت الزمان إملاءا فيما يفيد، وأخذت الزمام وقد ضاقت بمدارجها البيد. أكثر الترحال في لُقى الرجال.

قال أبو مسعود: كتب عن ألف وسبعمائة شيخ، فعملت من ذلك في تواليفي خمسمائة ألف حديث.

وقال أحمد بن حنبل: ما أظن بقي أحد أعرف بالمسندات من ابن الفرات.

وقال أيضاً: ما تحت أديم السماء أحفظ لأخبار رسول الله ﷺ من ابن الفرات.

وقال ابن عدي: لا أعرف له رواية منكرة، وهو من أهل الصدق والحفظ.

---

(١) ترجمته في: الجرح والتعديل ٢/ ٦٧ رقم ١٢٢، والثقات لابن حبان ٨/ ٣٦، وطبقات المحدثين بأصبهان (طبعة دار الكتب العلمية) ٢/ ٢٥٤ ـ ٢٥٧ رقم ١٦٣، وذكر أخبار أصبهان ١/ ٨٢، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ١/ ١٩٣، وتاريخ بغداد ٤/ ٣٤٣ـ ٣٤٤ رقم ٢١٧٣، وطبقات الحنابلة ١/ ٥٣ـ ٥٤، رقم ٤٧، والمعجم المشتمل ٥٧ رقم ٧٢، وتهذيب تاريخ دمشق ١/ ٤٣٥ـ ٤٣٦، وتهذيب الكمال ١/ ٤٤٢ ـ ٤٢٥ رقم ٨٨، والكاشف ١/ ٢٥ رقم ٧١، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٨٠ ـ ٤٨٨ رقم ١٧٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٤٤، ٥٤٥، والعبر ٢/ ١٦، ودول الإسلام ١/ ١٥٦، وميزان الاعتدال ١/ ١٢٧ـ ١٢٨ رقم ٥١٤، والمغني في الضعفاء ١/ ٥٢ رقم ٣٩٩، ومرآة الجنان ٢/ ١٦٩، والوافي بالوفيات ٧/ ٢٨٠ رقم ٣٢٦١، وتهذيب التهذيب ١/ ٦٦ـ ٦٧ رقم ١١٧، وتقريب التهذيب ١٠/ ٢٣ رقم ١٠٢، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٩، وطبقات الحفاظ ٢٣٩، وخلاصة التذهيب ١١، وشذرات الذهب ٢/ ١٣٨، والأعلام ١/ ١٨٦، ومعجم المؤلفين ٢/ ٤٥، وتاريخ التراث العربي ١/ ٢٠٨ رقم ٧٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٥١ ـ ٢٦هـ) ص٥٠ رقم ٣٨.

وكانت وفاته في شعبان سنة ثمان وخمسين ومائتين.

ومنهم:

[١٥]

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبو الحسين(١)

أحد الأئمة الحفاظ أعلام المحدثين، وفي أعلى مقام المتقدّمين والمحدثين، المفضل بعد صحيح البخاري كتابه إلاّ ما ذهب إليه بعضهم من أنه هو المقدم، والأولى بأن يُقدّم، وحذّاق المحدثين إذا خرّجوا مما خرّجاه مما اختلفا في لفظه، جعلوا اللفظ لمسلم على ما خرّجه في صحيحه، وعملوا عليه لكثرة تصحيحه، وعُنْتِ تنقيحه، ولأهل المغرب في التعويل عليه ميل، ولهم إلى الانصباب إليه سيل، وعذراً لمن أغرى بصحيحه / ١٧٢/ عذرا، لقد وفي في شرط تصحيحه نذراً، حتى لقد كاد يُعدّ فرداً لا يقاس إلى شبهه، وراوياً للخبر يجيء به كما قيل في حديث عائشة في الأضاحي: لقد أتتك بالحديث على وجهه، لقد أبطل شُبه كل مضل مُذ جلا كل مظلم، وأزال دعوى كل باطل بما صحَّ من حديثِهِ؛ فإنه لا شيء أصحّ من حديث مسلم.

---

(١) ترجمته في: مسند أبي عوانة ١/ ٣٤٤ و٢/ ٧٨، ٩٤، ٣١٦، ٣٥٦، والجرح والتعديل ٨/ ١٨٢ـ ١٨٣ رقم ٧٩٧، والفهرست لابن النديم ٢٨٦، وتاريخ بغداد ١٣/ ١٠٠ ـ ١٠٤ رقم ٧٠٨٩، وطبقات الحنابلة ١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩ رقم ٤٨٨، والأنساب ٤/ ٥٠٣، وتاريخ العظيمي ٢٦٤، والفهرست لابن خير ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٨١، ٤٨٣، واللباب ٣/ ٣٨، وجامع الأصول ١/ ١٨٧، والمعجم المشتمل ٢٩١ رقم ١٠٤٣، وتهذيب الأسماء واللغات ج٢ ق ١/ ٨٩ ـ ٩٢ رقم ١٣١، ووفيات الأعيان ٥/ ١٩٤ ـ ١٩٦ رقم ٧١٧، وتهذيب الكمال (المصور) ٣/ ١٣٢٣ـ ١٣٢٤، والمنتظم ٥/ ٣٢ رقم ٧٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٥١، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٢ـ ٣٨٣، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٣٧، وأدب القاضي (انظر فهرس الأعلام) ١٢/ ٥٥٧ ـ ٥٨٠ رقم ٢١٧، والعبر ٢/ ٢٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٨ ـ ٥٩٠، ودول الإسلام ١/ ١٥٨، ومرآة الجنان ٢/ ١٧٤ـ ١٧٥، والبداية والنهاية ١١/ ٣٣ ـ ٣٥، وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٢٦ ـ ١٢٨ رقم ٢٢٦، وتقريب التهذيب ٢/ ٢٤٥ رقم ١٠٧٧، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣٣، وطبقات الحفاظ ٢٦٠، خلاصة التذهيب ٣٧٥، وشذرات الذهب ٢/ ١٤٤ـ ١٤٥، والفهرست لابن خير ٢١٢، والأعلام ٨/ ١١٧، ومعجم المؤلفين ١٢/ ٢٣٢، وتاريخ التراث العربي ١/ ٢١٠ ـ ٢٢ رقم ٧٧، وديوان الإسلام لابن الغزي ٤/ ١١٤، ١١٥ رقم ١٨١١، وكشف الظنون ١٧٥، وغيرها، وهدية العارفين ٢/ ٤٣١، تاريخ الإسلام لابن الغزي ٤/ ١١٤، ١١٥ رقم ١٨١١، وكشف الظنون ١٧٥، وغيرها، وهدية العارفين ٢/ ٤٣١، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٢٦١ ـ ٢٨٠هـ) ص ١٨٢ ـ ١٨٣ رقم ١٦٨.

رحل إلى الحجاز، والعراق، والشام، ومصر، وقدم بغداد غير مرّة، وآخر قدومه إليها سنة تسع وخمسين ومائتين.

قال مسلم: صنّفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة.

وقال الحافظ أبو علي النيسابوري: ما تحت أديم السماء أصحّ من كتاب مسلم في الحديث.

وقال أحمد بن سلمة: رأيت أبا زرعة، وأبا حاتم يقدّمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما.

وقال أحمد بن عمر الزاهد: سمعت الثقة من أصحابنا ـ وأكبر ظني أنه أبو سعيد ابن يعقوب ـ يقول: رأيتُ فيما يرى النائم كأنَّ أبا عليّ الزعوري يمضي في شارع الحيرة، وفي يده جزء من كتاب مسلم، فقلت له: ما فعل الله بك؟، قال: نجوت بهذا، وأشار إلى الجزء.

وقال أحمد بن سلمة: عقد لأبي الحسين مسلم مجلس المذاكرة، فذكر له حديث لم يعرفه، فانصرف إلى منزله، وأوقد السراج، وقال لمن في الدار: لا يدخل أحد منكم هذا البيت، فقيل له: أهديت لنا سلّة فيها تمر، فقال: قدّموها فقدّموها إليه، وكان يطلب الحديث، ويأخذ تمرة تمرةً، فيمضغها، فأصبح، وقد فني التمر، ووجد الحديث.

قال الحاكم: زادني الثقة من أصحابنا أنه منها مات.

قال الحاكم: قرأت بخطّ أبي عمرو المستملي: أملى علينا إسحاق بن منصور سنة إحدى وخمسين ومائتين، ومسلم ينتخب عليه، وأنا أستملي، فنظر إسحاق بن منصور إلى مسلم، فقال: لن نُعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين.

/ ١٧٣/ توفي مسلم عشية يوم الأحد، ودفن يوم الاثنين لخمس، وقيل: لستّ بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور، ومولده سنة ستّ ومائتين، وقيل: سنة أربع ومائتين.

ومنهم:

[١٦]
محمد بن يزيد بن ماجه الربعي[١] بالولاء القزويني، أبو عبد الله الحافظ

مصنّف كتاب السنن.

---

(١) ترجمته في: السابق واللاحق ١١٨، والتدوين في أخبار قزوين ٢/ ٤٩ ـ ٥٣، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٥٦/ ٢٧٠ـ ٢٧٢ ٧١١٣، والمنتظم ٥/ ٩٠ رقم ٢٠٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧٩ رقم =

وحسبك بابن ماجه بحراً ماج، فطفى من درّه ما رسب، وطوداً مال لو لم يمسك الغمام من ذيله بحسب، وحبراً ما رأى أحد أفضل مما منه يكتسب، ربعي بالولاء، لا بل هو ربيعٌ توالى قطره الساكب، وتولّى الغمام ثم جرى في أرضه نهرُ، إلاّ أنه ما استطاع أن يمرّ بها وهو راكب. طاف وارتحل، وطاب موقعه كالغيث حيث حلّ، وأعمل نظره فيما فرضه الشارع وسنَّه، وفسّر كتاب الله، وروى حديث رسوله، فقام بالكتاب والسنة.

كان إماماً في الحديث، عارفاً بعلومه وجميع ما يتعلق بعلومه.

ارتحل إلى العراق، والبصرة، والري، والكوفة، وبغداد، ومكة، والشام، ومصر؛ لكتب الحديث.

وله تفسير القرآن، وتاريخ مليح، وكتابه أحد الكتب الستة.

توفي يوم الاثنين، ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وصلّى عليه أخوه أبو بكر.

ومولده سنة تسع ومائتين.

ومنهم:

[١٧]

عُبَيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فَرُّوخ القرشي مولاهم الرازي، أبو زرعة(١)

سيد من سادات القوم، وسند ما انقطع إلى اليوم.

= ٦١٤، وتهذيب الكمال (المصور) ٣/ ١٢٩٠ـ ١٢٩١، والعبر ٢/ ٥١، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٧ ـ ٢٨١ رقم ١٣٣، والكاشف ٣/ ٩٧ رقم ٥٣١٧، ودول الإسلام ١/ ١٦٦، والمعين في طبقات المحدثين ١٠٣ رقم ١١٧٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٦ـ ٦٣٧، والبداية والنهاية ١١/ ٧٥٢، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٥٤، ومرآة الجنان ٢/ ١٨٨، والوافي بالوفيات ٥/ ٢٢٠ رقم ٢٢٨٨، وتاريخ الخميس للديار بكري ٢/ ٣٨٣، والوفيات لابن قنفذ ١٨٧ رقم ٢٧٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٤٠ـ ٢٤١، وتهذيب التهذيب ٩/ ٥٣٠ ـ ٥٣٢ رقم ٨٧٠، وتقريب التهذيب ٢/ ٢٢٠ رقم ٨٣٥، والنجوم الزاهرة ٣/ ٧٥، وطبقات الحفاظ ٢٧٨ـ ٢٧٩، وتاريخ الخلفاء ٣٦٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٦٥، وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٧٢ـ ٢٧٣، وشذرات الذهب ٢/ ١٦٤، والأعلام ٨/ ١٥، ومعجم المؤلفين ١٢/ ١١٥ـ ١١٦، وتاريخ التراث العربي ١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٢ رقم ٩٣، وذيل تاريخ الأدب العربي ١/ ٢٧٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ ـ ٢٨٠هـ) ص٤٦٧ رقم ٦٠٤.

(١) ترجمته في: تاريخ الطبري ٥/ ٤٧٦، وتقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ١/ ٣٢٨ـ ٣٤٩، =

من موالي قريش النجباء، وبقاياهم الألباء، فَضل الصريح، وفُضِّل بالصحيح، اشتهر فيمن روى الحديث، ورأى أدنى مطالبه موكلاً بالسير الحثيث، فشدَّ /١٧٤/ اليعملات، وسدّ مهاب الفلاة، حتى وسع فروج الارتحال، وخروج التحصيل به من حال إلى حال، حتى صار مأوًى إليه تحطّ الرحال، وحقاً في الطلب بلا محال.

سمع بالحرمين، والشام، ومصر، والعراق، والجزيرة، وخراسان.

وكان من أفراد الدهر حفظاً، وذكاءاً، وديناً، وإخلاصاً، وعلماً، وعملاً.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: نزل عندنا أبو زرعة، فقال لي أبي: يا بني قد اعتضت عن نوافلي بمذاكرة هذا الشيخ.

وقال أبو زرعة: كتبت عن ابن أبي شيبة مائة ألف حديث، وعن إبراهيم بن موسى الرازي مائة ألف حديث، فقيل له: تقدر أن تُمل ألف حديث من حفظك؟، قال: لا، ولكني إذا ألقي عليّ عرفت.

واستفتى رجل أبا زرعة، قال: حلفت بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث، فقال: تمسَّك بامرأتك.

وقال ابن أبي شيبة: ما رأيتُ أحفظ من أبي زرعة.

وقال علي بن الجنيد: ما رأيتُ أعلم من أبي زرعة.

= والجرح والتعديل ٥/ ٣٢٤ ـ ٣٢٦ رقم ١٥٤٣، والثقات لابن حبان ٨/ ٤٠٧، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه ٢/ ١٤ رقم ١٠٢٩، تاريخ بغداد ١٠/ ٣٢٦ ـ ٣٣٧ رقم ٥٤٦٩، وطبقات الحنابلة ١/ ١٩٩ ـ ٢٠٣ رقم ٢٧١، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٣٠٦، ٣٠٧ رقم ١١٧٢، ومناقب الإمام أحمد ١٢٢، وصفة الصفوة ٤/ ٨٨ ـ ٩٠ رقم ٦٧٣، والمنتظم ٥/ ٤٧، ٤٨ رقم ١٠٩، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٣٨/ ١١ـ ٣٩ رقم ٤٤٦٤، والمعجم الشمتمل ١٨٠ رقم ٥٨٣، والتدوين في أخبار قزوين ٣/ ٢٨٤، والكامل في التاريخ ٧/ ٣٢١، وتهذيب الكمال (المصور) ٢/ ٨٨٣ ـ ٨٨٥، والكاشف ٢/ ٢٠١ رقم ٣٦١٩، ودول الإسلام ١/ ١٦٠، وكتاب العُلُو ١٣٧ـ ١٣٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٧ ـ ٥٥٩، والعبر ٢/ ٢٨ـ ٢٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٦٥ ـ ٨٥ رقم ٤٨، والبداية والنهاية ١١/ ٣٧، ومرآة الجنان ٢/ ١٧٦، وشرح علل الترمذي ١٩٠ ـ ١٩٢، وتهذيب التهذيب ٧٠/ ٣٠ ـ ٣٤ رقم ٦٢، وتقريب التهذيب ١/ ٥٣٦ رقم ١٤٧٩، وطبقات الحفاظ ٢٤٩ ـ ٢٥٠، وخلاصة التذهيب ٢٥١ـ ٢٥٢، وشذرات الذهب ٢/ ١٤٨ـ ١٤٩، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٣، وعمل اليوم والليلة ٤٣٣ رقم ٧١١ ورقم ٧٢٣، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٤ رقم ٩٧٧، والأعلام ٤/ ٣٥٠، وتاريخ التراث العربي ١/ ٢٢٦ رقم ٨٦، والمنهج الأحمد ١٤٨ ـ ١٥١، وطبقات المفسرين ١/ ٣٦٩ ـ ٣٧١، والرسالة المستطرفة ٦٤، وتحفة الأحوذي ٤٦٦ ـ ٤٦٨، ومقدمة كتاب أبي زرعة، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ ـ ٢٨٠هـ) ص١٢٤ رقم ١٠٠.

وقال أبو يَعْلى الموصلي: كان أبو زرعة مُشاهدتهُ أكبر من اسمه بحفظ الأبواب والشيوخ والتفسير.

وقال صالح جزرة: سمعت أبا زرعة يقول: أحفظ في القراءات عشرة آلاف حديث.

وقال يونس بن عبد الأعلى: ما رأيت أكثر تواضعاً من أبي زُرعة.

وقال عبد الوارث بن غياث: ما رأى أبو زُرعة مثل نفسه.

وقال أبو حاتم: ما خلّف أبو زرعة بعده مثله، ولا أعلم منه، وكان يحفظ هذا الشأن مثله، وقلّ من رأيت في زهده.

توفي أبو زرعة في آخر يوم من سنة أربع وستين ومائتين.

ومنهم:

[١٨]

سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني(١)، أبو داود

أحد حفاظ الحديث، وعلمه، وعلله، وحفّاز الفهم الصحيح في معرفة سداده،

---

(١) سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عِمران.
ترجمته في: مسند أبي عوانة ٢/ ١٣٢، ١٥٥، ٣١٨، ٣٤٥، ٥٩ رقم ٤٦٣٨، والجرح والتعديل ٤/ ١٠١ـ ١٠٢ رقم ٤٥٦، والثقات لابن حبان ٨/ ٢٨٢، والسابق واللاحق ٢٦٤، وتاريخ بغداد ٩/ ٥٥ ـ والمستدرك على الصحيحين ١/ ٣٢، وطبقات الحنابلة ١/ ١٥٩، ١٦٢ رقم ٢١٦، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٢٢/ ١٩١ـ ٢٠١ رقم ٢٦٥٠، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨، والمنتظم ٥/ ٩٧ـ ٩٨ رقم ٢١٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٠٤ـ ٤٠٥ رقم ٢٧٢، واللباب ١/ ٥٣٣، والكامل في التاريخ ٧/ ١٤٢، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧، وطبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٤٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٠٣ـ ٢٢١ رقم ١١٧، والعبر ٢/ ٥٤ـ ٥٥، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩١ـ ٥٩٣، ودول الإسلام ١/ ١٦٧، والمعين في طبقات المحدثين ١٠٣ رقم ١١٧٠، والبداية والنهاية ١١/ ٥٤ـ ٥٦، ومرآة الجنان ٢/ ١٨٩، ١٩٠، والوافي بالوفيات ١٥/ ٣٥٣ـ ٣٥٤ رقم ٤٩٩، والوفيات لابن قنفذ ١٨٨ رقم ٢٧٥، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٤٠، وتهذيب التهذيب ٤/ ١٦٩ ـ ١٧٣ رقم ٢٩٨، وتقريب التهذيب ١/ ٣٢١ رقم ٤١٠، وطبقات الحفاظ ٢٦١ـ ٢٦٢، ومفتاح السعادة ٢/ ٩، ووطبقات المفسرين ١/ ٢٠١ـ ٢٠٢، وشذرات الذهب ٢/ ١٦٧ـ ١٦٨، وهدية الأحباب للقمي ١٥، وكشف الظنون ٧٦٠، ١٠٠٤، ١٣٨٧، ١٤٠٢، ١٤٠٥، ١٤١٨، ١٤٢٣، ١٤٥٨، ١٤٦٢، ١٧٣٩، وتنقيح المقال للمامقاني ٢/ ٥٥، ومعجم المؤلفين ٤/ ٢٥٥ـ ٢٥٦، وتاريخ التراث العربي ١/ ٢٣٣ـ ٢٣٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ ـ ٢٨٠هـ) ص٣٥٧ رقم ٣٩٢.

وخلله، ممَّن فقه في الدين، وفهق غديره الصافي مما امتلأ للواردين.

زاد على من سبقه /١٧٥/ وما قصّروا ذكاءاً وفهماً، وأصاب وما أخطأوا ظناً ومرمًى، وأشبهت فطنته السليمانية فطنة مسماه، فوافق المسمَّى المُسمِّي وما تعداه. لقد أظله وإياهم سحاب تغشّاهم رحمته إلاّ أنهم أخطأهم، وقدح له ولهم زناداً أراهم ضياءه، لكنه أصابه ما أخطاهم.

ثم قال التثبُّت؛ إذ سبق الأوائل مهلاً سبقت، وما توانى أولئك أناةً وحلماً، وقال الفهم حين أصاب الصواب: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾(١).

كان في الدرجة العالية من النسك والصلاح، طوَّف البلاد، وكتب عن العراقيين، والخراسانيين، والشاميين، والمصريين، والجزريين.

وجمع كتاب السنن قديماً، وعرضه على أحمد بن حنبل، فاستجاده، واستحسنه.

وعدّه أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء من جملة أصحاب الإمام أحمد.

قال إبراهيم الحربي: لما صنّف أبو داود كتاب السنن أُلِينَ له الحديث كما أُلِينَ لداود الحديد.

وكان يقول: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبتُ منها ما ضمنته هذا الكتاب ـ يعني السنن ـ جمعتُ فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح، وما يشبهه، ويقاربه.

ويكفي الإنسان من ذلك أربعة أحاديث:

أحدها قوله ﷺ: «الأعمال بالنيات».

والثاني قوله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

والثالث قوله: «لا يكون المرء مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه».

والرابع قوله: «الحلال بيّن والحرام بيّن».

وجاءه سهل بن عبد الله التستري، فقيل له: يا أبا داود هذا سهل قد جاءك زائراً، قال: فرحب به وأجلسه، فقال: يا أبا داود لي إليك حاجة، /١٧٦/ قال: وما هي؟، قال: حتى تقول قضيتُها، قال: أقضيها مع الإمكان، قال: أخرج لسانك الذي حدَّثت به عن رسول الله ﷺ حتى أقبّله. قال: فأخرج لسانه، فقبّله.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

توفي بالبصرة يوم الجمعة منتصف شهر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين.

ومولده سنة اثنتين ومائتين.

ومنهم:

[١٩]

محمد بن إدريس بن المُنْذِر الحنْظلي(١)، أبو حاتم الرازي

أحد الأعلام، وأحدُّ سيوف الإسلام، من تجوّل وطاف لا تسعى به إلاّ قدمه، ولا تصحبه إلاّ همه، يقطع الأرض ركضاً، ويقنع بما هو عليه من الدأب، ويرضى حتى أخذ من الحديث الشريف النبوي، زاده الله شرفاً ما شُدّ به إليه لأجله الرحل والقتب، وألاقَ له كل طالب داوته، وكتب.

قال أبو حاتم: أول ما رحلت أقمت سبع سنين، ومشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، ثم تركت العدد، وخرجت من البحرين إلى مصر ماشياً، ثم إلى الرملة

---

(١) محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران. أبو حاتم الغطفاني الحنظلي الرازي الحافظ.
ترجمته في: مسند أبي عوانة ١/ ٢٩٣، ٤٠٢ و٢/ ١٩٩، ٣٦٧، وتقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ١/ ٣٤٩ ـ ٣٧٥، والجرح والتعديل ٧/ ٢٠٤ رقم ١١٣٣، وذكر أخبار أصبهان ٢/ ٢٠١، والثقات لابن حبان ٩/ ١٣٧، وتاريخ جرجان للسهمي ٤٧، ١٥٣، ٢٦٦، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٤١، ٣٦٣، ٣٧٤، ٤١١، ٤١٢، ٤٤٠، ٤٨٦، ٤٨٧، ٥١٣، ٥٢٠، ٥٣٩، والسابق واللاحق ٣٢٣، وتاريخ بغداد ٢/ ٧٣ ـ ٧٧ رقم ٤٥٥، والرحلة في طلب الحديث ٢١٣ ـ ٢١٦، ورجال الطوسي ٥١٢، والفهرست له، ١٧٨ رقم ٦٢٩، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦ رقم ٣٩٠، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٥٢/ ٣ـ ١٦ رقم ٦٠٧٢، والمستدرك على الصحيحين ١/ ٧١، والمعجم المشتمل لابن عساكر ٢٢٤ رقم ٧٥٥، ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ١٢٣، والإيمان لابن منده ١/ رقم ٢٥، والمنتظم ٥/ ١٠٧ـ ١٠٨ رقم ٢٥٥، والكامل في التاريخ ٧/ ٤٣٩، وتهذيب الكمال للمزي (المصور) ٣/ ١١٦٣ـ ١١٦٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٦٧ـ ٥٦٩، والعبر ٢/ ٥٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٧ـ ٢٦٣ رقم ١٢٩، والمعين في طبقات المحدثين ٩٩ رقم ١١٢٠، ودول الإسلام ١/ ١٦٧، والبداية والنهاية ١١/ ٥٩، ومرآة الجنان ٢/ ١٩٢، والوافي بالوفيات ٢/ ١٨٣ رقم ٥٣٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١/ ٢٩٩ ـ ٣٠، وغاية النهاية ٢/ ٩٧ رقم ٢٨٤١، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٣، وتهذيب التهذيب ٩/ ٣١ ـ ٣٤ رقم ٤٠، وتقريب التهذيب ٢/ ١٤٣ رقم ٣٢، وطبقات الحفاظ ٢٥٥، وتاريخ الخلفاء ٣٦٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٢٦، وشذرات الذهب ٢/ ١٧١، وهدية العارفين ٢/ ١٩، والأعلام ٦/ ٢٥٠، ومعجم المؤلفين ٩/ ٣٥، وتاريخ التراث العربي ١/ ٣٩١، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٤/ ١١١ ـ ١١٥ رقم ١٣٢١، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ ـ ٢٨٠هـ) ص رقم٥٣٦ .

ماشياً، ثم إلى طرسوس، ولي عشرون سنة، وكتبت عن النفيلي نحو أربعة عشر ألفاً.

قال موسى بن إسحاق الأنصاري: ما رأيت بعد محمد بن يحيى الذهلي أحفظ للحديث ولا أعلم بمعانيه من أبي حاتم.

وقال ابن أبي حاتم: سمعتُ أبي يقول: قلتُ على باب أبي داود الطيالسي من أغرب عليّ حديثاً صحيحاً، فله درهم.

وكان ثمَّ خَلْق: ـ أبو زرعة فمن دونه، وإنما كان مرادي أن يُلقى عليّ ما لم أسمع به؛ لأذهب إلى راويه، وأسمعه، فلم يتهيأ لأحدٍ أن يُغرّب علي.

قال: وسمعت أبي يقول: قدم الري محمد بن يحيى فألقيت عليه ثلاثة عشر حديثاً من حديث الزهري، فلم يعرف إلاّ ثلاثة أحاديث.

وقال: بعتُ ثيابي /١٧٧/ سنة أربع عشرة، ونفقتُ ثمنها حتى نفد، وجعتُ يومين، فأعلمتُ رفيقي، فقال: معي دينار فأعطاني نصفه.

وطلعنا مرّة من البحر، وقد فرغ زادنا، فمشينا ثلاثة أيام لا نأكل شيئاً، فألقينا بأنفسنا، فسقط رفيقنا شيخ مغشياً عليه، فجئنا نحرّكه، وهو لا يعقل، فتركناه، ومشينا فرسخاً، فسقطتُ مغشياً عليّ، ومضى صاحبي، فرأى على بعد سفينة، فنزلوا الساحل، فلوّح بثوبه، فجاؤوا، فسقوه، فقال: أدركوا رفيقين لي.

فما شعرت إلاّ برجل يرُشّ على وجهي الماء، ثم سقاني، ثم أتوا بالشيخ، فبقينا حتى رجعت إلينا أنفسُنا.

توفي أبو حاتم في شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين وله اثنتان وثمانون سنة.

ومنهم:

[٢٠]

أبو عيسى الترمذيُّ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك السُّلَمي(١)

الحافظ المشهور.

أحد الأئمة المقتدى بهم في علم الحديث، والمقتفي وفد الرياح إليه في السير الحثيث.

(١) ترجمته في: الثقات لابن حبان ٩/ ٣٥٣، والفهرست ٢٣٣، والأنساب ٣/ ٤٢، والكامل في التاريخ ٧/ ٤٦، واللباب ١/ ١٧٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧٨ رقم ٦١٣، وتهذيب الكمال =

أخذ عن البخاري وما نهنه عن طلبه، ولا ضحضح في قلبه، حتى استقى من سحبه، وارتوى بأعذبه، حام حيث حلّق وطار معه أوْ به تعلّق، وأتقن التصنيف، وقال وحقق، فاز قِدْحُ ترمذ منه بأحد الأئمة المشاهير، وعاشت به ما عاشت، وما علمت أن ابنها من قريش في الجماهير، كيف لا يكون منهم، وقد ذكر من حديث سيدهم بل سيّد البشر ما كان حضر به معهم في أنديتهم، وعلم من أخبارهم ما كأنه كان به في جلابيب أرديتهم، وتبرجت سليم فخراً به وسروراً بنسبه.

لقد أعقبت ابن مرداسها العباس بجدّه الضحاك، وقاست به من مضى، ثم قالت: اين لولا سابق الصحبة هذا من ذاك؟.

ثم نقعت قبيلته غُلل صداها /١٧٨/ بكوثره، وجلت حائل قذاها منه بما لا يعزوه الكحال إلى سليم من نفع أصغره.

صنَّف كتاب «الجامع والعلل» تصنيف رجل متقن، وكان يضرب به المثل في الحفظ.

وهو تلميذ أبي عبد الله البخاري، ومع هذا فشاركه في بعض شيوخه[(١)].

توفي ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين.

ومنهم:

[٢١]

أبو عبد الرحمن النسائي، أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الحافظ[(٢)]

أنسى كثيراً ممن تقدّم، وأرسى ثبيراً أو يَلَمْلَم، وأسرى للطلب والريح قد ونت،

= (المصور) ٣/ ١٢٥٤، ١٢٥٥، والمعين في طبقات المحدّثين ١٠٤ رقم ١١٧٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٣ - ٦٣٥، والعبر ٢/ ٦٢- ٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٧٠ - ٢٧٧ رقم ١٣٢، وميزان الإعتدال ٣/ ٦٧٨ رقم ٨٠٣٥، والكاشف ٣/ ٧٧ رقم ٥١٨٥، ودول الإسلام ١/ ١٦٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٥٦، والبداية والنهاية ١١/ ٦٦- ٦٧، ومرآة الجنان ٢/ ١٩٣، والوافي بالوفيات ٤/ ٢٩٤ - ٢٩٦ رقم ١٨٢٩، ونكت الهميان ٢٦٤، وتهذيب التهذيب ٩/ ٣٨٧ - ٣٨٩ رقم ٦٣٦، وتقريب التهذيب ٢/ ١٩٨ رقم ٦٠٣، والنجوم الزاهرة ٣/ ٨٨، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٣، والوفيات لابن قنفذ ١٨٩ رقم ٢٧٩، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٤٢، وطبقات الحفاظ ٢٧٨، وتاريخ الخلفاء ٣٦٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ٣٥٥، وشذرات الذهب ٢/ ١٧٤- ١٧٥، وتكملة تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١/ ٢٦٧، والأعلام ٧/ ٢١٣، ومعجم المؤلفين ١١/ ١٠٤- ١٠٥، وتاريخ التراث العربي ١/ ٢٤١- ٢٥١ رقم ١٠١، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦١ - ٢٨٠هـ) ص رقم ٥٨٩.

(١) بعدها بياض بمقدار ٤ أسطر.

(٢) ورد في بعض المصادر اسمه: «أحمد بن شعيب بن علي بن سِنان بن بحر...» =

والنجم قد هوّم، وكان بجديه لا يجبن له جَنان، ولا يُخطَاه نحره، ولا تَردّ له جملة، وهو يطعن بسنان، ويكاثر ببحر، رفعت به متلعة جيدها نسا، وطلعت في سطور تصانيفه الشموس مسا، وقام في أهل دمشق ليقَّوم مُنآد نصبهم، ويقشّع عنهم مُذْ هَامَ غضب ربّهم، وأراد أعلامهم بما لعلي «كرّم الله وجهه» من علوّ قدر، وسابقة إن أنكرتها الطلقاء، فسلَ عنها سيفه يوم بدر، فعجلت الحميّة لهم نار الغضب، وكوت حنق صدورهم ببعض ما أُعدّ لهم في المنقلب، ووثبوا بالرجل، ولكن الطود لا يزعزعه من وثب.

وكان إمام عصره في الحديث / ١٧٩/ ، سكن مصر، وانتشرت بها تصانيفه، وأخذ عنه الناس.

قال محمد بن إسحاق الأصبهاني: سمعت مشايخنا بمصر يقولون: إنَّ أبا عبد الرحمن فارق مصر في آخر عمره، وخرج إلى دمشق، فسئل عن معاوية، وما روى من فضائله، فقال: أما يُرضي معاوية أن يخرج رأساً برأس حتى يفضّل.

= ترجمته في: تاريخ جرجان ٢٦٧، ٢٦٨، ٣١٧، ٤٤، والمعجم الصغير للطبراني ١/ ٢٣، وطبقات فقهاء الشافعية للعبادي ٥١، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٨٠، والتقييد لابن النقطة ١٤٠ - ١٤٣ رقم ١٦١، والمنتظم ٦/ ١٣١- ١٣٢، رقم ١٩٨، والأنساب ٥/ ٤٨٤، وفهرسة ابن خير ٤٧٣، ٤٨٣ وغيره، والكامل في التاريخ ٨/ ٩٦، ومعجم البلدان ٥/ ٢٨٢، ووفيات الأعيان ١/ ٧٧- ٧٨ رقم ٢٩، وتهذيب الكمال ١/ ٣٢٨ - ٣٤٠ رقم ٤٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٨: «أحمد بن علي بن شعيب» وهو وهْم، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٥٤، ودول الإسلام ١/ ١٨٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٩٨ - ٧٠١، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٢٥ - ١٣٥ رقم ٦٧، والمعين في طبقات المحدثين ١٠٧ رقم ١٢٠٨، والعبر ٢/ ١٢٣- ١٢٤، وذيل تاريخ بغداد للدمياطي ١٨/ ٤٨- ٤٩ رقم ٣٤، ومرآة الجنان ٢/ ٢٤٠- ٢٤١، والوافي بالوفيات ٦/ ٤١٦- ٤١٧ رقم ٢٩٣٤، والبداية والنهاية ١١/ ١٢٣- ١٢٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ١٤ - ١٦، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٤٨٠- ٤٨١ رقم ١١٦٣، وشرح ألفية العراقي ١/ ٤٥، والوفيات لابن قنفذ ١٩٨ رقم ٣٠٣، وغاية النهاية ١/ ٦١ رقم ٢٦٤، والعقد الثمين ٣/ ٤٥- ٤٦، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٨٨ رقم ٣٣، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٦ - ٣٩ رقم ٦٦، وتقريب التهذيب ١/ ١٦ رقم ٥٧، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٨٨، وحسن المحاضرة ١/ ٣٤٩- ٣٥٠، وطبقات الحفاظ ٣٠٦، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٧، و خلاصة تذهيب التهذيب ٧، ومفتاح السعادة ٢/ ١١- ١٢، وشذرات الذهب ٢/ ٢٣٩ - ٢٤١، والرسالة المستطرفة ١١- ١٢، والأعلام ١/ ١٦٤، ومعجم المؤلفين ١/ ٢٤٤، وتاريخ التراث العربي ١/ ٢٦٥ - ٢٦٩ رقم ١٣٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٠١ - ٣٢٠هـ) ص ١٠٥ رقم ١١٧ .

وفي رواية أخرى: ما أعرف له فضيلة إلاّ: «لا أشبع الله بطنك»، وكان يتشيّع، فما زالوا يدفعون في خصيبه، حتى أخرجوه من المسجد، ثم حمل إلى الرملة، فمات بها.

وقال الدارقطني: لما امتحن النسائي بدمشق، قال: احملوني إلى مكة، فحمل إليها، فتوفي بها، وهو مدفون بين الصفا والمروة.

وكانت وفاته في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة.

وقال أبو نعيم: كان قد صنّف كتاب «الخصائص» في فضل علي بن أبي طالب وأهل البيت، وأكثر روايته فيه عن أحمد بن حنبل، فقيل له: ألا تصنّف كتاباً في فضل الصحابة؟ فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن علي كثير فأردت أن يهديهم الله بهذا الكتاب.

وكان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وكان مليح الوجه، ظاهر الدم مع كبر السن، يؤثر لباس البرود النوبيّة والخضر، ويكثر الاستماع، ويكثر أكل الديوك الكبار تشترى له، وتخصى؛ وتسمَّن، وكان موصوفاً بكثرة الجماع.

قال ابن عساكر: كان له أربع زوجات يقسم لهنَّ، وسراري.

وقال ابن يونس في «تاريخ مصر»: قدم أبو عبد الرحمن النسائي مصر قديماً، فكان إماماً في الحديث وثقة، ثبتاً، حافظاً، وخرج من مصر في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثمائة. ثم حكى وفاته كما قدمناه.

وقال ابن خلكان: ورأيت في مسوداتي أنَّ مولده بنسا سنة خمس عشرة ومائتين.

ومنهم:

[٢٢]

أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد /١٨٠/ بن كثير[(١)]

الإمام العلم الفرد، صاحب التصانيف، فلا لِمَمَ البيداء، ولم يهب ظلم الليلة

(١) ترجمته في: المعجم الصغير للطبراني ٢/ ٨٦، وتاريخ جرجان ٢٥٣ـ ٢٥٤، والفهرست لابن النديم ٣٢٦، وتاريخ بغداد ٢/ ١٦٢ ـ ١٦٩ رقم ٥٨٩، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٩٣، والأنساب ٤/ ٤٦، وفهرست ابن خير ٤٦٥، ٤٧٣، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٩١، والمنتظم ٦/ ١٧٠ ـ ١٧٢ رقم ٢٨٥، والأذكياء لابن الجوزي ٨٤، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٥٢/ ١٨٨ـ ٢٠٨ رقم ٦١٦٠، ومعجم الأدباء ١٨/ ٤٠ ـ ٩٤، والكامل في التاريخ ٨/ ١٣٤ ـ ١٣٦، واللباب ٢/ ٨٢، =

السوداء، بل ركب جنح غمامها المربد، وقبَّل ثغر برقها المبيض عارضه المسود، وقذف في فائض بحره سفنه، ومدَّ مع عارض فجره رسنه، وألقى حبل جوزائه على غاربه، وحدا ظعن ظلمائه إلى مغاربه، وأقبل يشقُّ الأرض شقاً، ويمشق حروف المطي في سطر المهمه الممتدّ مشقاً، لا يدع سهلاً حتى يطوي ذيل نمرقه، ولا جبلاً حتى يغصّه فوق مفرقه، ولا بحراً إلاّ قَطَعَهُ، ولا إلاًّ إلاّ قَطَّعَهُ، إلى أن لقي بغيته وأحرزها ومطلبه، وحصّل جواهره وكنزها، لكنها علوم نافعة، وغيوم ناقعة، وحديث نبوي جمع أطرافه، وضمّ طرافه، حتى صنَّف التفسير الذي صدقت فيه الأحلام، وسبقت لتلقّيه الأقلام أنقذ به من الضلالات، وأخرج إلى نور المعرفة من ظلم الجهالات، وأقام به الحق بأوضح الدلالات، بفرط اجتهاد شقّ به الصديعين، وشدّ رحلة الشتاء والصيف والربيعين. ولم ير هلال شهر، ثم عرف متى انمحق، ولا كيف اتصل بالعدم والتحق؛ لشواغله بالطلب الذي لا ينتهي، والأرب الذي بغيره لا يلتهي، والفضل المكتسب الذي لو قال له: ما مُنَاك من الدنيا؟ لقال: أنت هي، وكان لا يُخاط جفنه بغَرار، ولا يُحاط قلبه بقرار، ولا يزال يهمُّه رجل يلقاه، وعِلْم لا يضُرّه أنّه يحصّله ويموت إذا أبقاه.

قال أبو بكر الخطيب: كان ابن جرير أحد الأئمة يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه؛ لمعرفته وفضله، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً

= وإنباه الرواة ٣/ ٨٩ـ ٩٠، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٨٣، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧٨ـ ٧٩ رقم ٨، ووفيات الأعيان ٤/ ١٩١ـ ١٩٢، رقم ٥٧٠، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٥٨، وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ٤٠٥، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٩٨ـ ٤٩٩ رقم ٧٣٠٦، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٦٤ـ ٢٦٦ رقم ١٨١، والعبر ٢/ ١٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٧ ـ ٢٨٢ رقم ١٧٥، ودول الإسلام ١/ ٧١٦، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٧١، والوافي بالوفيات ٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٧ رقم ٢٧٠، ومرآة الجنان ٢/ ٢٦٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ١٢٠ ـ ١٢٨، والبداية والنهاية ١١/ ١٤٥ ـ ١٤٧، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٩، والوفيات لابن قنفذ ٢٠٣، وغاية النهاية ٢/ ١٠٦ ـ ١٠٨ رقم ٢٨٨٦، ولسان الميزان ٥/ ١٠٠ ـ ١٠٣ رقم ٣٤٤، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٠٥، وطبقات المفسرين للسيوطي ٣٠، وطبقات الحفاظ له ٣٠٧، ٣٠٨، وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٠٦ ـ ١١٤ رقم ٤٦٨، وشذرات الذهب ٢/ ٢٦٠، والرسالة المستطرفة ٤٣، ومجمع الرجال ٥/ ١٧٢ـ ١٧٣، وروضات الجنات ١٦٣، والمقفى للمقريزي ١/ ١٨٢، وتلخيص ابن مكتوم ١٩٨، والمحمدون من الشعراء ٢٦٣، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٤/ ١٣٢ ـ ١٣٤ رقم ١٣٤٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٠١ ـ ٣٢٠هـ) ص٢٧٩ رقم ٤٨٦.

لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، /١٨١/ عالماً بالسنن وطرقها، وسقيمها وصحيحها، ناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس، وأخبارهم، له الكتاب المشهور الكبير في «تاريخ الأمم»، وله كتاب «التفسير» الذي لم يصنَّف مثله، وله كتاب «تهذيب الآثار» لم أر مثله في معناه، ولم يتمه، وله في الأصول والفروع كتب كثيرة، وله اختيار من أقاويل الفقهاء، وقد تفرَّد بمسائل حفظت عنه.

قال: ـ قيل: إنَّ المكتفي أراد أن يقف وقفاً يجتمع عليه أقاويل العلماء، فأحضر له ابن جرير، فأملى عليهم كتاباً لذلك، فأخرجت له جائزة، فلم يقبلها، فقيل له: فلا بُدّ من قضاء حاجة، قال: أسأل أمير المؤمنين أن يأمر بمنع السائلين من الفقراء يوم الجمعة ـ يعني في المساجد ـ ففعل ذلك. وكذا التمس منه الوزير أن يعمل له كتاباً في الفقه، فلمّا ألّفه وجه إليه بألف دينار فردّها.

وقيل: مكث أربعين سنة يكتب كلّ يوم أربعين ورقة.

وقال تلميذه أبو محمد الفرغاني: حسب تلامذة أبي جعفر منذ احتلم إلى أن مات، فقسّموا على المدّة مصنَّفاته، فصار لكلّ يوم أربع عشرة ورقة.

وقال أبو حامد الأسفرائيني: لو سافر رجل إلى الصين في تفسير ابن جرير لم يكن كثيراً.

وقال أبو بكر بن خزيمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير.

وقال الفرغاني: كان ابن جرير لا تأخذه في الله لومة لائم من عظم ما يؤذى. فأمّا أهل الدين والعلم، فغير منكرين علمه، وزهده، ورفضه للدنيا، وقناعته بما يجيئه من حصَّة خلَّفها له أبوه بطبرستان.

وقال عبيد الله بن أحمد السمسار: قال ابن جرير يوماً لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم؟ قالوا: كم يجيء؟ فذكر نحواً من ثلاثين ألف ورقة، /١٨٢/ قالوا: هذا ما تفنى الأعمار قبل تمامه، فقال: إنّا لله! ماتت الهمم، فأملاه في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولما أراد أن يُملي التفسير، قال لهم كذلك، ثم أملاه على نحو من التاريخ.

وقال الفرغاني: بثَّ ابن جرير مذهب الشافعي ببغداد سنين، واقتدى به ثم اتسع علمه، وأداه اجتهاده إلى ما اختار في كتبه، وعُرض عليه القضاء، فأبى.

وقال ابن جرير: من قال: إنَّ أبا بكر وعمر ليسا بإمامي هُدًى، يُقتل.

توفي عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة، ودفن بداره برحبة

يعقوب، وشيَّعه إلى المسجد، ثم إلى القبر خلق لا يحصيهم إلاّ الله عدّة شهور، ورثاه خلقٌ من أهل الأدب والدين رحمه الله.

وكان السواد فيه كثيراً، ولم يغيّر شيبه، وكان أسمر إلى الأدمة، أَعْيَنَ، نحيفَ الجسم فصيحاً.

ومنهم:

[٢٣]

محمد بن إسحاق بن خُزَيْمَة، أبو بكر السُّلَمي النَّيْسابوري(١)

إمام الأئمة، شيخ الإسلام.

ومن شهد له خزيمة، فحسبه، ومن جحد فضله، فجحوده حَصْبُه، فاحت خزامى تصانيفه بما قصم دونه القيصوم، وتحدّر عن لمم الشِّيح لؤلؤ الطلّ المنظوم، وغدا بها أبو بَكرٍ أبو بِكرٍ من كل تصنيف، وأخو كل عذراء من كلّ معنى لطيف، وهيّج بها كل وجدٍ، وجاء يقصّ بها الأخبار عمَّن حلّ بنجد، فما انتظر بها جَفن صبّ خيالاً من أُهيمة، ولا أنكر شِنْشِنَةْ، قال أعرف هذه من أخزم، ولا شيمة، قال: هذه أعرفها من ابن خزيمة.

ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وعُني بهذا الشأن في الحداثة وسمع فأكثر، وجوَّد، وصنّف، واشتهر اسمه، وانتهت إليه الإمامة والحفظ بخراسان وحدّث عنه

---

(١) محمد بن إسحاق بن خُزَيْمَة بن المغيرة بن صالح بن بكر السُّلَمي النيسابوري.
ترجمته في: الجرح والتعديل ٧/ ١٩٦ رقم ١١٠٣، والثقات لابن حبان ٩/ ١٥٦، وتاريخ جرجان للسهمي ٤١٣، وطبقات فقهاء الشافعية للعبادي ٤٤، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٥ـ ١٠٦، والمنتظم ٦/ ١٨٤ ـ ١٨٦ رقم ٢٩٤، والتقييد لابن النقطة ٣٦ـ ٣٧ رقم ١٣، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧٨ رقم ٧، والعبر ٢/ ١٤٩ـ ١٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٦٥ ـ ٣٨٢ رقم ٢١٤، والمعين في طبقات المحدثين ١٠٨ رقم ١٢١٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢٠ ـ ٧٣١، ودول الإسلام ١/ ١٨٨، ومرآة الجنان ٢/ ٢٦٤، والوافي بالوفيات ٢/ ١٩٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ١٠٩ـ ١١٠، والبداية والنهاية ١١/ ١٤٩، وغاية النهاية ٢/ ٩٧ـ ٩٨ رقم ٢٨٤٦، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١٠٠ـ ١٠١ رقم ٤٥، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٤٦٢ رقم ٤١٦، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٠٩، وتاريخ الخلفاء ٣٨٥، وطبقات الحفاظ ٣١٠ـ ٣١١، وشذرات الذهب ٢/ ٢٦٢ـ ٢٦٣، والرسالة المستطرفة ٢٠، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٤٨، والأعلام ٦/ ٢٥٣، وذيل تاريخ الأدب العربي ١/ ٣٤٥، وكشف الظنون ١٠٧٥، ١٤٠٦، وهدية العارفين ٢/ ٢٩، ومعجم المؤلفين ٩/ ٣٩، وديوان الإسلام ٢/ ٢٤٠ـ ٢٤١ رقم ٨٨١، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٠١ ـ ٣٢٠هـ) ص ٤٢٢ رقم ٣٩.

الشيخان في غير الصحيحين، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم أحد شيوخه، وخلق لا يحصون.

قال ابن خزيمة: كنت إذا أردت /١٨٣/ أن أصنّف الشيء، دخلت في الصلاة مستخيراً، حتى يُفتح لي فيها، ثم أبتدء.

ثم قال أبو عثمان الزاهد: إنَّ الله ليدفع البلاد عن أهل نيسابور بابن خزيمة.

وسئل ابن خزيمة، من أين أوتيتَ العلم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: ماء زمزم لما شرب له، وإني لما شربت ماء زمزم، سألت الله علماً نافعاً.

وقيل له: لو حلقت شعرك في الحمام، فقال: لم يثبت عندي أنَّ رسول الله ﷺ دخل حماماً، ولا حلق شعره ـ يعني في غير حجّ، أو عمرة، إنما يأخذ شعري جارية لي بالمقراض.

وقال حفيده محمد بن الفضل بن أبي بكر: كان جدّي لا يدّخر شيئاً جهده، بل ينفقه على أهل العلم، ولا يعرف السنج ولا يميِّز بين العشرة والعشرين.

وقال أبو أحمد حُسَيْنَك: سمعتُ أبا بكر بن خزيمة يحكي عن علي بن خَشْرم، عن ابن راهوية، أنه قال: أحفظ سبعين ألف حديث، فقلت لأبي بكر: فكم يحفظ الشيخ؟ فضربني على رأسي، وقال: ما أكثر فضولك.

ثم قال: يا بنيّ ما كتبت سواداً في بياض إلاّ وأنا أعرفه.

وقال أبو علي النيسابوري: كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه، كما يحفظ القارىء السورة.

وقال أبو حاتم محمد بن حبّان: ما رأيت على وجه الأرض مَنْ يحسن صناعة السُّنن، ويحفظ ألفاظها الصحاح وزيادتها، حتى كأنّ السُّنن كلها بين يديه إلاّ ابن خزيمة فقط.

وحكى أبو بِشْر القطان: أنَّ جاراً من أهل العلم، لابن خزيمة، رأى كأنّ لوحاً عليه صورة نبينا ﷺ وابن خزيمة يَصْقله، فقال المعبر: هذا رجل يُحيِي سنة رسول الله ﷺ.

وقال ابن سُريج: ـ وذكر له ابن خزيمة ـ فقال يستخرج النكت من حديث رسول الله ﷺ بالمنقاش.

/١٨٤/ وقال العالم في علوم الحديث: فضائل ابن خزيمة مجموعة عندي في أوراق كثيرة ومصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتاباً سوى المسائل المصنفة وهي أكثر من

مائة جزء، وله «فقه حديث بُريرة» في ثلاثة أجزاء.

وسئل ابن أبي حاتم، فقال: ويحكم هو يُسأل عنَّا، ولا نسأل عنه. هو إمام يُقتدى به.

توفي في ثاني ذي القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وهو في تسع وثمانين سنة.

ومنهم:

[٢٤]

أبو عَوَانة الإسفراييني، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد النَّيْسابوري(١)

الحافظ صاحب «المسند الصحيح المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج»، المسلَّم إليه في الاحتجاج، الاسفراييني الذي ما حُطّ له رحل من سفر، ولا حُلَّ له عقد منى إلاّ عن ظفر، ولا تجنب ناحية من الأرض إلاّ وهو نحو أخرى يريدها، ولا أقلَّ مدّة مقامٍ في بلد إلاّ لمدةٍ في سواها يستزيدها.

رميت الفجاج منه بحليم يوقر بوخْد مطية سفهها، وعليم يجلى بصدق يقينه سفهها، طاف البلاد حتى ملَّت من سُراه، وواصل الأيام، حتى يئست الليالي من كَرَاه، وانتهت السباسب وَخْداً، وأفنى الحقائب شدا، وطلب الحديث فحصله حتى صار

(١) ترجمته في: المعجم الصغير للطبراني ٢/ ١٣١، وتاريخ جرجان للسهمي ٤٩٠ـ ٤٩١ رقم ٩٩٢، والأنساب ١/ ١٤٣، ووفيات الأعيان ٦/ ٣٩٣، ٣٩٤ رقم ٨٢٦، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٧٤/ ١٤٥ـ ١٤٨ رقم ١٠١٢١، ومعجم البلدان ١/ ١٧٨، والكامل في التاريخ ٨/ ١٩٩، واللباب ١/ ١٤٣، والعبر ٢/ ١٦٥، والتقييد لابن النقطة ٤٩٣ـ ٤٩٤ رقم ٦٧٣، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٧٣، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٦٠، وسر أعلام النبلاء ١٤/ ٤١٧ـ ٤٢٢ رقم ٢٣١، ودول الإسلام ١/ ١٩٠، والمعين في طبقات المحدّثين ١٠٩ رقم ١٢٢٦، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٧٧٩ـ ٧٨٠، ومرآة الجنان ٢/ ٢٦٩ـ ٢٧٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٣٢١، والبداية والنهاية ١١/ ١٥٩، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١٠٥ رقم ٥٠، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٠٣ـ ٢٠٤ رقم ٨١٧، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٩٠، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٢٢، وطبقات الحفاظ ٣٢٧، وتاريخ الخلفاء ٣٨٦، وشذرات الذهب ٢/ ٢٧٤، والأعلام ٩/ ٢٥٦، والرسالة المستطرفة ٢٧، ومعجم المؤلفين ١٣/ ٢٤٢، وتاريخ التراث العربي ١/ ٤٣٧، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٥/ ٢٢٠ـ ٢٢١ رقم ١٨٥٦، والعقد المذهب لابن الملقّن ١٨، وكشف الظنون ٥٥٦، وغيرها، وهدية العارفين ٢/ ٥٤٤، وديوان الإسلام ٣/ ٣٠٥ـ ٣٠٦ رقم ١٤٦٥، والأعلام ٨/ ٩٦، ومعجم المؤلفين ١٣/ ٢٤٢، تاريخ الاسلام (السنوات ٣٠١ـ ٣٢٠هـ) ص ٥٢٥ رقم ٢٧٧.

سواءً عليه ما أعاد وما أبدى. طاف الشام، ومصر، والبصرة، والكوفة، وواسط، والجزيرة، واصبهان، وفارس، والريّ، والحجاز، واليمن، وحجّ خمس مرات.

قال الحاكم: أبو عوانة من علماء الحديث واثباتهم، ومن الرحالة في أقطار الأرض؛ لطلب الحديث.

توفي سنة ست عشرة وثلاثمائة، وقبرهُ بأسفرايين مزار العالم، ومتبرك الخلق.

ومنهم:

[٢٥]

عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتَاني(١)

/ ١٨٥/ أبو بكر

العلامة قدوة المحدثين.

صاحب التصانيف، والمقتدر على حسن التصريف. رحل رحلة بعدت أطرافاً،

---

(١) عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن عمرو بن عمران، أبو بكر الحافظ.

ترجمته في: طبقات الفقهاء الشافعية للعبّادي ٦٠، وتاريخ جرجان ١٦٤، ٢٥٨، ٣٨٠، ٣٩٦، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عديّ ٤/ ١٥٧٧ـ ١٥٧٨، وذكر أخبار أصبهان ٢/ ٦٦ـ ٦٧، وحلية الأولياء ٣/ ٦٩ و٥/ ١٤٤ و٢١٢ و٦/ ١٢٦، ١٢٧، ١٣٣، ٣٣١، وطبقات المحدّثين بأصبهان ٢/رقم ٩٨٥، والفهرست لابن النديم ٢٣٢ـ ٢٣٣، وتاريخ بغداد ٩/ ٤٦٤ـ ٤٦٠ رقم ٥٠٩٥، وطبقات الحنابلة ٢/ ٥١ـ ٥٥ رقم ٥٩٥، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٢٩/ ٧٧ـ ٩١ رقم ٣٣٢٧، وتهذيب تاريخ دمشق ٧/ ٤٣٩ـ ٤٤٣، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٢/ ١٢٦ رقم ٢٠٤٠، والمنتظم ٦/ ٢١٨ـ ٢١٩ رقم ٣٤٧، والكامل في التاريخ ٨/ ١٩٩، ووفيات الأعيان ٢/ ٤٠٤ـ ٤٠٥ في ترجمة أبيه (سليمان بن الأشعث) رقم ٤٨، والعبر ٢/ ١٦٤، ١٦٥، والمعين في طبقات المحدّثين ١٠٩ رقم ١٢٢٤، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٦٧ـ ٧٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٢١ـ ٢٣٧ رقم ١١٨، وميزان الاعتدال ٢/ ٤٣٣ـ ٤٣٦ رقم ٤٣٦٨، والمغني في الضعفاء ١/ ٣٤١ رقم ٣٢٠٧، ومرآة الجنان ٢/ ٢٦٩، والوافي بالوفيات ١٧/ ٢٠٠ـ ٢٠١ رقم ١٨٦، والبداية والنهاية ١١/ ١٥٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٣٠٧ـ ٣٠٩، رقم ٩٧، وتهذيب التهذيب ٥/ ١٣٢، ولسان الميزان ٣/ ٢٩٣ـ ٢٩٧ رقم ١٢٣٨، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٢٢، وطبقات الحفاظ ٣٢٢، ٣٢٤، وتاريخ الخلفاء ٣٨٥، وطبقات المفسّرين ١/ ٢٢٩ـ ٢٣٢، وشذرات الذهب ٢/ ١٦٨ و٢٧٣، والأعلام ٤/ ٢٢٤، ومعجم المؤلفين ٦/ ٦٠، وتاريخ التراث العربي ١/ ٤٣٨، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٣/ ١٨٦ـ ١٨٩ رقم ٨٧٤، وكشف الظنون ١٤٥٩، وهدية العارفين ١/ ٤٤٤، وديوان الإسلام ٢/ ٣٠٣ رقم ٩٦٣، وتاريخ =

وعقدت على مشرق الشمس ومغربها طرافاً، وعمدت إلى الأرض من جانبيها تحاول عليها إشرافاً، وتقاول على طرفيها إسرافاً، ثم قالَ في بلد دار الخلافة، وقال ولا مخافة، وأملى وما أملّ، وقال ما لا قلّ، وجلب طريف الحديث إلى تلك السوق، وطفق يحثّ الركاب مسحاً بالأعناق والسوق، وحلّ ببغداد واسامها، وقال: لا مَسَّكِ الأَيْنُ والتعبُ بعدها يا نوقُ.

ولد بإقليم سجستان سنة ثلاث ومائتين، وسمع سنة أربعين باعتناء أبيه، ولذكائه بخراسان، والعراق، والحرمين، ومصر، والشام، وغير ذلك. وبرع وساد الأقران، وحدّث عنه خلق كثير.

قال الخطيب: رحل به أبوه من سجستان، فطوَّف به شرقاً وغرباً، يسمع، ويكتب واستوطن بغداد، وصنَّف «المسند» و«السُنن» و«التفسير» و«القراءات» و«الناسخ والمنسوخ» وغير ذلك، وكان فقيهاً، عالماً، حافظاً.

قال عبد الله بن أبي داود: دخلت الكوفة ـ ومعي درهم واحد ـ فاشتريت به ثلاثين مدّ باقلى، فكنت آكل منه، وأكتب عن الأشج، فما فرغ الباقلى، حتى كتبت عنه ثلاثة آلاف حديث ما بين مقطوع ومرسل.

قال أبو بكر بن شاذان: قدم ابن أبي داود أصبهان ـ وفي نسخة سجستان ـ فسألوهُ أن يحدّثهم، فقال: ما معي أصل، فقالوا: ابن أبي داود أصل. قال: فأثاروني فأمليت عليهم من حفظي ثلاثين ألف حديث؛ فلما قدمتُ بغداد، قال البغداديون: مضى إلى سجستان، ولعب بهم، ثم فيَّجوا فيجاً اكْتَرَوه بستّة دنانير إلى سجستان، ليكتبَ لهم النسخة فكُتِبت، وجيء بها، وعُرضت /١٨٦/ على الحفّاظ فخطأوني في ستة أحاديث، ثلاثة منها حدثت بها كما حدّثت، وثلاثة أخطأت فيها.

وقال الحاكم: سمعتُ أبا علي الحافظ يقول: ألزموني، فحدّثت من حفظي بأصبهان بستة وثلاثين ألفاً، الوهم فيها في سبعة؛ فلما انصرفت وجدت في كتابي خمسة منها على ما كنت حدّثتهم به.

وقال الحافظ أبو بكر الخلال: كان ابن أبي داود أحفظ من أبيه.

وقال صالح بن أحمد الهمذاني الحافظ: كان ابن أبي داود إمام أهل العراق،

= الخميس ٢/ ٣٩٠، والفوائد العوالي المؤرّخة للتنوخي بتخريج الصوري (تحقيق التدمري) ٩٣، ١٣٢، والفوائد المنتقاة للعلوي (بتحقيق التدمري) ٥٦، تاريخ الاسلام (السنوات ٣٠١ـ ٣٢٠هـ) ص ٥١٢ رقم ٢٥٤.

ونصب له السلطان المنبر، وكان في وقته بالعراق مشايخ أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو.

وقال ابن شاهين: أملى علينا ابن أبي داود، وما رأيت بيده كتاباً. إنما كان يملي حفظاً، وكان يقعد على المنبر بعد ما عَمِيَ، ويقعد دونه بدرجةٍ ابنه بيده كتاب، فيقول له: حديث كذا، فيسرده من حفظه حتى يأتي على المجلس، قرأ علينا يوماً حديث القنوت ـ من حفظه ـ فقام أبو تمام الزينبي، وقال: لله درُّك ما رأيت مثلك إلاّ أن يكون إبراهيم الحربي، فقال: كلّما كان يحفظ إبراهيم الحربي، فأنا أحفظه، وأنا أحفظ النجوم، وما كان يعرفها.

وكان أبو بكر مع سعة علمه قوي النفس مُدِلاً. حكى أبو حفص بن شاهين: أنَّ علي بن عيسى الوزير أراد أن يُصلح بين ابن صالح وبين ابن أبي داود، فجمعهما، وحضر أبو عمر القاضي، فقال الوزير: يا أبا بكر أبو محمد أكبر منك، فلو قمت إليه. قال: لا أفعل، فقال الوزير: أنت شيخ زيف، قال: الزيف الكذاب على رسول الله ﷺ، فقال الوزير: من الكذاب على رسول الله؟ قال: هذا؛ ثم قام، وقال: تتوهّم أنّي أذلّ لك؛ لأجل رزقي، وأنه يصل على يدك، والله لا أخذت من يدك / ١٨٧/ شيئاً.

قال: فكان المقتدر يزن رزقه بيده، ويبعث به في طبق على يد الخادم، وكان قد روى شيئاً من قول النواصب، فأخطأ بنقله، فشُنِّع عليه أنه نال من عليٍّ، فسُعي في قتله، فخلّصه من القتل عبد الله بن حفص الذاكوني، ونفاه ابن الفرات من بغداد إلى واسط، ثم ردّه علي بن عيسى، فحدّث وأظهر فضائل عليّ، ثم تَحَنبَل، فصار شيخاً فيهم.

قال محمد بن عبيد الله بن الشخير: كان ابن أبي داود زاهداً ناسكاً. صلّى عليه يوم مات نحوٌ من ثلاثمائة ألف إنسان، وأكثر.

ومات في ذي الحجة سنة ستّ عشرة وثلاثمائة، وله سبع وثمانون سنة وصُلِّي عليه ثمانين مرّة.

ومنهم:

[٢٦]

عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي(١)، أبو محمد

شيخ الإسلام.

---

(١) ترجمته في: طبقات فقهاء الشافعية للعبّادي ٢٩، والسنن الكبرى للبيهقي ١/ ٤٢٥، وتاريخ =

سَنَّى لتميم طرق الفخار، وسنَّ لها عدم الفرار، وزاد كرم أسرتها المُفضّلة، وأعذب شارعها، فحلا مُرّه، ولم يعد الحلاوة حنظله. ولدت منه تميميّاً لا ينبو منه سيفُها، ولايجفو حلم الزائر طيفها. كفاك به، وحسبك رجلاً ملأ قلوباً وجلا، وطاف البلاد، وجاء الحديث عجلاً، وطاب مجناه كأنما قطف نواره بكراً، وقاله مرتجلاً.

ولد سنة أربعين ومائتين، وارتحل به أبوه، فأدرك الأسانيد العالية، وسمع بالأقاليم خلائق، لكنه لم يرحل إلى خراسان.

قال أبو يعلى الخليلي: أخذ علم أبيه، وأبي زرعة، وكان بحراً في العلوم، ومعرفة الرجال، صنَّف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين، وكان زاهداً يعدّ من الأبدال، وكتابه في الجرح والتعديل يقضي له بالرتبة المُنيفة في الحفظ، /١٨٨/ وكتابه في «التفسير» عدّة مجلدات. وله مصنَّف كبير في «الردّ على الجهمية» يدلُّ على إمامته.

قال علي بن أحمد الفرضي: ما رأيتُ أحداً ممن عرف عبد الرحمن ذكر عنه جهالة قطّ. ويروى أنَّ أباه كان يعجب من تعبّد عبد الرحمن، ويقول: من يقوى على عبادة عبد الرحمن. لا أعرف له ذنباً.

وقال عليّ بن إبراهيم الرازي الخطيب: كان عبد الرحمن قد كساه الله بهاءً ونوراً يستر به من نظر إليه سمعتهُ يقول: رحل بي أبي سنة خمس وخمسين وما احتلمتُ بعدُ؛

= جرجان للسهمي ١٣٩، ٣٢٧، ٣٧٤، ٤١٥، وطبقات الحنابلة ٢/ ٥٥ رقم ٥٩٦، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٣٥/ ٣٥٧ـ ٣٦٨ رقم و٣٩/ ٣٢٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٥٠، ٨١، واللباب ١/ ٣٢٤، والتدوين في أخبار قزوين ٣/ ١٥٣، والتقييد لابن النقطة ٣٣١ـ ٣٣٢ رقم ٤٠٢، والكامل في التاريخ ٨/ ٣٥٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٨٦، والمعين في طبقات المحدّثين ١١٠ رقم ١٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٦٣ـ ٢٦٩ رقم ١٢٩، وميزان الاعتدال ٢/ ٥٨٧ـ ٥٨٨، والعبر ٢/ ٢٠٨، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٢٩ـ ٨٣٢، ودول الإسلام ١/ ٢٠٠، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٧١، ومرآة الجنان ٢/ ٢٨٩، والبداية والنهاية ١١/ ١٩١، وفوات الوفيات ١/ ٤٥٢، و٢/ ٢٨٧ـ ٢٨٨، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٣٢٤ـ ٣٢٨، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٤١٦ـ ٤١٧، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١١٢ رقم ٥٨، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٩٣، ولسان الميزان ٣/ ٤٣٢ـ ٤٣٣، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣٦٥، وطبقات الحفاظ ٣٤٥ـ ٣٤٦، وطبقات المفسرين للسيوطي ١٧، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٨٥، وشذرات الذهب ٢/ ٣٠٨ـ ٣٠٩، والأعلام ٤/ ٩٩، وتاريخ التراث العربي ١/ ٤٤٦ـ ٤٥٠، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٣/ ١١٤ـ ١١٧ رقم ٧٨١، تاريخ الاسلام (السنوات ٣٢١ـ ٣٣٠هـ) ص ٢٠٦ رقم ٣٣٢.

فلما بلغنا ذا الحُلَيْفَة، احتلمت، فستر أبي حيث أدركتُ حجة الإسلام.

وقال ابن أبي حاتم: كنا بمصر سبعة أشهر لم نشرب فيها مرقة، نهارنا ندور على الشيوخ، وبالليل ننسخ، ونقابل، فأتينا يوماً أنا ورفيق لي شيخاً، فقالوا: هو عليل، فرأينا سمكة أعجبتنا فاشتريناها؛ فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ فمضينا، فلم تزل السمكة ثلاثة أيام، وكادت تتغير، فأكلناها نيئة ولم نتفرغ نشويها، ثم قال: لا يستطاع العلم براحة الجسد.

وقال ابن أبي حاتم: وقع عندنا الغلاء، فأنفذ بعض أصدقائي حبوباً من أصبهان، فبعته بعشرين ألفاً، وقال: اشتر لي بها دراً، فأنفقتها على الفقراء وكتبت إليه: اشتريت لك بها قصراً في الجنة، فقال: رضيت إن ضمنت، فكتبت على نفسي صكاً بالضمان، فأُريت في المنام: قد قبلنا ضمانك، ولا تعد لمثل هذا.

وقال محمد بن مهرويه: سمعتُ ابن الجنيد يقول: سمعتُ يحيى بن معين: إنَّا لنطعن على أقوام. لعلّهم قد حطّوا رحالهم في الجنة من مائتي سنة، قال محمد بن مهرويه: فدخلت على ابن أبي حاتم، وهو يُحدّث بكتاب الجرح والتعديل، فحدّثته بهذا فبكى، وارتعدت /١٨٩/ يداه، وسقط الكتاب، وجعل يبكي، ويستعيدني الحكاية.

توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

ومنهم:

[٢٧]

أحمد بن محمد سعيد، أبو العباس الكوفي(١)

مولى بني هاشم المعروف بابن عقدة حافظ العصر، والمحدّث البحر، والمصيب في اللبَّة والنَّحر؛ لولا كثرة تخليطه، وتسليط نار الأعداء على سليطه؛ لكان قبساً

---

(١) ورد اسمه في بعض المصادر: «أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن...».

ترجمته في: معجم الشيوخ لابن جميع ١٦٧ـ ١٦٩ رقم ١١٥، ومن حديث خيثمة الأطرابلسي (بتحقيق التدمري) ٣٣ـ ٣٤، والفهرست للطوسي ٥٢ رقم ٨٦، والفوائد المنتقاة للعلوي، بتخريج الصوري (بتحقيق التدمري) ٧٣، وتاريخ جرجان للسهمي ٢٢٠، ورجال الطوسي ٢٤١ـ ٢٤٢ رقم ٣٠، وتاريخ بغداد ٥/ ١٤ـ ٢٢، والمنتظم ٦/ ٣٣٦ـ ٣٣٧، رقم ٥٥٠، ورجال الحلّي ٢٠٣ـ ٢٠٤ رقم ١٣، والعبر ٢/ ٢٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٤٠ـ ٣٥٥ رقم ١٤٨، والمعين في طبقات المحدّثين ١١١ رقم ١٢٤٢، ودول الإسلام ١/ ٢٠٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٣٩ ـ ٩٤٢، =

لهدى، وملتمساً لندى، لكنه خبط العشواء، وخطب عقيلة الشمس العشاء، فحُبط عمله أو كاد، وانبتَّ أمله أو ماد، ونسب إليه الرفض، والله أعلم ببواطن الاعتقاد، والله المجازي وإنما للناس الانتقاد.

حدّث عن أمم لا يحصون، وكتب العالي والنازل، والحق والباطل حتى كتب عن أصحابه، وكان إليه المنتهى في قوة الحفظ، وكثرة الحديث، وصنَّف، وجمع، وألَّف في الأبواب، والتراجم.

ورحلته قليلة، فلهذا كان يأخذ عن الذين رحلوا إليه، ولو صان نفسه، وجوّد، لضربت إليه أكباد الإبل، ولضرب بإمامته المثل، لكنه جمع فأوعى، وخلط الغثّ بالسمين، والخرز بالدُّر الثمين، ونسب إليه التشيع، فمقت.

قال الدارقطني: أجمع أهل الكوفة أنه لم يُر بالكوفة من زمن ابن مسعود إلى زمن ابن عقدة أحفظ منه.

وقال أبو أحمد الحاكم؛ قال لي ابن عقدة: دخل البرديجي الكوفة فزعم أنه أحفظ، فقلت: لاتُطوّل فتقدم إلى دكان ورّاق، ونزن بالقبان من الكتب ما شئنا ثم يلقى علينا، فبقي.

وقال الدارقطني: قال ابن عقدة: أنا أجيب في ثلاثمائة ألف حديث من حديث أهل البيت، وبني هاشم.

وقال ابن عقدة: أحفظ مائة ألف حديث بأسانيدها.

وقال الدارقطني: يعلم ما عند الناس، ولا يعلم / ١٩٠/ الناس ما عنده.

وقال أبو سعيد الماليني: أراد ابن عقدة أن ينتقل، فكانت كتبه ستمائة حملة.

مولده سنة تسع وأربعين ومائتين، وتوفي سنة إحدى، وقيل: سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

ومنهم:

= والمغني في الضعفاء ١/ ٥٥رقم ٤٢٢، وميزان الاعتدال ١/ ١٣٦ـ ١٣٨، ومرآة الجنان ٢/ ٣١١، والبداية والنهاية ١/ ٢٠٩، والوافي بالوفيات ٧/ ٣٩٥ـ ٣٩٦، ولسان الميزان ١/ ٢٦٣ـ ٢٦٦، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٨١، وطبقات الحفاظ ٣٤٨ـ ٣٤٩، وشذرات الذهب ٢/ ٣٣٢، والأعلام ١/ ٢٠٧، ومعجم طبقات الحفاظ ٥٩ رقم ٧٨٩، وهدية العارفين ١/ ٦٠، وإيضاح المكنون ١/ ٣٠٣، و٢/ ٢٦٠، وديوان الإسلام ٣/ ٢٦٧ رقم ١٥٤٥، ومعجم المؤلفين ٢/ ١٠٦، ومجمع الرجال للقهبائي ١/ ١٤٤، وأعيان الشيعة (الطبعة الجديدة) ٣/ ١١٢ـ ١١٦، تاريخ الاسلام (السنوات ٣٣١ـ ٣٥٠هـ) ص ٦٧ رقم ٤٤ .

[٢٨]

محمد بن حبّان بن أحمد بن حبّان(١)

الحافظ العلامة أبو حاتم التميمي البُستي(٢) صاحب كتاب «الأنواع والتقاسيم»، وهو الذي ما سبقه إلى مثله مؤلف، ولا سمق فرع برقٍ إلاّ وقلمه له، ورآه مُخلف، ضرب مؤلّفه سرادقة في علياء العلم على رباه، واحتبى مصنِّفه له فيما حلّت سوى الفرائض حُبَاه، وسرت نوافحه فودَّ مسكيّ السحر لو غلَّف به صباه، وتمكّن حبّ حبانية من القلوب، فلم يبق سويداء القلب إلاّ أمتد نِقْسه، ولا سواد طرف إلاّ حباه بكرٌ ما افترعته كفّ حادثةٍ لتأليف، ولا اخترعته فكرة قريحة، وإنّما هو نبض الحديث لا بتزويق التَّصنيف.

سمع أمماً لا يحصون من مصر إلى خراسان، وحدّث عنه خلق.

قال أبو سعيد الإدريسي: كان على قضاء سمرقند زماناً، وكان من فقهاء الدين، وحفاظ الآثار، عالماً بالظن والنجوم وفنون العلم.

صنَّف المسند الصحيح، و«التاريخ»، وكتاب «الضعفاء»، وفقَّه الناس بسمرقند.

وقال ابن حبّان في كتاب الأنواع: لعلّنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ.

وقال الحاكم: كان ابن حبّان من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، ومن عقلاء الرجال.

وذكره ابن الصلاح في طبقات الشافعية، وقال: ربّما غلط الغلط الفاحش في تصرّفاته.

توفي في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وهو في عشر الثمانين.

---

(١) ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٩٢ـ ١٠٤ رقم ٧٠، عيون التواريخ (مخطوط) ١٢/ق١/ ١٢٤، اللباب ١/ ٢٧٣، الوافي بالوفيات ٢/ ٣١٧، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٤١، البداية والنهاية ١١/ ٢٥٩، الكامل في التاريخ ٨/ ٢٦٦، تذكرة الحفّاظ ٣/ ١٢٥، لسان الميزان ٥/ ١١٢، مرآة الجنان ٢/ ٣٥٧، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٩، العبر ٢/ ٣٠٠، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١١١، مفتاح السعادة ٢/ ١٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٤٢، شذرات الذهب ٣/ ١٦، دول الإسلام ١/ ٢٢٠، الأنساب ١/ ٣٤٨ـ ٣٤٩، معجم البلدان ١/ ٤١٥، تلخيص ابن مكتوم ٢٠٧، طبقات الحفاظ ٣٧٤ـ ٣٧٥، الرسالة المستطرفة ٢٠ـ ٢١، إنباه الرواة ٣/ ١٢٢، مقدّمة صحيح ابن حبّان ١/ ١٠، موسوعة علماء المسلمين ج٤/ ١٤٤ـ ١٤٧ رقم ١٣٦٢، تاريخ الاسلام (السنوات ٣٥١ـ ٣٨٠هـ) ص ١١٢.

(٢) نسبة إلى بُسْت، بالضم. مدينة بين سجستان وغزنين وهراة. (معجم البلدان ١/ ٤١٤).

ومنهم: /١٩١/

[٢٩]

أبو بكر بن الجعابي، واسمه محمد بن عمر بن محمد بن سَلْم التميمي البغدادي(١)

قاضي الموصل الحافظ.

فريد الزمان، ولسان الإحسان، وإن مان من مان، رُمي بأنه كان يتشيَّع، ومضى إلى الله واتبع هذا القول يُشيّع، جُرح وهو لا يتكعكع، وطُعن فيه وهو لا يتضعضع،

وتكلم فيه الناس، ومن هو الذي من أيديهم سلم، أو بمضارب ألسنتهم الحداد ما ثُلم، من رام منهم السلامة طلب شططاً، وظنَّ غلطاً، وضلَّ وكان أمره فرطا، هيهات هل هم إلا نار تأكل بعضها بعضاً، وفأرٌ تنهمك ناباً بناب قرضاً، وقالوا: رافضي. أكلُّ مَنْ أحبَّ آل بيت محمد، سمّوه بهذا، وسموا حبّه رفضا؟!.

سمع، وصنّف الأبواب، والشيوخ، والتاريخ، وحدّث عنه الدارقطني، وابن شاهين وابن زرقويه، وأبو عبد الله الحاكم، وأبو نعيم الحافظ، وهو خاتمة أصحابه، وخلق.

قال أبو علي النيسابوري: ما رأيت في أصحابنا أحفظ من أبي بكر الجعابي، وذلك أني حسبته من البغداديين الذين يحفظون شيخاً واحداً وترجمة واحدة، وباباً واحداً، فقال لي أبو إسحاق بن حمزة يوماً: يا أبا علي لا تغلط. ابن الجعابي يحفظ حديثاً كثيراً. قال: فخرجنا يوماً من ابن صاعد، فقلت له: يا أبا بكر، أيش أسند الثوري عن منصور؟ فمر في الترجمة، فما زلت أجره من مصر إلى حديث الشام، إلى العراق، إلى أفراد الخراسانيين، وهو يجيب، إلى أن قلت: فأيش روى الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، وأبي سعيد بالشركة؟ فذكر بضعة عشر حديثاً فحيَّرني حفظه.

وقال ابن الجعابي: دخلت الرقة، وكان لي ثمَّ قمطرين كتب، فجاء غلامي مغموماً، وقال: ضاعت الكتب، فقلت: يا بني لا تغتم؛ /١٩٢/ فإن فيها

---

(١) ترجمته في: تاريخ بغداد ٣/ ٢٦ رقم ٩٥٣، الأنساب ٢/ ٦٥، تذكرة الحفّاظ ٣/ ١٣٨، الوافي بالوفيات ٤/ ٢٤٠ رقم ١٧٦٩، العبر ٢/ ٣٠٢، المنتظم ٧/ ٣٦ رقم ٣٨، مرآة الجنان ٢/ ٣٥٨، البداية والنهاية ١١/ ٢٦١، النجوم ٤/ ١٢، الكامل في التاريخ ٨/ ٥٧٤، اللباب ١/ ٢٨٢، دول الإسلام ١/ ٢٢٠، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٨٨- ٩٢ رقم ٦٩، ميزان الاعتدال ٣/ ٦٧٠- ٦٧١، لسان الميزان ٥/ ٣٢٢ - ٣٢٤، طبقات الحفاظ ٣٧٥- ٣٧٦، شذرات الذهب ٣/ ١٧، تاريخ الاسلام (السنوات ٣٥١- ٣٨٠هـ) ص ١٢٦.

مائتي ألف حديث لا يشكل علي منها لا إسناده ولا متنه.

وقال أبو علي التنوخي: ما شاهدنا أحداً أحفظ من أبي بكر بن الجعابي، وسمعت من يقول: إنه يحفظ مائتي ألف حديث ويجيب في مثلها، وكان يفضل الحفاظ بأنه كان يسوق المتون بألفاظها، وأكثر الحفاظ يتسمحون في ذلك، وكان إماماً في معرفة العلل، وثقات الرجال، وتواريخهم، وما يطعن على الواحد منهم. لم يبق في زمانه من يتقدّمه.

وروى الخطيب بسنده عن الجعابي، قال: أحفظ أربعمائة ألف حديث، وأذاكر بستمائة ألف حديث.

[وقال الخطيب: سمعت ابن زرقويه يقول: كان ابن الجعابي يمتلىء مجلسه، وتمتلىء السكّة التي يُملي فيها والطريق، ويحضره ابن المظفر والدارقطني، ويُملي الأحاديث بطرقها من حفظه.] وروى عن رجاله: أن الجعابي كان يشرب في مجلس ابن العميد.

وقال السلمي: سألت الدارقطني عن ابن الجعابي، فقال: خلط وذكر مذهبه في التشيّع.

قال الدارقطني: وحدثني ثقة أنه خلى ابن الجعابي نائماً، قال: فكنت أراه ثلاثة أيام لم يمسه الماء.

قال الأزهري: لما مات ابن الجعابي أوصى أن تحرق كتبه، فأحرقت، فكان فيها كتب الناس، فحدثني أبو الحسين بن البواب أنه كان له عنده مائة وخمسون جزءاً، فذهبت في جملة ما أحرق.

وقال محمد بن عبيد الله المسبحي: كان ابن الجعابي قد صحب قوماً من المتكلمين، فسقط عند كثير من المحدثين، وأمر عند موته أن تحرق دفاتره بالنار، فاستقبح ذلك منه. وكان وصل إلى مصر، ودخل إلى الإخشيد، ثم مضى إلى دمشق، فوقفوا على مذهبه، فشردوه، فخرج هارباً.

قال ابن شاهين: دخلت أنا وابن المظفر، والدارقطني على ابن الجعابي وهو مريض، فقلت له: من أنا؟ قال: سبحان الله ألستم فلاناً وفلاناً، وسمّانا، فدعونا، وخرجنا /١٩٣/، فمشينا خطوات، وسمعنا الصائح بموته. ورجعنا من الغد، فرأينا كتبه تلَّ رماد.

توفي ابن الجعابي ببغداد في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

قال الأزهري: كانت سُكينة ـ نائحة الرافضة ـ تنوحُ في جنازته.

ومولده في صفر سنة أربع وثمانين ومائتين.

ومنهم:

[٣٠]

سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني[1]، أبو القاسم

مسند الدنيا، وآية الزمان الكبرى. خاض القفار لا يتخشّى زاخرها، ولا يتخشّع أولها، ولا آخرها، بعزيمة لا يُفلّ مضربها، ولا يفك مضربها، ولا تنقضي من السفر نهمتها، ولا تفرغ من الوطر همتها. يركب الحَزْنَ والسهل، ويبيت عند الأجنبي والأهل، ويقطع بها الليل لا يلائم جنبه أرضاً، ولا يطعم جفنه غمضاً، ولا يعدّ الغربة إلا إذا كان في وطنه مبوّأً، وفي سكنه مهناً، حرصاً على طرائف الفائدة، وطلباً للمعارف الزائدة، حتى حصل من الحديث ما أوقر منه أثباج الإبل، وملأ حضن المُحْتَبَل، وحفظ منه على الخلف نِعم ما أحرزه السلف، وأتى منه بهدى ضلَّ بعده من شك أو اختلف.

ولد سنة ستين ومائتين، وسمع سنة ثلاث وسبعين، وهلّم جرا بمدائن الشام، والحرمين، واليمن، ومصر، وبغداد، والكوفة، والبصرة، وأصبهان، والجزيرة، وغير ذلك.

وحدّث عن ألف شيخ أو يزيدون، وصنف «المعجم الكبير» وهو المسند، سوى

---

(١) ترجمته في: آثار البلاد للقزويني ٢١٨ و٢١٩، الأنساب ٤/ ٤٢ـ ٤٣، أخبار أصبهان ١/ ٣٣٥ و٣٣٦، تاريخ دمشق ط دار الفكر ٢٢/ ١٦٣ـ ١٧٠ رقم ٢٦٤٣، التهذيب ٦/ ٢٤٢، معجم البلدان ٤/ ١٨ـ ١٩، غاية النهاية ١/ ٣١١، العبر ٢/ ٣١٥، المنتظم ١١/ ٥٤، مرآة الجنان ٢/ ٣٧٢، البداية والنهاية ١١/ ٢٧٠، الوافي بالوفيات ١٥/ ٣٤٤ رقم ٤٩٢، طبقات الحنابلة ٢/ ٤٩ رقم ٣١٣، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩١٢، لسان الميزان ٣/ ٧٣ـ ٧٥، النجوم الزاهرة ٤/ ٥٩، شذرات الذهب ٣/ ٣٠، التاج المكلل ٥٤، الأعلام ٣/ ١٨١، معجم المؤلفين ٤/ ٢٥٣، تاريخ التراث العربي ١/ ٤٨٤ـ ٤٨٨، وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٧، دول الإسلام ١/ ٢٢٣، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١١٩ـ ١٣٠ رقم ٨٦، ميزان الاعتدال ٢/ ١٩٥، طبقات الحفّاظ ٣٧٢ـ ٣٧٣، طبقات المفسّرين للداوودي ١/ ١٩٨ـ ٢٠١، هدبة العارفين ١/ ٣٩٦، الرسالة المستطرفة ٧٨، و١٣٥ـ ١٣٦، ١٣٦، موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان ٣/ ٣٠٦ـ ٣١٥ رقم ٦٥٣، تاريخ الاسلام (السنوات ٣٥١ـ ٣٨٠هـ) ص ٢٠٢ .

حديث أبي هريرة، فكأنه أفرده في مصنف، و«المعجم الأوسط» في ستّ مجلدات كبار على معجم شيوخه يأتي عن كل شيخ بماله من الغرائب والعجائب فهو نظير كتاب «الأفراد» للدارقطني، بيَّن فيه فضيلته، وسعة روايته، وكان يقول: / ١٩٤/ هذا الكتاب روحي، فإنه تعب عليه، وفيه كل نفيس، وعزيز، ومبتكر. وصنَّف «المعجم الصغير»، وهو عن كل شيخ له حديث واحد، وصنّف من المسانيد وغيرها شيئاً كثيراً، وكان من فرسان هذا الشأن مع الصدق والأمانة. وسُئل عن كثرة حديثه، فقال: كنت أنام على البواري ثلاثين سنة.

وقال أبو نعيم: دخل الطبراني أصبهان سنة تسعين، فسمع وسافر وشَافَهَ ثم قدمها فاستوطنها ستين سنة.

وقال ابن فارس «صاحب اللغة»: سمعتُ الأستاذ ابن العميد يقول: ما كنت أظنّ أنَّ في الدنيا كحلاوة الوزارة والرياسة التي أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرة الطبراني وابن الجعابي بحضرتي، فكان الطبراني يغلبه بكثرة حفظه، وكان أبو بكر ابن الجعابي يغلبه بفطنته، حتى ارتفعت أصواتهما، فقال ابن الجعابي، عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي، فقال: هات، فقال: حدثنا أبو خليفة، حدثنا سليمان بن أيوب ـ وذكر حديثاً ـ فقال الطبراني: فأنا سليمان بن أيوب، ومني سمعه أبو خليفة، فأسمعه مني عالياً. فخجل ابن الجعابي، فوددت أنَّ الوزارة لم تكن، وكنت أنا الطبراني، وفرحت كفرحه.

وقال ابن عقدة، ما أعرف لسليمان بن أحمد نظيراً.

توفي لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة، وقد كمل من العمر مائة عام، وعشرة أشهر.

ومنهم:

[٣١]

أبو الحسن الدارقطني، واسمه علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي[١]

الحافظ المشهور، والحامل راية الرواية إلى يوم النشور. الدارقطني ولا قطن إلا

---

(١) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النُّعمان بن دينار بن عبد الله، أبو الحسن البغدادي الدارقُطْني.
ترجمته في: تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤ـ ٤٠، المنتظم ٧/ ١٨٣ـ ١٨٤، معجم البلدان ٢/ ٤٠٦، اللباب ١/ ٤٠٤، غاية النهاية ١/ ٥٥٨، الأنساب ٢/ ٤٣٨، وفيات الأعيان ١/ ٤١٧ـ ٤١٨، طبقات =

ما رآه بياضاً من نور سيب الإسلام، أو نشره من صحيفته البيضاء بأيدي الملائكة الكرام، أو ظهر به قلبه الأبيض المطهر /١٩٥/ من دنس الآثام، أو بدا من عرضه النقي في غرر الأيام، أو غسل به من جبالٍ فيها من برد، أو ندفه من قطن الثلج قوس الغمام، ابن مهدي الذي ما عدل عن آثار مهديه، ولا عدا طريقة سلّف له من أهل العلم، ويهابه كل منهم على انفراده، ويخضع له في ندبه.

كان عالماً، حافظاً، فقيهاً على مذهب الشافعي. أخذ الفقه عن أبي سعيد الأصطخري، وقيل: بل أخذ. عن صاحب لأبي سعيد، وأخذ القرأة عرضاً وسماعاً عن النقاش، ومن في طبقته، وتصدّر في آخر أيامه للإقراء ببغداد.

وكان عازماً باختلاف الفقهاء ويحفظ كثيراً من دواوين العرب، منها ديوان السيد الحميري، فُنسب إلى التشيّع لذلك.

روى عنه الحافظ أبو نعيم، وجماعة كثيرة. وقبل القاضي ابن معروف شهادته في سنة ست وسبعين وثلاثمائة، فندم على ذلك، وقال: كان يقبل قولي على رسول الله ﷺ بانفرادي، فصار لا يقبل قولي على نقلي إلا مع آخر.

وصنّف كتاب «السنن»، و«المختلف والمؤتلف»، وغيرهما، وخرج من بغداد إلى مصر قاصداً أبا الفضل جعفر بن الفضل ـ وزير كافور الإخشيدي ـ ليساعده على تأليف مسند عزم عليه الوزير، فأقام عنده مدّة، وبالغ أبو الفضل في إكرامه، وانفق عليه نفقة واسعة، وأعطاه شيئاً، وحصل له بسببه مال جزيل. ولم يزل عنده حتى فرغ المسند، وكان يجتمع هو والحافظ عبد الغني ابن سعيد على تخريجه إلى أن نجز.

قال الحافظ عبد الغني بن سعيد: أحسن الناس كلاماً على حديث رسول الله ﷺ

= الشافعية الكبرى ٢/ ٣١٠ـ ٣١٢، البداية والنهاية ١١/ ٣١٧ـ ٣١٨، معجم الأدباء ٢/ ٤٠٨، مرآة الجنان ٢/ ٤٢٤ـ ٤٢٦، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٩١ـ ٩٩٥، النجوم الزاهرة ٤/ ١٧٢، تسمية رجال البخاري للدارقطني (مخطوطة المتحف البريطاني ١١٢، شذرات الذهب ٣/ ١١٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٣٠، طبقات الشافعية لابن هداية الله ١٠٢ـ ١٠٣، مفتاح السعادة ٢/ ١٤، الأعلام ٥/ ١٣٠، معجم المؤلفين ٧/ ١٥٧، ١٥٨، تاريخ التراث العربي ١/ ٣٣٧، موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان ق١ـ ج٣/ ٣٤٨ رقم ١١٠٤، الوفيات لابن قنفذ ٢٢٠ رقم ٣٨٦، تاريخ جرجان ٢٦٧، الكامل في التاريخ ٩/ ١١٥، دول الإسلام ١/ ٢٣٤، العبر ٣/ ٢٨ـ ٢٩، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٤٩ـ ٤٦١ رقم ٣٣٢، طبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٥٠٨ـ ٥٠٩، غاية النهاية ١/ ٥٥٨ـ ٥٥٩، طبقات الحفاظ ٣٩٣ـ ٣٩٤، الرسالة المستطرفة ٢٣، تاريخ الاسلام (السنوات ٣٨١ـ ٤٠٠هـ) ص ١٠١ .

ثلاثة: علي بن المديني في وقته، وموسى بن هارون في وقته، والدارقطني في وقته.

/ ١٩٦/ وسأل الدارقطني يوماً بعض أصحابه: هل رأى الشيخ مثل نفسه؟

فامتنع من جوابه، وقال: قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾[1] فألح عليه، فقال: إن كان في فنٍ واحدٍ فقد رأيتُ أفضل مني، وإن كان من اجتمع فيه ما اجتمع فيّ فلا.

وقال الحاكم: صار الدارقطني أوحد عصره في الحفظ والفهم والورع، وإماماً في القراء والنحويين، وأقمت في سنة سبع وستين ببغداد أربعة أشهر وكثر اجتماعنا فصادفته فوق ما وُصف لي وسألته عن العلل والشيوخ. وله مصنفات يطول شرحها فأشهد أنه لم يخلف على أديم الأرض مثله.

وقال الخطيب: انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد والاضطلاع من علوم كالقراءات؛ فإنَّ له فيها مصنفاً سبق إلى عقد الأبواب قبل فرش الحروف، وتأسى القراء به بعده، ومن ذلك المعرفة بمذاهب الفقهاء. بلغني أنه درس الفقه على أبي سعيد الأصطخري، ومنها المعرفة بالأدب والشعر، فقيل: كان يحفظ دواوين جماعة.

قال: وحدثني الأزهري، قال: بلغني أن الدارقطني حضر في حداثته مجلس إسماعيل الصفار، فقعد ينسخ، والصفار يملي، فقال رجل: لا يصح سماعك، وأنت تنسخ، فقال: فهمي خلاف فهمك. أتحفظ كم أملى الشيخ؟، قال: لا أدري، قال: أملى ثمانية عشر حديثاً. الحديث الأول عن فلان، عن فلان، ومتنه كذا، والثاني عن فلان عن فلان، ومتنه كذا، ومر في ذلك حتى أتى على الأحاديث، فتعجب الناس منه أو كما قال.

وقال أبو الطيب الطبري: الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث.

وجاء أبو الحسين البيضاوي إلى الدارقطني برجل غريب، وسأله أن / ١٩٧/ يُملي عليه أحاديث، فأملى عليه من حفظه مجلساً تزيد أحاديثه على العشرين، متون جميعها: «نِعْمَ الشيء الهدية أمام الحاجة» فانصرف الرجل، ثم جاءه بعد، وقد أهدى له شيئاً، فقرَّ به، وأملى عليه من حفظه سبعة عشر حديثاً متونها «إذا أتاكم كريمُ قومٍ، فأكرموه».

(١) سورة النجم: الآية ٣٢.

ومولده في ذي القعدة سنة ستّ وثلاثمائة.

وتوفي يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي القعدة، وقيل ذي الحجة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ببغداد، وصلى عليه الشيخ أبو حامد الاسفراييني الفقيه، ودفن قريباً من معروف الكرخي.

قال أبو نصر بن ماكولا: رأيت كأني أسأل عن حال الدارقطني في الآخرة، فقيل لي: ذلك يُدعى في الجنة الإمام.

ومنهم:

[٣٢]

محمد بن إسحاق بن محمد بن أبي زكريا يحيى بن مَنْدَه[(١)]، أبو عبد الله

الإمام الحافظ، الجوال، محدّث العصر، تقاذفت المطيُّ منه بجوَّاب كُلِّ تَنُوفَة، وجوّال كل مَخُوفة، ونزال كلِّ وهدةٍ بالماءِ محفوفة، وطلاَّع كُلّ بَنيّةٍ بالسماء مكفوفة، حتى كادت تعرض به المهامِه، وتدحض حجج سراه أقطار البّر المتشابه، فلم يبق بلد لم يطأها مَنْسمه، ولا جهة لم يشرق عليها ميسمه، ولا ثغر ناحية لم يقبله في البرق الضاحك مبسمه إلى أن نظم البلاد سلكاً، وركب إليها الركائب فلكاً، واخترق إليها

---

(١) محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن محمد بن يحيى بن [مَنْدَه] واسم مَنْدَه: إبراهيم بن الوليد بن سَنْدَه بن بُطّة بن أُسْتَنْدار، الحافظ الكبير، أبو عبد الله العَبْدي الأصبهانيّ.

ترجمته في: ذكر أخبار أصبهان ٢/ ٣٠٦، من أدركه الخلاّل من أصحاب ابن منده (مخطوطة الظاهرية ١٤٤أ و٥٨أ، أحاديث أبي الحسن محمد بن عبد الملك إمام الحرمين (مخطوطة الظاهرية) ٢٠٧أ، ب، تاريخ دمشق، ط دار الفكر ٥٢/ ٢٩ـ ٣٤ رقم ٦٠٨٣، التهذيب ١/ ٤٣٢، ٢/ ٥٨، ٤/ ٣٥٧، مرآة الزمان ١١ق ١/ ١٦، الرحلة في طلب الحديث ٢١١، الوافي بالوفيات ٢/ ١٩٠ـ ١٩١، معجم البلدان ١/ ٢١٧، البداية والنهاية ١١/ ٣٣٦، المنتظم ٧/ ٢٣٢ـ ٢٣٣، العبر ٣/ ٥٩، ٦٠، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٧٣ـ ٩٧٤، و١٠٣١ـ ١٠٣٦، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٦، تاريخ الخميس ٢/ ٣٩٧، لسان الميزان ٥/ ٧٠ـ ٧٢، معجم المؤلفين ٩/ ٤٢، فهرست مخطوطات الحديث بالظاهرية ١١٩ـ ١٢٠، شذرات الذهب ٣/ ١٤٦، تاريخ التراث العربي ١/ ٥٢٨ـ ٥٣٠، موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان ق١ـ ج٤/ ١٨ رقم ١٣٢٧، طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٧ رقم ٦٣٠، دول الإسلام ١/ ٢٣٧، النجوم الزاهرة ٤/ ٢١٣، مناقب الإمام أحمد ٥١٨، الكامل في التاريخ ٩/ ١٩٠، غاية النهاية ٢/ ٩٨، طبقات الحفاظ ٤٠٨، هدية العارفين ٢/ ٥٧، وكتاب الإيمان لابن منده (١٩٨٥)، تاريخ الاسلام (السنوات ٣٨١ـ ٤٠٠هـ) ص ٣٢٠.

الفجاج، والرياح قد ألقت جنبها إلى الأرض وأقبلت تشتكي. أَوْ قَرَتْ كُتبه الإبل وشقَّ ظهورها، وأملت على الصحف ملء صدورها، وحدّث عمن لقي، وهيهات أن أحداً يُؤَبَه إليه من أهل الأرض بقي.

ولد سنة عشر وثلاثمائة، وقيل في التي تليها، وسمع بالبلاد من ألف وسبعمائة شيخ، ولما رجع من الرحلة الطويلة كانت كتبه / ١٩٨/ عدة أحمال، حتى قيل: إنها كانت أربعين حملاً، وكان ختامَ الرّحالين، وفرد المكثرين، مع الحفظ، والمعرفة، والصدق، وكثرة التصانيف.

وقال الباطرقاني: حدثنا أبو عبد الله إمام الأئمة في الحديث ـ لقَّاه الله رضوانه ـ.

وقال الحافظ أبو نعيم في تاريخه: هو حافظ من أولاد المحدثين اختلط في آخر عمره، وتخبَّط في أماليه، ونُسب إلى جماعة أقوالاً في المعتقدات لم يعرفوا بها.

وهذا قول لا يُعبأ به من الحاكم للعداوة المشهورة بينه وبين ابن منده.

وقال عبد الرحمن بن أبي عبد الله: كتب أبي عن أربعة مشايخ أربعة آلاف جزء، وهم: ابن الأعرابي، والأصم، وخيثمه، والهيثم بن كليب.

وقال جعفر المستغفري: ما رأيت أحداً أحفظ من أبي عبد الله بن منده سألته يوماً: كم تكون سماعات الشيخ؟ قال: تكون خمسة آلاف منّ، والمنّ عشرة أجزاء كبار.

وقال أحمد بن جعفر: كتبت على أزيد من ألف شيخ ما فيهم أحفظ من ابن منده.

وقال أبو إسماعيل الأنصاري: شيخ هراة أبو عبد الله بن منده سيد أهل زمانه.

وقال الباطرقاني: سمعتُ أبا عبد الله يقول: طفتُ الشرق والغرب مرتين.

توفي في سلخ ذي القعدة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.

ومنهم:

[٣٣]

أبو عبد الله الحاكم، واسمه محمد بن عبد الله بن محمد بن حَمْدَوَيْه بن نُعَيْم الضَّبِّي الطِّهْماني النيسابوري الحافظ المعروف: ابن البَيِّع[١].

له التصانيف والأمالي، والأسانيد عن العوالي، لو بذلت تصانيفه للعيون، لسرح

(١) ترجمته في: تاريخ بغداد ٥/ ٤٧٣ـ ٤٧٤ رقم ٣٠٢٤، والمنتظم ٧/ ٢٧٤ـ ٢٧٥ رقم ٤٣٤، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر ٢٢٧ـ ٢٣١، والأنساب ٢/ ٣٧٠، واللباب ١/ ١٩٨ـ ١٩٩، ووفيات =

فيها الأمل، أو ضنَّت أماليه على الأسماع، لما كانت إلاَّ صمّاء كالجبل، بل لو تعدَّمت كتبه المصنفة لضيَّتْ عليها ضبّة أبوابها، وفضضت بلجين قراطيسها / ١٩٩/ البيض أحسابها، بل لو حُملت معه في ذلك الأوان، لقال قومه: «نحنُ بنو ضبة أصحاب الجمل»، وانتصروا بأقلامه إذ كتب ولم يقولوا: «ننعى ابن عفان بأطراف الاسل»، بل لو تحاقت البلاد، وتحاكمت في فضل الميلاد، لقضت على ما سوى بلده نيسابور بأن تبور، وآذنت بأنَّ كل بناء يحقّ له أن يهدم إلاّ ما شيّد بناءه سابور، بل لو تفاضلت الأوقات لأجمعت على وقته الفِكَر، وفضل بتصنيفه أمالي العشيات سواد العشايا على بياض البكر.

كان إمام الحديث في عصره ألف فيه الكتب التي لم يسبق إلى مثلها وتفقه على أبي سهل الصعلوكي الشافعي، ثم انتقل إلى العراق، وقرأ على أبي علي بن أبي هريرة الفقيه.

ثم طلب الحديث وسمعه سنة ثلاثين، وغلب عليه فاشتهر به، وسمعه من جماعة لا يحصون كثرةً، فإنَّ معجم شيوخه يقرب من ألفي رجل، وصنف في علومه ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء، منها: «الصحيحان»، و«العلل»، و«الأمالي»، و«فوائد الشيوخ»، و«أمالي العشيات» وأملى بما وراء النهر سنة خمس وخمسين، وبالعراق سنة سبع وستين.

أما ما تفرَّد بإخراجه فـ«معرفة علم الحديث»، و«تاريخ علماء نيسابور» و«المدخل

= الأعيان ٤/ ٢٨٠ـ ٢٨١ رقم ٦١٥، والعبر ٣/ ٩١، والمعين في طبقات المحدّثين ١٢٠ رقم ١٣٤٠، وميزان الاعتدال ٣/٦٠٨ رقم ٧٨٠٤، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٣٩ـ ١٠٤٥، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٦٢ـ ١٧٧ رقم ١٠٠، ودول الإسلام ١/ ٢٤٣، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٤٤، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٢٦، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ١٥٥ـ ١٧١، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٤٠٥ـ ٤٠٧ رقم ٣٦٥، والوافي بالوفيات لابن قنفذ ٢٢٩ـ ٢٣٠، وشرح ألفيّة العراقي ١/ ٣٠ـ ٣١، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٩٨، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ١٩٧ـ ١٩٨ رقم ١٥٣، ولسان الميزان ٥/ ٢٣٢ـ ٢٣٣ رقم ٣/ ٨١، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٣٨، وتاريخ الخلفاء ٢١٦، وطبقات الحفاظ ٤٠٩ـ ٤١١، وشذرات الذهب ٣/ ١٧٦، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٢٠ـ ١٢٥، وغاية النهاية ٢/ ١٨٤ـ ١٨٥ رقم ٣١٧٨، وكشف الظنون ٥٥ وغيرها، وهدية العارفين ٢/ ٥٩، وديوان الإسلام ٢/ ١٤٢ـ ١٤٣ رقم ٧٥٥، وإيضاح المكنون ٢/ ١٩٦، والرسالة المستطرفة ٢١، والأعلام ٦/ ٢٢٧، ومعجم المؤلفين ١٠/ ٢٣٨، وتاريخ التراث العربي ١/ ٣٦٧ـ ٣٧٠، ومعجم طبقات الحفاظ ١٦٠، تاريخ الاسلام (السنوات ٤٠١ـ ٤٢٠هـ) ص ١٢٢ رقم ١٨٣.

إلى علم الصحيح»، «المستدرك على الصحيحين»، و«ما تفرَّد به كلٌّ واحد من الإمامين» و«فضائل الإمام الشافعي».

وله إلى الحجاز والعراق رحلتان، وكانت الرحلة الثانية سنة ستين وثلاثمائة، وناظر الحفّاظ، وذاكر الشيوخ، وكتب عنهم أيضاً، وباحث الدارقطني، فرضيه.

وتقلّد القضاء بنيسابور سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في أيام الدولة السامانية، ووزارة أبي نصر العتبي، وقلّد بعد ذلك قضاء جرجانَ فامتنعَ وكانوا يُنْفِذُونه في الرسائل إلى بني بويه.

/ ٢٠٠/ وقال عبد الغافر بن إسماعيل: أبو عبد الله الحاكم هو إمام أهل الحديث في عصره، العارف به حقَّ معرفته؛ ولقد سمعت مشايخنا يذكرون أيامه، ويحكون أنَّ مقدّمي عصره مثل الصعلوكي والإمام ابن فورك وسائر الأئمة يقدّمونه على أنفسهم، ويراعون حقّ فضله ويعرفون له الحرمة الأكيدة، وأطنب في تعظيمه.

وقال الخطيب(١): كان يميل إلى التشيع. جمع أحاديث، وزعم أنّها صحاح على شرط البخاري منها حديث «الطير»، وحديث «من كنت مولاه»، فأنكرها عليه أصحاب الحديث ولم يلتفتوا إلى قوله، وقد أخرج حديث الطير في المستدرك.

وقال ابن طالع: كان شديد التعصب للشيعة في الباطن، وكان يظهر التسنُن في التقديم والخلافة، وكان منحرفاً عن معاوية وآله، ويتظاهر بذلك ولا يعتذر منه، ومع هذا فهو معظم للشيخين بكلّ حال فهو شيعي لا رافضي.

مولده في شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة بنيسابور، وتوفي بها يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة خمس وأربعمائة.

وقال الخليلي في كتاب «الإرشاد»: توفي سنة ثلاث وأربعمائة، وكان قد دخل الحمام، واغتسل، وخرج، فقال: آهٍ، وخرجت روحه وهو متزر لم يلبس قميصه بعد.

ومنهم:

[٣٤]

أبو نُعَيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني الصوفي(٢) الأحول الحافظ

صاحب كتاب «حلية الأولياء»، وراقي ذروة العلياء، محدّث ضابط، ومؤرخ لا

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٤٧٤.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني.

=

يفرط عليه فارط، مهر لأنه ابن مهران، ووطيء الجبال الصم؛ لأنه سكن أصبهان، ضبط قلمه التاريخ، واقتصر به على أهل بلده، وأخذ الفوائد قبضاً بيده، وأصبح به عراق العجم يهنيء أم مالك أصفهان بمولده.

ولد سنة ست وثلاثين /٢٠١/ وثلاثمائة، وأجاز له مشايخ الدنيا سنة نيّف وأربعين وثلاثمائة، وله ست سنين، وتهيأ له من لُقى الكبار ما لم يقع لحافظ، وتفرّد في الدنيا بالإجازات من جماعة، وبالسماع من آخرين، ورحلت الحفّاظ إلى بابه، لعلمه، وحفظه، وعلوّ أسانيده.

قال ابن مردويه: كان أبو نعيم في وقته مرحولاً إليه، لم يكن في أفقٍ من الآفاق أحد أحفظ، ولا أسند منه، كان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده، وكلّ يوم نوبة واحدٍ

= ترجمته في: من حديث خيثمة الأطرابلسي (تحقيق التدمري) ٣٥ قم٣، وتقييد العلم للخطيب ٣٢، ٨٤، ٩١، وتبيين كذب المفتري ٢٤٦ـ ٢٤٧، والمنتظم ٨/ ١٠٠ رقم ١٢٠ (١٥/ ٢٦٨ رقم ٣٢١٤)، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١/ ٧٣ رقم ٢٠٥، ومعجم البلدان ١/ ٢٠١، والكامل في التاريخ ٩/ ٤٦٦، والمنتخب من السياق ٩١ـ ٩٢ رقم ١٩٨، والتقييد لابن النقطة ١٤٤ـ ١٤٦ رقم ١٦٥، (وانظر ٤٥ في ترجمة: محمد بن أحمد الصواف)، والمبهمات للنووي (مخطوط) ٣٥أ، ووفيات الأعيان ١/ ٩١ـ ٩٢، وانظر: ١/ ٧٧ و٢/ ٣٧٢، ٤٠٧، ٤٨٦، ٤٩٩ و٣/ ١٦٨، ٢٧٥، ٢٩٧ و٤/ ٢٩٢، ٥/ ٣٦٨، ٣٠٩٧، وعيون الأنباء ١٠٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٦٢، والعبر ٣/ ١٧٠، ودول الإسلام ١/ ٢٥٥ـ ٢٥٦، والمعين في طبقات المحدّثين ١٢٦ رقم ١٣٩٤، والإعلام بوفيات الأعلام ١٧٩، وميزان الاعتدال ١/ ١١١، رقم ٤٣٧، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٩٢ـ ١٠٩٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٣ـ ٤٦٤ رقم ٣٠٥، والرواة الثقات ٤٩ رقم ٥، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٤٥، والوافي بالوفيات ٧/ ٨١ـ ٨٤، وعيون التواريخ (المخطوط) ١٢/ ١٧٦ ب، ومرآة الجنان ٣/ ٥٢ـ ٥٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ٧، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٤٧٤ـ ٤٧٥، والبداية والنهاية ١٢/ ٤٥، والوفيات لابن قنفذ ٢٣٩، وغاية النهاية ١/ ٧١ رقم ٣١١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٠٦ـ ٢٠٧ رقم ١٦٣، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٣٩، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن الدمياطي ٤٩ـ ٥٢ رقم ٣٥، ولسان الميزان ١/ ٢٠١ رقم ٦٣٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٠، وطبقات الحفاظ ٤٣٢ رقم ٩٦٠، وتاريخ الخلفاء ٤٢٢، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٤١ـ ١٤٢، ومنهج المقال ٣٧، وتنقيح المقال ١/ ٦٥، ومنتهى المقال ٣٦، وشذرات الذهب ٣/ ٢٤٥، وديوان الإسلام ٤/ ٣١١ـ ٣١٢ رقم ٢٠٨٧، وروضات الجنات ٧٥، وهدية العارفين ١/ ٧٤ـ ٧٥، وأعيان الشيعة ٩/ ٥ـ ١٣، والأعلام ١/ ١٥، ومعجم المؤلفين ١/ ٢٨٢، وتاريخ التراث العربي ١/ ٨٨، ١٠١، ١٠٤، ١١٧، ١٤٠، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢١٤، ٢/ ٢٨٦، ٣/ ٤١٥، ٦٣٥، ٦٦٤، ٦٦٥، ومعجم طبقات الحفّاظ ٥٣ رقم ٩٥٨، تاريخ الاسلام (السنوات ٤٢١ـ ٤٤٠هـ) ص ٢٧٤ رقم ٣٢٨.

منهم يقرأ ما يريده إلى قريب الظهر، فإذا قام إلى داره، ربما كان يُقرأ عليه في الطريق جزءٌ، وكان لا يضجُر، لم يكن له غذاء سوى التسميع، والتصنيف.

وقال حمزة بن العباس العلوي: بقي أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير، لا يوجد شرقاً ولا غرباً أعلى إسناداً منه، ولا أحفظ منه. وكانوا يقولون: لما صنَّف كتاب الحلية؛ حمل في حياته إلى نيسابور، فاشتروه بأربعمائة دينار، وله كتاب «تاريخ أصبهان» و«دلائل النبوة»، و«المستخرج على كل واحد من الصحيحين»، و«فضائل الصحابة»، وغير ذلك من تصانيف كبارٍ وصغار.

توفي في صفر، وقيل: في الحادي والعشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة بأصبهان.

ومنهم:

[٣٥]

أبو ذرّ الهروي، واسمه عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غُفَير الأنصاري، المالكي عُرف بابن السماك[1].

شيخ الحرم، طلع على الكعبة الغراء حيث يطلُع سهيل، وأرسى بمكة البطحاء حيث يرسى السيل، وزمزم الحادي له بذكر زمزمها، وزم المطيّ له إلى مأزمها، فاتخذ

(١) ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/ ١٤١ رقم ٥٨٣٨، والإكمال لابن ماكولا ٦/ ٢٢٨، وتبيين كذب المفتري ٢٥٥ـ ٢٥٦، والمنتظم ٨/ ١١٥ـ ١١٦ رقم ١٥٤، (١٥/ ٢٨٧ـ ٢٨٨ رقم ٣٢٤٨)، والكامل في التاريخ ٩/ ٥١٤، والمنتخب من السياق ٤٠٠ـ ٤٠١ رقم ١٣٦١، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/ ٦٩٦ـ ٦٩٨، والعبر ٣/ ١٨٠ـ ١٨١، والمعين في طبقات المحدّثين ١٢٧ رقم ١٤٠٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٠٣ـ ١١٠٨، ودول الإسلام ١/ ٢٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٥٤ـ ٥٦٣ رقم ٣٧٠، والإعلام بوفيات الأعلام ١٨١، ومرآة الجنان ٣/ ٥٥، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٠ـ ٥١، والديباج المذهب ٢/ ١٣٢ـ ١٣٣، والعقد الثمين ٥/ ٥٣٩ـ ٥٤١، والوفيات لابن قنفذ ٢٤٠ رقم ٤٣٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٦، وطبقات الحفاظ ٤٢٥، وطبقات المفسّرين للداوودي ١/ ٣٦٦ـ ٣٦٨، ونفح الطيب ٢/ ٧٠ـ ٧١، وكشف الظنون ٤٤١، ١٦٧٣، ١٨٣٠، وشذرات الذهب ٣/ ٢٥٤، وتاج العروس ٣/ ٤٥٣، وهدية العارفين ١/ ٤٣٧ـ ٤٣٨، وديوان الإسلام ٢/ ٣٠٧ـ ٣٠٨ رقم ٩٦٨، والرسالة المستطرفة ٢٣، وشجرة النور الزكية ١٠٤، ١٠٥، رقم ٢٦٨، والأعلام ٣/ ٢٦٩، ومعجم المؤلفين ٥/ ٦٥، وفهرس الفهارس ١/ ١١٠، وتاريخ التراث العربي (طبعة الرياض) ١/ ٤٧٩ رقم ٣٣٣، ومعجم طبقات الحفاظ ١٠٦ رقم ٩٦٢، ومدرسة الحديث في القيروان ٢/ ٧١٥، تاريخ الاسلام (السنوات ٤٢١ـ ٤٤٠هـ) ص ٤٠٤ رقم ١٢٠.

الله جاراً، وأقام ببيته بالبلد الحرام داراً، وكان مِنْ أفضل من ضمّه في عصره وأخشباها، وحوته أباطح مكة ورباها، وأشرقت به قلاع ذلك الوادي حيث لعبت بأعطاف / ٢٠٢/ المبان مهابّ صَباها.

سمع بهراة، وسرخس، وبلخ، ومرو، والبصرة، وبغداد، ودمشق، ومصر، وجاور بمكة، وألّف مُعجماً لشيوخه، وعمل الصحيح، وصنّف التصانيف.

قال أبو بكر الخطيب: قدم أبو ذر بغداد، وأنا غائب، فحدَّث بها، ثم حجَّ، وجاور، ثم تزوج في العرب، وسكن السروات، فكان يحج كل عام، ويحدّث، ويرجع، وكان ثقة ضابطاً ديناً.

وقال الحسن بن بقي المالقي: حدّثني شيخ قال: قيل لأبي ذر أنت هرويّ فمن أين تمذهبت بمذهب مالك، ورأي الأشعري؟ قال: قدمت بغداد وكنت ماشياً مع الدارقطني فلقينا القاضي أبا بكر بن الطيب فالتزمه الدارقطني وقبّل وجهه وعينيه؛ فلما افترقنا، قلت: من هذا؟ قال: هذا إمام المسلمين، والذابّ عن الدين القاضي أبو بكر ابن الطيب، فمن ذلك تكررت إليه وتمذهبت بمذهبه.

وقال عبد الغافر في تاريخ نيسابور: كان أبو ذر زاهداً ورعاً عالماً سخياً لا يدَّخر شيئاً، وصار من كبار مشيخة الحرم، مشاراً إليه في التصوّف، خرج على الصحيح تخريجاً حسنا، وكان حافظاً كثير الشيوخ.

قال: وتوفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة.

والصواب قول أبي علي بن سُكرة: إنه توفي في عقب شوال سنة أربع وثلاثين، وقال الخطيب: في ذي القعدة سنة أربع.

ومنهم:

[٣٦]

أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي الخسرُوجرْدي(١) الفقيه الشافعي الحافظ المشهور أبو بكر

واحد زمانه، وفرد أقرانه، أجل أصحاب أبي عبد الله الحاكم في الحديث، ثم

---

(١) ترجمته في: تبيين كذب المفتري ٢٦٥ـ ٢٦٧، والمنتظم ٨/ ٢٤٢ رقم ٢٩٢ (١٦/ ٩٧ رقم ٣٣٨٧) والأنساب ٢/ ٣٨١، ومعجم البلدان ١/ ٥٣٨، ٢/ ٣٧٠، والكامل في التاريخ ١٠/ ٥٢، واللباب ١/ ١٦٥، والمنتخب من السياق ١٠٣ـ ١٠٤ رقم ٢٣١، والتقييد لابن النقطة ١٣٧ـ ١٣٩ رقم =

الزائد عليه في أنواع العلوم، لا بل أنواء الغيوم، لا بل أنداء معين الصباح /٢٠٣/ الطافي على حدائق النجوم، تتحلى الشمس لمشابهة علمه المضيء بما اتفق، ويتسلى البدر لمشابكة أصله البيهقي فيما يرمى به من البهق، قام بنصر الشافعي إمامه، ونشر أيامه، وتخريج الحديث الصحيح أدلةً على أحكامه.

وكان متقللاً إلاّ من الخير، ومتعللاً باليسير من الدنيا، مخفّاً لسرعة السير، لم يعد طريقة من مضى، ولم يُعَدّ عليه ما يُعاب به في مدّة حياته ـ رحمه الله ـ حتى قضى.

أخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي، وغلب عليه الحديث، واشتهر به، ورحل في طلبه إلى العراق، والجبال، والحجاز.

وسمع بخراسان من علماء عصره؛ وكذلك ببقية البلاد التي انتهى إليها، وشرع في التصنيفات فصنّف كثيراً حتى قيل: تَبْلُغ تصانيفه ألف جزء؛ وهو أول من جمع نصوص الشافعي في عشر مجلدات.

ومن مشهور مصنّفاته «السنن الكبير»[١]، «والسنن الصغير»[٢]، «ودلائل

= ١٥٧، وطبقات الشافعية لابن الصلاح (مخطوط) ورقة ٣٢ب، والمبهمات للنووي (مخطوطة) ورقة ٣٥أ، وأسماء الرجال للطيبي (مخطوطة) ورقة ٤٧أ، ووفيات الأعيان ١/ ٧٥ـ ٧٦، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٥، ودول الإسلام ١/ ٢٦٩، والعبر ٣/ ٢٤٢، والمعين في طبقات المحدّثين ١٣٢ رقم ١٤٥٧، والإعلام بوفيات الأعلام ١٨٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٣ـ ١٧٠، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٣٢ـ ١١٣٥، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧١، ٣٧٢، وفوات الوفيات ١/ ٧٥، والوافي بالوفيات ٦/ ٣٥٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/٨ـ ١٦، ومرآة الجنان ٣/ ٨١ـ ٨٢، والبداية والنهاية ١٢/ ٩٤، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٩٨ـ ٢٠٠، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٢٥ـ ٢٢٧ رقم ١٨٢، والوفيات لابن قنفذ ٢٤٦، صلة الخلف بموصول السلف للوداني (نُشر في مجلّة معهد المخطوطات العربية بالكويت) المجلّد ٢٩ ج١/ ٣٦، ٤٣، ٦٣، و٢/ ٤٩٠، ٣/ ٣٦١، ٣٦٣ (سنة ١٩٨٥)، وتاريخ الخميس للدياربكري ٢/ ٤٠٠، ومفتاح السعادة ٢/ ١٤٣، وطبقات الحفاظ ٤٣٣، ٤٣٤، وتاريخ الخلفاء ٤٢٣، وكشف الظنون ١/ ٩، ٥٣، ١٧٥، ٢٦١، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٥٩ـ ١٦٠، وشذرات الذهب ٣/ ٣٠٤ـ ٣٠٥، وروضات الجنات ٦٩ـ ٧٠، وهدية العارفين ١/ ٧٨، والرسالة المستطرفة ٣٣، والأعلام ١/ ١١٦، ودائرة المعارف الإسلامية ٤/ ٤٢٩ـ ٤٣٠، ومعجم المؤلفين ١/ ٢٠٦، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ٥١ رقم ٩٧٩، وانظر مقدّمة كتابه: الزهد الكبير، للشيخ عامر أحمد حيدر، وكتاب البعث والنشور، تاريخ الاسلام (السنوات ٤٤١ـ ٤٦٠هـ) ص ٤٣٨ رقم ١٩٧.

(١) طبع في حيدر آباد ـ الهند ١٣٤٤ـ ١٣٤٥هـ في ١٠ مجلدات.

(٢) طبع في مجلد ضخم.

النبوة»[١]، «والسنن والآثار»[٢]، «وشعب الإيمان»[٣]، «ومناقب الشافعي»[٤]، «ومناقب أحمد». وكان قانعاً من الدنيا بالقليل.

وقال إمام الحرمين: ما من شافعي المذهب إلاّ وللإمام الشافعي عليه منّة إلا أحمد البيهقي؛ فإنَّ له منّة على الشافعي، وكان من أكثر الناس نصراً لمذهب الشافعي. وطلب إلى نيسابور، لنشر العلم، فأجاب، وانتقل إليها. وكان على سيرة السلف؛ وأخذَ الحديث عنه جماعة من الأعيان منهم: زاهر الشحامي، ومحمد الفراوي، وعبد المنعم القشيري.

ومولده في شعبان سنة اربع وثمانين وثلاثمائة.

وتوفي في عاشر جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور، ونقل إلى بيهق ـ رحمه الله تعالى ـ

/ ٢٠٤/ ومنهم:

[٣٧]

الخطيب، أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد البغدادي[٥]

خطيب بغداد الحافظ حقّاً، والحافل سحاباً قدح فهمه برقا، والحافز صَباً هبَّت

---

(١) دلائل النبوة معرفة أحوال صاحب الشريعة، يقع في أربع مجلدات طبع الأول والثاني منه بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ـ السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٩هـ، ثم طبع مرة أُخرى كاملاً بتحقيق د. عبد المعطي قلعجي في ٧ مجلدات ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥هـ.

(٢) معرفة السنن والآثار يقع في أربع مجلدات، الأول منه بتحقيق السيد أحمد صقر، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

(٣) يقع في مجلدين.

(٤) طبع بتحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة ١٩٧١.

(٥) ترجمته في: المنتظم ٨/ ٢٦٥ـ ٢٧٠ رقم ٣١٢ (١٦/ ١٢٩ـ ١٣٥ رقم ٣٤٠٧)، والأنساب ٢/ ٣٨٤، وأدب الإملاء والاستملاء لابن السمعاني ١٧٣، وتبيين كذب المفتري ٢٦٨ـ ٢٧١، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٥/ ٣١ـ ٤١ رقم ١٦، وتاريخ دمشق (أحمد بن عتبة ـ أحمد بن محمد ابن المؤمّل) ٧/ ٢٢ـ ٣٠، وفهرسة ما رواه عن شيوخه للإشبيلي ١٨١ـ ١٨٢، ومعجم الأدباء ٤/ ١٣، ٤٥، ومعجم السفر (المصوّر) ٢/ ٣٤٥، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ومعجم البلدان ١/ ١٥٨، ومعجم الألقاب لابن الفوطي ج٤ ق٢/ ١١٢٧، والتقييد لابن نقطة ١٥٣ـ ١٥٥ رقم ١٧٦، والاستدراك (مخطوط) له، ورقة ٤ب ـ ٥أ، واللباب ١/ ٤٥٣ـ ٤٥٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٦٨، وتاريخ دولة آل سلجوق ٤٥، وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ١٠٥ (في حوادث سنة ٤٦٤هـ)، والمنتخب من السياق ١٠٧ رقم ٢٣٦، ووفيات الأعيان ١/ ٩٢ـ ٩٠، ومختصر تاريخ =

غرباً، ونشأت شرقاً، والحافر معدناً لا يذهب ذهبه ولا تبقى جذوة الشرق إلاّ أنها لا تتلهب، وحلة بغداد ودجلة كمّها الأزرق، وشعاع البدر طرازها المذهب، شرف منبرها بِرُقِيِّه، وواصل سندها. وعن أبي بكر يروي حديث عُليّة، وصاحب تاريخها الذي قلَّ معه جمع ابن عساكر، وصَدِيتْ مرآة ابن الجوزيّ في وجه الناظر، وأصبح كل معجم سبق قبله لا يبين، أو جاء بعده منقطع القرين، لا بل كلّ تاريخ جرى به سابق قلم وراءه قد وقع مغشياً عليه، ساكت الحسن، خافت الأنين.

كان من الحفاظ المتقنين، والعلماء المتبصرين، ولو لم يكن له سوى التاريخ، لكفاه، فإنه يدلّ على اطلاعٍ عظيم، وصنَّف قريباً من مائة مصنَّف، وفضله أشهر من أن يوصف.

أخذ الفقيه عن أبي الحسين المحاملي، وأبي الطيب الطبري، وغيرهما، وكان فقيهاً، فغلب عليه الحديث والتاريخ.

قال ابن ماكولا: كان أبو بكر الخطيب آخر الأعيان ممَّن شاهدناه معرفة، وحفظاً، واتقاناً، وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ وتفنناً في علله وأسانيده، وعلماً

= دمشق لابن منظور ٣/ ١٧٣ـ ١٧٦ رقم ٢١٠، ومختار ذيل تاريخ بغداد المعروف بتاريخ ابن منظور (مخطوطة كمبرج) ٦٣ـ ٦٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٧، والمعين في طبقات المحدّثين ١٣٣ رقم ١٤١٧، والرواة الثقات ٥١ رقم ٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠ـ ٢٩٦ رقم ١٣٧، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٣٥ـ ١١٤٦، والعبر ٣/ ٢٥٣، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩١، وتذكرة الحفاظ لابن عبد الهادي ٤/ ٢، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٥، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد للدمياطي ١٨/ ٥٤ـ ٦١، ومرآة الجنان ٣/ ٨٧ـ ٨٨، والبداية والنهاية ١٢/ ١٠١ـ ١٠٣، (١٠/ ١٤٤)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ١٢، والوافي بالوفيات ٧/ ١٩٠ـ ١٩٩، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٢٠١ـ ٢٠٣، والوفيات لابن قنفذ ٢٥١ـ ٢٥٢ رقم ٤٦٣، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٠٠، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٤٦ـ ٢٤٨ رقم ٢٠١، والنجوم الزاهرة ٥/ ٨٧، وطبقات الحفاظ ٤٣٤ـ ٤٣٦، وتاريخ الخلفاء ٤٢٣، وبغية الوعاة ١/ ١٥٨، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ١٦٤ـ ١٦٦، وكشف الظنون ٢٠٩، ٢٨٨، و٢/ ١٦٣٧، وشذرات الذهب ٣/ ٣١١ـ ٣١٢، وروضات الجنات ٧٨ـ ٧٩، وديوان الإسلام ٢/ ٢١٥ـ ٢١٦ رقم ٨٤٥، وإيضاح المكنون ١/ ٣٠، ٨٠، وهدية العارفين ١/ ٧٩، والرسالة المستطرفة ٥٢، وتهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٩٩ـ ٤٠٢، ودائرة المعارف الإسلامية ٨/ ٣٩١ـ ٣٩٣، وتاريخ آداب اللغة العربية ٢/ ٣٢٤، وتأنيب الخطيب للكوثري، الفهرس التمهيدي ١٦٥، ٣٧٠، وموارد الخطيب للدكتور أكرم ضياء العمري ١١ـ ٨٤، ومعجم المؤلفين ٢/ ٣، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ١/ ٣٣٣ـ ٣٤٩ رقم ١٦٢، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ٤٣٤ رقم ٩٨٢، تاريخ الاسلام (السنوات ٤٦١ـ ٤٧٠هـ) ص ٨٥ رقم ٦٤.

بصحيحه وغريبه، وفرده، ومنكره، ومطروحه.

قال: ولم يكن للبغداديين بعد الدارقطني مثله.

وقال أبو اسحاق الشيرازي: أبو بكر الخطيب يُشبَّه بالدارقطني ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه.

وقال السمعاني: كان الخطيب مهيباً وقوراً، ثقة، متحرياً، حجة، حسن الخط، كثير الضبط، فصيحاً، خُتم به الحفاظ.

وقال الفضل بن عمر النسوي: كنت بجامع صور عند الخطيب، فدخل عليه علويّ، وفي كمّه دنانير، فقال: /٢٠٥/ هذا الذهب تصرفه في مهماتك، فقطّب، وقال: لا حاجة لي فيه، فقال: كأنك تستقلُّه، ونفضَ كمّه على سجادة الخطيب، وقال: هي ثلاثمائة دينار، فخجل الخطيب، وقام، وأخذ سجادته، وراح. فما أنسى عزَّ خروجه وذُلَّ العلوي، وهو يجمع الدنانير.

قال أبو الفرج الأسفراييني: كان الخطيب معنا في الحجّ، فكان يختم كل يوم قريب الغياب قراءة ترتيل، ثم يجتمع عليه الناس، وهو راكب، يقولون: حدّثنا، فيُحدّث.

وقال عبد المحسن الشّيحي: عادلت الخطيب من دمشق إلى بغداد، فكان له في كل يوم وليلة ختمة.

وقيل: إنَّ الخطيب قدم بغداد، فظفر بجزءٍ فيه سماع القائم بأمر الله، فأتى دار الخلافة يستأذن في قراءة الجزء، فقال الخليفة: هذا رجل كبير، وليس غرضه السماع، فانظروا لعل له حاجة؟ فسألوه: ما حاجتك؟ قال: أن يؤذن لي في أن أُملي بجامع المنصور، فأذن له.

وحكى ابن عساكر بسنده: أنَّ الخطيب ذكر أنّه لما حجَّ شرب من ماء زمزم ثلاث شربات، وسأل الله ثلاث حاجات أخذاً بالحديث. فالأولى: أن يحدّث بتاريخ بغداد بها، والثانية: أن يُملي الحديث بجامع المنصور، والثالثة: أن يُدفن عند بشر الحافي فقضى الله ذلك.

ومولده في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

وتوفي في سابع ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة ببغداد.

وقيل: إنَّ الشيخ أبا إسحاق الشيرازي من جملة من حمل نعشه؛ لأنه انتفع به كثيراً، وكان يراجعه في تصانيفه.

والعجب أنه كان في وقته حافظ المشرق، وأبو عمرو بن عبد البرِّ حافظ المغرب، وماتا في عام واحدٍ.

وذكر ابن النجار في تاريخه: أنَّ أبا بكر بن زهر كان قد أعدَّ لنفسه قبراً إلى جانب بشر الحافي، وكان يمضي إليه في كل أسبوع مرة، وينام فيه، ويقرأ فيه القرآن كله، فلما مات أبو بكر /٢٠٦/ الخطيب، وكان قد أوصى أن يدفن إلى جانب قبر بشر الحافي، فجاء أصحاب الحديث إلى أبي بكر بن زهر، وسألوه أن يُدفن الخطيب في القبر الذي كان قد أعدَّه لنفسه، وأن يؤثره به، فامتنع من ذلك امتناعاً شديداً، وقال: موضع قد أعددته لنفسي من مُدّة سنين يؤخذ مني؟ فلما رأوا ذلك جاؤوا إلى والد الشيخ أبي سعد، وذكروا له، فأحضر الشيخ أبا بكر بن زهر، وقال: أنا لا أقول لك أعطهم القبر، ولكن أقول: لو أنَّ بشر الحافي في الأحياء، وأنت إلى جانبه، فجاء أبو بكر الخطيب يقعد دونك، كان يحسن بك أن تقعد أعلى منه؟ قال: لا، بل كنت أقوم، وأجلسه مكاني، قال: فهكذا ينبغي أن يكون الساعة، قال: فطاب الشيخ، وأذن لهم في دفنه، فدفنوه إلى جانبه بباب حرب، وكان قد تصدّق بجميع ماله، وهو مائتا دينار فرّقها على أرباب الحديث، والفقهاء، والفقراء في مرضه، وأوصى أن يُتصدّق بجميع ما عليه من الثياب، ووقف جميع كتبه على المسلمين، ولم يكن له عقب. وصنّف أكثر من ستين كتاباً، ورويت له منامات صالحة بعد موته، وكان قد انتهى إليه علم الحديث وحفظه في وقته.

ومنهم:

[٣٨]

أبو نصر بن ماكولا، واسمه علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن دُلف ابن الأمير الجواد أبي دلف القاسم بن علي العجلي الجَرْباذقاني، ثم البغدادي[1].

الأمير الكبير الحافظ النسّابة. نبعه من ذلك العرق، ولمعه من ذلك الحِذق، طلع حيث لا يوقد قبس، وجرى حيث ينقطع كل نفس، وسرى وريح السعادة تُجري السفن

(١) ترجمته في: تاريخ دمشق ط دار الفكر ٤٣/ ٢٦٣ـ ٢٦٥ رقم ٥١١٠ وفيه اسمه «علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف القاسم بن عيسٰى بن أبي القاسم العجلي»، و(تراجم: عاصم ـ عايذ) ص ١٠٣ (في ترجمة «عالي بن عثمان بن جني»)، والأنساب =

على اليبس، واقتعد ذروة كل بازل، وأطلّ على كل نازل، وفَرَى جلد كل ليلٍ عن صباحه، وقطع نهر كل نهارٍ يتدفق في بطاحه، حتى طاف أكثر البلاد، وأطال عمر الكدّ والاجهاد، حتى تلقّى العلم وتلقنه، /٢٠٧/ وانتقى محاسنه، وأتقنه، وعدّ لكل سيئة من سيئات السرى ألف حسنة، لا بل يزيد. إنما هذا شيء يجري على الألسنة. هذا إلى ما ينقل من أنساب، ويعرف به أيم قلمه إذا انساب، وغير هذا مما أوتي منه بغير حساب.

مولده في شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة[1] بعكبرا، وسمع ببغداد، ودمشق، ومصر، وبما وراء النهر، وخراسان، والجبال، والجزيرة، والسواحل، ولقي الحفاظ والأعلام، وحدّثه عنه شيخه أبو بكر بن الخطيب وآخرون.

قال شيرويه في طبقاته: كان الأمير أبو نصر يعرف بالوزير سعد الملك بن ماكولا، قدم رسولاً مراراً، وكان حافظاً متقناً عُني بهذا الشأن، ولم يكن في زمانه بعد الخطيب أحد أفضل منه. حضر مجلسه الكبار من شيوخنا، وسمعوا منه.

وقال أبو القاسم بن عساكر: ووزر أبوه للقائم أمير المؤمنين، وولي عمّه قضاء القضاة ببغداد، وهو الحسين بن علي.

= ٥١٥ب، والمنتظم ٩/ ٣ رقم ٣ (١٦/ ٢٢٦ رقم ٣٥٢٥)، ومعجم الأدباء ١٥/ ١٠٢ـ ١١١، والكامل في التاريخ ١٠/ ١٢٨، واللباب ٣/ ١٨٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٥ـ ٣٠٦، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٨/ ١٨٤ رقم ١٢١، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٩٤، ودول الإسلام ٢/ ١٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٦٩ـ ٥٧٨ رقم ٢٩٨، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٠٠، والمعين في طبقات المحدّثين ١٤٠ رقم ١٥٣٤، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١٢٠١، والعبر ٣/ ٣١٧، ومرآة الجنان ٣/ ١٤٣ـ ١٤٤، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٨١، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٠١ـ ٢٠٣، وفوات الوفيات ٣/ ١١٠ـ رقم ٢٠٨، وعقود الجمان للزركشي ٢٣٤أ، وطبقات ابن قاضي شهبة (في وفيات ٤٧٥هـ)، والنجوم الزاهرة ٥/ ١١٥ـ ١١٦، وطبقات الحفاظ ٤٤٤، وكشف الظنون ١٦٣٧، ١٧٥٨، وشذرات الذهب ٣/ ٣٨١ـ ٣٨٢، وهدية العارفين ١/ ٦٩٣، وديوان الإسلام ١٧٨، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٦٩، والأعلام ٥/ ٣٠، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٥٧، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٣/ ٣٦٤ـ ٣٦٧ رقم ١١٢٧، وتهذيب تاريخ دمشق ٧/ ١٣٤، والحياة الثقافية في طرابلس الشام للتدمري ٢٩٧ـ ٢٩٨، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ١٣٣ رقم ٦٩٨، تاريخ الاسلام (السنوات ٦٤١ـ ٦٥٠هـ) ص ١٤١ رقم ١٤٧.

وانظر مقدّمة كتابه «الإكمال» ومقدّمة كتابه «تهذيب مستمر الأوهام».

(١) قيل: وُلد سنة ٤٢١، وتوفي سنة ٤٧٥، أو ٤٧٦، أو ٤٧٩، أو ٤٨٥، أو ٤٨٦، أو ٤٨٧، أو ٤٨٩هـ.

قال: وولد في شعبان سنة إحدى وعشرين.

وقال الحميدي: ما راجعت الخطيب في شيء إلاّ وأحالني على الكتاب. وقال: حتى أكشفه، وما راجعت ابن ماكولا في شيء إلاّ وأجابني حفظاً كأنه يقرأ من كتاب.

وقال السمعاني: كان ابن ماكولا لبيباً، عالماً، عارفاً، حافظاً، ترشَّح للحفظ، حتى كان يقال له: الخطيب الثاني، وكان نحوياً مجوِّداً، وشاعراً مُبرّزاً، جزل الشعر، فصيح العبارة، صحيح النقل، ما كان في البغداديين في زمانه مثله. طاف الدنيا وأقام ببغداد.

وقال ابن النجار: أحبّ العلم من الصّبا، وطلب الحديث، وكان يحضر المشايخ إلى منزلهم، ويسمع منهم، ورحل، وبرع في الحديث، وأتقن الأدب، وله النظم، والنثر، والمصنّفات، ونفّذه المقتدي بالله رسولاً إلى سمرقند وبخارى لأخذ البيعة /٢٠٨/ له على ملكها طمغان الخان.

وقال هبة الله بن المبارك: اجتمعت بالأمير ابن ماكولا، فقال لي: خذ جزئين من الحديث فاجعل متون هذا الجزء لأسانيد هذا الجزء، ومتونه لأسانيد الأول حتى أردّه إلى حالته الأولى.

وقال مؤتمن الساجي، لم يلزم ابن ماكولا طريق أهل العلم، فلم ينتفع بنفسه.

وقال ابن عساكر: سمعتُ إسماعيل بن السمرقندي يذكر أنّ ابن ماكولا كان له غلمان ترك أخداث، فقتلوه بجرجان سنة نيّف وسبعين وأربعمائة.

ونقل ابن النجار: أنه كان قد سافر نحو كرمان ومعه مماليكه الأتراك، فقتلوه، وأخذوا ماله سنة خمس وسبعين وأربعمائة. وفي تاريخ قتله خلاف كثير.

ومن شعره: [من البسيط]

قَوِّضْ خِيَامَكَ عَنْ دَارٍ أُهِنْتَ بِهَا ... وَجَانِبِ الذُّلَّ إنَّ الذُّلَّ مُجْتَنَبُ
وَارْحَلْ إذَا كَانَتِ الأَوْطَانُ مَضْيَعَةً ... فَالمَنْدَلُ الرَّطْبُ فِيْ أَوْطَانِهِ حَطَبُ

ومنه: [من الطويل]

وَلَمّا تَوَاقَفْنَا تَبَاكَتْ قُلُوبُنا ... فَمُمْسِكُ دَمْعِ العَيْنِ ذَاكَ كَسَاكِبِهْ
فَيَا كَبِدِي الحَرَّى الْبَسِي ثَوْبَ حَسْرَة ... فِرَاقُ الَّذِي تَهْوَيْنَهُ قَدْ كَسَاكِ بِهْ

ومنهم:

[٣٩]

أبو الفضل، محمد بن طاهر بن علي المقدسي(١)

الحافظ، المكثر الجوّال، ويعرف بابن القيسراني، الشيباني، وليس هو من أولاد

(١) ترجمته في: التحبير ١/ ٨٢، ١٩٩، ٢/ ٢٤٧-٢٤٩، ٢٥١، والأنساب ٢٧أ، ومعجم البلدان ١/ =

القيسراني الكتّاب. سرى للطب سُرى الخيال، وركب شهب الأيام، ودهم الليالي، وقطع قفر البيد يلمع آلُه، ويجمع الشتات ظِلالهُ، وسلك منه مسالك بحار الرياح في أفواجها، وتُفرق الصباح في أمواجها، ويصدى صديع النهار بظلمها، /٢٠٩/ وتخفق أحشاء النجوم في عتمها، إلى أن آب مملكاً، وآل أمره إلى أن أصبح كما أمسى الليل مدركاً.

سمع ببلده، وبمكة، ومصر، والثغر، ودمشق، وحلب، وبغداد، والجزيرة، وأصبهان، ونيسابور، وهراة، وجرجان، وآمد، واستراباذ، وبوشنج، والبصرة، والدينور، والري، وسرخس، وشيراز، وقزوين، والكوفة، والموصل، ومرو الروذ، وتوقات، ونهاوند، وهمدان، وواسط، وساوة، واسترباذ، والأنبار، واسفرايين، وآمل، والأهواز، وبسطام، وخسروجرد، وغير ذلك.

قال ابن عساكر: سمعت إسماعيل بن محمد الحافظ يقول: أحفظُ من رأيت محمد بن طاهر.

وقال أبو زكريا بن منده: كان ابن طاهر أحد الحفاظ، حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، صدوقاً، عالماً، بالصحيح والسقيم، كثير التصانيف، لازماً للأثر.

قال السلفي: سمعتُ ابن طاهر يقول: كتبت الصحيحين، وسنن أبي داود سبع

= ١٥٨، ومعجم البلدان ١/ ١٥٨، ومعجم الأدباء ١٤/ ٩٧، والتقييد لابن نقطة ٦٨- ٦٩ رقم ٥٥، والمنتظم ٩/ ١٧٧- ١٧٩ رقم ٢٩٣ (١٧/ ١٣٦- ١٣٨ رقم ٣٨١٥)، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٨٧، وميزان الاعتدال ٣/ ٥٨٧، تاريخ دمشق ط دار الفكر ٥٣/ ٢٨٠- ٢٨٣ رقم ٦٤٧١، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٤٢، والمعين في طبقات المحدّثين ١٤٩ رقم ١٦١٦، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٠٨، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢٢/ ٢٤٧ رقم ٣٠٤، والعبر ٤/ ١٤، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٦١- ٣٧١ رقم ٢١٣، ودول الإسلام ٢/ ٣٦، والمغني في الضعفاء ٢/ ٥٩٤ رقم ٥٦٤٣، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٣١- ٣٣، ومرآة الزمان ج٨ق١/ ٤٩- ٥٠، ومرآة الجنان ٣/ ١٩٥- ١٩٦، والوافي بالوفيات ٣/ ١٦٦- ١٦٨ رقم ١١٣٣، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٥- ٢٧، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧٦- ١٧٧، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٣١٦- ٣١٨، وطبقات النحويين واللغويين لابن قاضي شهبة ٥٣، ولسان الميزان ٥/ ٢٠٧- ٢١٠، والأنس الجليل ٢٦٥- ٢٦٦، وطبقات الحفاظ ٤٥٢، والمقفّى الكبير ٥/ ٧٣٤- ٧٤٢ رقم ٢٣٧٨، وكشف الظنون ٨٨، ١١٦، ١٨٠، وشذرات الذهب ٤/ ١٨، وهدية العارفين ٢/ ٨٢، ٨٣، وديوان الإسلام ٣/ ٢٤٤- ٢٤٥ رقم ١٣٨١، والأعلام ٦/ ١٧١، ومعجم المؤلفين ١٠/ ٩٩، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٤/ ٢٦- ٢٨ رقم ١٠١٩، وعلم التاريخ عند المسلمين ٥٨٦، ٦٠٠، ٧١٧، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين ١٥٧ رقم ١٠١٨، تاريخ الاسلام (السنوات ٥٠١- ٥٢٠هـ) ص ١٦٨ رقم ١٩٥.

مرات بالأجرة، وسنن ابن ماجه عشر مرات بالري.

وقال ابن طاهر: بلتُ الدم في طلب الحديث مرتين، مرةً ببغداد، ومرّة بمكة. كنت أمشي حافياً في الحرّ، فلحقني ذلك، وما ركبت دابة في طلب الحديث قطّ، وكنتُ أحمل كتبي على ظهري، وما سألتُ في حال الطلب أحداً، كنت أعيش على ما يأتي.

وقيل: كان يمشي دائماً في اليوم والليلة عشرين فرسخاً، وكان قادراً على ذلك، ومصنفاته كثيرة لكنه كثير الوهم، وكان لُحَنَةً ويصحف، ويرى إباحة السماع، ومولده سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

وقال ابن شيرويه في تاريخ همذان: ابن طاهر سكن همذان، وبنى بها داراً، وكان ثقة، حافظاً، عالماً بالصحيح والسقيم، حسن المعرفة بالرجال والمتون، كثير التصانيف، جيد الخطّ، لازماً للأثر، بعيداً من الفضول والتعصب، خفيف الروح، / ٢١٠/ قوي السير في السفر.

قال شجاع الذهلي: مات عند قدومه بغداد من الحجّ يوم الجمعة في ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة.

ومن شعره قوله: [من السريع]

سَارُوا بِهَا كَالبَدْرِ فِي هَوْدَجٍ ... يَمِيسُ مَحْفُوفاً بِأَتْرَابِهِ
فَاسْتَعْبَرَتْ تَبْكِيْ فَعَاتَبْتُهَا ... خَوفاً مِنَ الوَاشِيْ وَأَصْحَابِهِ
وَقُلْتُ لاَ تَبْكِي عَلَى هَالِكٍ ... بَعْدَكِ مَا يَبْقَى عَلَى مَا بِهِ
وَأَحْسَنُ المَوْتِ بِأَهْلِ الهَوَى ... مَنْ مَاتَ مِنْ فُرْقَةِ أَحْبَابِهِ

ومنهم:

[٤٠]

إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي التيمي الطليحي الأصبهاني[(١)]

شيخ الإسلام، أبو بكر الملقب بقوام السنة، صاحب «الترغيب والترهيب» من

(١) ترجمته في: الأنساب ٣/ ٣٦٨، والمنتظم ١٠/ ٩٠ رقم ١٨ (١٨/ ١٠ رقم ٤٠٦٦)، والتقييد لابن نقطة ٢١٠ـ ٢١١ رقم ٢٤٧، والكامل في التاريخ ١١/ ٨٠، واللباب ١/ ٣٠٩ـ ٣١٠، وتذكرة =

قريش في شزر ذؤاباتها، وذرى غاياتها، وزهر سماواتها الممرعة الحدائق، المرتفعة الطرائق، المسرّعة الأنوار، وسهيل عائم وصاحب السفينة غارق، رغب في الخير وعمله، ورهب من الشرّ وسوء عاقبة دوله، ودعا به إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والموقظة التي لم تدع على جفنٍ وسنه، ووسع صدره الإخوان على ضيق ما في يده وقلّته، وتقاعد الزمان عن سدّ خَلَّتِه، وتقاعس عنان الحظّ في يده إذ جمح، وسنَّ مداه لخَلَدِهِ إذْ جرح.

ولد سنة سبع وخمسين وأربعمائة، ورحلَ وسمع بعدّة مدائن، وأملى، وصنّف، وتكلّم في الرجال وأحوالهم، وحدّث عنه خلق.

وقال أبو موسى المديني: إسماعيل الحافظ، إمام أئمة وقته، وأستاذ علماء عصره، وقدوة أهل السنة في زمانه، لا أعلم أحداً عاب عليه قولاً، ولا فعلاً، ولا عانده أحد إلاّ ونصره الله عليه، وكان نَزِه النفس عن المطامع، /٢١١/ لا يدخل على السلاطين ولا على من اتَّصل بهم. وقد أخلى داراً من ملكه لأهل العلم مع خفّة ذات يده، ولو أعطاه الرجل الدنيا بأسرها، لم يرتفع عنده. أملى ثلاثة آلاف وخمسمائة مجلس، وكان يُملي على البديهة.

وأصمت في صفر سنة أربع وثلاثين، ثم فلج بعده مدّة.

وقال يحيى بن منده، كان حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، قليل الكلام ليس في وقته مثله.

وقال عبد الجليل بن محمد: سمعتُ أئمة بغداد يقولون: ما رحل إلى بغداد بعد الإمام أحمد أفضل من الإمام إسماعيل.

وقال أبو موسى المديني في ذكر من هو على رأس المائة الخامسة: لا أعلم أحداً

= الحفاظ ٤/ ١٢٧٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٨٠، والإعلام بوفيات الأعلام ٢١٩، والعبر ٤/ ٩٤، ودول الإسلام ٢/ ٥٥، ومرآة الزمان ج٨ق١/ ١٧٧، وعيون التواريخ ١٢/ ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٣٥٩ـ ٣٦١، والوافي بالوفيات ٩/ ٢١١، ومرآة الجنان ٣/ ٢٦٣، والبداية والنهاية ١٢/ ٢١٧، وطبقات المفسّرين للسيوطي ٨، وتاريخ الخلفاء، له ٤٤٢، وطبقات الحفاظ ٤٦٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٦٧، وطبقات المفسّرين للداوودي ١/ ١١٤، وشذرات الذهب ٤/ ١٠٥ـ ١٠٦، وكشف الظنون ١٢٣، ٢١١، ٤٠٠، وهدية العارفين ١/ ٢١١، والرسالة المستطرفة ٥٧، وتاريخ الأدب العربي ٦/ ٣٩ـ ٤٠، وديوان الإسلام ٢/ ٣٢ رقم ٦٠٧، والأعلام ١/ ٣٢٣، ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٩٣، تاريخ الاسلام (السنوات ٥٢١ـ ٥٤٠هـ) ص ٣٦٧ رقم ٢٢٨.

في ديار الإسلام يصلح لتأويل الحديث إلا إسماعيل الحافظ.

قال أبو موسى: صنّف التفسير في ثلاثين مجلداً، سماهُ «الجامع»، وله تفسير آخر في أربع مجلدات، والموضح في التفسير في ثلاث مجلدات، وكتاب «المعتمد في التفسير» عشر مجلدات، وله مصنّفات كثيرة مفيدة. وكان عالماً باللغة والأدب، عارفاً قريش في شزر ذؤاباتها، وذرى غاياتها، وزهر سماواتها الممرعة الحدائق، المرتفعة بالأسانيد والمتون، ووهب أكثر أصوله في آخر عمره.

قال: وكانت وفاته يوم الأضحى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، وأجتمع في جنازته خلق كثير لم أر مثلهم كثرة ـ رحمه الله تعالى ـ

ومنهم:

[٤١]

أبو سعد، عبد الكريم ابن تاج الإسلام أبي بكر بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي(١)

صاحب التصانيف. قسماً لقد أسمع بها السمعاني آذاناً، ولقد طرق بها القلوب، لا يطل استئذاناً، ولقد رحل، فلم يدع موضعاً يسمع به أذانا، ولقي الرجال، فما خلّى

---

(١) عبد الكريم بن محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبّار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن الفضل ابن الربيع بن مسلم بن عبد الله.
ترجمته في: تاريخ دمشق ط دار الفكر ٣٦/ ٤٤٧ـ ٤٤٩ رقم ٤١٩٥، والمنتظم ١٠/ ٢٢٤ـ ٢٢٥ رقم ٣١٧ (١٨/ ١٧٨ـ ١٧٩ رقم ٤٢٦٩) في وفيات ٥٦٣هـ، والكامل في التاريخ ١١/ ٣٣٣، واللباب ١/ ١٣ـ ٢٦، وطبقات فقهاء الشافعية لابن الصلاح (انظر فهرس الأعلام) ٢/ ٩٨٠ـ ٩٨١، والروضتين ج١ق٢/ ٣٧٨، والتقييد لابن نقطة ٣٦٧ـ ٣٦٨ رقم ٤٧٠، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٠٩ـ ٢١٢، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٤٤، والعبر ٤/ ١٧٨، ودول الإسلام ٢/ ٧٦، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٥٦ـ ٤٦٥ رقم ٢٩٢، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣١٦ـ ١٣١٨، والمعين في طبقات المحدّثين ١٦٩ رقم ١٨١٢، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٣١، والمختصر المحتاج إليه لابن الدبيثي ٣/ ٦٧ رقم ٨٦٦، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٥/ ١٨٠ـ ١٨١ رقم ١٧٥، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٧٢ـ ١٧٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٧٣، مرآة الجنان ٣/ ٣٦٦ـ ٣٦٧، ٣٧١ـ ٣٧٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٧/ ١٨٠ـ ١٨٥، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٥٥، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧٥ (سنة ٥٠٦هـ) و١٢/ ٥٤ (سنة ٥٦٢هـ)، والوافي بالوفيات (مخطوطة باريس) رقم ٢٠٦٦ ورقة ٢٤٩ـ ٢٥٠، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٣٤٤ـ ٣٤٥ رقم ٣١٠، وتاريخ ابن الفرات ٤٢ ج ١/ ١١ـ ١٣، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٠٨، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٥ (٥٦٢هـ) و٥/ ٣٧٨ (٥٦٣هـ) وطبقات الحفاظ ٤٧١، والأنس الجليل =

معجمه، وفخم /٢١٢/ طراز تعلمه، وفخر لظهور تقدّمه، وأدَّبه طول التغرّب فصفا زُلالاً، وأدّى به إلى أن شفَّ ذُبالا، حتى قال: السمعاني، فسكت من أراد أن يتكلم، وطارت سمعته، فوقع دونه كلُّ من حوّم، وخاض تيار الكفار لزيارة شدّ إليها رحله، ولم يهب موجه المتلاظم، وشق شقاشق رعودهم، ولم يخف نوءَهم المتراكم.

ولد في شعبان سنة ستّ وخمسمائة، وحمله والده إلى نيسابور في آخر سنة تسع، فلحق بحضوره عدّة شيوخ، ومات أبوه سنة عشر، فتربى مع أعمامه وأهله، وحفظ القرآن والفقه، ثم حُبِّب إليه شأن الحديث، فاعتنى به، ورحل إلى الأقاليم النائية، وعمل المعجم في عدة مجلدات.

وكان ذكياً فهماً، سريع الكتابة، مليحها. درس وأفتى، ووعظ وأملى، وكتب عَمّن دبّ، ودرج، وكان ثقة، حافظاً، حجةً، واسع الرحلة، عدلاً، ديناً، جميل السيرة، حسن الصحبة، كثير المحفوظ.

قال ابن النجار: سمعت من يذكر أن عدد شيوخه سبعة آلاف شيخ. وهذا شيء لم يبلغه أحد، وكان مليح التصانيف، كثير النشوار والأناشيد لطيف المزاج، ظريفاً. سمع منه مشايخه وأقرانه.

ثم سرد ابن النجار تصانيفه، ونقل أسماءها من خطّه في نيف وعشرين سطراً.

وقد ذهب أبو سعد إلى بيت المقدس وزاره، والنصارى يومئذٍ ولاتُه، وكانت وفاته في ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائة .جماعاتٍ ولا شُذّانا، طلباً اتسع به ذيل ارتحاله، واندفع سيل جداله، وضخم به قدر.

ومنهم:

= ٢٦٨، ومفتاح السعادة ١/ ٢٠٦، وتاريخ ابن سباط ١/ ١١٨ (سنة ٥٦٣هـ)، وكشف الظنون ٣٥، ٤٩، ٨٦، ١٣١، ١٦١، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٩، ٢٨٨، ٣٠٣، ٣٧٠، ٣٧٤، ٧٢٩، ٧٥٦، ٩٠٢، ٩٩٨، ١١٠٨، ١١٢٣، ١٧٣٥ـ ١٧٣٧، وشذرات الذهب ٤/ ٢٠٥، ٢٠٦، وروضات الجنات ٤٤٦، وهدية العارفين ١/ ٦٠٨، ٦٠٩، وإيضاح المكنون ٢/ ٣٠، ومعجم المطبوعات ١٠٤٨ـ ١٠٤٩، والفهرس التمهيدي ٣٦١، وديوان الإسلام ٣/ ٣٩ـ ٤٠ رقم ١١٥٠، وتاريخ الأدب العربي ٦/ ٦٣ـ ٦٦، والأعلام ٤/ ٥٥، ومعجم المؤلفين ٦/ ٤ـ ٥، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ق٢ ج ٣/ ٢٣٢ رقم ٥٧٨، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ١١٤ رقم ١٠٥٥، وعلم التاريخ عند المسلمين (انظر فهرس الأعلام) ٨١٩، وآداب اللغة العربية ٣/ ٦٨، وجزء فيه وفيات جماعة من المحدثين ٩٢ رقم ١٩٣، تاريخ الاسلام (السنوات ٥٦١ـ ٥٧٠هـ) ص ١١٨ رقم ٥٩ .

[٤٢]

أبو القاسم، عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر(١)

الإمام الحافظ، فخر الأئمة، محدّث الشام، ثقة الدين، صاحب التصانيف، والتاريخ الكبير. ممن ولدته دمشق، وولّته ما يستحق، وشرَّفته على أبنائها، وصرَّفته في أبنائها، وعرّفته أسرار أنبائها /٢١٣/، وأخبار أنبيائها، وأوقعته على أندية سكانها، ووافقته على تطهير أوطانها، وخاطبته شفاهاً، لو أنّها تتكلّم، ولاعبته أعطاف صباها،

---

(١) ترجمته في: خريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٢٧٤- ٢٨٠، والمنتظم ١٠/ ٢٦١ رقم ٣٥٦ (١٨/ ٢٢٤، ٢٢٥ رقم ٤٣١٠)، ومعجم الأدباء ١٣/ ٧٣- ٨٨، ومعجم البلدان ١/ ٤٥٤، والتقييد لابن نقطة ٤٠٥- ٤٠٦ رقم ٥٣٨، وذيل تاريخ دمشق (انظر فهرس الأعلام) ٣٧٧، والروضتين ج ١/ ٢/ ٦٦٧، وجامع المسانيد للخوارزمي ٢/ ٥٣٩، ومرآة الزمان ٣٣٦- ٣٣٧، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٠٩ - ٣١١، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٥٩، ودول الإسلام ٢/ ٨٥، والعبر ٤/ ٢١٢- ٢١٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٥٤- ٥٧١ رقم ٣٥٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٢٨- ١٣٣٤، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٣٥، والمختصر المحتاج إليه ٣/ ١٢١- ١٢٢، وبدائع البدائه ١٧، ٨٩٢، ٩٨، ١٢٥، ١٢٨، ١٦٨، والمعين في طبقات المحدّثين ١٧٣ رقم ١٨٥٦، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٨٦- ١٨٩ رقم ١٤١، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٨٧، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٧/ ٢١٥- ٢٢٣، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢١٦- ٢١٧ رقم ٨٣٨، ومرآة الجنان ٣/ ٣٩٣- ٣٩٦، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٩٤، وطبقات الشافعية لابن كثير (مخطوط) ١٣٥ب - ١٣٧أ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٣٤٥- ٣٤٦ رقم ٣١١، وذيل التقييد لقاضي مكة ٢/ ١٨٨ رقم ١٤٠٧، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٠٩، والنجوم الزاهرة ٦/ ٧٧، وطبقات الحفاظ ٤٧٤- ٤٧٥، وتاريخ الخلفاء ٤٤٨، والدارس في تاريخ المدارس ١/ ١٠٠- ١٠١، ومفتاح السعادة ١/ ٢٦٦- ٢٦٧، ٢/ ٢٦٧، ٢/ ٣٥٢، وتاريخ ابن سباط (تحقيق التدمري) ١/ ١٤٢ (٥٧٠هـ)، وكشف الظنون ٥٤، ٥٧، ١٠٣، ١٦٢، ٢٩٤، ٣٤٠، ٣٤٢، ٥٢٦، ٥٧٤، ٩٧٤، ١٧٣٦، ١٧٤٧، ١٨٣٦، وشذرات الذهب ٤/ ٢٢٩- ٢٤٠، وهدية العارفين ١/ ٧٠١- ٧٠٢، وإيضاح المكنون ١/ ٢٢٤، وديوان الإسلام ٣/ ٣٣٤- ٣٣٦ رقم ١٥١١، ومنتخبات التواريخ لدمشق ٤٧٨- ٤٧٩، ومعجم المطبوعات العربية ١٨١- ١٨٢، وكنوز الأجداد ٣٠٦- ٣١٣، وتاريخ الأدب العربي ٦/ ٦٩- ٧٣، ومعجم المؤلفين ٧/ ٦٩، ٧٠، والأعلام ٤/ ٢٧٣، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي (للتدمري) ق٢/ ج٣/ ٣٤- ٣٦ رقم ٧١٨، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ١٣٠ رقم ١٠٥٩، وانظر كتاب: ابن عساكر، الذي أصدرته وزارة التعليم العالي بالجمهورية العربية السورية بمناسبة مرور ٩٠٠ سنة على ولادته، فهو يضم مصادر ترجمته وأبحاثاً كبيرة عنه، وعن تاريخ دمشق، تاريخ الاسلام (السنوات ٥٧١- ٥٨٠هـ) ص ٧٠ رقم ١١ .

فإما عرف حقائق أخبارها، وإما تنسَّم، فاستطالت به، وطال لسانها، وشكر إحسانها، وعاد بها عصر آل جفنة وحسّانها، ومُثّلت خلفاؤها من بني مروان، ومن خلفهم إلى من آواهم ذلك الأوان، ومن وفد عليها، وورد إليها، وبحث عما بين العريش إلى الفرات، حتى حسرت عن كنوزها، وسحرت برموزها، وشنأت العراق وعيَّرتها بغدر ابن جرموزها، وعابتها إذ ذكرت أيام صفين بنشوزها، وأصغرت قدر تاريخها، وقد جهد فيه الخطيب، وجمد عليه، وما اهتزَّ غصنه الرطيب حميَّة توقَّدت بين جانبيه لبلدته التي أخرجته من أقدم بيوتها، وجاءت به مفاخرها لثبوتها، من بقيةٍ كان زمان يزيد بن معاوية أوّلهم، ثم انتهى إليه موئلهم، ثم ما ارتفع بعده لبيته المنيف جدار، ولا ألمَّ الفضل له بدار.

ولد سنة تسع وتسعين وأربعمائة في أولها، وسمع سنة خمس وخمسمائة باعتناء أبيه وأخيه الإمام صائن الدين هبة الله، وعدد شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ، ونيّف وثمانون امرأة.

وصنّف التاريخ في ثمانين مجلّداً، وله مصنَّفات أخر تقارب ثلاثين مجلداً، وأما الأجزاء فشيء كثير، وأملى في أبواب العلم أربعمائة مجلس وثمانية مجالس، وخرَّج لجماعة.

قال السمعاني: أبو القاسم حافظ ثقة متقن دين خير حسن السمت، جمع بين معرفة المتن والإسناد، وكان كثير العلم غزير الفضل صحيح القراءة متثبّتاً، رحل وتعب، وبالغ في الطلب، وجمع ما لم يجمعه غيره، وأربى على الأقران.

/ ٢١٤/ وحُكي عن الفراوي قال: قدم ابن عساكر فقرأ ثلاثة أيام، فأكثر وأضجرني، وآليتُ على نفسي أن أغلق بابي؛ فلما أصبحنا قدم عليّ شخص، وقال: أنا رسول رسول الله ﷺ اليك. قلتُ: مرحبا بك! فقال: قال لي في النوم: امض إلى الفراوي، وقُلْ له: قدم بلدكم رجل شامي أسمر اللون يطلب حديثي، فلا تملّ منه. قال الراوي: فما كان الفراوي يقوم حتى يقوم ابن عساكر.

وقال المحدّث بهاء الدين القاسم: كان أبي ـ رحمه الله ـ مواظباً على الجماعة والتلاوة ويختم كُلّ جمعة، ويختم في رمضان كل يوم، ويعتكف في المنارة الشرقية، وكان كثير النوافل والأذكار، ويُحيي ليلة النصف والعيدين بالصلاة والذكر، وكان يحاسب نفسه كل لحظة تذهب. قال لي: لما حملت أمي قيل لها في منامها: تلدين غلاماً يكون له شأن.

وحدّثني: أنَّ أباه رأى رؤيا معناها يُولد لك ابن يُحيي الله به السنة.

وقال أبو المواهب ابن صصري: كنت أذاكر أبا القاسم الحافظ عن الحفاظ الذين لقيهم، فقال: أما ببغداد فأبو عامر العبدري، وأما بأصبهان فأبو نصر اليونارتي، لكنَّ إسماعيل بن محمد الحافظ كان أشهر، فقلت: فعلى هذا ما رأى سيدُنا مثلَ نفسه؟، قال: لا تقل هذا، قال الله ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[(١)] قلت: فقد قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾[(٢)] فقال: لو قال قائل: إنّ عيني لم تر مثلي لصدق.

ثم قال أبو المواهب: وأنا لم أر مثله، ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه من لزوم طريقة واحدة مُدّة أربعين سنة، من لزوم الصلوات في الصف الأول إلاّ مِنْ عُذْرٍ، ومن الاعتكاف في رمضان، وعشر ذي الحجة، وعدم التطلع إلى تحصيل الأملاك، وبناء الدور. قد أسقط ذلك عن نفسه، وأعرض عن طلب المناصب /٢١٥/ من الإمامة، والخطابة، وأباها بعد أن عرضت عليه، وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

قال لي: لما عزمت على الحديث ـ والله المطّلع ـ أنه ما حملني على ذلك حبّ الرئاسة والتقدّم، بل قلت: متى أروي كل ما سمعت؟، وأيّ فائدة في كوني أُخَلِّفه في صحائف، فاستخرت الله، واستأذنت أعيان شيوخي، ورؤساء البلد، وطفت عليهم، فكلهم قال: من أحقّ بهذا منك؟ فشرعت في ذلك سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

وكان حافظ العصر أبو الحجاج المزّي يميلُ إلى أنَّ ابن عساكر ما رأى حافظاً مثل نفسه.

وقال الحافظ عبد القادر: ما رأيتُ أحفظ من ابن عساكر.

وقال ابن النجار: أبو القاسم إمام المحدّثين في وقته، انتهت إليه الرئاسة في الحفظ والإتقان، والثقة والمعرفة التامة، وبه ختم هذا الشأن، وكان فقيهاً أديباً سنياً.

[كان قد توجه لزيارة القدس، ثم أتى مصر، فأكرم الملك العزيز مقدمه، وسُرَّ به كافة أهل مصر.

كتب الفاضل إلى الملك الناصر في أمره كتاباً منه: «المملوك يقبّل الأرض بين يدي مولانا الملك الناصر، لا زالت عواطفه مرجوّة، ومحاسنه متلوّة، وعوارفه برّة بالحظوظ المحفوّة، ومكارمه تأخذ كتاب السؤال بقوّة، وينهي أنه كان قد وصل الخبر بأن الشيخ الفقيه الإمام الحافظ، أبا القاسم بن عساكر، قد زار بيت المقدس قدّس الله

(١) سورة النجم: الآية ٣٢.

(٢) سورة الضحى: الآية ١١.

فاتحه، ومنح النصر مانحه، فاستشرف أهل مصر شرف زيارته لقربه، واستشفعوا بالإمام الشافعي رحمه الله إلى قلبه، وأمَّلوا أن يقيمه علماؤهم للاستفادة وأولادهم للقراءة والإجادة فلما كان في أوائل شهر رمضان ورد الخبر بوصوله، وبأنَّه مريض، فهرع الخاصة والعامة لتقبله، وقضاء الحق الذي يوجبه منصب إمامته، ويقتضيه. ولا خفاء عن مولانا أنه أقرب رسل رسول الله ﷺ إلى هذه الأمة عهداً به، إسناداً عالياً، وفهماً واعياً، وذهناً وارياً، ولساناً راوياً، ولمّا لقيه المملوك، عرّفه أنه جمع بين الفرضين وهو الزيارة الشافعية، والإسماع لأهل الديار المصرية، وبِرّ الوفادة على الجانب الملكي العزيزي عزَّ جنابه، وسعد بالوافدين بابه، ذكر فيه ما استأذن عليه أن يجيء به»].

توفي في حادي عشر رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، ورؤي له منامات حسنة، ورُثي بقصائد، وقبره يزار بباب الصغير.

ومنهم:

[٤٣]

أبو موسى المَدِيني، واسمه محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى الأصبهاني(١)

الحافظ، المشهور.

---

(١) ترجمته في: الروضتين ٢/ ٦٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٨٦، وذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي ٢/ ٩٨ـ ١٠٠ رقم ٣١١، والمختصر المحتاج إليه ١/ ٨٣ـ ٨٥، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٧٠، والعبر ٤/ ٢٤٦، ودول الإسلام ٢/ ٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٥٢ـ ١٥٩ رقم ٧٨، والمعين في طبقات المحدّثين ١٧٩ رقم ١٩٠٦، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٣٤ـ١٢٣٦، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٤٠، وتاريخ ابن الوردي٢/ ٩٥، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٣٠ـ ٣١ رقم ٢٣، ومرآة الجنان٣/ ٤٢٣، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ٩٠، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٤٣٩ـ ٤٤٠، وطبقات الشافعية لابن كثير (مخطوط) ١٤٢ ب ـ ١٤٣ أ، والبداية والنهاية١٢/ ٣١٨، والوافي بالوفيات ٤/ ٢٤٦ـ ٢٤٧، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٣٧٣ـ ٣٧٤ رقم ٣٤٢، وغاية النهاية ٢/ ٢١٥ـ ٢١٦، وعقد الجمان (مخطوط) ١٧/ ورقة ٢١، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٠١، وتاريخ الخلفاء ٤٥٧، وشذرات الذهب ٤/ ٣٧٣، وكشف الظنون ٨٩، وإيضاح المكنون ١/ ٤٧٢، وهدية العارفين ٢/ ١٠٠، وديوان الإسلام ٤/ ١٩٦ـ ١٩٧ رقم ١٩٢٧، والأعلام ٦/ ٣١٣، ومعجم المؤلفين ١١/ ٧٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٨١ـ ٥٩٠هـ) ص ١٢٤ رقم ٣٥ .

فما به حاجة إلى التعريف، والمشهود فضله نوراً يشفّ في زجاج التصنيف، الأصبهاني الذي ما تنوّر البصائر إلاّ بكحل مداده، ولا يجلو بياض العين أنفع من كحل سواده، وزنت به الجبال، فرجح على سؤددها، وازَّيَّنَتْ به أصفهان، وليس سوى سيادته صيت إثمدها. رحل عن بلده أصفهان ثم عاد إليها مُشرّفاً مدينته لمدينتها، مشرّفاً أسوارها لحمايتها به ولزينتها، فحلَّ بها حيث يأوي الأسد من الغيل، وأقام يدوس لممها، وغيره يتمنّى أن يكتحل من ترابها بميل.

/ ٢١٦/ ولد في ذي القعدة سنة إحدى وخمسمائة بأصبهان. وكان إمام عصره في الحفظ والمعرفة، وله في الحديث وعلمه تواليف مفيدة، وصنّف كتاب «المغيث» في مجلد كمّل به كتاب «الغريبين» للهروي، واستدرك عليه، وله مصنفات أُخر ورحل عن أصبهان في طلب الحديث، ثم رجع إليها وأقام بها، وانتهى إليه التقدّم في هذا الشأن في علوّ الإسناد، والمعرفة التامة، والرواية الواسعة.

قال الدبيثي: عاش أبو موسى المديني، حتى صار أوحد وقته، وشيخ زمانه إسناداً وحفظاً.

وقال عبد القادر: حصل من المسموعات بأصبهان ما لم يتحصّل لأحد في زمانه، وانضمَّ إلى ذلك الحفظ والإتقان، وله شيء يسير يتربحُ به وينفق منه، ولا يقبل من أحد شيئاً قطّ، أوصى إليه غير واحد بمال فردّه، فيقال له: فرّقه على من ترى، فيمتنع. وكان فيه من التواضع بحيث إنه يقرىء الصغير والكبير، ويرشد المبتدئ. رأيته يحفظ الصبيان القرآن في الألواح، ويمنع من يمشي معه. فعلت ذلك مرّة فزجرني، وتردّدتُ إليه نحواً من سنة ونصف، فما رأيتُ منه، ولا سمعتُ عنه سقطة تعاب عليه.

وكان أبو مسعود كوتاه يقول: أبو موسى كنز مخفيّ.

وقال الحسين بن يوحنا الباوري: كنتُ في مدينة الخان، فسألني سائل عن رؤيا. قال: رأيتُ رسول الله ﷺ قد توفي، فقلت: إنْ صدقت رؤياك، يموت إمام لا نظير له في زمانه، فإنَّ مثل هذا الإمام رُئي حال وفاة الشافعي والثوري وأحمد، فما أمسينا حتى جاءنا الخبر بوفاة الحافظ أبي موسى.

وكانت وفاته ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بأصبهان.

/ ٢١٧/ قال عبد الله بن محمد الخُجَنْدي: لما مات أبو موسى، لم يكادوا أن يفرغوا حتى جاء مطر عظيم في الحرّ الشديد، وكان الماء قليلاً بأصبهان.

ومنهم:

[٤٤]

عبد الغنيّ بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ثم الصالحي الحنبلي(١) الحافظ تقي الدين، أبو محمد

صاحب التصانيف، وجبل الحجى الذي لا تنسفه الزعانيف، والقائم في ذات الله لا تأخذه لومة لائم يمضه تعنيفه، ويمضي فيه تصريفه، ويقضي عليه سيفه الماضي إما يقتله، وإما يخيفه، ما لان لمن قصد به غضاضة، ولا هان، وقد قذف نجمه يريد انقضاضه، بل رفعه الله من حيث أراد العدو أن يضعه، وقرّبه من حيث أبعد موضعه، ما ضرّه وهو الغمام أن أنأى محله، ولا نقصه وهو الذهب حيث أحلّه. وعاش لا يبالي بالخمول، وقد أنامه في مرقده، وأسكنه في قرارة مُلْحده، وألقاه في جانب بيتهِ لا يستطيع حراك لسانه ولا يده، وبقي لا يشكو قتراً ولا إقتاراً، ودام على هذا حتى مات، فتعوض خيراً من الأهل أهلاً، ومن الدار داراً.

ولد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة هو وابن خالته موفق الدين بجُمّاعيل واصطحبا مدّة في أول اشتغالهما ورحلتهما، وحدّث أبو محمد عبد الغني بالكثير، وصنّف في الحديث التصانيف الحسنة، وكان غزير الحفظ، من أهل الاتقان والتجويد، قيّماً بجميع فنون الحديث، تكلّم في الصفات والقرآن بشيء أنكره أهل التأويل، فَعُقِد له مجلس بدار السلطان بدمشق، فأصرّ وأباحوا قتله، فشفع فيه أمراء الأكراد على أن

---

(١) ترجمته في: التقييد لابن نقطة ٣٧٠ رقم ٤٧٣، وذيل الروضيين ٤٦ـ ٤٧، وذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي ١٥/ ٢٧٨، ومرآة الزمان ج٨ ق٢/ ٥١٩ـ ٥٢٢، والتكملة لوفيات النقلة ٢/ ١٧ـ ١٩ رقم ٧٧٨. والجامع المختصر ٩/ ١٤٠، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٦٨ـ ١٦٩، رقم١٢٤، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣١٣، ودول الإسلام٢/ ٨٠، وتذكرة الحفاظ٤/ ١٣٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٤٣ـ ٤٧١ رقم ٢٣٥، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٤٧، والعبر ٤/ ٣١٣، ومرآة الجنان ٣/ ٤٩٩، والبداية والنهاية ١٣/ ٣٨ـ ٣٩، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٥ـ ٣٤، والعسجد المسبوك ٢/ ٢٨٩ـ ٢٩٠، والفلاكة والمفلوكين للدلجي ٦٨ـ ٦٩، وحسن المحاضرة ١/ ١٦٥، وطبقات الحفاظ ٤٨٧، وتاريخ الخلفاء ٤٥٧، وكشف الظنون ١٠١٣، ١١٦٤، ١٥٠٩، ٢٠٥٣، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤٥، وإيضاح المكنون٢/ ٦٩، وهدية العارفين ١/ ٥٨٩، وديوان الإسلام٣/ ٢٧٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٨٥، والأعلام ٤/ ٣٤، ومعجم المؤلّفين ٥/ ٢٧٥، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين ١١٤ رقم ١٠٧٧، وفهرس مخطوطات الظاهرية ٧٢، ١٧٤، ٢١٠، ٢١١، ٣٠٦، فهرس المخطوطات المصوّرة ٢/ ٢١٦، ٢١٧، ٢٣٣، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي (للتدمري) ـ القسم الثاني ـ ج٢/ ٢٢٠ـ٢٢٢ رقم ٥٥٧. تاريخ الإسلام (السنوات ٥٩١ـ ٦٠٠هـ) ص٤٤٤ رقمن٥٩١.

ينزح من دمشق، فذهب إلى مصر، وأقام بها خاملاً إلى أن مات.

/٢١٨/ قال أبو موسى المديني: قل من قدم علينا من الأصحاب من يفهم هذا الشأن. كفهم الإمام عبد الغني ـ زاده الله توفيقاً ـ وقد وفق لتبيين هذه الغلطات ـ يعني التي في كتاب معرفة الصحابة لأبي نعيم ـ ولو كان الدارقطني وأمثاله في الأحياء، لصوَّبوا فعله، وقلَّ من يفهم في زماننا ما فهمه.

وقال الحافظ ضياء الدين: خرج عبد الغني إلى أصبهان، وليس معه كيس فلوس فسهَّل الله من حمله، وأنفق عليه فأقام بأصبهان مدة، وحصل بها الكتب الجيدة. قال: وسمعت إسماعيل بن ظفر يقول: جاء رجل إلى الحافظ عبد الغني، فقال: رجل حلف بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث، فقال: لو قال أكثر لصدق.

قال: وشاهدت عبد الغني غير مرّة بجامع دمشق يسأله بعض الحاضرين وهو على المنبر: اقرأْ لنا من غير الناس غير الجزء، فيقرأ الأحاديث علينا بأسانيدها عن ظهر قلبه، فقيل له: لم لا تقرأ دائماً من غير الجزء؟، فقال: أخاف العجب.

وقال تاج الدين الكندي: لم يكن بعد الدارقطني مثل عبد الغني المقدسي قال: ولم ير مثل نفسه.

وقال الشيخ موفق الدين: كان عبد الغني رفيقي، وما كنا نستبق إلى خير إلاّ سبقني إليه إلاّ القليل، وكمَّل الله فضيلته بابتلائه بما أوذي به وصبر عليه، ورزق العلم، وتحصيل الكتب الكثيرة إلاّ أنه لم يعمّر حتى يبلغ غرضه في روايتها ونشرها.

وقال الضياء: كان عبد الغني لا يرى منكراً إلا غيَّره بيده أو بلسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم. رأيته مرتين يريق خمراً، فسلَّ صاحبه[سيفاً] فلم يخف، وكان قوياً فأخذ السيف من الرجل، وكان يكسر الشبابات والطنابير.

/٢١٩/ قال: وسمعت أبا بكر بن أحمد الطحان يقول: اجعلوا الملاهي عند باب جيرون، فجاء الحافظ عبد الغني، فكسر كثيراً، وصعد المنبر، فجاءه رسول القاضي يطلبه، ليناظره في الدفّ والشبابة، فقال: ذاك حرام، ولا أمشي إليه، إن كان له حاجة، يجيء هو. قال: فعاد الرسول يقول: لا بدّ من مجيئك قد أبطلت هذه الأشياء على السلطان. فقال: ضرب الله رقبة السلطان فمضى الرسول وخفنا من فتنة، فما أتى أحد بعد.

قال أبو موسى عبد الله بن عبد الغني، مرض والدي أياماً، ووضأته وقت الصبح، فقال: يا عبد الله صلِّ بنا وخفّف فصليتُ بالجماعة وصلّى معنا جالساً، ثم

قال: اقرأ عند رأسي «يس» فقرأتها، وقلت: هنا دواء تشربه؟ فقال: ما بقي إلاّ الموت، فقلت: ما تشتهي شيئاً؟ قال: أشتهي النظر إلى وجه الله، فقلت: ما أنت عنّي راضٍ؟ قال: بلى. وجاؤوا يعودونه، ففتح عينه وقال: ما هذا اذكروا الله قولوا: «لا إله إلاّ الله» ثم دخل درع النابلسي، فقمت لأناوله كتاباً من جانب المسجد فرجعت وقد توفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ستمائة بمصر.

قال الضياء: سمعته يقول لي: رأيتُ أخاك عبد الرحيم في المنام، فقلت: أين أنت؟ قال: في جنة عدن؟ فقلت: أيّما أفضل الحافظ عبد الغني، أو الشيخ أبو عمر؟، فقال: ما أدري، وأمّا عبدالغني، فيُنصب له كرسي تحت العرش، وينثر عليه الدُّرر، وهذا نصيبي منه، وأشار إلى كمّه.

وكان عبد الغني ليس بالأبيض الأمهق، يميل إلى سمرةٍ، حسن الثغر، كثّ اللحية، واسع الجبين، عظيم الخلق، تام القامة، كان النور يخرج من وجهه، ضعُف بصره من كثرة النسخ والمطالعة والبكاء، وكان جواداً كريماً لا يدخر درهماً، وقيل: كان يخرج بالليل بالقفاف فيها الدقيق / ٢٢٠/ فإذا فتحوا له، ترك ما معه ومضى؛ لئلا يعرف، وربما كان عليه ثوب مرقّع.

ومنهم:

[٤٥]

محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي(١)، ضياء الدين أبو عبد الله.

الحافظ الحجّة، محدّث الشام، شيخ السنة.

طلب وما نهنه، ولَغِبَ وما أَغبّ المَهْمَه، ولم يُلق حبل قلمه عن غاربه، ولم يُلق

(١) ترجمته في: ذيل الروضيين ١٧٧، وصلة التكملة للحسيني/ ورقة ٣٣، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٠٣ رقم ٢١٤٢، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٤٥، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٨، ودول الإسلام ٢/ ١٤٦، والعبر ٥/ ١٧٩- ١٨٠، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ١٢٦- ١٣٠ رقم ٩٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٠٥- ١٤٠٦ رقم ١١٢٩، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٣٦- ٢٤٠ رقم ٣٤٥، ومختصره، والوفي بالوفيات ٤/ ٦٥- ٦٦ رقم ١٥١٥، وفوات الوافيات٣/ ٤٢٦- ٤٢٧ رقم ٤٧٧، والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٩- ١٧٠، المنهج الأحمد٣٧٩، ذيل التقييد للفاسي ١/ ١٧٠ رقم ٣٠٠، والمقصد الأرشد، رقم ٩٩٦، والمقفّى الكبير للمقريزي ٦/ ١٥٠ رقم٢٦١٣، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٤، والدّر المنضّد ١/ ٣٨٤- ٣٨٥ رقم ١٠٦١، وشذرات الذهب ٥/ =

مداد دواته إلاّ بعرق متاعبه، أخذ لرحلته أهبتها، وعاجل الأيام ووثبتها، وشدّ نسوع نجائبه، وأجدّ شسوع مذاهبه، وتعب حتى استراح، وتمنّى حتى فرغ الاقتراح، ولم يدع وادياً تفد أفواج ريحه، ولا جبلاً تُسرّح لمم شيحه، حتى حال بين جنبيه، أو داس مفرقه وصعد عليه، إلى أن ضبط عن كل امرىء ما هو لافظ، وهبط عن مَطا مطيه، وهو يدعى الإمام الحافظ.

ولد سنة تسع وستين وخمسمائة، ورحل مرتين إلى أصبهان، وسمع بها ما لا يوصف كثرة، وحصل أصولاً كثيرة، ونسخ، وصنّف، وصحح، وليّن، وجرح وعدّل. وكان مرجوعاً إليه في هذا الشأن.

قال تلميذه عمر بن الحاجب: شيخنا أبو عبد الله شيخ وقته ونسيجُ وَحْدِهِ علماً، وحفظاً، وثقةً، وديناً. من العلماء الربانيين. وهو أكبر من أن يَدُلَّ عليه مثلي، وكان شديد التحرّي في الرواية، مجتهداً في العبادة، ذكروه، فأطنبوا في حقّه، ومدحوه بالحفظ والزهد.

وقال ابن النجار: حافظ متقن، حجّة عالم بالرجال، ورع تقيّ، ما رأيتُ مثله.

توفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

ومنهم:

[٤٦]

محمّد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي المعروف بابن النجار[1]

صاحب التصانيف. بحر فسيح الجوانب، طليح المقانب، / ٢٢١/ متسع المدى. لا تُحصى لديه ذنوب المذانب، ورث من جدّه محاسن، وأَرث بجهده الأحاسن،

= ٢٢٤، وكشف الظنون ٢٢، ١٢٧٤، ١٢٧٧، ١٢٩٨، ١٤٦٨، ١٦٢٤، ١٨٨٩، ٢٠١٣، إيضاح المكنون ٢/ ٣٣، ٦٩، القلائد الجوهرية لابن طولون١/ ٧٦ـ ٧٩، والدارس في تاريخ المدارس للنُعيمي ٢/ ٩١ـ ٩٦، وفهرس مخطوطات الظاهرية ليوسف العش ٦/ ١٧٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٨٥، وديوان الإسلام ٣/ ٢١٧ـ ٢١٨ رقم ١٣٤٣، وذيل تاريخ الأدب العربي ١/ ٦٩٠، والأعلام ٦/ ٢٥٥، ومعجم المؤلفين١٠/ ٢٦٣، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ـ ٦٥٠هـ) ص٢٠٩ رقم ٢٥٣.

(١) ترجمته في: معجم الأدباء ١٩/ ٤٩ـ ٥١ رقم ١٣، وقلائد الجمان في شعراء هذا الزمان، لابن الشعار الموصلي ٦/ ٢٨٦ـ ٢٩٠ رقم ٦٩١، وصلة التكملة للحسيني، ورقة ٣٥، والحوادث =

ورحل رحلةً أمضت أكثر العمر، وأفنت الليالي العتم والقمر، ولقي جمّاً غفيراً، وسمع خلقاً كبيراً، كأنما ضرب لهم نفيراً، وأعار التاريخ طرفه، فما فاته منه طَرْفة عين ولا طُرفَةُ عين، ولا بقي في بغداد من لا ضبط قلمه، وضمّه لقمه، وحواه تأليفه، وآواه تصنيفُه، وأوراه أو واره تصريفُه.

ولد سنة ثماني وسبعين وخمسمائة، وسمع وله عشر سنين، واعتنى بالطلب وهو ابن خمس عشرة سنة، وتلا بالروايات الكثيرة، وسمع بأصبهان، ونيسابور، وهراة، ودمشق، ومصر، وغير ذلك، وكتب العالي والنازل، وجمع فأوعى، وخرج لغير واحد، وجمع تاريخ مدينة السلام ذيّل به، واستدرك فيه على الحافظ أبي بكر الخطيب، ومقداره ثلاثمائة جزء.

وكان من أعيان الحفاظ الثقات مع الدين، والصيانة، والنسك، والفهم، وسعة الرواية. وكانت رحلته سبعاً وعشرين سنة، واشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخٍ، ووقفت كتبه ومصنَّفاته وهي تزيد على خمسة عشر مصنّفاً بالمدرسة النظامية،

= الجامعة المنسوب لابن الفوطي ١٠٢ـ ١٠٣، (٢٠٥ رقم ٧٠٧)، وذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي ١٥/ ٧٨، وتاريخ إربل لابن المستوفي ١/ ٣٦٠ـ ٣٦١ رقم ٢٥٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٦٤، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٠٣ رقم ٢١٤٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٨، والإشارة إليه من تاريخ ابن الدبيثي ١/ ١٣٧ رقم ٢٦٨، ومرآة الجنان ٤/ ١١١، الوافي بالوفيات٥/ ٩ـ ١١ رقم ١٩٦٣، وفوات الوفيات٤/ ٣٦ـ ٣٧ رقم ٤٩٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥/ ٤١ (٨/ ٩٨ـ ٩٩ رقم ١٠٩٣)، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٥٠٢ـ ٥٠٣ رقم ١١٩٩، والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٩، والعسجد المسبوك ٢/ ٥٣٩ـ ٥٤٠، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٤٥٤ـ ٤٥٦ رقم ٤٢٤، وذيل التقييد للفاسي ١/ ٢٦٣ رقم ٥١٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٥، والمقفّى الكبير للمقريزي ٧/ ١٣٦ رقم ٣٧٩٠، ومعجم الشافعية لابن الهادي، ورقة ٥٨، وطبقات الحفّاظ للسيوطي ٤٩٩ رقم ١١٠٨، وتاريخ الخلفاء، له ٤٧٦، وشذرات الذهب ٥/ ٢٢٦، ومفتاح السعادة١/ ٢١١، وكشف الظنون ٣٠، ٧٣، ١٧٩، ١٨٠، ٢٨٨، ٦٠٧، ٦٤٨، ٧٣٩، ٩٢٥، ٩٦٠، ٩٩٩، ١١٥٢، ١١٨٤، ١٢٠١، ١٣٥٦، ١٥٠٩، ١٥١٣، ١٥٨٥، ١٦٠٨، ١٧٧٤، ١٧٧٥، ١٨٤٠، ١٩٥٠، وإيضاح المكنون ٢/ ١٠٨، وهدية العارفين ٢/ ١٢٢، وديوان الإسلام لابن الغزّي ٤/ ٣٣٦ـ ٣٣٧ رقم ٢١٢٤، وذيل تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١/ ٦١٣، وفهرس مخطوطات الظاهرية ليوسف العش ٦/ ١٥٧، وفهرس المخطوطات المصوّرة للطفي عبد البديع ٢/ ٧٢، وفهرس المخطوطات المصوّرة لسيد ٢/ ٦٧، وعلم التاريخ عندالمسلمين لروزنثال ٦٩، ١١٨، ٢٢٤، ٢٨٧، ٤٧٧، ٥٧٠، ٥٩٠، ٥٩٢، ٦٠٦، ٦٢٢، ٦٢٦، ٦٤٢، ٦٤٩، ٦٨٧، ٦٩٧، ٨١٧، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ١٦٧ رقم ١١٠٦، تاريخ الإسلام السنوات(٦٤١ـ ٦٥٠هـ) ص ٢١٧ رقم ٢٦٠.

وكان من محاسن الدنيا ـ رحمه الله ـ.

توفي في خامس شعبان سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

ومنهم:

[٤٧]

القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يَدَّاس البِرْزاليّ الأشبيلي الأصل الدمشقي الشافعي(١) أبو محمد الحافظ

عمدة الحفاظ، مؤرخ الشام، ممن ولدته دمشق، والفحلُ فحلٌ مُعْرِق، وأوجدته الأيام، فسطع ضوؤها المُشرق، وتمخّضت منه الليالي عن واحدها واحد أهل / ٢٢٢/ المشرق، ومشى فيها على طريق واحد ما تغيّر عن سلوكها، ولا تقهقر في سلوكها يصحب الخصمين وهما من هما، والنظيرين والضرغامة الأسدُ منهما، وكل منهما راض بصحبته، واثق به لا يعده إلاّ من أحبته. وكان عند شيخَي الإسلام آخر المجتهدين ابن تيمية، وابن الزملكاني، وما منهما إلاّ من هو عليه مرتبط، وبه مغتبط، يذيع إليه سرّه في صاحبه، ويتبسط لديه في معاتبه، وهو ساكت لا ينطق بحرف، ولا يشارك حتى ولا بإيماء طرف. وعرف بهذا واشتهر حتى صار عندهما موضع الثقة، ومكان المِقة، ومحلّ الصداقة المحققة، ثم كان يسعى في صلاح ذات بينهما فيعجز، ويعده كل منهما به، ولا ينجز، فاغمد لسانه، وترك كل امرىء منهما وشانه وكان ممن ينفع الطلبة، ويستلذ في راحتهم تعبه، ويحرص على إسماعهم، ويقيد مجالس سماعهم، لا يشغله عنهم ما كان معدّاً له من حضور مجالس الحكام، والتسجيل عنهم بالأحكام، وحضور الوظائف ومجالسة أكثر الطوائف، ثم بلغني أنه توجه إلى الحج فمات بخُلَيص، وقد استقبل مكة ميمماً، وكفّن في ثياب إحرامه، ليبعث يوم القيامة مُحرماً.

ولد في عاشر جمادى الأولى سنة خمس وستين وستمائة، واعتنى بالرواية من صغره، فقرأ بنفسه الكتب الكبار، ورحل إلى الديار المصرية، والثغر، والبلاد

---

(١) ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٢٦٥، البداية والنهاية ٩/ ٤٤٠، البدر الطالع ٢/ ٥١، طبقات الشافعية للسبكي ١٠/ ٣٨١، تاريخ ابن الوردي ٣/ ٣٢٧، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٥٠١.

الشمالية، وسمع مما ينيّف على ألفي شيخ، وأجاز له ألف آخر، فاشتمل مُعجمه على نيف وثلاثة آلاف شيخ. وكتب الأثبات، والتعاليق، والأجزاء، والتاريخ، والتخاريج، ما لا يحصى كثرة. حرّر مسموعاته وصار مقتدى به مرجوعاً إليه في هذا الشأن مع الحفظ، والاتقان، والصدق، والتحرّي.

وكتب الشروط/ ٢٢٣/ فأحكمها، والسجلات، فأتقنها، وله فيها مصنّفات، وكان محسناً إلى الطلبة، متلطفاً بهم، صبوراً على التعليم، سهل العارية لكتبه وأجزائه فيقضي أوقاته في السماع والتسميع، وكتابة الطباق، وقضاء حوائج الناس، والمواظبة على وظائفه من غير انقطاع إلا لعذر مانع شرعاً. ولي المشيخات، وصحب الأكابر من أهل العلم.

وولد له عدّة أولاد توفوا كلهم في حياته، فصبر واحتسب. منهم: المحصل بهاء الدين أبو الفضل محمد. اعتنى به واجتهد إلى أن حفظ المحافيظ، وقرأ القرآن للسبع، وشهد على الحكام، ولم ينبت، وحجّ به، وتوفي وهو شاب. ومنهم فاطمة اجتهد عليها وعلّمها الخطّ، وكتبت ربعة شريفة، وشرعت في صحيح البخاري، فكتبت منه مقدار النصف، ثم حصل لها نفاس، وأعقبها مرضاً أشرفت فيه على الموت مرّات، حتى إنَّ كثيراً من الأعيان كانوا يبطلون مهماتهم، ويتهيئون لتشييع جنازتها، ثم نَقِهَتْ من ذلك، فأكملت الصحيح كتابة في ثلاثة عشر مجلداً بخطٍّ واضح؛ فلمّا فرغت شرعت في تحصيل الورق وغيره لكتابة صحيح مسلم، فتوفيت قبل شروعها في الكتابة، وذلك بعد فراغها من صحيح البخاري بنحو شهر.

وحكى والدها أنها في أثناء مرضها المذكور كانت تتأسف على عدم تكميل البخاري، وتودّ لو عاشت إلى أن تكمله، ثم تموت، فكان ذلك، وصبر والدها، واحتسبها عند الله، وقابل النسخة المذكورة مرتين، واعتنى بها، وصارت عمدةً في الصحة.

وحجَّ أبو محمد البرزالي خمس حجج، سمع وأسمع فيها بدرب الحجاز، والحرمين، والأماكن المعظمة، ثم قصد الحجّ مرّة سادسة عقيب مرض، فعاوده بدرب الحجاز، ودخل المدينة النبوية محمولاً لمرضه، ثم أحرم، فتوفي بخُليص بكرة الأحد رابع ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، فعُزم على نقله، ودفنه بمكة، فحصل خلاف بين الفقهاء الحجاج في هذه السنة، وكانوا جماعة من شيوخ المذاهب في جواز النقل، وخيف عليه من الحرّ فصُلّي عليه بمخيم الحاج، ودفن إلى جانب البرج بخليص. ووصل خبره إلى الديار المصرية، ثم إلى دمشق في خامس المحرم سنة أربعين، وصُلّي

عليه صلاة الغائب بالبلاد، ووقف كتبه وأجزاءه، وتصدَّق بثلث ماله.

وقلتُ أرثيه لما بلغني وفاته، وكنت إذ ذاك بالقاهرة المعزية: [من البسيط]

/ ٢٢٤/ تُرَاهُمُ بِالَّذِي أَلْقَاهُ قَدْ عَلِمُوا ... شَطَّ الْمَزَارُ وَبَانَ الْبَانُ والْعَلَمُ

لَهْفِي عَلَيْهِمْ وَقَدْ شَدُّوا رَكَائِبَهُمْ ... عَنِ الدِّيَارِ وَلاَ يَثْنِي بِهِمْ نَدَمُ

قَدْ كَانَ يُدْنِيهُمُ طَيْفٌ يُلِمُّ بِنَا ... فَالآنَ لا الطَّيْفُ يُدْنِيهِمْ وَلاَ الحُلُمُ

اللهُ أَكْبَرُ كَمْ أَجْرَى فِرَاقُهُمُ ... دَمْعاًوَعَادَ بِمَنْ لاَ عَادَ وَهْوَ دَمُ

أَمُّوا الحِجَازَ فَمَا سَارَتْ مَطِيَّتُهُمْ ... حَتَى اسْتَقَلَّتْ نُعُوشاً قُدِّمَتْ لَهُمُ

وَأَحْرَمُوا لِطَوَافِ البَيْتِ لاَ حُرِمُوا ... مِنْ لَذَّةِ العَيْشِ طُولَ الدَّهْرِ مَا حُرِمُوا

زَارُوا النَّبِيَّ وَسَارُوا نَحْوَ مَوْقِفِهِمْ ... حَتَّى إذَا قَارَبُوا مَطْلُوبَهُمْ جَثَمُوا

يَا سَائِرِيْنَ إِلَى أَرْضِ الحَجَازِ لَقَدْ ... خَلَّفْتُمُ فِيْ حَشَايَ النَّارَ تَضْطَرِمُ

هَلْ مُنْشِدٌ فِيكُمُ أَوْ نَاشِدٌ طَلَباً ... أَضْلَلْتُهُ وَادْلَهَمَّتْ بَعْدَهُ الظُّلَمُ

قَدْ كَانَ فِيْ قَاسِمٍ مِنْ غَيْرِهِ عِوَضٌ ... فَالْيَوْمَ لاَ قَاسِمٌ فِيْنَا وَلاَ قَسَمُ

مَنْ لَوْ أَتَى مَكَّةً مَالَتْ أَبَاطِحُهَا ... بِهِ سُرُوراً وَجَادَتْ أُفْقَهَا الدِّيَمُ

أَقْسَمْتُ مُنْذُ زَمَانٍ مَا رَأَى أَحَدٌ ... لِقَاسِمٍ شَبَهاً فِي الأَرْضِ لَوْ قَسَمُوا

هَذَا الَّذِي يَشْكُرُ المُخْتَارُ هِجْرَتَهُ ... وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

مَا كَانَ يُنكِرُهُ رُكْنُ الحَطِيْمِ بِهِ ... لَوْ أُخِّرَ العُمْرُ حَتَّى جَاءَ يَسْتَلِمُ

لَهُ إِلَيْهِ وِفَادَاتٌ تُقِرُّ بِهَا ... جِبَالُ مَكَّةَ وَالبَطْحَاءُ وَالأَكَمُ

مُحَدِّثُ الشَّامِ صِدْقاً بَلْ مُؤَرِّخُهُ ... جَرَى بِهَذا وَذَا فِيمَا مَضَى القَلَمُ

يَا طَالِبَ العِلْمِ فِيْ الفَنَّينِ مُجْتَهِداً ... فِيْ ذَا وَهَذَا يُنَادَى المُفْرَدُ العَلَمُ

يُرْوَى حَدِيْثُ العَوَالِيْ عَنْ يَرَاعَتِهِ ... وَمَا لَهُ طَاعِنٌ فِيْهَا وَمُتَّهِمُ

/ ٢٢٥/ قَدْ كَانَ يَدْأَبُ فِيْ نَفْعِ الأَنَامِ وَلاَ ... يَرُدُّهُ ضَجَرٌ مِنْهُ وَلاَ سَأَمُ

وَحَقَّقَ النَّقْدَ حَتَّى بَانَ بَهْرَجُهُ ... وَصَحَّحَ النَّقْلَ حَتَّى مَا بِهِ سَقَمُ

وَعَرَّفَ النَّاسَ كَيْفَ الطُّرْقُ أَجْمَعُهَا ... إِلَى النَّبِيِّ فَمَا جَارُوا وَلاَ وَهَمُوا

وَعَلَّمَ الخَلْقَ فِيْ التَّارِيْخِ مَا جَهِلُوا ... وَبَعْضُ مَا جَهِلُوا أَضْعَافُ مَا عَلِمُوا

يُرِيكَ تَارِيْخُهُ مَهْمَا أَرَدْتَ بِهِ ... كَأَنَّ تَأْرِيخَهُ الآفَاقُ والأُمَمُ

مَا فَاتَهُ فِيهِ ذُوْ ذِكْرٍ أَخَلَّ بِهِ ... وَلَوْ يَرُوْمُ لَعَادَتْ عَادُ أَوْ إِرَمُ

إِذَا نَشَرْتَ لَهُ جُزْءاً لِتَقْرَأَهُ ... تَظَلُّ تَنْشُرُ أَقْوَاماً وَهُمْ رِمَمُ

يَا أَيُّهَا المَوْتُ مَهْلاً فِي تَفَرُّقِنَا ... شَتَّتَ شَمْلَ المَعَالِيْ وَهْوَ مُنْتَظِمُ

تَجِدُّ فِيْنَا وَتَسْعَى فِي تَطَلُّبِنَا ... إِصْبِرْ سَنَأْتِيكَ لاَ تَسْعَى بِنَا قَدَمُ

هَا قَدْ ظَفِرْتَ بِفَرْدٍ لاَ مَثِيلَ لَهُ ... وَإِنْ أَرَدْتَ لَهُ مِثْلاً فَأَيْنَ هُمُ
يَا ذَاهِباً مَا لَنَا إلاّ تَذَكُّرُهُ ... آهاً عَلَيْكَ وَآهٌ كُلُّها أَلَمُ
جَادَتْ عَلَيْكَ مِنَ الغُفْرَانِ بَارِقَةٌ ... غَرَّاءُ يَضْحَكُ فِيْهَا البَارِدُ الشَّبِمُ
تَرْوِى ثَرَاكَ وتُسْقَي مِنْ جَوَانِبِهِ ... إلَى جَوَانِبِ حَزْوَى البَانِ والسَّلَم
وَحَلَّ أَرْضَ خُلَيْصٍ كُلُّ رِيْحِ صَباً ... بِنَشْرِهَا تُبْعَثُ الأَرْدَانُ وَاللِّمَمُ
وَخَيَّمتْ دُوْنَ عُسْفَانٍ لَهَا سُحُبٌ ... تُسْقَى بِأَنْوَائِهَا السُّكَّانُ وَالخِيَمُ
لَهْفِيْ عَلَيْكَ لِتَحْرِيْرٍ بَلَغْتَ بِهِ ... مَا لَيْسَ تَبْلُغُهُ أَوْ بَعْضَهُ الهِمَمُ
مَا الحَافِظُ السِّلَفِيُّ الطُّهْرُ إنْ ذُكِرَتْ ... أَسْلاَفُكَ الغُرُّ وَالآثَارُ وَالكَرَمُ
قَطَعْتَ عُمْرَكَ فِيْ فَرْضٍ وَفِيْ سُنَنٍ ... هَذِيْ الغَنِيْمَةُ وَالأَعْمارُ تُغْتَنَمُ

/ ٢٢٦/ ومنهم:

[٤٨]

يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف بن عبد الملك القضاعي، الكلبي المزي الدمشقي، أبو الحجاج، جمال الدين(١)

الحافظ الجهبذ، حجة الحفاظ. انتهت إليه معرفة الرجال، ومدد الآجال، وزُمر البطايا منهم والعجال، إتقاناً للمواليد والوفيات، والتكميل والفوات، والجرح والتعديل بالأمور الظواهر والخفيات، وصنّف الكتب التي ما شنّف بمثلها قبلَه أذن الدنيا مشنِّف، ولا صنَّف مثله قبلها مصنّف، سعة معرفةٍ لا يضيق بها حصر، ولا يضيع في جانبها أهل عصر، مع اطلاع على اللغة آنس بها غُربتها، وجس عليه غُريبها بمعارف قصرت مُدّته عن تحليلها، وجملته عن تفصيلها، إلاّ أنَّ الله سهّل له صِعابها، وهوّن عليه أتعابها، فبلغ منها ما لم يصل إليه أمل آمل، ونبغ فيها وأنبه أهل زمانه معه خامل، إلاّ أنه كان ظاهر الجمود، لا يتكلّم كأنه جلمود، ولم يكن فيه وحاشاه ما يعاب، ولا ما يدنّسه من قبح ألعاب، إلاّ أنه كان يتهوس بالمطالب والكنور، ويتفرّس أنه لها بمساعيه يتحوز، وكان يتبذل لأجلها مع العوام، ويقتحم بسببها الموت الزؤام، ولا يدع نفسه النفيسة، ويدُعُّ عنها أطماع هذه الخسيسة، وهيهات لقد ظفر من حديث الرسول - عليه أفضل الصلاة والسلام - بمطلب لا يفنى، وذهب خَلاَصٍ لا بَلْ أين

---

(١) ترجمته في: فوات الوفيات ٤/ ٣٥٣، طبقات الشافعية للسبكي ١٠/ ٣٩٥، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٨، طبقات علماء الحديث ٤/ ٢٧٥.

الذهب من ذلك الجوهر الأسنى، فوا أسفاً لرتبته العليا، ووالهفاً كيف ضيّع وقتاً من أوقاته بطلب سحت الدنيا.

مولده بظاهر حلب سنة أربع وخمسين وستمائة ونشأ بالمزّة، وحفظ القرآن، وتفقّه قليلاً، ثم أقبل على هذا الشأن، ورحل سنة ثلاث وثمانين، ونسخ بخطه المليح المتقن كثيراً لنفسه ولغيره، ونظر في اللغة، ومهر/ ٢٢٧/ فيها، وفي التصريف، وقرأ العربية.

وأمّا معرفة الرجال، فهو حامل لوائها، والقائم بأعبائها، لم تر العيون مثله، وخرّج لغير واحد، وأملى مجالس، وأوضح مشكلات ومعضلات ما سُبِق إليها من علم الحديث ورجاله، وكان ثقة كثير العلم، غزير الفضل، حسن الأخلاق، كثير السكوت، قليل الكلام جداً، صادق اللهجة، لم تعرف له صبوة، وكان يطالع وينقل الطباق إذا حدّث، وهو في ذلك لا يكاد يخفى عليه شيء مما يقرأ، بل يردّ في المتن والإسناد ردّاً مفيداً بحيث يتعجب منه فضلاء الجماعة. وكان متواضعاً حليماً صبوراً مقتصداً في ملبسه ومأكله، كثير المشي في مصالحه. تَرَافَقَ هو وشيخ الإسلام ابن تيميّة في سماع الحديث، وفي النظر في العلم، وكان يقرّر طريقة السلف في السنة، ويعضد ذلك بمباحث نظرية، وقواعد كلامية.

وكان له عمل كثير في المعقول. وما وراء ذلك ـ بحمد الله ـ إلاّ حسن إسلام وخشية لله. وصحب في وقت العفيف التلمساني، فلمّا تبيَّن له إنحلاله وإلحاده تبرأ منه وحطّ.

وكان ذا مروءة وسماحة، وتقنع باليسير، باذلاً لكتبه وفوائده ونفسه. كثير المحاسن؛ ولقد آذاه أبو الحسن بن العطّار، وسبّه، فما تكلم فيه، ولا فيمن آذاه. وقرأ بدمشق مرة تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر الخطيب، فوثب عليه جماعة من الروم الحنفية، ودفعوه إلى قاضي القضاة حسام الدين الرازي، وهو إذ ذاك حاكم بدمشق، فلتطّف الحاكم المذكور مع الفقهاء الحنفية المذكورين، ووعدهم، ومنّاهم، وعفا عنه، ومنعه بالحسنى منهم، وأخرجه ليلاً، فغيّب مدّة حتى سكنت الثائرة، وخمدت الفتنة، وعصمه الله منهم، وكانوا قد عزموا على قتله بأيديهم.

وكانت وفاته في ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، وصُلّي عليه الغد بجامع دمشق، ودفن بمقبرة الصوفية.

/ ٢٢٨/ ومنهم:

[٤٩]

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن الذهبي، أبو عبد الله، شمس الدين[(١)]

بقية الحفاظ.

وهو شمس العصر لا غابت، ولا اعتلت أُصُلُها ولا خابت. بقي في هذا الزمن الأخير بقاء الشمس في العصر، وتفرَّد تفرُّدها بالمحاسن التي تجلّ عن الحصر. فضائل لا يستطيعها أهل التحصيل، وفواضل تحلّى بها ذهبي العصر بمثل ذهبية العصر من الأصيل. معدن لا غرو أن نُسب إلى ذهبية الذهب أو حُسِبَ للهبيّة ما لا ينكر لقريحته من اللهب. ما المزي عنده إلاّ ممن تمزز، وما شرب حتى اضطلع، ووقف دون العقبة الكؤود، وما طلع، فاقه بل ساوى كل سابق متقدّم إن لم يكن فاقه، وضبطه فمَا قيَّده، ثم ما حلّ وثاقه علم الحديث، وتاريخ أصبح فيهما فرداً لا يخلف، وسابقاً ونحن نسأل الله أن يتخلَّف، وإماماً بقي في أثناء الدهر حتى صلّوا خلفه وسلَّموا عليه، وعرفوا حقه فودُّوا أن يتأخر ويقدّموا، وواحداً لو أنَّ لأهل هذا الزمان همَّة من كان قبلهم، لشدُّوا إليه المطيّ تلطم وجوه السباسب، وتشقق جلباب الضحى والغياهب، ولا تزال تحطّ لديه رِحال، وتشدّ رحال، وتعدّ سوى لُقِيّه محالاً كل حال.

مولده في ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وعمل مع والده صناعة الذهب ثم في سنة تسعين، أحبّ القراءات، فقرأ التجويد، وقرأ للسوسي بالإدغام في سنة إحدى وتسعين، وقرأ لنافع بكماله على الشيخ محمد المزرَاب، ولازمه، وحصّل شرح الشاطبية.

وفي أيام التشريق منها شرع في القراءات السبعة جمعاً على الشيخ جمال الدين البدوي، فَرَسَمَهُ في كيفية الجمع، ومات الفاضلي وقد جمع عليه إلى أواخر القصص سنة اثنتين وتسعين في ربيع الآخر.

قال الذهبي: فتألمت، لكوني لم أكمّل، ففتح الله علينا /٢٢٩/ بشمس الدين الدمياطي، فذهبنا إليه، وكلمناه، فوجدناه ذاكراً للقراءات ذاكراً جيداً أجود من الفاضلي، فإن الفاضلي كان قد استولى عليه الفالج، وتغيّر حفظه. فقعد لنا الدمياطي في الكلاسة طرفي النهار، وكان مستحضراً للشاطبية، فكملت عليه القراءات في مدّة

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢/ ١٦٣، طبقات الشافعية للسبكي ٩/ ١٠٠، فوات الوفيات ٢/ ٣٧٠، البداية والنهاية ٩/ ٤٨١، البدر الطالع ٢/ ١١٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٤٩.

يسيرة، وكذا ابن بصخان، وابن غدير. وقرأت عليه ختمة واحدة لابن عامر، وكملتُ القراءات على الإسكندري في تلك المدّة، وقرأت في تلك المدّة على الشمس الخياضري عليه في أول سنة ثلاث وتسعين.

ثم لازمت الشيخ مجد الدين التونسي في أثناء سنة اثنتين وتسعين، وشرعت عليه في ختمة للسبعة، وشرحنا عليه في القصيد أنا وابن غدير، والعَلَم الحلبي، وابن بصخان، وتفقّهنا في بحوث القراءات به.

وقرأت النحو على ابن أبي الفتح، وحضرت دروس النحو في العادلية عند الشيخ شرف الدين الفزاري، وقرأت النحو أيضاً على الشهاب الشاغوري.

وفي رجب سنة اثنتين وتسعين سمعتُ الحديث أول ما سمعت فيها على ابن عساكر، وابن البزوري، وعائشة بنت المجد، وجماعة.

ثم دُللت على ابن القواس بعربيل، فأخذت المنهج في القراءات، وطلعت إليه، فقرأت عليه يومئذٍ منه نحو عشرة كراريس وذلك أول يوم من سنة ثلاث، ثم دخل المدينة، وسمعت عليه الحديث، وغَوِيت بالحديث، وقرأ على النظام التبريزي ختمة لأبي عمرو.

ثم استأذنت والدي في الرحلة إلى بعلبك، فأذن لي بعد تكرر سؤالي له، فلازمت التاج عبد الخالق، والموفق بن قدامة والشيوخ تسمع.

قرأت على الشيخ موفق الدين بن قدامة ختمة للسبعة في نحو خمسين يوماً، وكمّلتها في سلخ سنة ثلاث وتسعين، وقرأت في تلك المدّة عدّة كتب من المسندات.

ثم عزمت على الرحلة إلى الديار المصرية، فاستأذنت والدي، فغضب، / ٢٣٠/ وضجَّ، وحلف بالطلاق أنه ما يُعطيني فلساً إن رُحت، فحزنت، وقعدت أنسخ بالأجرة حتى كنت أحسّ ظهري ينقطع، وأنا أتجلّد، وأُكابِد حتى أني كنت يوم سبتٍ في بستان ضمّناه، وهم فيما هم، وأنا قد شددت خلف ظهري دفة خشب من الوجع، وأنا لا أستريح، وصمدت مائة وخمسين درهماً، ثم مرضت، وبرد عزمي، وأيست من السفر، ثم هيَّجني السفر قليلاً، فألقيت في ذهن أمي السفر، فقالت لوالدي، وقلت: معي هذه الدراهم أتوصل بها، فقال والدي: [من البسيط]

إنَّ الغَرِيْبَ الطَّوِيْلَ الذَّيْلِ مُمْتَهَنٌ فَكَيْفَ حَالُ غَرِيْبٍ مَا لَهُ قُوْتُ؟

وضرب لي الأمثال، ثم قال: قد بلشتُ باليمين. فأعطتني أختي خواتيم ذهب، وغير ذلك، فسافرت في رجب سنة خمس وتسعين، ومعي ما قيمته ثمانمائة درهم، فسمعت بالبلاد التي بالطريق، ونزلت بزاوية ابن الظاهري وقرأت السيرة لابن هشام

على الأبرقوهي في ستة أيام، فكنت أقرأ من بكرة النهار إلى المغيب في النهار، نستريح ساعة في وسط النهار.

ثم سافرت في أوائل رمضان إلى الإسكندرية في النيل، فلقيت بها يحيى بن الصوّاف فشرعت عليه في ختمة جمعاً، فأقرأني آياتٍ، وقال: قفْ، وكان قد أصمَّ، وعمِي، وهو عسر الأخذ، وانقطع صوتي مما أرفعه؛ ليسمع، فسلوته، وسمعت عليه ثلاثة أجزاء من الخلعيات.

ثم مضيتُ إلى سحنون، فكنت أقرأ عليه من القرآن كل يوم جزئين وأكثر لنافع وعاصم، فأكملت عليه الختمة في أحد عشر يوماً، ومات ثاني يومٍ ختمت، وذلك في رابع شوال.

ثم رجعت في خليج الإسكندرية إلى القاهرة، وشرعت في تتمة ما قُدّر لي أن اسمعه، وعدت إلى دمشق، وزرت الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ والقدس، وقرأت على الجعبري كتابه في القراءات العشرة الذي نظمه مرموزاً كالشاطبية، وسمعت بنابلس من العماد بن بدران./ ٢٣١/ هذا ملخص ما ذكره في ابتداء طلبه.

ثم إنه ولي خطابة قرية كفر بطنا ـ من قرى غوطة دمشق ـ فسكنها مدة، ولازم الاشتغال والتخريج، والاختصار والتصنيف، ولم يكن له همّ غير ذلك، ولا له عنه شاغل.

ثم انتقل عن الخطابة المذكورة لما ولي مشيخة دار الحديث الظاهرية، وولي معها مشيخة الحديث بتربة أم الملك الصالح، ومشيخة الدار التنكزية ومشيخة الدار النفيسية.

وانتهت إليه الرئاسة في معرفة الحديث وعلله وصحيحه، وسقيمه ورجاله، وجَرَحَ، وعَدَّلَ، وصَحَّحَ وضَعّف، واستدرك على الحفاظ.

ولم يزل يكتب وينقي، ويُصنّف الكتب الكبار هذا دأبه مع مباشرة الوظائف، وإفادة الطلبة إلى أن أضرَّ بأخَرَةٍ.

وأما التاريخ، فتفرّد بمعرفته، وصنّف فيه «تاريخ الإسلام» في أحد وعشرين مجلداً واختصر «تاريخ بغداد»، و«تاريخ دمشق» في عشر مجلدات، و«تاريخ ابن الدبيثي» وانتخب كثيراً من «تاريخ ابن النجار»، و«ذيل السمعاني»، و«وفيات المنذري»، والشريف، والبرزالي، واختصر «تاريخ نيسابور»، و«تاريخ أبي شامة»، وصنّف طبقات القرّاء مرتين الثانية مهذّبة، و«طبقات الحفاظ المهرة» في مجلدين، وعمل «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» ثلاث مجلدات، و«نبأ الدجال» وألّف كتاب «المشتبه في الأسماء والأنساب»، و«مناقب العشرة»، وكتاب «العبر في خبر من غبر»

مجلدين، و«تاريخ دول الإسلام» مجلد، و«تجريد أسماء الصحابة» مجلد كبير، وكتاب «المغني في الضعفاء» مجلد، و«الضعفاء» كتاب آخر أصغر من المغني، وكتاب «النبلاء في شيوخ الأئمة الستة»، وكتاب «مختصر الكنى».

وصنّف «تراجم أعيان النبلاء من الأئمة، والحفاظ، والكبراء، والوزراء، والملوك» في عشرين مجلداً، وكتاب «الممتع» في ستة أسفار.

وأما ما صنّفه من المسائل وغيرها من الأبواب، مما هو جزء / ٢٣٢/ فكتاب «الزيارة المصطفوية» جزء، وآخر كبير، و«آية الكرسي» جزء، و«سيرة الحلاج» جزءان، و«تحريم أدبار النساء» صغير، وآخر ضخم، وكتاب «الكبائر» ثلاثة كراريس، وجزء في «الشفاعة»، وجزءان في «صفة الجنة»، وجزء في «حديث القهقهة»، «طرق ينزل ربنا»، طرق «حديث الطير»، «طرق من كنت مولاه»، «ما تصح به التلاوة» ثلاثة أجزاء، «مسألة الاجتهاد»، «مسألة خبر الواحد» «التمسك بالسنن»، «التلويح بمن سبق ولحق»، «معرفة آل منده»، «أهل المائة عام»، «مهم تقييد المهمل»، «مختصر القراءات»، «الوصية العفيفية»، «اللآلىء السفطية في الليالي الغوطية»، «هالة البدر إلى أهل بدر»، «مسألة السماع»، جزء، و«مسألة الخميس»، و«مسألة الغيبة»، جزء «الخضاب» جزء «أربعة تعاصروا»، و«مسألة الوعيد»، وكتاب «الموت وما بعده»، «رؤية الباري».

وأما ما اختصرْ من الكتب الكبار، فكتاب «السنن الكبير» للبيهقي في مقدار النصف مع المحافظة على المتون، واختصر المدخل إليه، واختصر «الروض الأنف»، واختصر من «تهذيب الكمال»، «تجريد الاسماء» عمله عشر طبقات وكتاباً سماه «تذهيب التهذيب» واختصر منه «الكاشف» مجلد، واختصر «الفاروق» وهذّبه، واختصر «الردّ على ابن طاهر»، وكتاب «جواز السماع» لجعفر الأذفوي، واختصر «المحلّى» لابن حزم في ثلاث مجلدات ونصف سمّاه «المستحلى»، واختصر «المستدرك» للحاكم، واختصر «الأطراف» في مجلدين، واختصر «تقويم البلدان» لصاحب حماة.

وأما ما خرَّجه لكبار شيوخه من المعاجم الكبار والصغار، فينيف على العشرة، وخرّج لنفسه معجماً مرتين، ومعجماً لطيفاً منقّى. وغالب مصنّفاته موشجة بمروياته.

قال: وعملت عدّة تواليف في السُّنة والعرش أخفيتها خوف الفتن والأهواء.

هذا ما حضرني من كتبه، / ٢٣٣/ وبه تمام حفاظ المشرق، وسُحُب هذا النوع المُغْدِق، ولا أعرف معه آخر فأذكره، وأشهده محفل هذا الكتاب وأحضره.

* * *

[مشاهير الحفاظ من أهل الحديث في الجانب الغربي]

فأمام الحفّاظ بالجانب الغربي، فلولا مصر، ما نهضت قوادمهم المَحصُوْصة، وسدّت خصاصاتهم المعروفة بهم فواقرها المخصوصة، وسأذكر من لاح نجمه مصوّباً في غربهم، وسقى صباً من سحبهم.

فمنهم:

[٥٠]

يحيى بن يحيى بن كثير بن وَسْلاس الليثي الأندلسي[1]

راوي كتاب «الموطأ»، وعاقل الأندلس، وعاقد أزِمَّتها الشّمس، والمقدم في حفاظها، والميمّم يقصد ألحاظها، والمعدود في معارف أعلامها، وثانياً في عوارف أيامها، وثالثاً لتدافـق بحرها، وساكب غمامها، ورابعاً لنجوم سمائها، وشموس ضيائها، وبدور ظلامها، وخامساً إلى مـا لا نهاية له من العدد من المحاسن المؤذنة بتمامها، مشدّد في دين، ومسدّد لا يلين، ومشيد لأركان الشريعة. فردٌ ما له خدين.

سمع من مالك الموطأ غير أبواب في الاعتكاف، شكّ في سماعها، فأثبت روايته فيها عن زيادة بن عبد الرحمن اللخمي، عن مالك.

---

(١) ترجمته في: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٢/ ١٧٩ـ ١٨١ رقم ١٥٥٦، والإرشاد للخليلي ١/ ٥٤، وجذوة المقتبس للحميدي ٣٨٢ـ ٣٨٤ رقم ٩٠٩. وبغية الملتمس للضبّي ٥١٠ـ ٤١٢ رقم ١٤٩٨، ووفيات الأعيان ٦/ ٤١٣ـ ٤١٤ رقم ٧٩٢، والبيان المغرب ١/ ١٦٣، والديباج المذهب ٣٥٠، ودول الإسلام ١/ ٤٣، والمعين في طبقات المحدّثين ٩٢ رقم١٠٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٥١٩ـ ٥٢٥ رقم ١٦٨، والعبر ١/ ٤١٩، والانتقاء ٥٨، وترتيب المدارك ١/ ٥٣٤، وطبقات الفقهاء ١٥٢، ومرآة الجنان ٢/ ١١٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٣١٢، وتقريب التهذيب ٢/ ٣٦٠ رقم ١٩٩، خلاصة تذهيب التهذيب ٤٢٩، وشذرات الذهب ٢/ ٨٢، وشجرة النور الزكية ٦٣ـ ٦٤، ونفح الطيب للمقّري ٢/ ٩، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٣١ـ ٢٤٠هـ) ص٤١٤ رقم ٤٩٧.

وسمع بمكة من ابن عُيينة، وبمصر من الليث بن سعد، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم.

وتفقّه بالمدنيين والمصريين من أكابر أصحاب مالك بعد انتفاعه بمالك، وملازمته له، وكان مالك يسمّيه عاقل الأندلس، وكان سبب ذلك فيما روي أنه كان في مجلس مالك مع جماعة من أصحابه، فقال قائل: قد حضر الفيل، فخرج أصحاب مالك كلّهم؛ لينظروا إليه، ولم يخرج يحيى، فقال له مالك: ما لكَ لا تخرج تراه؛ لأنه لا يكون بالأندلس؟، فقال: أنا جئت من بلدي؛ لأنظر إليك، وأتعلم منك هديك وعلمك، ولم أجىء لأنظر إلى الفيل، فأعجب به مالك، وسمّاهُ / ٢٣٤/ عاقل الأندلس.

ثم إنَّ يحيى عاد إلى الأندلس، وانتهت إليه الرئاسة بها، وبه انتشر مذهب مالك في تلك البلاد، وتفقه به جماعة لا يحصون عدداً، وروى عنه خلق كثير، وأشهر روايات الموطأ وأحسنها روايته.

وكان مع إمامته ودينه مُعظّماً عند الأمراء، مكيناً، عفيفاً عن الولايات، متنزهاً، جلَّت رتبته عن القضاء، فكان أعلى قدراً من القضاة عند ولاة الأمر هناك؛ لزهده في القضاء، وامتناعه منه.

قال ابن حزم: مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان: مذهب أبي حنيفة؛ فإنه لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف، كانت القضاة من قِبَله، فكان لا يولي قضاء البلدان من أقصى المشرق إلى أقصى إفريقية إلاّ أصحابه ومن انتمى إلى مذهبه، ومذهب مالك بن أنس عندنا في بلاد الأندلس، فإن يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان، مقبول القول في القضاة، وكان لا يلي قاضٍ في أقطار بلاد الأندلس إلاّ بمشورته واختياره، ولا يشير إلاّ بأصحابه، ومن كان على مذهبه. والناس سراع إلى الدنيا، فأقبلوا على ما يرجون به بلوغ أغراضهم به، على أن يحيى بن يحيى لم يلِ القضاء قطّ ولا أجاب. وكان ذلك زائداً في جلالته عندهم، وداعياً إلى قبول رأيه لديهم.

وقال أحمد بن أبي الفياض: كتب الأمير عبد الرحمن بن الحكم المرتضى - صاحب الأندلس - إلى الفقهاء يستدعيهم إليه، فأتوا إلى القصر. وكان عبد الرحمن المذكور قد نظر في شهر رمضان إلى جارية له كان يحبُّها حبّاً شديداً، فعبث بها، ولم يملك نفسه أن وقع عليها، ثم ندم ندماً شديداً، فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته، فقال يحيى بن يحيى: يكفّر ذلك بصوم شهرين متتابعين؛ فلما بدر يحيى إلى هذه الفُتيا، سكت بقية الفقهاء/ ٢٣٥/ حتى خرجوا من عنده، فقال بعضهم لبعض،

وقالوا ليحيى: ما لك لم تُفته بمذهب مالك، فعنده أنه مخيّر بين العتق والطعام والصيام، فقال: لو فتحنا له هذا الباب، سهل عليه أن يطأ كلَّ يوم، ويعتق رقبة، ولكن حملته على أصعب الأمور؛ لئلا يعود.

وقال محمد بن عمر بن لبابة: فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك ابن حبيب، وعاقلها يحيى بن يحيى.

وكان أحمد بن خالد يقول: لم يُعط أحمد من أهل العلم بالأندلس مُنذ دخلها الإسلام من الحظوة، وعظم القدر، وجلالة الذكر ما أعطيه يحيى بن يحيى.

وقال ابن بشكوال: كان يحيى بن يحيى مجاب الدعوة، وكان قد أخذ في نفسه وهيأته ومقعده هيأة مالك.

وحكي عنه أنه قال: أخذت ركاب الليث بن سعد، فأراد غلامه أن يمنعني، فقال: دعه، ثم قال لي الليث: خدمك العلم، فلم تزل بي الأيام حتى رأيت ذلك.

ثم قال ابن يشكوال: توفي يحيى في رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين، وقبره بظاهر قرطبة بمقبرة ابن عياش يُستسقي به.

وزاد الحميدي: أنّ وفاته كانت لثمان بقين من الشهر المذكور.

ومنهم:

[٥١]

بَقيُّ بن مَخْلَد، الإمام شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن القرطبي[(١)]

الحافظ صاحب «المسند» الكبير، و«لتفسير» الجليل، والتقرير الجميل،

(١) ترجمته في: العقد الفريد ٤/ ٤٩٤ وفيه «بقي بن محمد» وهو غلط، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفَرَضي ١/ ٩١ـ ٩٣ رقم ٢٨٣، والحلّة السيراء لابن الأبار ١/ ١٣٧، ٣٢، ٧٣٢، ٢٥٤ و٢/ ٣٧٠، والمنتظم ٥/ ١٠٠ـ ١٠١ رقم ٢٢٨، والصلة لكتاب التكملة لابن بشكوال ١/ ١١٦ـ ١١٩، ومعجم الأدباء ٧/ ٧٥ـ ٨٥ رقم ٢١، والمقصد الأحمد لابن الجوزي ٣٩، وتلقيح فهوم أهل الأثر، له ٣٧٧، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ١٢٠ رقم ١٤١، وتاريخ دمشق ١٠/ ٢٧٣، وتهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٢٨٠ـ ٢٨٣، وفهرست ابن خير ٢٩٠، ٢٢٥، وقضاة قرطبة للخشني ٧ـ ٨، وقضاة الأندلس للنباهي ١٨، ١٩، ٦٥، والمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعلمي ٢٥٩ـ ٢٦١، والروض المعطار ١١٩، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي ٤٩ـ ٥١، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٣/ ٣١٨ـ ٣٣٣، والبيان المُغرب لابن عذارى ٢/ ١٠٩ـ ١١٠، والعبر ٢/ ٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٨٥ـ ٢٩٦ رقم ١٣٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ =

والتقريب لما لم يدر في خلد، ولم يدر ما لابن مخلد منه خلد، أسوة أنظاره، وقدوة زمانه، والناس على آثاره، لو لم يكن للأندلس سواه، لما فنيت غروسه، ولا فتئت في سن الفتاء شموسه، ولا تجاسر الأصيل إذا غربت الشمس بذلك الأفق أنْ تشعشع كؤوسه. أقلع نَوْؤُه وهذه غُدره، وغاض بحره، وهذه درره، وذهب زمانه، وهذه / ٢٣٦/ مصنّفاته، وهذا خبره.

ولد في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، وطوّف الشرق والغرب، وشيوخه مائتان ونيف وثمانون شيخاً، وروى عنه جماعة.

وكان إماماً عالماً، قدوة، مجتهداً، لا يقلّد أحداً، ثقة، حجة، صالحاً، عابداً، مجتهداً، أوّاهاً، منيباً، عديم النظير في زمانه.

قال أحمد بن أبي خيثمة: ما كنا نسميه إلاّ المِكنْسة، وهل يحتاج بلد فيه بقيّ إن يأتي منه إلينا أحد.

وقال أبو الوليد الفرضي: ملأ بقيّ الأندلس حديثاً.

وقال أبو عبد الملك القرطبي في تاريخه: كان بقيّ طُوالاً أقنى، ذا لحية، مضبّراً، وكان متواضعاً، ملازماً لحضور الجنائز، وكان يقول: إنّي لا أعرف رجلاً كانت تمضي عليه الأيام في وقت طلبه ليس له عيش إلاّ ورق الكُرْنب.

وقال بقي: لما رجعتُ من العراق، أجلسني يحيى بن بكير إلى جنبه، وسمع مني سبعة أحاديث. وقد تعصبوا على بقيّ لإظهاره مذهب أهل الأثر، فدفعهم عنه أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمن المرواني، واستنسخ كتبه، وقال لبقي: انشر علمك.

وقال بقيّ: لقد غرستُ للمسلمين غرساً بالأندلس لا يقلع إلاّ بخروج الدجّال.

وقال ابن حزم: كان بقيّ ذا خاصة من أحمد بن حنبل، وجارياً في مضمار

= ٦٢٩- ٦٣١، ودول الإسلام ١/ ١٦٧، والبداية والنهاية ١١/ ٥٦، ٥٧، ٨٢، ومرآة الجنان ٢/ ١٩٠، والوافي بالوفيات ١٠/ ١٨٢- ١٨٣ رقم ٤٦٦٥، وبغية الملتمس للضبي ٢٢٩ رقم ٥٨٤، وجذوة المقتبس للحميدي ١٦٧، والمرتبة العليا للنباهي ١٨، والنجوم الزاهرة ٣/ ٧٥، وطبقات الحفاظ ٢٧٧، وطبقات المفسّرين ٤١، وطبقات المفسّرين للداوودي ١١٧، ونفح الطيب ٢/ ٤٧، ٥١٨- ٥٢٠، وشذرات الذهب ٢/ ١٦٩، والرسالة المستطرفة ٤١، وكشف الظنون ٤٤٤، ١٦٧٩، وتاريخ الخلفاء ٣٦٧، وتاج العروس (مادّة بقي)، والإعلام ٢/ ٣٣، ومعجم المؤلّفين ٣/ ٥٣- ٥٤، وتاريخ التراث العربي ١/ ٢٣٩، وانظر: مقدّمة مُسْنَد بقيّ بن مخلد، للدكتور أكرم ضياء العمري - وطبعة ١٤٠٤ هـ./ ١٩٨٤م، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٦٨- ٢٨٠هـ) ص ٢١١ رقم ٣٠٧.

البخاري ومسلم والنسائي.

وقال بقيّ: كل من رحلت إليه، فماشياً على قدمي.

وكان بقيّ مجاب الدعوة، يؤثر عنّه إيثاره حتى بثوبه. وقيل: إنه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة، ويَسْرِدُ الصوم، وحضر سبعين غزوة، ومات في جمادي الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين.

ومنهم:

[٥٢]

محمد بن أبي نصر فتُّوح بن عبد الله بن فتُّوح بن حُمَيْد الأزدي، الحُمَيْدي، الأندلسي، المَيُوْرقي(١)

الحافظ المشهور. تنازعت فيه الجزائر، وسارعت /٢٣٧/ إلى تلقي خياله الزائر، أفرشه الأندلس نمارقه الخضر، فأباها، وأحلّه مفارقه البيض فنَفَسَ بنفسه على رُباها، وأخذ يسمو سمو حُباب الماء حالاً على حال، ويتعقب سفائن بحر، وسفائن آل، إلى

(١) ترجمته في: الإكمال لابن ماكولا ٧/ ٢١٥، والأنساب ٤/ ٢٣٣، والمنتظم ٩/ ٩٦ رقم ١٣٣ (١٧/ ٢٩ رقم٣٦٥٤)، وفهرسة ما رواه عن شيوخه لابن خير ٢٢٦، ٢٢٧، ٤٠٠، ٥٨٥، ٥١١، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٢٦، ٥٣٥، ٥٣٦، والصلة لابن بشكوال ٢/ ٥٦٠ـ ٥٦١ رقم١٢٣٠، وبغية الملتمس للضبّي ١٢٣ـ ١٢٤، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٨٢ـ ٢٨٦، والكامل في التاريخ ١٠/ ٢٥٤، واللباب ١/ ٣٩٢، والتقييد لابن نقطة ١٠١ـ ١٠٢ رقم ١٠٧، والروضتين ج١ ق١/ ٧٢، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٨٢، والحلّة السيراء (انظر فهرس الأعلام) ٢/ ٤١٠، ورحلة التجاني ٧٩، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٨، والمعين في طبقات المحدّثين ١٤٢ رقم ١٥٥٤، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٠١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٢٠ـ ١٦٧ رقم ٦٣، ودول الإسلام ٢/ ١٨، وفيه: «محمد بن نصر»، والعبر ٣/ ٣٢٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢١٨ـ ١٢٢٢، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٨، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد للدمياطي ٣٤ـ ٣٦ رقم ٢٦، ومرآة الجنان ٣/ ١٤٩، والوافي بالوفيات ٤/ ٣١٧ـ ٣١٨، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٢، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٥٦، وطبقات الحفاظ ٤٤٧، ومفتاح السعادة ٢/ ١٤٠، ونفح الطيب ٢/ ١١٢ـ ١١٥، وكشف الظنون ٢٥٢، ٣٨٥، ٥٨١، وشذرات الذهب ٣/ ٣٩٢، وإيضاح المكنون ١/ ١٢٤، والرسالة المستطرفة ١٧٣، وشجرة النور الزكية ١/ ١٢٢ رقم ٣٥٠، وديوان الإسلام ٢/ ١٧٤ رقم ٧٩٥، والأعلام ٦/ ٣٢٧، ومعجم المؤلفين ١١/ ١٢١، ومقدّمة كتابه: جذوة المقتبس لمحمد الطنجي، ومقدّمة طبعة إحياء التراث بمصر (هـ ـ٤)، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٤/ ٣٢٥ـ ٣٢٦ رقم ١٥٦٦، ومدرسة الحديث في القيروان ٢/ ٧٥٢، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ١٧٠ رقم ١٠٠، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٨١ـ ٤٩٠هـ) ص ٢٨٠ رقم ٢٩٢.

أن نزل بكنف بغداد المخصب، وتطرف بمطرف العراق المعشب.

ثم حرّم على الرجل ظهورها، وإلى الارتحال ظهورها، وسكن بجانب دجلة لا يُسقى إلاّ بمائها، ولا يُظلل إلاّ بسمائها، وحبّب إلى أهلها لوجود الملاءمة، ووجوه المحاسن التي تخلّق بأخلاقها. وعداه اللائمة.

أصله من قرطبة، من ربض الرصافة، وهو من أهل جزيرة مِيْوَرقة تجاه شرق الأندلس.

روى عن أبي محمد بن حزم، واختصّ به، وأكثر من الأخذ عنه، وشهر بصحبته، وعن أبي عبد البر، وغيرهما من الأئمة.

ورحل إلى الشرق سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، فحجَّ، وسمع بإفريقية والأندلس، وبمكة ـ حرسها الله وشرفها ـ وبمصر، والشام، والعراق، واستوطن بغداد.

وكان موصوفاً بالنباهة، والمعرفة، والاتقان، والدين، والورع، وكانت له نغمة حسنة في قراءة الحديث.

وقال أبو نصر بن ماكولا: لم أر مثله في عفته، ونزاهته، وتشاغله بالعلم. وكان من اجتهاده ينسخ بالليل في الحرّ، وكان يجلس في إجانة ماء يتبرد به، وكان إماماً في الحديث وعلله، ورواته، متحققاً في علم التحقيق، والأصول على مذهب أصحاب الحديث، متبحراً في علم الأدب والترسل، وله كتاب «الجمع بين الصحيحين» وهو مشهور، وأخذه الناس عنه، وله مصنفات أخرى مفيدة.

توفي ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، ودفن من الغد بالقرب من قبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وصلّى عليه أبو بكر الشاشي في جامع مع القصر، ثم نقل بعد ذلك في صفر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة إلى/ ٢٣٨/ مقبرة باب حرب، ودفن عند قبر بشر الحافي.

ومولده قبل العشرين وأربعمائة.

ومن نظمه قوله: [من الوافر]

لِقَاءُ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيْدُ شَيْئاً ... سِوَى الهَذَيَانِ مِنْ قِيْلٍ وَقَالِ
فَأَقْلِلْ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إلا ... لأَخْذِ العِلْمِ أَوْ إصْلاَحِ حَالِ

ومنه قوله: [من الوافر]

طَرِيْقُ الزُّهْدِ أَفْضَلُ مَا طَرِيْقِ ... وَتَقْوَى اللهِ تَأدِيّةُ الحُقُوقِ

فَـثِـقْ بِـاللهِ يَـكْـفِـك وَاسْـتَـعِـنْـهُ   يُـعِـنْـكَ وَذَرْ بُـنَـيَّـاتِ الـطَّـرِيْـقِ

ومنه قوله: [السريع]

كِـتَـابُ اللهِ ـ عَـزَّ وَجَـلَّ ـ قَـوْلِـيْ   وَمَـا صَـحَّـتْ بِـهِ الآثَـارُ دِيْـنِـيْ

وَمَـا اتَّـفَـقَ الـجَـمِـيْـعُ عَـلَـيْـهِ بَـدْءاً   وَعَـوْداً فَـهْـوَ عَـنْ حَـقٍّ مُـبِـيْـنِ

فَـدَعْ مـا صَـدَّ عَـنْ هَـذِيْ وَخُـذْهَـا   تَـكُـنْ مِـنْـهَـا عَـلَـى عَـيْـنِ الـيَـقِـيْـنِ

ومنهم:

[٥٣]

خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال أبوالقاسم الأنصاري، الأندلسي القرطبي(١)

محدّث الأندلس ومؤرّخها، ومتعب المساعي في مجاراته وموبِّخُها، ومسمع رِمَمِها الأموات بنداء تاريخه ومصرخها، وكاتب آثارها بيديه ومستنسخها، حفظ عن السلف، وتأخر ونعم الخلف خلف، وفخر وما تكلّم إلاّ تصنيفه، وما ثَمَّ إلاّ معترف، وذخر ما هو إلاّ عمله الطود الذي ما نُسِف، والبحر الذي ما نُزِف.

ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة.

---

(١) معجم شيوخ الصدفي لابن الأبار (طبعة مدريد ١٨٨٥) ص٨٢، وتكملة الصلة، له، ١/ ٣٠٤، رقم ٨٣١، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٤٠، وفهرست ابن خير ٥٠٢، ٥١١، والوفيات لابن قنفذ ٢٩٠ رقم ٥٧٨، ومستفاد الرحلة والاغتراب للتجيبي السبتي ٦٥، ٦٦، ٨١، ١٨٣، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٦٩، ٢٨٦، ٣١٦، ٣٤٥، ٤٤٩، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٦٦، والعبر ٤/ ٢٣٤، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٣٩، والمعين في طبقات المحدّثين ١٧٧ و١٨٨٦، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٣٨، وسير أعلام النبلاء٢١/ ١٣٩ـ ١٤٣ رقم ٧١، ودول الإسلام ٢/ ٩٠، وتاريخ ابن الوردي٢/ ٩٢، ومرآة الجنان ٣/ ٤١٢ـ ٤١٣، والوفيات لابن قنفذ ٢٩٠ رقم ٥٧٨، والوافي بالوفيات ١٣/ ٣٦٩ـ ٣٧٠ رقم ٤٦٣، والبداية والنهاية١٢/ ٣١٢، والديباج المذهب ١١٤، وفيه وردت وفاته سنة ٥٩٨هـ، وذيل التقييد ١/ ٥٢٢ـ ٥٢٣ رقم ١٠٢١، وطبقات الحفاظ ٤٧٦، وتاريخ الخلفاء ٤٥٧، وعقد الجمان (مخطوط) ١٦/ ورقة٦٥٠، وتاريخ ابن سباط ١/ ١٦٣ـ ١٦٤، وشذرات الذهب ٤/ ٢٦١ـ ٢٦٢، وملء العيبة للفهري (انظر فهرس الأعلام) ٢/ ٤٩٧، ومعجم طبقات الحفاظ المفسّرين ٨٤ رقم ١٠٦٢، ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٩٧ـ ٩٨، وكشف الظنون ٢٨٥ـ ٢٨٦، ١٦٧٤، ١٧٠٧، وهدية العارفين ١/ ٣٤٩، والرسالة المستطرفة ٩٥، وشجرة النور الزكية ١٥٤ـ ١٥٥، ودائرة معارف البستاني ٢/ ٣٦٥، الإعلام ٢/ ٣١١، ومعجم المؤلفين ٦/ ١٠٥، وديوان الإسلام ١/ ٣٥١ـ ٣٥٢ رقم ٥٥٠ وانظر: مقدّمة كتاب «الصلة» طبعة مصر ١٩٦٦. تاريخ الإسلام (السنوات ٥٧١ـ ٥٨٠هـ) ص ٢٥٨ رقم ٢٧١ .

قال أبو عبد الله الأبار: كان متسع الرواية، شديد العناية بها، عارفاً، إخبارياً، تاريخياً، وذاكراً لأخبار الأندلس.

سمع العالي والنازل، وأسند/ ٢٣٩/ عن شيوخه أزيد من أربعمائة كتاب بين صغير وكبير، ورحل إليه الناس، وأخذوا عنه، ووصفوه بصلاح الدِّخْلَة، وسلامة الاعتقاد، وصحة التواضع، وصدق الصبر للطلبة، وطول الاحتمال.

ألَّف خمسين تأليفاً في أنواع العلم، ووَلي بأشبيلية قضاء بعض جهاتها نيابة لأبي بكر بن العربي، وعقد الشروط، ثم اقتصر على إسماع العلم، وعلى هذه الصناعة، وهي كانت بضاعته، والرواة عنه لا يحصون.

واستوعب ابن الزبير ترجمته، وقال: كان يؤثر الخمول والقناعة بالدون من العيش، ولم يتدنس ـ رحمه الله ـ بخطَّةٍ تحطُّ من قدره، حتى لم يجد أحد إلى الكلام مَنْهُ من سبيل.

توفي في ثامن شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة عن أربع وثمانين سنة.

ومنهم:

[٥٤]

عبد الحقّ بن عبد الرحمن بن الحسين بن سعيد، الحافظ أبو محمد الأزدي، الأشبيلي، ويعرف بابن الخراط[1]

فاضل أرشفته الدنيا ريقها، وألحفَته وريقها، ثم نغَّصتْ له جرعها، وخلعت عن

---

(١) ورد اسمه في بعض المصادر: «عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد...»
ترجمته في: بغية الملتمس للضبّي ٣٦٨، وتكملة الصلة لابن الآبار ٦٤٧ـ ٦٤٨، وصلة الصلة لابن الأبار ٤ـ ٧، وعنوان الدراية فيمن عرف من أعيان المئة السابعة ببجاية، للغبريني (تحقيق نويهض) بيروت ١٩٧٩، ص٢٠، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٩٢ـ ٢٩٣، رقم ٣٣٧، وفيه وفاته سنة ٥٨٢هـ. وملء العيبة للفهري ٢/ ٢١٧، ٢٢٥، ٢٧٧، ودول الإسلام ٢/ ٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١٩٨ـ ٢٠٢ رقم ٩٩، والمعين في طبقات المحدّثين ١٧٩ رقم ١٨٩٩، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٥٠ـ ١٣٥٢، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٣٩، والعبر ٤/ ٢٤٣ـ ٢٤٤، ومرآة الجنان ٣/ ٤٢٢، وفوات الوفيات ٢/ ٢٥٦ـ ٢٥٧، والوافي بالوفيات ١٨/ ٦٤ـ ٦٥ رقم ٥٨، والديباج المذهب ٢/ ٥٩ـ ٦١، والوفيات لابن قنفذ٢٩٣ (وفيه وفاته سنة ٥٨٢هـ)، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٠٠، وتاريخ الخلفاء ٤٥٧، وطبقات الحفاظ ٤٧٩ـ ٤٨٠، وشذرات الذهب ٤/ ٢٧١، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين١٠٧ رقم ١٠٦٥، وكشف الظنون ١٩، ٢٠، ٤٨١، ومعجم المؤلفين ٣/ ٩٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٨١ـ ٥٩٠هـ) ص ١١١ رقم ١٨ .

منكبيه خلعها، واستردت منه أيام عواريها وردّت إليه سهام عواديها، وقلبت له ظهر مِجَنِّها، ودهر أمْنها، فنابته نوائبها، وأصابته صوائبها، وأخذ فيها من حيث ظنَّ أنَّها سالمته، وقد اغترَّ بأنّها في زخرفها ساهمته، وخدعته بغرورها، وما عرف أنها أوهمته. سكن إليها، وهي التي لا يسكن إليها ذو حِجى واطمأن بها، وكيف يطمئن خابط في الدجى.

سكن بجاية وقت الفتنة التي زالت فيها الدولة اللمتونية، فنشر بها علمه، وصنّف التصانيف واشتهر اسمه، وبعُدَ صيته وسعد قسمه، ووَلي خطابة بجابة.

ذكره أبو عبد الله الأبار، فقال: /٢٤٠/ كان فقيهاً، حافظاً، عالماً بالحديث وعلله، عارفاً بالرجال، موصوفاً بالخير والصلاح، والزهد، والورع، ولزوم السنة، والتقلل من الدنيا، مشاركاً في الأدب، وقول الشعر، وصنّف في «الأحكام» نسختين كبرى وصغرى. سبقه إلى مثل ذلك أبو العباس بن أبي مروان الشهيد بَلْبلَة، فحظي عبد الحقّ دونه.

وله في «الجمع بين الصحيحين» مصنّف، وله أيضاً مصنّف كبير جمع فيه بين الكتب الستة، وله مصنفات أخرى منها كتاب في اللغة حافل، ضاهى به كتاب «الغريبين» للهروي.

وتوفي ببجاية بعد محنةٍ نالته من قبل الدولة في ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

ومن شعره قوله: [من الكامل]

إنَّ فِيْ المَوْتِ وَالمَعَادِ لَشُغْلاً ... وَادِّكاراً لِذِيْ النُّهَى وَبَلاَغَا
فَاغْتَنِمْ خُطَّتَيْنِ قَبْلَ المَنَايَا ... صِحَّةَ الجِسْمِ يَا أَخِيْ وَالفَرَاغَا

ومنه قوله: [السريع]

وَاهاً لِدُنيا وَلِمَغْرُوْرِهَا ... كَمْ شَابَتِ الصَّفْوَ بِتَكْدِيْرِهَا
إنَّ امْرَءاً أُمِّنَ فِيْ سِرْبِهِ ... وَلَمْ يَنَلْهُ سُوْءُ مَقْدُورِهَا
وَكَانَ فِيْ عَافِيَةٍ جِسْمُهُ ... مِنْ مَسِّ بَلْوَاهَا وَتَغْيِيرِهَا
وَعِنْدَهُ بُلْغَةُ يَوْمٍ فَقَدْ ... حِيْزَتْ إلَيْهِ بِحَذَافِيْرِهَا

ومنهم:

[٥٥]

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمري، الأندلسي الأشبيلي(١)

عالم المغرب.

فاضل أشهر من ظهور النجوم في العَتَم، وأنفع من وجود الغنى في العَدَم. عَلَمُ عِلْمٍ لا يُنكر، وفضلٍ لا يستحق معه أحد أن يذكر، وكان يرى مذهب أهل الظاهر لا يتعدّاه إلى قياس، ولا يوسع نظره في رأيٍ خوف الالتباس، رقى صهوة المنبر معلناً بالخُطب، وأعاد غُصناً غضاً / ٢٤١/ تحته عود ذلك الحطب، ببلاغة جنى ثمرها يانعاً، وجلا قمرها ولم يجد مانعاً.

ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة.

وذكره الشريف عزّ الدين في وفياته، فقال: كان أحد حفاظ الحديث المشهورين، وفضلائهم المذكورين، وبه ختم هذا الشأن بالمغرب.

وقال ابن الزبير: أجاز له نحوٌ من أربعمائة، وانتقل إلى حصن القصر، ثم إلى طنجة، وأقرأ بجامعها، وأمَّ وخطب، ثم انتقل إلى بجاية فخطب بجامعها، ثم طلب إلى تونس فدرّس بها.

وكان ظاهري المذهب توفي في رجب سنة تسع وخمسين وستمائة.

* * *

وهذا آخر المحدثين بالغرب الممحض، ويأتي بعده من كان منهم بمصر؛ لأنها لسوء بختها في الغرب واقعة، وفي قسمها محسوبة إن لم يكن ثَمَّ أجوبة دافعة.

---

(١) ترجمته في: عنوان الدراية ٢٩١ـ ٢٩٥، وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٣١، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ج٥ ق٢/ ٦٥٣، والوفيات لابن قنفذ ٣٢٦ رقم ٦٥٩، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٦، والعبر ٥/ ٢٥٥، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٥٧، وتذكرة الحفّاظ ٤/ ١٤٥٠ـ ١٤٥١ رقم ١١٥١، والمعين في طبقات المحدّثين ٢١٠ رقم ٢٢٠٠ وفيه: «أبو بكر أحمد بن أحمد بن عبد الله»، ومرآة الجنان ٤/ ١٥١، والوافي بالوفيات ٢/ ١٢١ـ ١٢٢ رقم ٤٦٨، وذيل التقييد للفاسي ١/ ٤٨ رقم ٢٨، وعقد الجمان (١) ٣٢٦، والنجوم الزاهرة٧/ ٢٠٥، وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٨ـ ٢٩٩، ودُرّة الأسلاك ١/ ورقة ٢٩، وطبقات الحفاظ ٥٠٨، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ١٤٩ رقم ١١١٧.

[مشاهير الحفاظ في مصر]

فمنهم:

[٥٥م]

يزيد بن أبي حبيب الإمام الكبير أبو رجاء الأزدي[1]

مولاهم المصري، الفقيه الذي لو أُودع الغمامَ لكان بجفنه يقيه، ولو عقل الزمان لما سأل إلا أن الله يمدُّ حياته ويبقيه. أبدل أراجيف مصر سكوناً، وتخاويف أهلها تأميناً، وسكّت فيها مُلاحاة الملاحم، وملاواة الملاوم، حتى أعادها غرّاء آمنة في مدّته، بيضاء كصحيفةِ عملِهِ الصالح لا جلدتِهِ.

قال ابن يونس: كان مُفتي أهل مصر، وكان عليماً، عاقلاً، وهو أول من أظهر العلم بمصر، والمسائل في الحلال والحرام، وقبل ذلك كانوا يتحدّثون في الترغيب والملاحم والفتن.

وقال الليث بن سعد: يزيد سيدنا وعالمنا. وقيل: إنَّ يزيد أحد ثلاثة جعل إليهم عمر بن عبد العزيز الفُتيا بمصر.

وقال ابن لُهيعة: كان أسود نوبياً، وولد سنة ثلاث وخمسين. سمعته يقول: كان أبي من أهل دَنْقلة، ونشأت بمصر، وهم /٢٤٢/ علوية ـ يعني شيعة ـ فقلبتهم عثمانية.

وقال الليث: حدّثنا عبيد الله بن جعفر، ويزيد بن أبي حبيب ـ وهما جوهرتا البلاد ـ: كانت البيعة إذا جاءت لأحد كانا أوّل من يُبايع.

وقال ابن لهيعة: مرض يزيد، فعاده أمير مصر الحوثرة بن سُهيل فقال: يا أبا رجاء ما تقول في الصلاة في الثوب فيه دم البراغيث؟ فحوّل وجهه، ولم يكلّمه، فقام ونظر إليه يزيد، وقال: يقتل كُلّ يوم خلقاً، ويسألني عن دم البراغيث.

وقال يزيد: لا أدع أخاً لي يغضب عليّ مرتين، بل انظر الأمر الذي يكره، فأدعه.

وأرسل زبّان بن عبد العزيز إلى يزيد: ائتني لأسألك عن شيء من العلم، فأرسل إليه: بل أنت فأتني، فإنَّ مجيئك إليّ زين لك، ومجيئي إليك شين عليك.

---

(١) ترجمته في: التاريخ الكبير ٨/ ٣٢٤، مشاهير علماء الأمصار ١٢٢، الجرح والتعديل ٩/ ٢٦٧، تهذيب التهذيب١١/ ٣١٨، تقريب التهذيب ٢/ ٣٦٣، طبقات ابن سعد ٧/ ٥٠٧، خلاصة تذهيب التهذيب ٤٣٠، التاريخ لابن معين ٢/ ٦٦٨ رقم ٥١٤٤، تاريخ أبي زرعة ١/ ٢١٩، المعرفة والتاريخ، تاريخ الإسلام (السنوات ١٢١ـ ١٤٠هـ) ص٣٠٤.

توفي سنة ثمان وعشرين ومائة.

ومنهم:

[٥٦]

عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بِشْر بن مروان(١)، الحافظ، النسّابة أبو محمد، الأزدي، المصري

مفيد تلك الناحية، ومعيد شموسها الضاحية، وأيامها الممطرة إلاّ أنها الصاحية، ولياليها المطهرة من قول اللاحية، وأوقاتها التي جاءت بآية النهار لآية الليل ماحية، فَطِنٌ لا يحتاج أن يكدح، وألمعيٌّ في زناد ذهنه لا يُقدح، عارف بالنسب تعدُّ منه خصائله، وتعدّد به قبائله وشعوبه وفضائله. ردّ جوهر كل نسبٌ إلى معدنه، وتبيَّن من آدم مرمى كل فريق تفرَّق وموطنه، عارف فيهم بالممادح والمذام، لكنه لم يتعوَّد من القول غير أحسنه.

قال البرقاني: لما قدم الدارقطني من مصر سألته؛ هل رأيت في طريقك من يفهم شيئاً من العلم؟، قال: ما رأيتُ في طول طريقي إلاّ شاباً بمصر يقال له عبد الغني / ٢٤٣/ كأنه شعلة نار، وجعل يفخم أمره، ويرفع ذكره.

---

(١) ترجمته في: الفوائد العوالي ١١، ١٥، ١٧، ١٩، ٣٧، ٣٨، ٧١، ٩٠، والإكمال لابن ماكولا٣/ ٨٥، و٧/ ٣٦٥، وتهذيب مستمر الأوهام، له(المقدمة ٤٠ـ ٤٢)، والمنتظم ٧/ ٢٩١ـ ٢٩٢ رقم ٤٥٢، والمؤتلف والمختلف للدارقطني (مخطوطة البريطاني) ٤٧أ، ومعجم الشيوخ للصيداوي (تحقيق التدمري) ٢٠ـ ٢١ رقم ٩، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ١٧/ ٢٦٨ـ ٢٧٣ رقم ١٦٤، والأنساب ١/ ١٢٠، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (مخطوط) ج١١ ق٣/ ورقة٣٩٠، ومعجم البلدان ٢/ ٤٣٧، والتقييد لابن النقطة ٣٦٨ـ ٣٧٠ رقم ٤٧٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٢٣ـ ٢٢٤ رقم ٤٠١، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٥٠، والعبر ٣/ ١٠٠ـ ١٠١، ٣٢، ٢٤٨، وتذكرة الحافظ ٣/ ١٠٤٧ـ ١٠٥٠، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٦٨ـ ٢٧٣ رقم ١٦٤، والمعين في طبقات المحدّثين ١٢١ رقم ١٣٥٢، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٣٢، ومرآة الجنان ٣/ ٢٢، والبداية والنهاية ١٢/ ٨٧، والوفيات لابن قنفذ ٢٣١، وشرح ألفيّة العراقي٢/ ٨٤، والتاج المكلّل للقنوجي ٧٧، وطبقات الحفّاظ ٤١١ـ ٤١٢، ومعجم طبقات الحفاظ ١١٤، والنجوم الزاهرة ٤/ ٢٤٤، وتاريخ الخلفاء ٤١٦، وحسن المحاضرة ١/ ٣٥٣، وشذرات الذهب ٣/ ١٨٨ـ ١٨٩، وكشف الظنون٢/ ١٦٣٧، وهدية العارفين ١/ ٥٨٩، والأعلام ٤/ ١٥٩، وديوان الإسلام ٣/ ٢٧٦ـ ٢٧٧ رقم١٤٢٥، ومعجم المؤلفين ٥/ ٢٧٤، وتاريخ التراث العربي ١/ ٥٤٨، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٣/ ١٥٣ـ ١٥٥، رقم ٨٢٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٠١ـ ٤٢٠هـ) ص١٨٨ رقم ٢٧٧.

وقال منصور بن عليّ الطرسوسي: لما أراد الدارقطني الخروج من عندنا من مصر، خرجنا نودّعه، وبكينا، فقال: تبكون وعندكم عبد الغني بن سعيد، وفيه الخلف؟!

وقال عبد الغني: لما رددت على أبي عبد الله الحاكم الأوهام التي في المدخل إلى الصحيح، بعث إليّ يشكرني، ويدعو لي، فعلمت أنه رجل عاقل.

وقال القعنبي: كان عبد الغني إمام زمانه في علم الحديث وحفظه، ثقة مأموناً، ما رأيت بعد الدارقطني مثله.

وقال البرقاني: ما رأيت بعد الدارقطني أحفظ من عبد الغني المصري.

وقال الصوري: قال لي عبد الغني: ابتدأت بعمل كتاب «المختلف والمؤتلف» فقدم علينا الدارقطني، فأخذت عنه أشياء كثيرة منه؛ فلما فَرَغْتُه سألني أن أقرأه، لأُسْمِعَهُ منّي، فقلتُ: عنك أخذت أكثره، فقال: لا تقل هذا؛ فإنك أخذته عنّي مفرَّقاً، وقد أوردته مجموعاً، وفيه أشياء عن شيوخك، فقرأته عليه.

وذكر أبو الوليد الباجي عبد الغني، فقال: حافظ متقن، قلتُ لأبي ذر: أخذت عنه؟ قال: لا إنْ شاء الله ـ على معنى التأكيد ـ وذلك أنه كان له اتصال ببني عبيد.

توفي في سابع صفر سنة تسع وأربعمائة، وكان له جنازة عظيمة تحدّث بها الناس، ونُودي له: هذا نافي الكذب عن حديث رسول الله ﷺ.

ومنهم:

[٥٧]

أبو طاهر الأصبهاني، واسمه أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن سِلفة الأصبهاني[١]، صدر الدين

أحد الحفّاظ المكثرين.

أتى مصر، ومذهب الإسماعيلية بها قد أخذ على كل مذهب، وأخذ بكل مذهب، /٢٤٤/ وعقارب تلك العقائد المسمومة قد دبّت في تلك الأقطار، وصلال

(١) ترجمته في: الأنساب ٧/ ١٠٥ـ ١٠٦، وتاريخ دمشق (أحمد بن عتبة ـ أحمد بن محمد بن المؤمّل)٧/ ١٧٩ـ ١٨٢ رقم ١٠٩، والكامل في التاريخ ١١/ ٤٦٩، واللباب ١/ ٥٥٠، تاريخ إربل١/ ١٣٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢٤٥، والتقييد لابن النقطة ١٧٦ـ ١٨٠ رقم ١٩٩، وتكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ٦، ١١، ١٤، وتاريخ ابن الدبيثي ١٥/ ١١٩، والروضتين ٢/ ١٦، =

تلك الأفاعي المساورة قد تمكنت في تلك الديار، وقد أميت علم الحديث، والتاريخ، والنسب، وافيت في فائت الحقب، وجُعِلَ إلى أذيّة من عرفه أو قال به اعظم سبب بأعظم سبب، ليخفوا تلك الأنساب الدّعية المدخولة، ويطير بقوادم تلك الأحساب

= ووفيات الأعيان ١/ ١٥٥ـ ١٠٧، والتدوين في أخبار قزوين٢/ ٢٢٤ـ ٢٢٦، ومرآة الزمان ٨/ ٣٦١، وبدائع البدائه لابن ظافر ٢٥٢ و٣٥٠، والتكملة لوفيات النقلة للمنذري (الطبعة الأولى) ٣/ ١٥١، وتلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ج٤ ق٢/ ١١٣٥، والوفيات لابن قنفذ ٢٨٩ رقم ٥٧٦، وطبقات الشافعية للنووي (مخطوط) ورقة ٤٢، وملء العيبة للفهري (انظر فهرس الأعلام) ٢/ ٤٨٤، وأزهار الرياض ٣/ ١٦٧، ٢٨٣، والمختصر المحتاج إليه ١/ ٢٠٦، والعبر ٤/ ٢٢٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٩٨، وميزان الاعتدال ١/ ١٥٥ رقم ٦١٠، وأهل المائة فصاعداً (نُشر في مجلة المورد العراقية) ١٣٤، وسير أعلام النبلاء٢١/ ٥ـ٣٩ رقم ١، والمعين في طبقات المحدّثين ١٧٦ رقم ١٨٧٩، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٣٧، ودول الإسلام ٢/ ٨٩، والوافي بالوفيات ٧/ ٣٥١ـ ٣٥٦ رقم ٣٣٤٤، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ٢١٠، وطبقات الشافعية الوسطى، له(مخطوط) ورقة ٣٧أ، ومرآة الجنان٣/ ٤٠٣ـ ٤٠٤، والبداية والنهاية ١٢/ ٣٠٧، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٦٧ـ ٧٢ رقم ٤٥، وذيل التقييد لقاضي مكة ١/ ٣٧١ـ ٣٧٢ رقم ٧٢١، وغاية النهاية ١/ ١٠٢ـ ١٠٣ رقم٤٧٢، وتوضيح المشتبه ٥/ ١٣١ـ ١٣٢، وذيل تاريخ ابن الفرات ٩/ ٢٣، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٣٣٨ـ ٣٣٩ رقم ٣٠٤، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٥٨ـ ٥٩ رقم ٦٤٤، ولسان الميزان ١/ ٢٩٩ رقم ٣٠٠ رقم ٨٨٠، والتاج المكلّل للقنوجي ٣٤، والعسجد المسبوك ٢/ ١٨١ـ ١٨٢، وتبصير المنتبه ٢/ ٧٣٨، والسلوك ج١ ق١/ ٦٣، ٧٢، وعقد الجمان للعيني (مخطوط) ١٦/ ورقة ٦٣٠، والنجوم الزاهرة ٦/ ٨٨، وحسن المحاضرة ١/ ٣٥٤، وطبقات الحفاظ ٤٦٩، وتاريخ الخلفاء ٤٥٧، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٣/ ٢٢٩ رقم ٢٧٨، وشذرات الذهب ٤/ ٢٥٥، وديوان الإسلام لابن الغزّي ٣/ ٩٤ رقم ١١٧٥، وكشف الظنون ٥٤، ٥٨٧، ٩٨٢، ٩٩٦، ٩٩٧، ١٠٤٤، ١٦٩٦، وإيضاح المكنون ٢/ ٥٠٨، وفهرس الفهارس للكتاني ٢/ ٣٣٩ـ ٣٤٢، والأعلام ١/ ٢١٥، ومعجم المؤلفين ٢/ ٧٥، ٧٦، وتهذيب تاريخ دمشق ١/ ٤٤٩، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين ٥٧ رقم ١٠٤٧، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي (للتدمري) ق٢ ج١/ ٣٥٥ـ ٣٥٧ رقم ٢١٠، ودراسات في تاريخ الساحل الشامي (لبنان في العصر الفاطمي) ـ التاريخ الحضاري ـ (للتدمري) ٣٢٤ـ ٣٢٦.

وانظر للسلفي كتابه «معجم السفر» ففيه معلومات كثيرة عنه. وانظر: مختصر معجم السفر، الذي نشره الدكتور إحسان عباس في (أخبار وتراجم أندلسية) بيروت ١٩٦٣ـ ص٥ـ ١٤، والجزء الأول من معجم السفر الذي نشرته د. بهيجة الحسني ـ بغداد١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨، ونقد الكتاب المذكور للدكتور بشار عوّاد معروف في مجلة المورد العراقية ـ مجلّد ٨، العدد١، بغداد ١٩٧٩، ومقدّم كتاب سؤآلات الحافظ السلفي لخميس الحوزي، بتحقيق مطاع الطرابيشي، طبعة دار الفكر دمشق ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.

تاريخ الإسلام (السنوات ٥٧١ـ ٥٨٠هـ) ص ١٩٥ رقم ١٩٤، ٩٤، ١١.

الوضيعة المرذولة، فقام مشمّراً للعزائم، مُجاهراً لا تردّه اللوائم، حتى أحيا ميّت السنة، وأمات حي البدعة، وفعل ما شكر الله له، والإسلام عليه صنعه، وكأنما كان ممهداً لبني أيوب، ومقدّماً لمآثرهم التي أقسمت الأيام أنها بمثلها لا تؤوب.

رحل في طلب الحديث، ولقي أعيان المشايخ، وكان شافعي المذهب. ورد بغداد، واشتغل بها على الكيا الهرَّاسي في الفقه، وعلى أبي زكريا يحيى التبريزي اللغوي في اللغة، وجاب البلاد، وطاف الآفاق، ودخل ثغر الإسكندرية سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وأقام به، وقصده الناس من الأماكن البعيدة، وسمعوا عليه، وانتفعوا به، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله.

وبنى له العادل أبو الحسن علي بن السلاّر ـ وزير الظاهر صاحب مصر ـ سنة ست وأربعين وخمسمائة مدرسة بالثغر المذكور، وفوّضها إليه، وهي معروفة به إلى الآن.

وكتب الكثير وأماليه وتعاليقه كثيرة.

[وكان رجلاً مقصوداً مُمَدَّحاً وقصدته الأمراء، ومدحته الشعراء، وفيه يقول عُمارة[١]: [من البسيط]

وَقَـائِـلٍ مَـنَ أَجَـلُّ الـنَّـاسِ مـنـزلـةً ... فِي أَهْلِ ذَا الجِيْلِ، قُلْتُ الحَافِظُ السِّلَفِي

وَذَا الـدَّلِـيْـلُ عَـلَـى ذَا أَنَّـهُ رَجُـلٌ ... مَـا فِـيْ الـزَّمَـانِ سِـوَاهُ وَارِثُ الـسَّـلَـفِ

مَـا لِـلـصَّـفَـائِـحِ مِـنْ سَـمْـعٍ وَلاَ نَـظَـرٍ ... إلاّ إلَـى نَـصٍ ما يُـملـي مِـنَ الـصُّـحُـفِ

كَـمْ ضـاقَ خَـطْـبٌ بِـمَـلْـهُـوفٍ فَـقُـمْـتَ بِـهِ ... يَـا وَاسِـعَ الـصَّـدْرِ وَالـبَـاعَـيْـنِ وَالـكَـتِـفِ

عَـرِيْـضُ جَـاهِـكَ لاَ تُـطْـوَى مَـرَاحِـلُـهُ ... إلاَّ بِـقَـذْفِ الـمَـطَـايَـا فِـيْ نَـوًى قُـذُفِ

حَـسْـبِـي أَبَـا طَـاهِـرٍ أَنِّـيْ أَمـنـت بِـمَـا ... عَـلِـمـتَ مِـنِّـيَ وُدّاً غَـيْـرَ مُـنْـحَـرِفِ

شَـرِيْـعَـةٌ مِـنْ وَفَـاءٍ أَنْـتَ تَـعْـرِفُـهَـا ... مَـا كُـلُّ مَـعْـرِفَـةٍ بِـالَّـلامِ وَالأَلِـفِ

أَحْـرَزْتُ وُدَّكَ لاَ أَبْـغِـيْ بِـهِ بَـدَلاً ... مَنْ أَحْـرَزَ الـدُّرَّ لَـمْ يَـسْـأَلْ عَـنِ الـصَّـدَفِ

ولابن قلاقس[٢] فيه غرر قصائد، ودرر فرائد.

---

(١) عمارة اليمني، والأبيات لم ترد في ديوانه.

(٢) ابن قَلاَقِس: نصر الله بن عبد الله بن عبد مخلوف عبد القوي اللخمي، أبو الفتوح، الأعز، المعروف بابن قلاقس الإسكندري الأزهري: شاعر، نبيل، من كبار الكتاب المترسلين. كان في سيرته غموض، ولد بالاسكندرية سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م ونشأ بها، وانتقل إلى القاهرة فكان فيها =

منها قوله[1]: [من الكامل]

لَـوْلاَ ظُـبّـى يُـسْـتَـلُ مِـنْ لَـحَـظَـاتِـهِ ... لَـجَـنَـيْـتُ وَرْداً لاَحَ مِـنْ وَجَـنَـاتِـهِ

أَقْـطَـعـتُـهُ قَـلْـبِـي فَـقَـطَّـعَـهُ أَسَـى ... فَـعَـلامَ يُـتْـلِـفُ ذَاتَـهُ بِـأَذَاتِـهِ

وَلَـقَـدْ عَـدِمْـتُ الـعَـيْـشَ لـمَّـا هَـالَـنِـي ... بَـدْرٌ حُـدُوجُ الـعِـيْـسِ مِـنْ هَـالاَتِـهِ

فَـلِـيَ الـغَـرَامُ ولِـلإِمَـامِ الـمُـرْتَـجَـى ... مَـجْـدٌ عُـقُـوْدُ الـحَـمْـدِ فِـيْ لَـبَّـاتِـهِ

يَـقِـظٌ أَضَـاءَ بِـعـلـمِـهِ نُـوْرَ الـهُـدَى ... فَـكَـأَنَّـمـا الـنِّـبْـرَاسُ فِـيْ مِـشْـكَـاتِـهِ

= من عشراء الأمراء، ثم عاد إليها، ولقي فيها أبا الحسن «سعيد بن غزال السامريّ كاتب الضرغام» وطلب من أبي الحسن شيئاً من شعره وبعض ترسُّله ليضمّنها كتاباً له اسماه «مواطر الخواطر» ويجعلهما «نجميْ حلكه، في فلكه، ودرَّي نحره، في بحره» كما جاء في رسالة كتبها بعد ذلك إليه. وزار صقلية (سنة ٥٦٣) وكان له فيها أصدقاء، يكاتبهم ويكاتبونه، منهم القائد «غارات بن جوسن خاصة المملكة الغُلْيَلْمية» والشيخ «ابن فاتح» و«السديد الحصري» وأخصهم القائد أبو القاسم بن الحجر، وقد صنف فيه «الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم». وكان يكثر النزول بعيذاب (من ثغور البحر الأحمر، شمالي جدة) ودخل عدن (سنة ٥٦٥هـ) ثم غادرها مبحراً في تجارة. وارتطمت سفينته بصخرة في جزيرة «نخرة» بضم النون وسكون الخاء (وسماها ابن خلكان جزيرة الناموس؟) قرب دهلك وهو مرسى في جزيرة بلاد اليمن والحبشة) فتبدد «ثلثا» ما معه من فلفل وبقم وسواهما. وأسعفه سلطان دهلك «مالك بن أبي السداد» بالطعام والملابس، له ولرجاله، وأنزله عنده. واستكتبه في منتصف جمادى الآخرة (٥٦٦) رسالة إلى «السيد عبد النبي ابن مهدي» صاحب زبيد، ورسالة أخرى(غيرمؤرخة) إلى «القاسم بن الغانم بن وهاس الحسني صاحب بلاد عثر، بين الحجاز واليمن» وكتب هو، في غرة رجب ٥٦٦ إلى«أبي بكر العيدي» الوزير بعدن، اثنتي عشرة صفحة صغيرة، وبعد طوافه بزبيد وعدن، استقر في «عيذاب» وربما كان يفضلها، لتوسطها بين مصر والحجاز واليمن، تبعاً لاقتضاء المصلحة؟ وتوفي بها سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م.

أما كتبه: فشعره كثير غرق بعضه (كما تقدم) وبعضه في «ديوان ـ ط»، ولمحمد ابن نباتة المصري «مختارات من ديوان ابن قلاقس ـ خ» في خزانة الشيخ علي الليثي بمصر؛ وفي المكتبة الأهلية بباريس، مخطوطة (رقم ٣١٣٩) من «ديوانه» فيها زيادات على المطبوع (كما يقول محمد بن شنب، في دائرة المعارف الإسلامية) وسبق ذكر تأليفه «مواطر الخواطر» ولعله على طريقة الخريدة، و«الزهر الباسم»، أما «ديوان ترسُّله ـ خ» ففيه من شعره ما ليس في دواوينه.

ترجمته في: خريدة القصر، قسم شعراء مصر ١/ ١٤٥ وكتاب الروضتين ١/ ٢٠٥، وفيات الأعيان ٢/ ١٥٦، معجم الأدباء٧/ ٢١١، والإعلام لابن قاضي شهبة ـ خ ـ. ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٦٤ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٦٩ ومعجم البلدان ٤/ ١١٥ وسماه النواجي في «تأهيل الغريب ـ ط»: «نصر الله بن قلاقس اللخمي الأوند»، الأعلام ٨/ ٢٦، معجم الشعراء للجبوري ٦/ ٤٠ـ ٤٢..

(١) ديوانه ٥٩٧ـ ٥٩٩.

أَبَــداً رَوِيَّــتُــهُ بَــدِيْــهَــتُــهُ فَــمَــا تَــلْـقَــاكَ لَـوْلاَ حِـلْـمُـهُ بِـأَنَـاتِـهِ
ذُوْ رَاحَـةٍ وَكَـفَـتْ نَـدًى وَكَـفَـتْ رَدًى فَـقَـضَـتْ بِـتِـلْـك عِـدَاتُـهُ وَعُـدَاتُـهُ
إِنَّـا حَـمِـدْنَـا الـدَّهْـرَ فِـيْـكَ وَلَـمْ نَـكُـنْ لِـنَـذُمَّ دَهْـراً أَنْـتَ مِـنْ حَـسَـنَـاتِـهِ

وقوله[1]: [من الخفيف]

اسْقِنِيْهَا قَبْلَ اتِّفَاقِ ذَوِيْ العِلْـمِ فَـإِنِّـي رَأَيْـتُـهُـم فِـيْ اخْـتِـلاَفِ
قَـهْـوَةً مَـا وَصَـفْـتُ بَـعْـضَ حُـلاهَـا لَـكَ إِلاّ سَـكِـرْتُ بِـالأَوْصَـافِ
مَـا تَـرَى الـصُّـبْـحَ كَـيْـفَ جَـهَّـزَ جَـيْـشـاً آذَنَ الـلَّـيْـلُ عِـنْـهُ بِـالانْـصِـرَافِ
وَعُـقُـودَ الـنُّـجُـوم قَـدْ نَـثَـرَتْـهَـا رَاحَـةُ الـنُّـوْرِ مِـنْ طُـلَـى الأَسْـدَافِ
فَـاقْـتَـرِفْ وَاعْـتَـرِفْ فَـثَـمَّ كَـرِيْـمُ يَـهَـبُ الاقْـتِـرَافَ لِـلاعْـتِـرافِ
أتـى حـبـر لآلِ فـارسَ أضـحـى حـلـل الـنُّـسْـكِ عِـنـدَهُ والـعَـفَـافِ
وَامْـدَحِ الـحَـافِـظَ الْـمَـدَّحَ تَـلْـبَـسْ كَـنَـبِـيِّ الـهُـدَى لِـعَـبْـدِ مَـنَـافِ
سَـلَـفِـيٌّ مَـخَـايِـلُ الـفَـضْـلِ دَلَّـتْ أَنَّـهُ مِـنْ بَـقِـيَّـةِ الأَسْـلاَفِ]

ومولده سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة تقريباً بأصبهان، وتوفي ضحوة نهار الجمعة، وقيل ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بالإسكندرية.

ومنهم:

[٥٨]

عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التوني، الدمياطي، الشافعي، شرف الدين أبو محمد[2]

الفقيه الحافظ النسابة، صاحب التصانيف.

أكثر من أدركت / ٢٤٥/ بمصر من السادات، بل كلّهم عن علمه أخذ، ومن فهمه فلَذ، وبسهمه نفذ، فأصاب المفاصل، ونفذ ماءً جرى رونقاً في المناصل، ولم أجد إلاّ لَهِجاً بذكره، لا يفتر منه لسانه، ولا ينكر لديهم في غاية إحسانه. وكان الناس في وقته، ما عداه، أشباه وأنظار ما فيهم غيره من تُعقَد عليه حُباه، وله رحلة هي

(١) ديوان ابن قلاقس ٤٧٤ـ ٤٧٦.

(٢) ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٤٠٩، طبقات الشافعية للسبكي ١٠/ ١٠٢، معرفة القراء الكبار ٢/ ٧٢٩، طبقات علماء الحديث ٤/ ٢٦٢، غاية النهاية ١/ ٤٧٢، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٧.

قصارى من ارتحل في زمانه بتونة، وحلّ بلاداً غير بلاده، وأوطاناً غير أوطانه.

ولد في آخر سنة ثلاث عشرة وستمائة، وتفقه بدمياط، وبرع، ثم طلب الحديث، فارتحل إلى الإسكندرية، ومصر، ودمشق، وحماة، وحلب، وماردين، وحرّان، وبغداد، وحمل عن ابن خليل حمل دابةً كتباً وأجزاء، وكتب العالي والنازل، وجمع فأوعى، وسكن دمشق، فأكثر عن ابن سَلمة، وغيره. ومُعجم شيوخه يبلُغ ألفاً وثلاثمائة نفرٍ.

وكان صادقاً، حافظاً، ناقلاً للقراءات، متقناً، جيد العربية، غزير اللغة، واسع الفقه، رأساً في علم النسب، ديناً، كيّساً، متواضعاً، بساماً، محبّباً إلى الطلبة، مليح الصورة، نقي الشيبة، كبير القدر.

قال أبو الحجاج المزي: ما رأيت في الحديث أحفظ منه، وروى عنه وتوفي فجأة بعد أن قُرىء عليه الحديث، فأُصْعِدَ إلى بيته مغشياً عليه في منتصف ذي القعدة سنة خمس وسبعمائة بالقاهرة، وصُلي عليه بدمشق في أول جمعة من ذي الحجة.

وبه تمَّ الحفَّاظ بالجانب الغربي ممن أخرج من سباسب الأوطان، وأدرج في سبائب الأكفان، وأصبح أثراً بعد عين، وخبراً يسأل عنه بكيف بعد أين.

[مشاهير فقهاء المحدثين]

وسنذكر بعدهم:

ـ فقهاء المحدّثين؛ إذ كانوا المُنبطين لأحكامه، والمستبسطين لإحكامه، والمُستنبئين في علمه بالوصول، والمبينين بفهمه لمراد الرسول ﷺ، ونتبين ما أراده ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ فيما يقول.

* * *

[مشاهير فقهاء المحدثين في الجانب الشرقي]

/ ٢٤٦/ وأبدأ فيهم بالجانب الشرقي، فأقول.

منهم:

[١]

علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك[1]

فقيه العراق، الإمام، أبو شبل النخعي، الكوفي، خال إبراهيم، وعمّ الأسود.

---

(١) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل (ويقال: كهيل) بن بكر بن عوف ابن النخع.

ترجمته في: أخبار القضاة ٣/ ٤٢، وتاريخ الطبري ١/ ١١٥ و٣٤٣ و٢/ ٤١٩، ٥٧٥ و٥٨٣ و٥٨٧ و٥٩٢ و٥٩٣، و٤/ ٣٠٥ و٣٠٦ و٣٠٩ و٣٢٣ و٥٢٠ و٥/ ٣٢، والولاة والقضاة ٢٤، والوفيات لابن قنفذ٩٥ رقم ٦٢، وتاريخ بغداد ١٢/ ٣٩٦ـ ٣٠٠ رقم ٦٧٤٣، وحلية الأولياء ٢/ ٩٨ـ ١٠٢ رقم ١٦٤، وجامع التحصيل ٢٩٣ رقم ٥٣٤، وطبقات ابن سعد ٦/ ٨٦، والتاريخ الكبير ٧/ ٤١ رقم ١٧٧، والجرح والتعديل ٦/ ٤٠٤ رقم ٢٢٥٨، والعقد الفريد ٢/ ٢٣٣ و٤٣٧ و٣/ ١٦٨، وتاريخ أبي زرعة ١/ ٦١٦ و٦٥١ و٦٥٢ و٦٥٤ و٦٥٥ و٦٦٥ و٦٦٧، والزاهر١/ ١٨٦ و٤١٤، وأنساب الأشراف ق٤ ج١/ ٢٣٥ و٣٨٠ و٥١٧ و٥١٨ و٥٣٤ و٥٣٦ و٥٤٥، والكامل في التاريخ ٣/ ١٣٢ و١٣٤ و١٣٨ و٣٠٧ و٤/ ١٠١ و٣٩٢، وجمهرة أنساب العرب ٤١٦، =

لَقِن بالحديث وفقهه، وفطن للأمر وشبهه. تصدَّر في الصدر الأول، وتصوَّر الحقائق حتى كان عليه المعوّل. وكان في ذلك الجيل، واضطربوا، ولم ينكل، واضطروا إلى أن سألوا منه عما أشكل، ولم تكن لتعرض عليه مبهمة، إلاّ يجليها لوقتها، ولا مشكلة إلاّ يزيل لباس مقتها، وكان ممن إذا قرأ، حرّك الجماد، وإذا قرر علماً، استنبط الثِّماد، وإذا قدَّر شيئاً، لا يخطئه، ولو بعدت به الآماد.

ولد في حياة رسول الله ﷺ ولحق الجاهلية، وسمع من عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وجوّد القرآن على ابن مسعود، وتفقّه به، فكان أنبل أصحابه، حتى قال ابن مسعود: ما أقرأ شيئاً، وما أعلم شيئاً إلاّ علقمة يُقرأوه، ويعلمه.

وقال قابوس بن ظبيان: قلت لأبي: لأي شيء تدعُ الصحابة، وتأتي علقمة؟ قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يسألون علقمة، ويستفتونه.

وكان فقيهاً، إماماً، بارعاً، طيّب الصوت بالقرآن، ثبتاً فيما ينقل، صاحب خير، وورع. كان يُشَبّهُ بابن مسعود في هديه، وسمته، ودلّه، وفضله. وكان أعرج، أخذ عنه طائفة، ومات سنة اثنتين وستين.

ومنهم:

[٢]

القاضي شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي(١)

هو الذي إلى الآن يُضرب به المثل، ويُحدّث عنه العجب. بحر لجيّ لا يمشي فيه

= والمعرفة والتاريخ ٢/ ٥٥٢، وطبقات الفقهاء ٧٩، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٤١/ ١٥٤ـ ١٩١ رقم ٤٧٥٧، والمعارف ٤٣١ و٢١٣ و٥٨٢، وتاريخ خليفة ١٩٦ و٢٣٦، وطبقات خليفة ١٤٧، وتهذيب الأسماء واللغات ق١ ج١/ ٣٤٢ـ ٣٤٣ رقم ٤٢٥، ومشاهير علماء الأمصار ١٠٠ رقم ٧٤١، والتاريخ لابن معين ٢/ ٤١٥، وتاريخ الثقات للعجلي ٣٣٩ـ ٣٤١ رقم ١١٦١، والزيارات ٧٩، وتهذيب الكمال ٩٥٧، وتذكرة الحفاظ ١/ ٤٥، والعبر ١/ ٦٦ـ ٦٧، ودول الإسلام ١/ ٤٧، والكاشف ٢/ ٢٤٢ رقم ٣٩٣٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣ـ ٦١ رقم ١٤، ومرآة الجنان ١/ ١٣٧، والبداية والنهاية ٨/ ٢١٨، وغاية النهاية ١/ ٥١٦ رقم ٢١٣٥، والإصابة ٣/ ١١٠ رقم ٦٤٥٤، وتهذيب التهذيب ٧/ ٢٧٦ـ ٢٧٨، والنجوم الزاهرة ١/ ١٥٧، والأسامي والكنى للحاكم، ورقة ٣٧٧أ، وطبقات الحفاظ ١٢، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٧١، وشذرات الذهب ١/ ٧٠، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ٧، وتاريخ الإسلام (السنوات ٦١ـ ٨٠هـ) ص ١٩٠ رقم ٧٤.

(١) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/ ١٣١، التاريخ الكبير ٤/ ٢٢٨، المعارف ٤٣٣، والمعرفة والتاريخ ٢/ ٥٨٦، وأخبار القضاة ٢/ ١٨٩، الجرح والتعديل ٤/ ٢٢٢، مشاهير علماء الأمصار =

إلاّ مساحله، وبرّ فسيح لا يُسلك إلاّ مساهله. وربّ فضل لا تُعدّ فواضله، وفعل يرضيك/ ٢٤٧/ جدّهُ، ويلهيك باطله. لا يسأم معه في مراح، ولا يُسأم له حق يحبّبه مُزاح، أرضى مثل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قضاؤه، ومات على الرضا عنه. وحسبك من مثل ذلك الشديد في دين الله إرضاؤه.

كان من كبار التابعين، وأدرك الجاهلية واستقضاه عمر بن الخطاب في الكوفة، فأقام بها قاضياً خمساً وستين سنة، لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين. امتنع من القضاء فيها في فتنة ابن الزبير، واستعفى الحجاج بن يوسف من القضاء فأعفاه، ولم يقض بين اثنين حتى مات، وكان أعلم الناس بالقضاء، ذا ذكاء، وفطنة، ومعرفة، وعقل، وإصابة.

قال ابن عبد البرّ: كان شاعراً محسناً وهو أحد السادات الطُّلْس، وهم أربعة:

عبد الله بن الزبير، وقيس بن سعد بن عبادة، والأحنف بن قيس الذي يضرب به المثل في الحلم، والقاضي شريح المذكور، والأطلس الذي لا شعر في وجهه.

وكان مزّاحاً. دخل عليه عدي بن أوطاة، فقال له: أين أنت أصلحك الله؟! قال: بينك وبين الحائط. قال: اسمع مني. قال: قل أسمع. قال: إني رجل من أهل الشام. قال: مكان سحيق. قال: وتزوّجت عندكم. قال: بالرفاء والبنين. قال: وأردت أن أرحلها. قال: الرجل أحقّ بأهله. قال: وشرطت لها دارها. قال: الشرط لها، قال: فاحكم الآن بيننا، قال: قد فعلت. قال: فعلى من حكمت؟ قال: على ابن أمك قال: بشهادة من؟، قال: بشهادة ابن أخت خالتك.

وروي أنَّ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ دخل مع خصم ذمي على القاضي شريح، فقام له، فقال: هذا أول جورك، ثم أسند ظهره إلى الجدار، فقال: أمّا إنَّ خصمي لو كان مسلماً لجلستُ بجنبه.

وتزوّج شُريح امرأةً من بني تميم تسمّى زينب، فنقم عليها شيئاً، فضربها، ثم ندم وقال: [من الطويل]

رَأَيْتُ رِجَالاً يَضْرِبُونَ نِسَاءَهُمْ ... فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرِبُ زَيْنَبَا
/٢٤٨/ أَأَضْرِبُها مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ أَتَتْ بِهِ ... فَمَا العَدْلُ مِنِّي ضَرْبَ مَن لَيْسَ مَذْنِبَا
فَزَيْنَبُ شَمْسٌ والنِّسَاءُ كَوَاكِبٌ ... إذَا طَلَعَتْ لَمْ نَرَأَ مِنْهُنَّ كَوْكَبَا

= رقم ٧٣٦، حلية الأولياء ٤/ ١٢٢. تهذيب الكمال ١١/ ٤٣٥، الاستيعاب ٢/ ٢٥٧، طبقات الفقهاء ٨٠، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١/ ٢٤٣، وفيات الأعيان ٢/ ٤٦٠، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٠، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٩، طبقات علماء الحديث ١/ ١١٨.

وروي أنَّ علياً ـ رضي الله عنه ـ قال: اجمعوا لي القراء، فاجتمعوا في رحبة المسجد، فقال: أُوشِكُ أنْ أفارقكم، فجعل يَسألهم ما تقولون في كذا؟ ما تقولون في كذا؟ وشريح ساكت؛ فلما فرغ منهم، قال: اذهب، فأنت من أفضل الناس، أو من أفضل العرب.

ويروى انّ زياد ابن أبيه كتب إلى معاوية: يا أمير المؤمنين قد ضبطت لك العراق بشمالي، وفرّغت يمين لطاعتك، فولّني الحجاز، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر، وكان مقيماً بمكة، فقال: اللهم اشغل عنّا يمين زياد، فأصابه الطاعون في يمينه، فجمع الأطباء، واستشارهم، فأشاروا عليه بقطعها، فاستدعى القاضي شريحاً، وعرض عليه ما أشار به الأطباء، فقال له: لك رزق معلوم، وأجل مقسوم، وإني أكره إن كانت لك مدّة أن تعيش في الدنيا بلا يمين، وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربّك مقطوع اليد، فإذا سألك: لم قطعتها؟ قلت: بغضاً في لقائك. فلام الناس شريحاً على منعه من القطع؛ لبغضهم له، فقال: إنه استشارني، والمستشار مؤتمن، ولولا الأمانة في المشورة، لوددت أن قطع رجله يوماً، ويده يوماً، وسائر جسده يوماً يوماً، ومات زياد في يومه ذلك.

وتوفي شريح سنة سبع وثمانين، وهو ابن مائة سنة، وقيل: سنة ثمان وسبعين. قاله الحافظ أبو عبد الله الذهبي.

ومنهم:

[٣]

سعيد بن المسيَّب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المدني(١)

أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، والنبهاء الفضل الموقدينه، والنبلاء الممدّين الغمام المرفدينه، أجلّ التابعين، /٢٤٩/ وأجدّ ما يلج المسامع طرباً لو وعَيْن، سرّ ذلك الصدر المكتنف، وعميم ذلك البر المؤتنف، والفطن كأنه إذا سئل يعلم المغيَّب، والفذّ

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ١١٩ـ ١٤٣، الطبقات لخليفة ٢٤٤، تاريخ خليفة ١٣٤ و٢٦٥ و٢٨٩ و٢٩٠ و٣٠٦، والمعارف لابن قتيبة ٤٣٧، المعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٤٦٨، الجرح والتعديل ٤/ ٥٩ـ ٦١ رقم ٢٦٢، المراسيل لابن أبي حاتم ٧١ رقم ١١٤، التاريخ لابن معين ٢/ ٢٠٧ـ ٢٠٨، مشاهير علماء الأمصار ٦٣ رقم ٤٢٦، حلية الأولياء ٢/ ١٦١ـ ١٧٥ =

الفريد وكفى إذا قيل: قال، أو فعل سعيد بن المسيب.

ولد لسنتين مضيتا من خلافة عمر، وسمع منه شيئاً وهو يخطب، وكان سيد التابعين من الطراز الأول. جمع بين الحديث، والفقه، والزهد، والعبادة، والورع.

قال عبد الله بن عمر لرجل سأله عن مسألة: ايت ذاك، فسله ـ يعني سعيداً ـ ثم ارجع إليّ، فأخبرني، ففعل ذلك، وأخبره، فقال: ألم أخبرك أنّه أحد العلماء السبعة.

وقال في حقّه أيضاً لأصحابه: لو رأى هذا رسول الله ﷺ لسرّه.

وكان لقي جماعة من الصحابة وسمع منهم، ودخل على أزواج النبي ﷺ وأخذ عنهنَّ، وأكثر روايته المسند عن أبي هريرة، وكان زوج ابنته.

وسُئل الزهري ومكحول: من أفقه من أدركتما؟ فقالا: سعيد بن المسيب.

وحجَّ أربعين حجة، وقال: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنةً، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة؛ لمحافظته على الصف الأول.

وقيل: إنه صلّى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة، وكان واسع العلم، وافر الحرمة، متين الديانة، قوالاً بالحق، فقيه النفس.

قال قتادة: ما رأيت أحداً أعلم من سعيد بن المسيب؛ ولذا قال الزهري، ومكحول، وغير واحد، وصدقوا.

وقال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً من سعيد. هو عندي أجل التابعين، وكان لا يقبل جوائز السلطان، وله أربعمائة دينار يتَّجر فيها.

= رقم ١٧٠، طبقات الفقهاء للشيرازي ٥٧ـ ٥٨، التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٥١٠ـ ٥١١ رقم ١٦٩٨، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ق١ ج١/ ٢١٩ـ ٢٢١ رقم ٢١٢، صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ٧٩ـ ٨٢ رقم ١٥٩، كتاب الزيارات للهروي ٩٤، وفيات الأعيان ٢/ ٣٧٥ـ ٣٧٨ رقم ٢٦٢، خلاصة الذهب المسبوك للإربلي ٥ و٧ و٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٥٤ ـ٥٦ رقم ٣٨، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٧ـ ٢٤٦، رقم ٨٨، والعبر ١/ ١١٠، الكاشف للذهبي ١/ ٢٩٦ رقم ١٩٧٩، البداية والنهاية ٩/ ٩٩ـ ١٠١، الوافي بالوفيات ١٥/ ٢٦٢ رقم ٣٦٨، تحفة الأشراف للمزّي ١٣/ ٢٠٥ـ ٢١٧ رقم ١٠٩٠، الوفيات لابن قنفذ ٨٨ رقم ٩١، غاية النهاية لابن الجزري، رقم ١٣٥٤، وتهذيب التهذيب ٤/ ٨٤ـ ٨٨ رقم ١٤٥، تقريب التهذيب ١/ ٣٠٥ـ ٣٠٦ رقم ٢٦٠، النجوم الزاهرة ١/ ٢٢٨، طبقات الحفاظ للسيوطي ١٧، تاريخ الخلفاء ٢٢٥، تاريخ الخميس للديار بكري ٢/ ٣٤٩، خلاصة تذهيب التهذيب ١٤٣، شذرات الذهب ١/ ١٠٢ـ ١٠٣، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ٩٦ـ ٩٧، الكامل في التاريخ ٤/ ٥٨٢، دول الإسلام ١/ ٦٥، جامع التحصيل لابن كيكلدي ٢٢٣ـ ٢٢٤ رقم ٢٤٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٨١ـ ١٠٠هـ) ص٣٧١.

وقال سعيد: ما أعلم أحداً أعلم بقضاء قضى فيه رسول الله ـ صلى الله / ٢٥٠/ عليه وسلم ـ ولا أبو بكر وعمر منّي.

وكان الحسن إذا أشكل عليه شيء، كتب إلى ابن المسيب يسأله.

وقال المطلب بن السائب: كنتُ جالساً مع ابن المسيب في السوق، فمرَّ بريد لبني مروان، فقال له سعيد: من رسل بني مروان أنت؟ قال: نعم. قال: كيف تركت بني مروان أنت؟، قال: بخير. قال: تركتهم يجيعون الناس، ويُشبعون الكلاب. فاشرأب الرسول، فقمت إليه فلم أزل أرجيّه حتى انطلق، فقلت لسعيدٍ: يغفر الله لك تُشيط بدمك، بالكلمة هكذا تُلقيها ـ فقال: اسكت يا أحيمق، فوالله لا يُسلِمُني الله ما أخذتُ بحقوقه.

وقال مصعب بن عثمان: أراد مسلم بن عقبة قتل سعيد بن المسيب، فشهد عمرو ابن عثمان، ومروان بن الحكم إنه مجنون، فخلّى سبيله.

وقال ابن سعد: توفي عبد العزيز بن مروان، فعقد عبد الملك لابنيه العهد، وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان، فدعا هشام المخزومي ـ عامله على المدينة ـ الناس إلى البيعة، فبايعوا، وأبى سعيد بن المسيب أن يبايع لهما، وقال: حتى أنظر، فضربه ستين سوطاً، وطاف به في تبّان من شعر حتى بلغ به رأس الثنية؛ فلما كرّوا به، قال: إلى أين؟ قالوا: السجن، قال: والله لولا أنّي ظننتُ أنه الصلب، ما لبست هذا التبَّان أبداً، فردّوه السجن، وكتب هشام إلى عبد الملك بخلافه، فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع به. ويقول: سعيد كان والله أحوج إلى أن تصل رحمه من أن تضر به، وإنا لنعلم ما عند سعيد شقاق، ولا خلاف، فندم هشام، وخلّى سبيله.

وقال عمران بن عبد الله: أرى نفس سعيد بن المسيب كانت أهون عليه في الله من نفس ذباب.

ومن مفردات سعيد بن المسيب: أنَّ المطلَّقة ثلاثاً تحلّ للأول بمجرد عقد الثاني من غير وطء.

/ ٢٥١/ توفي على الصحيح سنة أربع وتسعين.

ومنهم:

[٤]

عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى القرشي الأسدي(١)

أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، والعلماء أهل الدرجات المكينة، والصلحاء

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٥/ ١٧٨ـ ١٨٢، الزهد لأحمد ٣٧١، الطبقات لخليفة ٢٤١، تاريخ خليفة ١٥٦ و٣٠٦، الكنى والأسماء للدولابي ٢/ ٥٨، التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٣١ـ ٣٢ رقم =

أصحاب الديانة المتينة، والأكفاء من رجال طيبة أخت البلدة الأمينة، والقرناء لما بين لابَتَيها، ونعمَ القرين، ونعم القرينة.

كان في صباه بين لِدَاتٍ من أقرانه وإخوته وإخوانه بالمسجد الحرام، فتمنّوا الأماني من الدنيا والملك، وتمنّى الجنة والنسك، فلم يُبقَ رجل منهم حتى نال أمنيته، ونال الواحدة، ولا عجب أن يكون بلغ الثانية لما بلغ منيّته.

ذكر العُتبي: أنَّ المسجد الحرام جمع بين عبد الملك بن مروان، وعبد الله بن الزبير، وأخويه مصعب وعروة. أيام تألّفهم بعهد معاوية بن أبي سفيان، فقال بعضهم: هلمَّ فلنتمنَّه، فقال عبد الله: منيتي أن أملك الحرمين، وأنال الخلافة، وقال مصعب: منيتي أن أملك العراقين، وأجمع بين عَقِيلتي قريش سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة، وقال عبد الملك بن مروان: منيتي أن أملك الأرض كلها، وأخلف معاوية، فقال عروة: لستُ في شيء مما أنتم فيه. منيتي الزهد في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة، وأن أكون ممن يُروى عنه العلم، قال: فصرّف الدهر من صروفه إلى أن بلغ كل واحد منهم أمله، فكان عبد الملك بعد ذلك يقول: من سرَّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة في الدنيا، فلينظر إلى عروة بن الزبير.

ولد عروة سنة نيَّف وعشرين للهجرة، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين، وإحدى عجائز الجنة، وهو شقيق عبد الله بن الزبير بخلاف مصعب، فإنَّ أمه غير أسماء.

= ١٣٨، التاريخ لابن معين ٢/ ٣٩٩ـ ٤٠٠، جمهرة نسب قريش لابن بكار ٢٦٢ و٢٨٣، المعارف ٢٢٢، المعرفة والتاريخ ١/ ٣٦٤ و٥٥٠، الأخبار الموفقيات ٢١٤، نسب قريش ٢٤٥ و٣٨٠، مشاهير علماء الأمصار ٦٤ رقم ٤٢٨، تاريخ أبي زرعة (راجع فهرس الأعلام) الجرح والتعديل ٦/ ٣٩٥ـ ٣٩٦ رقم ٢٢٠٧، طبقات الفقهاء ٥٨ـ ٥٩، المراسيل ١٤٤٩ رقم ٢٧٣، تهذيب الأسماء ق١ ج١/ ٣٣١ـ ٣٣٢ رقم ٤٠٥، تحفة الأشراف للمزّي ١٣/ ٢٨٨ـ ٢٩٧ رقم ١١٩٨، وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٥ـ ٢٥٨ رقم ٤١٦، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢١ـ ٤٣٧ رقم١٦٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٦٢ـ ٦٣ رقم ٥١، العبر ١/ ١٠١، الكاشف٢/ ٢٢٩ رقم ٣٨٣٠، البداية والنهاية ٩/ ١٠١ـ ١٠٣، جامع التحصيل ٢٨٩ رقم ٥١٥، مرآة الجنان ١/ ١٨٧ـ ١٨٩، الكامل في التاريخ٤/ ٥٨٢، حلية الأولياء ٢/ ١٧٦ـ ١٨٢، الوفيات لابن قنفذ ٨٩، النكت الظراف لابن جحر ١٣/ ٢٨٨، تهذيب التهذيب ٧/ ١٨٠ـ ١٨٥ رقم ٣٥١، تقريب التهذيب ٢/ ١٩ رقم ١٥٧، غاية النهاية رقم ٢١١٤، طبقات الحفاظ للسيوطي ٢٣، خلاصة تذهيب التهذيب ٢٦٥، شذرات الذهب ١/ ١٠٣، تاريخ الإسلام (السنوات ٨١ـ ١٠٠هـ) ص ٤٢٤.

وقد وردت الرواية عنه في حروف القرآن وسمع خالته/ ٢٥٢/ أم المؤمنين عائشة، وروى عنه خلق. وكان عالماً صالحاً، وأصابته الآكلة في رجله ـ وهو بالشام عند الوليد بن عبد الملك ـ فقطعت رجله في مجلس الوليد، والوليد مشغول عنه بمن يحدّثه، فلم يتحرَّك، ولم يشعر الوليد أنها قطعت، حتى كويت، فوجد رائحة الكيّ.

كذا قال ابن قتيبة، ولم يترك ورده تلك الليلة. ويقال: إنه مات ولده محمد في تلك السفرة؛ فلما عاد إلى المدينة، قال: «لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا»، وعاش بعد قطع رجله ثمان سنين.

وذكر المبرد في كتاب التعازي: أنّ عروة قدم على الوليد بن عبد الملك، ومعه ولده محمد بن عروة، فدخل محمد دار الدواب، فضربته دابة، فخرَّ ميتاً، ووقعت في رجل عروة الآكلة، ولم يدع تلك الليلة، فقال له الوليد: اقطعها، قال: لا، فترقَّت إلى ساقه، فقال له الوليد: اقطعها وإلاّ أفسدت عليك جسدك، فقطعها بالمنشار، وهو شيخ كبير لم يمسكه أحد، وقال: «لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً».

وقدم على الوليد بن عبد الملك قوم من بني عبس تلك السنة فيهم رجل ضرير، فسأله الوليد عن عينه، فقال: يا أمير المؤمنين بتُّ ليلةً في بطن وادٍ، ولا أعلم عبسياً يزيد ماله على مالي، فطرقنا سيل، فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد غير بعير وصبي مولود. وكان البعير صعباً، فندَّ، فوضعت الصبي، واتبعتُ البعير، ولم أجاوز إلاّ قليلاً حتى سمعت صيحة ابني ورأسه في فم الذئب، وهو يأكله، ولحقت البعير لأحبسه، فنفحني برجله على وجهي، فحطمه، وذهبت عيناي، وأصبحتُ لا مال لي، ولا أهل، ولا ولد، ولا بصر، فقال الوليد: والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أرب في السعي، وقد تقدَّمك عضوٌ من أعضائك، وابن من أبنائك إلى الجنة، والكلّ تَبعٌ للبعض /٢٥٣/ إن شاء الله تعالى، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء، وعنه غير أغنياء من علمك ورأيك، نفعك الله وإيانا به، والله وليّ ثوابك، والضمين لحسابك.

ولما قتل عبد الله بن الزبير، قدم أخوه عروة على عبد الملك بن مروان، فقال له يوماً: أن تعطيني سيف أخي عبد الله، فقال: هو بين السيوف، ولا أميّزهُ من بينها، فقال عروة: إذا حضرت السيوف ميزته أنا، فأمر عبد الملك بإحضارها؛ فلما حضرت أخذ منها سيفاً مُفَلّلَ الحدّ، فقال: هذا سيف أخي، فقال عبد الملك: كنت تعرفه قبل الآن؟ فقال: لا، فقال: كيف عرفته؟، فقال: يقول النابغة الذبياني: [من الطويل]

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أنَّ سُيُوفَهُم ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

واحتفر عروة بئراً بالمدينة، وهي بئر منسوبة إليه، ليس بالمدينة بئر أعذب من مائها.

وتوفي بالفُرع في سنة الفقهاء، وهي سنة أربع وتسعين ودفن هناك ـ رحمه الله ـ.

ومنهم:

[٥]

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخْزُومي(١)

أحد الفقهاء السبعة الذين هم السبعة الشهب السواري، والكواكب الدراري، والأيام السبعة التي هي الدهر كله، والأفلاك السبعة التي هي العالم أو جُلّه، وكان يسمى راهب قريش؛ لملازمة معبده، ومداومة تعبّده، دِيناً عمّر باطنه، وعمَّ مواطنه، حتى شفَّ من وراء زجاجته، وخفَّ معه، فلم يقعد في طلب مراضي الله عن قضاء حاجته.

اسمه في الصحيح كنيته، ويقال: اسمه محمد، وكان من سادات التابعين، وانتشر عنه، وعن باقي الفقهاء السبعة العلم والفُتيا في الدنيا. / ٢٥٤/ واستصغر يوم الجمل فردّ من عسكر طلحة.

وكان ثقةً، فقيهاً، إماماً، كثيرالرواية، سخياً، صالحاً، عابداً، متألهاً. وكان مكفوفاً.

توفي بالمدينة سنة أربع وتسعين، ومولده في خلافة عمر.

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٥/ ٢٠٧، التاريخ لابن معين ٢/ ٦٩٥، نسب قريش ٣٠٣ـ ٣٠٤، الطبقات لخليفة ٢٤٥، تاريخ خليفة ٣٠٦ـ ٣٩٣، التاريخ الكبير ٩/ ٩، المعرفة والتاريخ ١/ ٣٣٣ و٣٥٢ و٣٥٣ و٤٠١ و٤٢٦ و٤٧٢ و٧١٤ و٣/ ٣٣٥ـ ٣٣٦، تاريخ أبي زرعة ١/ ٣١٤ و٤٠٦ و٥٩١، المعارف٨٢، الكنى والأسماء١/ ١٢٥، الجرح والتعديل ٩/ ٣٣٦ رقم ١٤٩٠، حلية الأولياء ٢/ ١٨٧ـ ١٨٨ رقم ١٧٣، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١٤٥، طبقات الفقهاء للشيرازي٥٩، صفة الصفوة ٢/ ٩٢ رقم ١٦٤، تهذيب الأسماء واللغات ق١ ج٢/ ١٩٤ رقم ١٦٥، العبر ١/ ١١١، البداية والنهاية ٩/ ١١٥، مرآة الجنان١/ ١٩٨، وفيات الأعيان١/ ٢٨٢ـ ٢٨٣ رقم ١١٧، نكت الهميان ١٣١، تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٠ـ ٣٢ رقم ١٤١، تقريب التهذيب ٢/ ٣٩٨ رقم ٥٤، طبقات الحفاظ ٢٤، خلاصة تذهيب التهذيب ٤٤٤، شذرات الذهب ١/ ١٠٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٨١ـ ١٠٠هـ) ص ٥١٢ رقم ٤٤٩.

ومنهم:

[٦]

سعيد بن جبير الوائلي، مولاهم الكوفي(١)

الفقيه أحد الأعلام والتابعين في صدر الإسلام، قتل في وفائه، وخُتل دون تكدير صفائه، أعطى موثقاً لم يخنه، والموت يُصالته جهراً، والسيف ينظر إليه شزراً، وعدوّ الله مبير ثقيف تتوقد نار غضبه، وتتوقل الكبرياء في هُضبه، وهو بجنان لا يخامره الوهل، ولا يخادعه حب المهل، مقدماً بين يديه المسير، متقدّماً لا يحب التأخير؛ لما يعرفه من حسن المصير.

سمع ابن عباس فأكثر عنه، وروى عن عدي بن حاتم، وعبد الله بن مغفل، وطائفة، وروى عنه خلق، وكان ابن عباس إذا حجَّ أهل الكوفة، وسألوه، يقول: أليس فيكم سعيد بن جبير؟!.

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٥٦ـ ٢٦٧، الزهد لأحمد بن حنبل ٣٧٠، الطبقات لخليفة ٢٨٠، التاريخ لخليفة ٣٠٧، التاريخ الكبير للبخاري٣/ ٤٦١ رقم ١٥٣٣، المعارف لابن قتيبة ٤٤٥، المعرفة والتاريخ للفسوي ١/ ٧١٢ـ ٧١٣، أخبار القضاة لوكيع ٢/ ٤١١ـ ٤١٢، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٩ـ ١٠ رقم ٢٩، مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ٨٢ رقم ٥٩١، التاريخ لابن معين ٢/ ١٩٦ـ ١٩٨، حلية الأولياء لأبي نعيم ٤/ ٢٧٢ـ ٣٠٩ رقم ٢٧٥، تاريخ أبي زرعة ١/ ٥١٥ و٦٧١، المراسيل لابن أبي حاتم ٧٤ رقم ١١٨، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٢، تهذيب الأسماء واللغات للنووي ق١ ج١/ ٢١٦ـ ٢١٧ رقم ٢٠٨، التذكرة الحمدونية لابن حمدون ١/ ١٤٣، وفيات الأعيان لابن خلكان٢/ ٣٧١ـ ٣٧٤ رقم ٢٦١، تحفة الأشراف للمزّي ١٣/ ٢٠١ـ ٢٠٣ رقم ١٠٨٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٢ـ ٣٤٣ رقم ١١٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٧٦ـ ٧٧ رقم ٧٣، العبر ١/ ١١٢، الكاشف للذهبي ١/ ٢٨٢ رقم ١٨٧٩، خلاصة الذهب المسبوك للإربلي ١١/ ١٣، مرآة الجنان لليافعي ١/ ١٩٦ـ ١٩٨، البداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٩٦ و٩٨، الوافي بالوفيات للصفدي ٦/ ٣٨ـ ٣٩، نهاية الأرب للنويري ٢١/ ٣٢٢ـ ٣٢٣، الزيارات للهروي ٧٩ـ ٨٠، العقد الثمين للفاسي ٤/ ٥٤٩، غاية النهاية لابن الجزري ـ الترجمة ١٣٤٠، تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/ ١١ـ ١٤ رقم١٤، تقريب التهذيب لابن حجر ١/ ٢٩٢ رقم ١٣٣، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١/ ٢٢٨، طبقات الحفاظ للسيوطي ٣١، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٢٥، خلاصة تذهيب التهذيب للخزرجي ١٣٦، طبقات المفسّرين للداودي ١/ ١٨١ـ ١٨٢ رقم ١٨١، شذرات الذهب لابن العماد ١/ ١٠٨، القاموس الإسلامي لعطيّة الله ٣/ ٣٦١ـ ٣٦٢، ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم ١/ ٣٢٤، تاريخ الخميس ٢/ ٣٥٠، وانظر عن أخباره مع الحَجّاج في كتب التاريخ للطبري واليعقوبي والمسعودي وابن الأثير وغيرهم، تاريخ الإسلام (السنوات ٨١ ـ ١٠٠هـ) ص ٣٦٦ رقم ٢٧٥.

وقال أشعث بن إسحاق: كان يقال لسعيد بن جبير جهبذ العلماء.

وقال القاسم بن أبي أيوب: كان يبكي بالليل حتى عمش وسمعته يردّد هذه الآية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾(١) بضعاً وعشرين مرة.

وقيل: إنه قام ليلة في جوف الكعبة فقرأ القرآن في ركعة.

وروي أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين.

وروى الثوري عن عمر بن سعيد، قال: دعا سعيد بن جبير ولده لما قتل، فجعل يبكي، فقال: ما يبكيك؟، قال: ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة.

وقال ابن عُيَيْنة: لما أُتي بسعيد بن جبير إلى الحجاج، قال: أنت شقي بن كُسير، قال: أنا سعيد بن جبير. قال: لأقتلنّك. قال: أنا إذاً كما سمتني أمي، ثم قال: /٢٥٥/ دعوني أصلي ركعتين. قال: وجهوه إلى قبلة النصارى. قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(٢) ثم قال: إني أستعيذ منك بما عاذت به مريم: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾(٣).

وقال عتبة مولى الحجاج حضرت سعيد بن جبير، فجعل الحجاج يقول له: ألم أفعل بك؟ فيقول: بلى، فقال: فما حملك على ما فعلت؟ قال: بيعة كانت عليَّ، فغضب، وصفق بيديه، وقال: بيعة أمير المؤمنين كانت أسبق، وأولى، وأُمر به، فقتل.

وكان قتل الحجاج له؛ لكونه قاتل مع ابن الأشعث،[وكان سعيد قد هرب من الحجاج إلى مكة، فأرسل الحجاج يطلب] من الوليد جماعة قد التجأوا إلى مكة، فكتب الوليد إلى عامله على مكة خالد بن عبد الله القسري يأمره بإرسال من طلبه الحجاج. فطلب الحجاج سعيد بن جبير، وغيره، فأرسل خالد بن عبد الله كل من يطلبه الحجاج، وكان فيهم سعيد بن جبير، فقتله الحجاج].

وكان قتله في شعبان سنة خمس وتسعين، وله تسع وأربعون سنة على الأشهر. وقيل: عاش بضعاً وخمسين سنة، وكان أسود اللون أبيض الرأس واللحية.

وقال ميمون بن مهران: مات سعيد وما على ظهر الأرض رجل إلاّ ويحتاج إلى علمه. [وكان لا يدع أحداً يغتاب عنده. وكان يُصلّي في الطاق، ولا يقنت في الصبح، ويعتمّ عمامته ويرخيها شبراً من ورائه].

ومنهم:

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨١.
(٢) سورة البقرة: الآية ١١٥.
(٣) سورة مريم: الآية ١٨.

[٧]

إبراهيم بن يزيد بن الأسود، الفقيه الكوفي النخعي(١)

أحد الأئمة المشاهير. تابعي، ما خرج عن الطريق، ولوذعيّ تشبّث لنار فطنته

---

(١) ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦/ ٢٧٠ـ ٢٨٤، والمحبّر لابن حبيب ٣٠٣، وطبقات خليفة ١٥٧، وتاريخ خليفة ٣١٣، والعلل لابن المديني ٤٣ و٤٦ و٦٠ و٦١ و٧٤ و٩٠ و٩٢ و٩٣، ومعرفة الرجال لابن معين ١/ ١٢٠ رقم ٥٨٨ و١/ ١٦٤ رقم ٩١٤ و٢/ ٢٦ رقم ٢١ و٢ / ٥٢ رقم ٨٨ و٢/ ٥٤ رقم ٩٥ و٢/ ٧١ رقم ١٤٤ و٢/ ٧٨ رقم ١٧٣ و٢/ ١٣٥ رقم ٤١٩ و٢/ ١٣٦ رقم ٤٢٣، والتاريخ له ٢/ ١٥ـ ١٨، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد، رقم ١٦ و٣٥ و١٣١ و١٣٢ و١٨٣ و٢٠٠ و٢١٧ و٢٣٧ و٢٤٨ و٣٥٥ و٤٧٩ و٥٧٣ و٥٩٣ و٦٤٨ و٦٤٩ و٩٤٩ و٩٥٢ و٩٥٣ و١٦٠٧ و١٢٥٣ و١٩٧١ و١٩٧٢ و٢١٣٢ و٢١٤٨ و٢١٧٦ و٢١٧٦ و٢٢٤٤ و٢٢٥٤ و٢٧٢٦ و٢٧٤٦ و٢٣٣٤ و٢٣٣٥ و٢٥٨٧ وانظر فهرس الأعلام٧٠ـ ٧٢، والتاريخ الصغير١٠٢، والتاريخ الكبير١/ ٣٣٣ـ ٣٣٤، رقم ١٠٥٢، والجامع الصحيح للترمذي١/ ١٦٠، وتاريخ الثقات ٥٦ـ ٥٧ رقم٤٥، والزاهر للأنباري ١/ ٤٩٣ و٥٥٧ و٢/ ٦٢ و٣١٦ و٢٢٢، والمعرفة والتاريخ ٢/ ١٠٠ و٦٠٤ وانظر فهرس الأعلام ٣/ ٤٣٤، وتاريخ أبي زرعة١/ ١٢٢ و٢٩٣ و٤٣٩ و٤٧٠ و٦١٦ و٦٢٩ و٦٤٥ و٦٥٠ـ ٦٥٢ و٦٥٥ و٦٥٦ و٦٦٤ـ ٦٦٦ و٢/ ٦٧٥ و٦٨٣، وأنساب الأشراف ٣/ ٩٥ و٤ق ١/ ٢١٦ و٢٣٥ و٢٣٦ و٣٨٠ و٣٨٢ و٤٨٤ و٥١٨ و٤/ ١٢٠ و٥/ ٣١و٣ و١٧٢ و٢٧٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٨٢، والمعارف ١٣٤، والبرصان والعرجان ٣٤٠ و٣٦٤، والبيان والتبين ١/ ١٩٢، وتاريخ الطبري ١/ ١١٤ـ ١١٦ و٣٤٣ و٤٤٣ و٤٤٤ و٢/ ٣١٠ و٣١٥ و٤١٩ و٣/ ١٩٧ و٢٠١ و٥٨٩ و٦١٥ و٤/ ٣٢ و٣٣ و٢٢٦ و٢٢٧ و٥٢٠ و٧/ ٣٥٩، والجرح والتعديل ٢/ ١٤٤ـ ١٤٥ رقم ٤٧٣، والمراسيل ٨ـ ١٠ رقم١، ورجال صحيح مسلم ١/ ٤٧ رقم ٤٩، ومشاهير علماء الأمصار، رقم ٧٤٨، والثقات لابن حبّان ٤/٨ـ ٩، وحلية الأولياء ٤/ ٢١٩ـ ٢٤٠ رقم ٢٧٣، والزهد لابن المبارك ٤٥ و٩٩ و١٢٤ و١٤٢ و١٤٧ و٢٥٩ و٣٨٨ و٣٨٩ و٤٢٣ و٤٤٤ و٤٥٠ و٤٦٣ و٤٦٨ و٤٨٥ و٥٠٣ و٥٣٤ والملحق به رقم ٤٧ و٢٩٧، والعقد الفريد٢/ ٢١٧ و٢٣٣ و٢٣٦ و٢٣٧ و٢٣٩ و٣٧٢ و٤٢٩ و٤٣٢ و٤٣٤ و٤٣٧ و٣/ ١٨٤ و١٩٨ و٢٠١ و٢٠٩ و٢١٠ و٢٣٤ و٤١٦ و٤/ ٤١، وعيون الأخبار ١/ ٢٣٠ و٢٦٧ و٣/ ١٥ و١٠١ و٤/ ٥٦، وجمهرة أنساب العرب ٤١٥، ورجال صحيح البخاري ١/ ٦٠، ٦١ رقم ٥١، ومروج الذهب ٢١٤٩ و٢٥٢٧، وطبقات الفقهاء للشيرازي٥٨ و٦٤ و ٧٢ و٧٩ و٨٢ و٨٤ و٨٦ و٨٨، ورجال الطوسي ٣٥ رقم٩، وأخبار القضاة لوكيع٢/ ٢٠٤ و٢٤٣ و٢٧٧ـ ٢٨٥ و٣/ ٤٢ و٥٠ و٥٥ و٥٦ و٥٧ و٦٣ و٦٥ و٦٧ و٧٢ و٧٣ و ١٨٢، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ١٨ـ ١٩ رقم٦١، وتهذيب الأسماء واللغات ق١ ج١/ ١٠٤ـ ١٠٥ رقم٣٦، ووفيات الأعيان ١/ ٢٥ـ ٢٦ و٤٤١ و٢/ ٣٩ و٤٠٠، و٤٠١ و٤٦٤، وصفة الصفوة ٣/ ٨٦ ـ٩٠ رقم ٤١٢، وتهذيب الكمال ٢/ ٢٣٣ـ ٢٤٠ رقم ٢٦٥، والكامل في التاريخ ٢/ ٥٩ و٥/ ٢١، ودول الإسلام ١/ ٦٥، وتذكرة الحفّاظ ١/ ٦٩ـ ٧٠، والعبر ١/ ١١٣، والكاشف ١/ ٥١ رقم ٢٢٠، والمعين في طبقات المحدّثين ٣٧ رقم ٢٥٦، وميزان الاعتدال ١/ ٧٤ـ ٧٥ رقم٢٥٢، والمغني في الضعفاء١/ ٣٠ =

حريق، وألمعي لا يُخطىء رأيه رائد التوفيق، تقيّل سُنة داود صياماً، وتقلل من الدهر فقسَّمه أياماً، مع خوف لمقام ربه، واستعدادٍ للموت وكربه، وحتى إذا حضره الموت، وحصره عدم الفوت، وتحقق المسير دون المصير، تمنّى بقاء حالة النزاع، ومعالجة سكرات الموت البشاع، خوفاً مما لا يدري ما يقدم عليه، ويقدم إليه قول صادق غير كاذب، ومُنى حق لا يخادعها، وحبل وريده في يد الجاذب.

رأى عائشة ـ رضي الله عنها ـ ودخل إليها، وهو صبي، ولم يثبت له منها سماع، وأخذ عنه خلق، وكان من العلماء ذوي الإخلاص.

قال مغيرة: كنّا نهاب إبراهيم كما نهاب الأمير.

وقال الأعمش: ربما رأيت إبراهيم يصلّي، ثم يأتينا فيبقى ساعة/ ٢٥٦/ كأنه مريض.

وقال الأعمش: كان إبراهيم صيرفياً في الحديث، وكان يتوقّى الشهرة، ولا يجلس إلى أسطوانة.

قال الحسن بن عمرو الفقيمي: كان إبراهيم يشتري الوز، ويسمنه، ويهديه إلى الأمراء.

وقال ابن عون: كان إبراهيم يأتي الأمراء، ويسألهم الجوائز.

وقال حماد: بشرتُ إبراهيم بموت الحجاج، فسجد، وبكى من الفرح.

وقال سعيد بن جبير: تستفتوني، وفيكم إبراهيم النخعي.

وكان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، ولا يتكلّم في العلم إلاّ أن يسأل؛ ولمّا حضرته الوفاة جزع جزعاً شديداً، فقيل له في ذلك، فقال: وأيّ خطر أعظم مما أنا فيه، أنا أتوقع رسولاً يرد عليّ من ربي إمّا بالجنة، وإمّا بالنار. والله لوددت أنها تلجلج في حلقي إلى يوم القيامة.

= رقم٢٠٩، وعهد الخلفاء الراشدين(تاريخ الإسلام) ٣٧٣ و٣٥١، وسير أعلام النبلاء٤/ ٥٢٠ـ ٥٢٩ رقم٢١٣، وجامع التحصيل ١٦٨ رقم ١٣، ومرآة الجنان ١/ ١٨٠ و١٩٨، والبداية والنهاية ٩/ ١٤٠، ومختصر التاريخ لابن الكازروني ٣٩، والوافي بالوفيات ٦/ ١٦٩ رقم ٢٦٢٢، وغاية النهاية ٢٩ـ ٣٠ رقم ١٢٥، وتهذيب التهذيب ١/ ١٧٧ـ ١٧٩ رقم ٣٢٥، وتقريب التهذيب ١/ ٤٦ رقم ٣٠١، وطبقات الحفّاظ للسيوطي ٢٩، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢٣، وشذرات الذهب ١/ ١١١، وربيع الأبرار ٤/ ٦١ و٩٩؛ وكتاب الشكر لابن أبي الدنيا ١١٣، تاريخ الإسلام (السنوات ٨١ـ ١٠٠هـ) ص ٢٧٦ رقم ٢٠٦ .

توفي سنة ستّ، وقيل: سنة خمس وتسعين للهجرة.

قال الشعبي: ما خَلَف بعده مثله.

ومنهم:

[٨]

عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي(١)

أحد الفقهاء السبعة وابن أخي عبد الله بن مسعود؛ لقي خلقاً كثيراً من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ حلّق إليهم فخبّ، ولحق بهم وما سحب، وكان فيه ظرف عباد الحجاز، ولطف عشاق ذلك الزمان، مع الزيادة على ما فيهم من عفاف وكرم، وورع لا ينكر لأهل الحرم.

كان من أعلام التابعين، وأعلى المتابعين، والمقفين على آثار من سلف تحت الشجرة من المبايعين، والذين مضت فُرّاطهم أمماً قبلهم، ومضوا بعدهم مُتتابعين.

سمع ابنَ عباس، وأبا هريرة، وعائشة.

قال الزهري: أدركت أربعة بحور. فذكر منهم عبيد الله المذكور.

---

(١) عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَة بن مسعود الهُذَلي، أبو عبد الله: مفتي المدينة، وأحد الفقهاء السبعة فيها. من أعلام التابعين. له شعر جيد أورد أبو تمام قطعة منه في «الحماسة» وأبو الفرج كثيراً منه في «الأغاني» وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز.
قال ابن سعد: كان ثقة عالماً فقيهاً كثير الحديث والعلم بالشعر، وقد ذهب بصره.
مات بالمدينة سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م.
ترجمته في: الطبقات الكبرى ٥/ ٢٥٠، الطبقات لخليفة ٢٤٣، تاريخ خليفة ٣٢٠، التاريخ الكبير ٥/ ٣٨٥ـ ٣٨٦ رقم ١٢٣٦، المعارف ٢٥٠ و٢٥١ و٥٨٨، المعرفة والتاريخ ١/ ٥٦٠ـ ٥٦٣، الجرح والتعديل ٥/ ٣١٩ـ ٣٢٠ رقم ١٥١٧، حلية الأولياء ٢/ ١٨٨ـ ١٨٩ رقم ١٧٤، الأخبار الموفقيات ٣٤٤ و٣٩١، طبقات الفقهاء ٦٠، مشاهير علماء الأمصار ٦٤ رقم ٤٢٩، تهذيب الأسماء ق١ ج١/ ٣١٢ رقم ٣٨٠، وفيات الأعيان ٣/ ١١٥ـ ١١٦ رقم ٣٥٦، الأغاني ٩/ ١٣٥، صفة الصفوة ٢/ ١٠٢ـ ١٠٣ رقم ١٦٦، سمط اللآلىء للبكري ٧٨١، تحفة الأشراف للمزي ١٣/ ٢٨١ رقم ١١٨٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٧٤، والعبر ١/ ١١٦، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٧٥ـ ٤٧٩ رقم ١٧٩، الكاشف ٢/ ٢٢٠ رقم ٣٦١١، نكت الهميان للصفدي ١٩٧، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٣ـ ٢٤ رقم ٥٠، تقريب التهذيب ١/ ٥٣٥ رقم ١٤٦٩، طبقات الحفاظ٣٢، خلاصة تذهيب التهذيب ٢٥١، شذرات الذهب ١/ ١١٤، الأعلام ٤/ ١٩٥، تاريخ أبي زرعة ١/ ١٦٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٨١ـ ١٠٠هـ) ص٤٢١ـ ٤٢٣ رقم ٣٤١.

وقال أيضاً: سمعتُ من العلم شيئاً كثيراً، فظننت أني اكتفيت حتى لقيت عبيد الله ابن عبد الله، فإذا كأني ليس في يدي شيء.

وقال عمر بن عبد العزيز: لأنْ يكون لي مجلس /٢٥٧/ من عبيد الله أحبّ إليّ من الدنيا.

وكان ناسكاً، توفي سنة ثمان ومائة، وله شعر، فمن ذلك ما أورده له صاحب الحماسة فيها: [من الوافر]

فشَقَقْتِ القَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتِ فِيْهِ هَوَاكِ فَلِيْمَ فَالتَأَمَ الفُطُورُ
تَغَلْغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِيْ فُؤَادِيْ فَبَادِيْهِ مَعَ الخَافِيْ يَسِيْرُ
تَوَغَّل حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلاَ حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُوْرُ

ولما قال هذا الشعر، قيل له: أتقول مثل هذا؟، فقال: في اللدود راحة المفقود.

وهو القائل:

لا بُدَّ لِلْمَصْدُور أَنْ يَنْفُثْ

ومنهم:

[٩]

خارجة بن زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لُوذان، أبو زيد الأنصاري(١)

أحد الفقهاء السبعة، والعلماء أهل السمعة، وَلَدُ المُستأمن على جمع القرآن، والمستأمَر على عظيم هذا الشأن. ابنُ كاتب الوحي، وصاحب الوعي. ما قصر عن

---

(١) خارجة بن زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن مالك بن النجار الخزرجي النجاري.
ترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٢٦٢ـ٢٦٣، والمحبَّر لابن حبيب ٣٧٧، والعلل لابن المديني ٤٥ـ٤٦، وطبقات خليفة ٢٥١، وتاريخ خلفية ٣٢١، والعلل لأحمد ١/ ٣٠٥، والتاريخ الكبير ٣/ ٢٠٤ رقم ٦٩٦، وتاريخ الثقات للعجلي ١٤٠ رقم ٣٦١، والتاريخ الصغير ٢٤، والمعارف ٢٦٠، والمعرفة والتاريخ ١/ ٣٠٠ و٣٥٢ و٣٥٣ و٣٧٦ و٤٢٦ و٤٧١ و٥٥٩ و٥٦٧ و٧١٤، وتاريخ أبي زرعة١/ ٦٠٤، وأنساب الأشراف ١/ ٢٤٤ و٢٥٢ و٢٧١ و٣٢٦ و٣٢٧ و٣٣٠ و٤ ق١/ ٤٢أ وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٨٢ و٢٨٨ و٣٠٨، والأخبار الموفقيّات ٤٨٥ـ٤٨٦، والزاهر للأنباري ٢/ ٣٦٠، ونسب قريش ٢٧٣، وأخبار القضاة لوكيع ١/ ١٠٨، وتاريخ الطبري ٦/ ٤٢٧ و٤٣٥، والجرح والتعديل ٣/ ٣٧٤ رقم ١٧٠٧، وحلية الأولياء ٢/ ١٨٩ـ ١٩٠ رقم ١٧٥، والعقد الفريد ٤/ ١٦٨ـ ١٦٩، والثقات لابن حبان٤/ ٢١١، ومشاهير علماء الأمصار، رقم ٤٣١، ورجال صحيح مسلم ١/ ١٩٣ رقم ٤٠٩، وطبقات الفقهاء للشيرازي٤٧ و٦٠ و٦١، ورجال الطوسي ٤٠، والهفوات النادرة ٣٧٣، ورجال صحيح البخاري ١/ ٢٣٤ رقم ٣١١، والأسامي والكنى، للحاكم، ورقة ٢٠٣ب، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ١٢٦ رقم ٤٩٧، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ١٥/ ٣٨٩ـ =

السبق، ولا تأخر إذ حلق، ولا انقطع عن ذيل ذلك السلف الذي به تعلّق، ما جحد علوّ قدره إلاّ من لا يعرف مدارجه، ولا أمّل الرقيّ إليه إلاّ أنكر معارجه، ولا فضل عليه سواه إلاّ ظهر له باطل رايه، فقال: أردتَ عَمْراً وأراد الله خارجة.

قال مصعب بن عبد الله: كان خارجة بن زيد، وطلحة بن عبد الله بن عوف في زمانهما يُستفتيان وينتهي الناس إلى قولهما، ويُقسّمان المواريث من الدور والنخل والأموال بين أهلها، ويكتبان الوثائق للناس.

وقال خارجة: والله لقد رأيتُنا ونحن غلمان شباب في زمان عثمان، فدفن في مؤخر البقيع.

وقال ابن سعد؛ قال خارجة: رأيت في المنام كأني بنيت سبعين درجة؛ فلما فرغت منها، تدهورت. وهذه السنة لي سبعون سنة قد أكملتها، قال: فمات فيها.

/٢٥٨/ قال الواقدي، والهيثم بن عدي، والجماعة: توفي سنة مائة.

وقال الفلاس: توفي سنة تسع وتسعين.

وقال رجاء بن حيوة لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين؛ قدم قادم الساعة، فأخبرنا أنَّ خارجة بن زيد مات، فاسترجع، وصفق بإحدى يديه على الأخرى، وقال: ثلمةٌ والله في الإسلام.

ومنهم:

[١٠]

عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار الشعبي الكوفي(١)

ذو اللفظ المتشعب، والحفظ المستوعب، والفهم الذي يُذلل المستصعب،

= ٣٩٩ رقم ١٨٥٥، والتبيين في أنساب القرشيين ٣٥٤، والكامل في التاريخ ٢/ ١٠٦ و٤/ ٥٢٦، وتذهيب الأسماء واللغات ق١ ج١/ ١٧٢ رقم١٤٠، ولباب الآداب ١٠٣، وربيع الأبرار ٤/ ٣٦٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٣٣، وتهذيب الكمال ٨/ ٨ـ ١٣ رقم ١٥٨٩، وصفة الصفوة ٢/ ١٨٩ رقم ١٥٧، ودول الإسلام ١/ ٧٠، وتذكرة الحفّاظ ١/ ٨٥، والعبر ١/ ١١٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٣٧ـ ٤٤١ رقم ١٦٩، والكاشف ١/ ٢٠٠ رقم ١٣٠٩، ومرآة الجنان ١/ ٢٠٨، والبداية والنهاية ٩/ ١٨٣، والتذكرة الفخرية ١١٤، والتذكرة الحمدونية ٢/ ١٠٨، والوافي بالوفيات ١٣/ ٢٤١ رقم ٢٩٣، والوفيات لابن قنفذ ٩٠ رقم١٠٠، وتهذيب التهذيب ٣/ ٧٤ـ ٧٥ رقم ١٤٣، وتقريب التهذيب ١/ ٢١٠ رقم٣، وانظر عنه في الإصابة: في ترجمة زيد بن خارجة، والنجوم الزاهرة ١/ ٢٤٢، وطبقات الحفّاظ للسيوطي ٣٥، وخلاصة تذهيب التهذيب ٩٩، وشذرات الذهب ١/ ١١٨، وتهذيب تاريخ دمشق ٥/ ٢٧ـ ٢٩، تاريخ الإسلام (السنوات ٨١ـ ١٠٠هـ) ص٣٤٢ رقم ٢٥٠.

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٤٦ ـ ٢٥٦، تاريخ خليفة ٣٣٠، الطبقات لخليفة ١٥٦، التاريخ لابن معين ٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٧، التاريخ الكبير ٦/ ٤٥٠ ـ ٤٥١ رقم ٢٩٦١، التاريخ الصغير ١١٥ ـ ١١٦، تاريخ الثقات ٢٤٣ رقم ١٥٧، المعارف ١٥٢، ٣٩٥ و٣٩٨ و٤٤٩ و٤٥١ و٤٧٣، ٤٧٩، ٤٨٦، ٥٣٧، =

والعِلم المريح إلّا أنه لغيره المتعب. وكان يُدمّتُ حواشي علمه بمزاح ينْدٰى أطاريفُه، وبسط يُوطّا ريفُه. فكاهةٌ تصقل الأفهام، وتزيل صَدَى الأوْهام، وتحلّ عُقَد النشاط، وتمدّ طرف الانبساط. يَمْزح ولا يعدو الحقّ، وإن لَعِب، ولا يزيدُ على أن يُريح من حبسه الانحصار التعب.

ولد سنة إحدى وعشرين، وقيل: قبل ذلك، ويقال: إنه أدرك خمسمائة من الصحابة.

وروي أنَّ ابن عمر مرَّ به يوماً، وهو يُحدّث بالمغازي، فقال: شهدت القوم وهو أعلم بها منّي.

وحكى الشعبي، قال: أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم؛ فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلاّ أجبته، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسني أياماً كثيرة. حتى استحثثت خروجي؛ فلما أردت الانصراف، قال: من أهل بيت المملكة أنت؟ فقلت: لا، ولكنّي رجل من العرب في الجملة، فهمس بشيء، فدفعت إليّ رقعة، وقال: إذا أديت الرسائل إلى صاحبك، فأوصل إليه هذه الرقعة. قال: فاديت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك، وأُنسيت الرقعة؛ فلما صرت في بعض الدار أريد الخروج

= ٥٨٣ و٥٩٥، المعرفة والتاريخ ١/ ٤٤٠ و٤٥٧ و٤٨٣ و٢/ ٣٠ و٣١ و٣٢ و٤٨ و١٠٨ و١٥٢ و١٥٦ و١٧٦ و١٨٩ و٢٥٥ و٢٧٧، ٣٦٢ و٥٧٧ و٥٨١ و٥٩٢ و٦٠٤، المنتخب من ذيل المذيل ٦٣٥، أخبار القضاة ٢/ ٤١٣ ـ ٤٢٨، الكنى والأسماء ٢/ ٤٣، الجرح والتعديل ٦/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣، المراسيل ١٥٩ ـ ١٦٠ رقم ٣٠٠، الكامل في التاريخ ٥/ ٤٤، حلية الأولياء ٤/ ٣١٠ ـ ٢٣٨ رقم ٣٧٦، الإكليل ٨/ ١٤٥، طبقات الشافعية للعبادي ٥٨، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٧ ـ ٢٣٣ رقم ٦٦٨٠، طبقات الفقهاء ٨١، سمط اللآلي ٧٥١، الجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٣٧٧، نور القبس ٢٣٧، جمهرة أنساب العرب ٤٣٣، صفة الصفوة ٣/ ٧٥ ـ ٧٧ رقم ٤١٠، تاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ١٣٨ ـ ٢٢٠ و٤/ ١٠٠ و١٨٤ و٢٦٠ و٢٦٦ و٢٦٩ و٣٣٤، تهذيب تاريخ دمشق ٧/ ١٤١ ـ ١٥٨، الزيارات ٧٩، قلائد العقيان ٤٠، طبقات فقهاء اليمن ٧٠، شرح الشريشي ٢/ ٢٤٥، معجم البلدان ٣/ ٣٤٨ (مادّة شَعْب)، اللباب ٢/ ١٩٨ (الشَّعْبي)، وفيات الأعيان ٣/ ١٢ ـ ١٦ رقم ٣١٧، ربيع الأبرار ١/ ٢١٩ ـ ٢٢٠ و٤/ ١٠٠ و١٨٤ و٢٦٠ و٢٦٦ و٢٦٩ و٣٣٤، تهذيب الكمال ٢/ ٦٤٣ ـ ٦٤٤، عيون الأخبار (انظر فهرس الأعلام ٤/ ٢٠٣)، تحفة الأشراف ١٣/ ٢٤٢ ـ ٢٤٧ رقم ١١٢٧، العبر ١/ ١٢٧، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤ ـ ٣١٩ رقم ١١٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٧٩ ـ ٨٨ رقم ٧٦، الكاشف ٢/ ٤٩ رقم ٢٥٥٦، غاية النهاية ١/ ٣٥٠، طبقات المعتزلة ١٣٠ و١٣٩، البداية والنهاية ٩/ ٢٣٠ ـ ٢٣١، مرآة الجنان ١/ ٢١٥ ـ ٢١٩، مروج الذهب ٤/ ٢١٢، ودول الإسلام ١/ ٧٣، جامع التحصيل ٢٤٨ رقم ٣٢٢، الوفيات لابن قنفذه ١٠٥ رقم ١٠٥، الوافي بالوفيات ١٦/ ٥٨٧ ـ ٥٨٩ رقم ٦٢٩، تهذيب التهذيب ٥/ ٦٥ ـ ٦٩ رقم ١١٠، تقريب التهذيب ١/ ٣٨٧ رقم ٤٦، طبقات الشعراني ١/ ٤٧، النجوم الزاهرة ١/ ٢٣٩ و٢٤٦ و٢٥٣، خلاصة تذهيب التهذيب ١٨٤، طبقات الحفاظ ٣٢، شذرات الذهب ١/ ١٢٦ ـ ١٢٨، مجمع الرجال ٣/ ٢٣٨، خلاصة الذهب المسبوك ٢٩ ـ ٣٠، تاريخ الخميس ٢/ ٣٥٥، إيضاح المكنون ٢/ ٣٧٣، هدية العارفين ١/ ٤٣٥، تاريخ الإسلام (السنوات ١٠١ ـ ١٢٠ هـ) ص١٢٤ رقم ١٠٦.

فذكرتها، فرجعت، فأوصلتها إليه؛ فلما قرأها، قال: أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها/ ٢٥٩/ إليك؟ قلت: نعم، قال لي: من أهل بين المملكة أنت؟، قلت: لا، ولكني رجل من العرب في الجملة، ثم خرجت من عنده؛ فلما بلغت الباب رددت؛ فلما مثلتُ بين يديه، قال لي: أتدري ما في هذه الرقعة؟ قلت: لا. قال: اقرأها، فقرأتها، فإذا فيها: عجبتُ من قوم فيهم مثل هذا كيف ملّكوا غيره؟! فقلت: والله لو علمت ما فيها ما حملتها، وإنما قال هذا؛ لأنه لم يرك. قال: أفتدري لم كتبها؟ قلت: لا. قال: حسدني عليك، وأراد أن يغريني بقتلك، قال: فتأدى ذلك إلى ملك الروم، فقال: ما أردت إلاّ ما قال.

وروي أنَّ الشعبي كلَّم عمرو بن هبيرة ـ أمير العراقين ـ في قوم حبسهم، ليطلقهم، فأبى، فقال له: أيها الأمير إن حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم، وإن حبستهم بالحق فالعفو يسعهم، فأطلقهم.

وكان قد ولد هو وأخ آخر في بطن، وأقام في البطن سنتين.

ويقال: إنَّ الحجاج قال له يوماً: كم عطاؤك في السنة؟، فقال: ألفين، فقال: ويحك كم عطاؤك؟ فقال: ألفان، فقال: كيف لحنتَ أولاً؟ قال: لحن الأمير، فلحنت، فلمّا أعرب، أعربت، وما أمكن أن يلحن الأمير، فأعرب أنا، فاستحسن ذلك منه، وأجازه.

وكان مزّاحاً يُروى: أنَّ رجلاً دخل عليه يوماً، ومعه امرأة في البيت، فقال: أيكم الشعبي؟، فقال: هذه.

وكان نحيفاً ضئيلاً، فقيل له يوماً: ما لنا نراك ضئيلاً؟ فقالَ: زوحمت في الرحم ـ أشار إلى توأمه المذكور ـ.

وكان إماماً حافظاً ذا فنون.

قال أحمد العجلي: مرسل الشعبي صحيح لا يكاد يرسل إلاّ صحيحاً.

وقال الشعبي: ما كتبت سوداء في بيضاء.

وروى عن جماعة من الصحابة، وروى عنه طائفة كبيرة منهم: أبو حنيفة، والأعمش.

توفي سنة أربع ومائة، ويقال: سنة ثلاث، والله أعلم.

/ ٢٦٠/ ومنهم:

[١١]

طاوس بن كيسان الخولاني الهمداني اليماني(١)، أبو عبد الرحمن

من أبناء الفرس الذين سيّرهم كسرى إلى اليمن، أحد الأعلام التابعين. طار بجنح

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٥/ ٥٣٧ـ ٥٤٢، تاريخ خليفة ٣٣٦، الطبقات لخليفة ٢٨٧، التاريخ لابن معين ٢/ ٢٧٥ـ ٢٧٦، الأخبار الموفقيات ٨٢، التاريخ الكبير ٤/ ٣٦٥ رقم ٣١٦٥، التاريخ =

العلم المأنوس، وزاد به حسناً إذ جناح طاوس إلاّ، ذو حق يلهو بمن مزح، ورياش ما فضل منه عن ريش طاوس إلاّ ما فضل لقوس قزح، وحلي ما ازدانت به عقائل الأرض، وحلل ما لبست ثيابه الخود، والبعض أقصر من بعض. هذا من علم نافع به ينبّأ، وعمل صالح له يُخبّأ، ويقين ما عليه أنَّ الليل بفجره المماطل يربأ، ولا أنَّ الصباح في جيشه المطل يعبَّأ، النور جلاله الصدق صفيحته، وأرى بصر بصيرته صبيحته.

قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً مثل طاوس.

وقال قيس بن سعد: كان طاوس فينا مثل ابن سيرين في أهل البصرة.

وقال ابن طاوس: إني لأظنّ طاووساً من أهل الجنة.

وقال النعمان بن الزبير الصنعاني: بعث أمير المؤمنين إلى طاوس بخمسمائة دينار، فلم يقبلها.

وقال إبراهيم بن ميسرة: ما رأيتُ أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة إلاّ طاوساً، وكان طاوس شيخ أهل اليمن، وبركتهم، ومفتيهم. له جلالة عظيمة، وكان كثير الحج، فاتفق موته بمكة قبل التروية بيوم سنة ستّ ومائة، وصلى عليه هشام بن عبد الملك.

[وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: من زعم أنَّ قبره ببعلبك، فهو مخطىء غالط، ولعلّه قبر رجل آخر اسمه طاوس، كما بظاهر دمشق قبر أُبيّ، وليس بالصحابي.]

ومنهم:

= الصغير ١١٥، تاريخ الثقات ٢٣٤ رقم ٧٢٠، المعارف ٤٥٥ و٤٧٨ و٥٠٧ و٥٥٠ و٦٢٤، المعرفة والتاريخ ١/ ٤٢٥ و٥٢٤ و٥٢٥ و٥٢٧ و٧٠٢ و٧٠٥ و٧١١ و٧١٤ و٢/ ٧ و٨ و١١ و٢٥٠ و٦٧٢ و٧٠٠ و٧١٣ و٧٥٧ و٣/ ١١٩ و٢١٤ و٣٧٠، تاريخ أبي زرعة ١/ ٥١٥، ٥١٦ و٥٤٧، ذيل المذيل للطبري ٦٣٦، الكنى والأسماء ٢/ ٦٧، الجرح والتعديل٤/ ٥٠٠ـ ٥٠١ رقم ٢٢٠٣، المراسيل ٩٩ـ ١٠٠ رقم١٥٤، مشاهير علماء الأمصار ١٢٢ رقم ٩٥٥، ربيع الأبرار ١/ ١٢٦ و٤/ ٨ و٢١٠ و٢٢٢ و٢٨٣ و٣٣٢، حلية الأولياء ٤/ ٣ـ ٢٣ رقم ٢٤٩، صفة الصفوة ٢/ ٢٨٤ـ ٢٩٠رقم ٢٤٣، طبقات الفقهاء للشيرازي ٧٣، الجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٢٣٥، الزيارات للهروي ٨٨، تهذيب الأسماء واللغات ق١ ج١/ ٢٥١ رقم ٢٦٩، وفيات الأعيان٢/ ٥٠٩ـ ٥١١ رقم ٣٠٦، تهذيب الكمال ٢/ ٦٢٣، اللباب١/ ٢٤١، تحفة الأشراف ١٣/ ٢٣٦ـ ٢٣٩ رقم ١١١٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٠ رقم ٧٩، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨ـ ٣٩ رقم ١٣، دول الإسلام ١/ ٧٥، الكاشف ٢/ ٣٧ رقم ٢٤٨٤، خلاصة الذهب المسبوك٣٤، العبر ١/ ١٣٠، مرآة الجنان١/ ٢٢٧ـ ٢٢٨، البداية والنهاية ٩/ ٢٣٥ـ ٢٤٤، غاية النهاية لابن الجزري ١/ ٣٣٩، جامع التحصيل ٢٤٤ رقم ٣٠٧، الوفيات لابن قنفذ ١٠٧ رقم ١٠٦، تهذيب التهذيب ٥/ ٨ـ ١٠ رقم ١٤، تقريب التهذيب ١/ ٣٧٧ رقم ١٤، الوافي بالوفيات ١٦/ ٤١٢ رقم ٤٥١، النجوم الزاهرة ١/ ٢٦٠، طبقات الشعراني ١/ ٤٣، طبقات الحفاظ ٣٤، خلاصة تذهيب الكمال ١٨١، العقد الثمين ٥/ ٥٨، مجمع الرجال ٣/ ٢٢٧، شذرات الذهب ١/ ١٣٣، تاريخ الإسلام (السنوات ١٠١ـ ١٢٠ هـ) ص١١٦ رقم ١٠٣.

[١٢]

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي، العدوي[1]، أبو عمر

أحد فقهاء المدينة.

ابن ذينك الأبوين، وثالث ذينك الاثنين، ووارث ذلك التراث، وحائز ذلك الميرات، بقية طينة الضجيع، ولمعة ذلك السيف الصنيع.

قال عمر بن عبد العزيز: لو كان لي من الأمر شيء ـ يعني بعده ـ لما عدوت بها القاسم بن محمد، أو سالم بن عبد الله، أو إسماعيل صاحب الأحوص.

[وصدق عمر فإنَّ الخلافة بعده كانت بعهدٍ من سليمان إلى أخيه يزيد بن عبد الملك].

وقد ضمنت / ٢٦١/٢ كتابي «فواضل السمر» من ذكره ما هو المسك لمنتشق، والغاية لمستبق.

وكان من سادات التابعين، وعلمائهم، وثقاتهم، روى عن أبيه، وغيره، وروى عنه الزهري وطائفة.

قال أحمد، وإسحاق، أصحُّ الطرق الزهري، عن سالم، عن أبيه.

وقال ابن إسحاق: رأيت سالماً يلبس الصوف، ويعالج بيديه، ويعمل.

وقال مالك: لم يكن أحد في زمانه أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والفضل، وكان عَلِجَ الخلق، شديد الأدمة، خشن العيش.

ودخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فرأى سالماً، فقال له: سلني حوائجك؟،

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٥/ ١٩٥ـ ٢٠١، نسب قريش ٣٥١، تاريخ خليفة ٣٣٨، الطبقات لخليفة ٢٤٦، التاريخ لابن معين ٢/ ١٨٧، التاريخ الكبير ٤/ ١١٥ رقم ٢١٥٥، التاريخ الصغير ١١٥، تاريخ الثقات ١٧٤ رقم ٤٩٩، المعارف ١٨٦ـ ١٨٧، المعرفة والتاريخ ١/ ٣٥٣ و٣٨٩ و٤٦٩ و٤٧١ و٥٥٤ـ ٥٥٦ و٢/ ٢٢٦ و٦٦٧ و٧٧٢ و٨٢١، الكنى والأسماء ٢/ ٤٠، المراسيل ٨١ رقم ١٢٧، الجرح والتعديل ٤/ ١٨٤ رقم ٧٩٧، مشاهير علماء الأمصار ٦٥ رقم ٤٣٨، تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٥٢ـ ٥٧، تهذيب الكمال ١/ ٤٦٠، تحفة الأشراف ١٣/ ١٩٩ رقم ١٠٨٠، تهذيب الأسماء واللغات ق١ ج١/ ٢٠٧ـ ٢٠٨، الكاشف ١/ ٢٧١ رقم ١٧٩١، دول الإسلام ١/ ٧٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٥٧ـ ٤٦٧ رقم١٧٦، جمهرة أنساب العرب ١٥٢ و١٥٤، طبقات الفقهاء ٦٢، وفيات الأعيان ٢/ ٣٤٩ـ ٣٥٠ رقم ٢٥٢، تذكرة الحفاظ ١/ ٨٨ رقم ٧٧، العبر ١/ ١٣٠، البداية والنهاية ٩/ ٢٣٤، غاية النهاية١/ ٣٠١ رقم ١٣١٥، حلية الأولياء٢/ ٢١٩، الوافي بالوفيات ٥/ ٨٣ـ ٨٥ رقم١١٠، تهذيب التهذيب ١/ ١٨٠ رقم١١، الوفيات لابن قنفذ ١٠٧، النجوم الزاهرة١/ ٢٥٦، مرآة الجنان١/ ٢٢٧، طبقات الحفاظ ٣٣، خلاصة تذهيب التهذيب ١٣١، شذرات الذهب ١/ ١٣٣، خلاصة الذهب المسبوك ٣٣ـ ٣٤، تاريخ الإسلام (السنوات ١٠١ـ ١٢٠هـ) ص٨٨ رقم٧١.

فقال: والله لا سألت في بيت الله غير الله تعالى.

وكان يأتدم الخلّ والزيت، حتى كانت له منه عكنة، فقال له هشام وقد رأى عكنته: ما أدامُك؟ قال: الخل والزيت، قال: أفما تملّه؟، قال: إذا مللته، تركته حتى أشتهيه. فمرض سالم فمات، فقال أهل المدينة: إنه أصاب بعينه عالمنا.

وكانت وفاته في آخر ذي الحجة سنة ستّ ومائة، وقيل: سنة ثمان ومائة، وكان هشام بن عبد الملك يومئذٍ بالمدينة، وكان قد حجّ بالناس تلك السنة، ثم قدم المدينة، فوافق موت سالم. عليه بالبقيع؛ لكثرة الناس؛ فلما رأى هشام كثرتهم، قال لإبراهيم بن هشام المخزومي: اضرب على الناس بعثَ أربعة آلاف، فسُمي عام أربعة آلاف.

ومنهم:

[١٣]

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، القرشي، التيمي(١)

أحد الفقهاء السبعة.

سلالة ذلك الصديق، وسلافة ذلك الرحيق، المفضل العالم، والمفضل على سالم، وبه بدأ عمر بن عبد العزيز الثلاثة، وكاد ينصّ عليه باستحقاق على أنها لو أتته، وجاءته صفواً، وواتته، لما قبل كوكبها، ولا حمل صوبها، ولا /٢٦٢/ رضي بها من تراث كريم لا يبالي العواقب، ولا يوالي إلاّ المناقب، وحسبك من رجل يُفضّل حتى على سالم بن عبد الله بن عمر، وإن يبغ عليك قومك لا يبغي عليك القمر.

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٥/ ١٨٧ـ ١٩٤، تاريخ خليفة ٣٣٨، الطبقات لخليفة ٢٤٤، التاريخ الكبير ٧/ ١٥٧ رقم ٧٠٥، التاريخ الصغير ١/ ٢٤١ و٢٥٣، التاريخ لابن معين ٢/ ٤٨٢، تاريخ الثقات ٣٨٧ رقم ١٣٧٠، المعارف ١٧٥ و١٧٨ و٥٨٨، المعرفة والتاريخ ١/ ٥٤٥ـ ٥٤٨، تاريخ أبي زرعة ١/ ٢٢٩، الكنى والأسماء ٢/ ١٠١، الجرح والتعديل ٧/ ١١٨ رقم ٦٧٥، المراسيل ١٧٦ رقم ٣٢٣، مشاهير علماء الأمصار ٦٣ـ ٦٤ رقم ٤٢٧، حلية الأولياء ٢/ ١٨٣ـ ١٨٧ رقم ١٧٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ٥٩، صفة الصفوة ٢/ ٨٨ـ ٩٠ رقم ١٦٢، تهذيب الأسماء واللغات ق١ج٢/ ٥٥ رقم ٦٢، تهذيب الكمال ٢/ ١١١٥، تحفة الأشراف ١٣/ ٣٣٥ رقم ١٢٤٥، وفيات الأعيان ٤/ ٥٩ـ ٦٠ رقم ٥٣٣، سير أعلام النبلاء ٥/ ٥٣ـ ٦٠ رقم ١٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٦ رقم ٨٨، الكاشف ٢/ ٣٣٨ رقم ٤٥٩٨، دول الإسلام ١/ ٧٥ـ ٧٦، العبر ١/ ١٣٢، جامع التحصيل ٣١٠ رقم ٦٢٦، لكت الهميان ٢٣٠، البداية والنهاية ٩/ ٢٥٠، مرآة الجنان ١/ ٢٢٨ـ ٢٢٩، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٣ـ ٣٣٥ رقم ٦٠١، تقريب التهذيب ٢/ ١٢٠ رقم ٤٨، الوفيات لابن قنفذ ٩٠ رقم ١٠١، طبقات الحفاظ ٣٨، خلاصة تذهيب التهذيب ٣١٣، شذرات الذهب ١/ ١٣٥، تاريخ الإسلام (السنوات ١٠١ـ ١٢٠هـ) ص٢١٧ رقم ٢١٠.

كان أفضل أهل زمانه من سادات التابعين، روى عن جماعة من الصحابة، وروى عنه طائفة من كبار التابعين.

قال يحيى بن سعيد: ما أدركنا أحداً نفضّلهُ على القاسم بن محمد.

وقال مالك: كان القاسم من فقهاء هذه الأمة.

وقال ابن إسحاق: جاء رجل إلى القاسم، فقال: أنت أعلم أم سالم؟ فقال: ذاك مبارك سالم. قال ابن إسحاق: كره أن يقول: هو أعلم مني فيكذب، أو يقول: أنا أعلمَ فيزكي نفسه. وكان القاسم أعلمهما.

وقال أبو الزناد: ما رأيت فقيهاً أعلم من القاسم، وما رأيت أحداً أعلم بالسُّنة منه.

وقال ابن عيينة: كان أفضل أهل زمانه، وأمه هي ابنة يزد جرد، وربي يتيماً في حجر عمَّته عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

وتوفي سنة سبع ومائة بقديد، وقال: كفنوني بثيابي التي كنت أصلّي فيها: قميصي، وإزاري، وردائي، فقال له ابنه: يا أبه ألا نزيد ثوبين جديدين؟، فقال: هكذا كفن أبو بكر في ثلاثة أثواب، والحيّ أحوج إلى الجديد من الميت. وكان عمره سبعين سنة، وقيل: اثنتين وسبعين.

ومنهم:

[١٤]

سليمان بن يسار[١] مولى ميمونة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها أبو أيوب

أحد الفقهاء السبعة، وآخرهم وفاة.

ورع لا تجرُّه المطامع، ولا تغرّه المجامع، ولا يسرّه خيلاء الكبر، إذا ألقيت إليه

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٥/ ١٧٤ـ ١٧٥، الطبقات لخليفة ٢٤٧، تاريخ خليفة ٣٣٠ و٣٤٠، التاريخ لابن معين ٢/ ٢٣٧ رقم ٢٥٣ و٥٠٥ و٦٦٢، التاريخ الكبير ٤/ ٤١ـ ٤٢ رقم ١٩٠١، تاريخ الثقات ٢٠٧ رقم ٦٢٠، المعارف ٤٥٦، المعرفة والتاريخ ١/ ١٤١ و٣٥٣ و٤٢٦ و٤٧٧ و٥٤٩ و٥٥٠ و٥٥٩ و٥٧٢ و٧١٤ و٢/ ٣٧٢ و٦٦٨، تاريخ أبي زرعة ١/ ٣٨١، الكنى والأسماء ١/ ١٠٢، الجرح والتعديل ٤/ ١٤٩ رقم ٦٤٣، المراسيل ٨١ـ ٨٢ رقم ١٢٩، مشاهير علماء الأمصار ٦٤ رقم ٤٣٢، الثقات لابن حبّان ٦/ ٣٩٤، مروج الذهب ٣/ ٢١٤. ثمار القلوب ٨٧ رقم ١٢٤، طبقات الفقهاء للشيرازي ٦٠، الكامل في التاريخ ٥/ ١٣٨، حلية الأولياء ٢/ ١٩٠ـ ١٩٣ رقم ١٧٦، صفة الصفوة ٢/ ٨٢ـ ٨٥ رقم ١٦٠، تهذيب الأسماء واللغات ق١ج١/ ٢٣٤ـ ٢٣٥ رقم ٢٣٣، وفيات الأعيان ٢/ ٣٩٩ رقم ٢٧٠، تهذيب الكمال ١/ ٥٤٨، تحفة الأشراف ١٣/ ٢٢٧ رقم ١١٠٢، الكاشف ١/ ٣٢١ رقم ٢١٥٧، العبر ١/ ١٣١، تذكرة الحفاظ ١/ ٩١ رقم ٨١، دول الإسلام ١/ ٧٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٤ـ ٤٤٨ رقم ١٧٣، البداية والنهاية ٩/ ٢٤٤، غاية النهاية لابن الجزري رقم ١٣٩٦، مرآة الجنان ١/ ٢٢٨، جامع التحصيل ٢٣١ـ ٢٣٢ رقم ٢٦٣، الوافي =

المسامع، ولا يضرّه كلمة الحق إذا قالها، وغصّت بها المدامع، مشرَّف بولاء ذلك الحجاب الممنّع، والجناب الذي لا تعلَّق به مطمع، والستر الذي يتدانى له السحاب ويخضع، ويخشع الرعد علماً بأنه بوميض البرق لا يُخدع، زهّده في الدنيا /٢٦٣/ معرفته بحقيقتها، وأنفته من سوء طريقها، لعلمه الغزير، ودينه، وما هو منه بكثير، كان عالماً، ثقة، عابداً، ورعاً، حجّة.

قال قتادة: قدمتُ المدينة، فسألت: من أعلم أهلها بالإطلاق؟ فقالوا: سليمان ابن يسار.

وقال الحسن بن محمد ابن الحنفية: سليمان أفهم عندنا من سعيد بن المسيب. وكان المستفتي إذا أتى سعيد بن المسيب، يقول له: اذهب إلى سليمان بن يسار.

روى عن طائفة من الصحابة، وروى عنه جماعة من التابعين.

قال مصعب بن عثمان: كان سليمان بن يسار من أحسن الناس، فدخلت عليه امرأة، فراودته، فامتنع، فقالت: إذاً أفضحُك، فتركها في منزله، وهرب.

وهو أخو عطاء وعبد الملك ابني يسار، توفي في سنة سبع ومائة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وقيل قبل ذلك.

ومنهم:

[١٥]

الحسن بن أبي الحسن يسار البصري[1]، أبو سعيد

السيد المذكور، والفرد الموصوف، والندرة في الدهر، والواحد في الزمان،

= بالوفيات ١٥/ ٤٤٣ـ ٤٤٤ رقم ٥٩٣، الوفيات لابن قنفذ ٩١ رقم ١٠٧، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٢٨ـ ٢٣٠ رقم ٣٨١، تقريب التهذيب ١/ ٣٣١ رقم ٥٠٥، النجوم الزاهرة ١/ ٢٥٢، طبقات الحفاظ ٣٥، تاريخ الخلفاء ٢٤٨، تاريخ الخميس ٢/ ٣٥٦، خلاصة تذهيب التهذيب ١٥٥، شذرات الذهب ١/ ١٣٤، تاريخ الإسلام (السنوات ١٠١ـ ١٢٠هـ) ص١٠٠ رقم ٨٥.

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٧/ ١٥٦ـ١٧٨، الطبقات لخليفة ٢١٠، تاريخ خليفة ١٤٩ و٢٠٥ و٢٨٧ و٣٢٤ و٣٤٠، الزهد لأحمد ٢٥٨، الزهد لابن المبارك (راجع فهرس الأعلام ـ ط) التاريخ الكبير ٢/ ٢٨٩ـ ٢٩٠ رقم ١٥٠٣، التاريخ لابن معين ٢/ ١٠٨ـ ١١٣، المحبّر ٢٣٥ و٣٧٨، تاريخ الثقات ١١٣ رقم ٢٧٥، المعارف ٤٤٠، المعرفة والتاريخ ٢/ ٣٢ و٣٣٨، أخبار القضاة لوكيع ٢/ ٣ـ ١٥، ذيل المذيل للطبري ٦٣٦، تاريخ أبي زرعة ١/ ١٥١، الكنى والأسماء ١/ ١٨٧ـ ١٧٩، كتاب المراسيل ٣١ـ ٤٦ رقم ٥٤، الجرح والتعديل ٣/ ٤٠ـ ٤٢ رقم ١٧٧، أسماء التابعين للدارقطني ١/ ٤٤٠ رقم ١٨٨، ربيع الأبرار للزمخشري ٤/ ٥١٥ (فهرس الأعلام)، الأخبار الموفقيات لابن بكار ١٠٤، ١٠٦، ١٩٢، ٣١١، ٤٧٩، ٥٧٤، البرصان والعرجان ٤٠، الكامل في الأدب للمبرّد ٥٩١ و٣٣٨، ثمار القلوب ٢٣ =

والعديم النظير على كثرة الأقران، ما كشفت البصرة عن مثله سجوف مشارقها، ولا أبصرت شبهه أحداق حدائقها، ولا سقت نظير نظيره أُبلّتُها، ولا شُفِيت بمثل رواء أَرْيِهِ غلّتُها، ولا جال بين جنبي برّها وبحرها أفضل منه بعد السلف الأوّل رجلاً، ولا أرجي منه في الخلف الصالح عملاً، ولا أسير في الآفاق، وأعلق بالأسماع، إذا ذكر مثلاً.

ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بالمدينة، ويقال: إنه ولد على الرق؛ فإن أباه مولى زيد بن ثابت، ويقال: مولى جميل بن قُطبة، وأمه خيرة مولاة أمّ سلمه زوج النبي ﷺ.

وكانت أمّه ربما غابت في حاجة، فيبكي، فتعطيه أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ ثديها تعلّله به إلى / ٢٦٤/ أن تجيء أمه، فَدَرَّ ثديُها عليه، فشربه. فيرون أنَّ تلك الحكمة والفصاحة من بركة ذلك.

ثم نشأ بوادي القُرى، وحفظ كتاب الله في خلافة عثمان، وسمعه يخطب مرات، وكان يوم الدار ابن أربع عشرة سنة.

ثم كبر ولازم الجهاد والعلم والعمل، وكان أحد الشجعان الموصوفين، يُذكر مع قطري بن الفجاءة، وصار كاتباً في دولة معاوية لوالي خراسان الربيع بن زياد.

قال ابن سعد: كان عالماً، رفيعاً، ثقة، حجة، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم فصيحاً، جميلاً، وسيماً. وما أرسله فليس بحجّة.

وقال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن البصري، ومن الحجاج ابن يوسف. وكان عرض زند الحسن شبراً.

= و٣٥ و٩٠ و١٨٦ و٥٠٦ و٥٠٧، البيان والتبيين ٣/ ١١٤ ١١٨ـ١٢٥ ١٢٨ـ١٣٠ و١٣٤ و١٤١ و١٤٢، مروج الذهب ٣/ ٢١٤، تاريخ الرسل والملوك (راجع فهرس الأعلام ١٠/ ٢٢١)، الكامل في التاريخ ٤٤٥، أمالي المرتضى ١/ ١٥٧ـ١٦٢ و١٦٥ـ١٦٧، ذكر أخبار أصبهان ١/ ٢٥٤، حلية الأولياء ٢/ ١٣١ـ١٦١ رقم ١٦٩، فهرست ابن النديم ٢٠٢، طبقات الفقهاء ٨٧، الحسن البصري لابن الجوزي، تهذيب الأسماء واللغات ق١ ج١/ ١٦١ـ١٦٢ رقم ١٢٢، وفيات الأعيان ٢/ ٦٩ـ٧٣ رقم ١٥٦، صفة الصفوة ٣/ ٢٣٣ـ٢٣٧ رقم ٥٠٠، تهذيب الكمال ١/ ٢٥٥ـ٢٥٩، تحفة الأشراف ١٣/ ١٦١ـ١٧٦ رقم ١٠٣٣، خلاصة الذهب المسبوك ٣٥، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣ـ٥٨٨ رقم ٢٢٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٧١ـ٧٢ رقم ٦٦، الكاشف ١/ ١٦٠ رقم ١٠٢٩، ميزان الإعتدال ١/ ٥٢٧ رقم ١٩٦٨، دول الإسلام ١/ ٧٧، البداية والنهاية ٩/ ٢٦٦ـ٢٦٧ و٢٦٩ـ٢٧٤، مرآة الجنان ١/ ٢٢٩ـ٢٣٢، الوافي بالوفيات ١٢/ ٣٠٦ـ٣٠٨ رقم ٢٧٨، غاية النهاية ١/ ٢٣٥ رقم ١٠٧٤، الوفيات لابن قنفذ ١٠٩ رقم ١١٠، جامع التحصيل ١٩٤ـ١٩٩ رقم ١٣٥، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣ـ ٢٧٠ رقم ٤٨٨، تقريب التهذيب ١/ ١٥٦ رقم ٢٦٣، النجوم الزاهرة ١/ ٢٦٧، طبقات الحفاظ ٢٨، خلاصة تذهيب التهذيب ٧٧، طبقات المفسّرين ١/ ١٤٧ رقم ١٤٤، شذرات الذهب ١/ ١٣٦ـ١٣٨، تاريخ الخميس ٢/ ٣٥٦، روضات الجنات ٢٠٧، تاريخ الإسلام (السنوات ١٠١ـ ١٢٠هـ) ص ٤٨ رقم ٣٤.

ومن كلامه: ما رأيتُ يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلاّ الموت.

ولما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق، وأضيفت إليه خراسان في أيام يزيد بن عبد الملك، استدعى الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، والشعبي، وذلك سنة ثلاث ومائة، فقال لهم: إنَّ يزيد خليفة الله استخلفه على عباده، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة، وقد ولاّني ما ترون، فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقيّة، فقال ابن هبيرة: ما تقول يا حسن؟ فقال: يا ابن هبيرة، خفّ الله في يزيد، ولا تخف يزيد في الله. إنَّ الله يمنعك من يزيد، وإنَّ يزيد لا يمنعك من الله، وأوشك أن يبعث إليك ملكاً، فيزيلك عن سريرك، ويخرجك من سَعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلاّ عملك. يا ابن هبيرة، إنْ تعص الله، فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده، فلا تتركن دين الله وعباده بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فأجازهم ابن هبيرة، وأضعف جائزة/ ٢٦٥/ الحسن.

ورأى الحسن يوماً رجلاً وسيماً، حسن الهيأة، قيل: إنه يسحر للملوك، ويحبُّونه، فقال: لله أبوه! ما رأيت أحداً طلب الدنيا بما يشبهها إلاّ هذا.

ودخل يوماً على أمه ـ وفي يدها كرّاثة تأكلها ـ فقال لها: يا أمّ أَلقِ هذه البقلة الخبيثة من يديك، فقالت: يا بني، إنك قد كبرت وخَرِفت، فقال: يا اماه، أيُّنا أكبر؟.

وأكثر كلامه حكمٌ وبلاغة، ومناقبُه كثيرة، وقد جمعها الحافظ أبو عبد الله الذهبي في جزء سمّاه «الزخرف القصري في مناقب الحسن البصري».

وتوفي بالبصرة في مستهل رجب سنة عشر ومائة عن ثمان وثمانين سنة، وكانت جنازته مشهورةً، وكان من بحور العلم، فقيه النفس، كبير الشأن، عديم النظير، مليح التذكير، بليغ الموعظة، رأساً في أنواع الخير ـ رحمه الله ـ.

ومنهم:

[١٦]

مكحول بن عبد الله الشامي[١]

من سبي كابل، مولى لامرأةٍ من قيس.

---

(١) ترجمته في: مشاهير علماء الأمصار ١١٤، البداية والنهاية ٩/ ٣٠٥، التاريخ الكبير ٨/ ٢١، النجوم الزاهرة١/ ٢٧٢، مرآة الجنان ١/ ٢٤٣، الإكمال ٥/ ١، ابن سعد ٧/ ٤٥٣، حلية الأولياء ٥/ ١٧٧، الجرح والتعديل ٨/ ٤٠٧، تذكرة الحفاظ ١٠٧، المعارف ٤٥٢، طبقات =

لم يَعْدُه مأمول، ولم يُعَدِّه سبب موصول، العلم لم يسهُ عنه، ولم يُطرِهِ مذهول، ولم يله من غيره بأغنَّ غضيض الطرف مكحول. تديَّر بيروت مدَّة مرابطاً حيث البحر تجول أساطيله، والعدو تجوز أباطيله، فلاطف بحسناه وإحسانه، وجاهد بسنانه ولسانه، وجرّد لذلك البحر أمضى من صوارمه، وجلا في ذلك الثغر أضوأ من مباسمه. وأطال الحافظ ابن عساكر في ترجمته التي ذكرها، وقالها على رؤوس العلماء، فما فيهم من أنكرها.

قال الزهري: العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام.

ولم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا، وكان لا يفتي حتى يقول: /٢٦٦/ لا حول ولا قوة إلاّ بالله. هذا رأي، والرأي يُخطىء ويصيب.

وكان سندياً لا يُفصح، وفي لسانه عجمة ظاهرة، ويُبدل بعض الحروف ببعض، وكان مقامه بدمشق.

توفي سنة ثلاث عشرة ومائة.

ومنهم:

[١٧]

عطاء بن أبي رباح القرشي(١) مولاهم

مفتي أهل مكة، ومحدّثهم القدوة العلم أبو محمد. لقد عرَّف به فضله حيث الأنساب، وأعطى الزمان منه عطاءً بلا حساب، لقد عبقت أردانه بمسكها، وفتتت

= الشيرازي٧٥، ميزان الاعتدال ٤/ ١٧٧، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٨٩، حسن المحاضرة ١/ ١١٩، شذرات الذهب ١/ ١٤٦، وفيات الأعيان ٥/ ٢٨٠، الخلاصة ٣٨٦، التاريخ لابن معين ٢/ ٥٨٤ رقم ٥١٦٧. سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٥ رقم ٥٧ طبقات خليفة ٣١٠، تاريخ خليفة ٣٤٥، التاريخ الصغير ٢/ ٢٧٢، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١١٣ـ ١١٤، العبر ١/ ١٤٠، طبقات الحفاظ ٤٢، تاريخ أبي زرعة ١/ ٢٤٥ رقم ٢٩١ـ ٢٩٥، تاريخ الاسلام (السنوات ١٠١ـ ١٢٠هـ) ص٤٧٨ رقم ٥٧٣.

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٥/ ٤٦٧ـ ٤٧٠، تاريخ خليفة ٣٤٦، الطبقات لخليفة٢٨٠، التاريخ الكبير ٦/ ٤٦٣ـ ٤٦٤ رقم ٢٩٩٩، الثقات للعجلي٣٣٢ رقم ١١٢٧، المعارف ٤٤٤ و٥٤٧ و٥٧٨، التاريخ الصغير ١٢٨، المعرفة والتاريخ ١/ ٧٠١ـ ٧٠٣، الجرح والتعديل ٦/ ٣٣٠ رقم ١٨٣٩، الثقات لابن حبّان ٥/ ١٩٨، مشاهير علماء الأمصار ٨١ رقم ٥٨٩، طبقات الفقهاء ٦٩، وفيات الأعيان ٣/ ١٦١ـ ٢٦٣ رقم ٤١٩، حلية الأولياء٣/ ٣١٠ـ ٣٢٥ رقم ٢٤٤، الكامل في =

كافور الصباح في مِسكها، ووقفت عليه الركائب بمكة؛ لتمام نسكها. لا يُرَدّ عليه إذا أفتى، ولا يعد معه أكرم يداً منه، ولا أفتى. ولقد كانت بقايا الصحابة تشير إليه بالتعظيم، وتشير منه بالتعليم، وتثير منه لأهل المطالب كنزاً لا يردّ منه عديم.

ولد في خلافة عثمان، وقيل: في خلافة عمر، وهو أشبه، وسمع عائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، وطائفة، وروى عنه جماعة من الأئمة كابن إسحاق، والأوزاعي، وأبي حنيفة، وخلق كثير.

وكان أسود مُفَلْفَلاً، فصيحاً، كثير العلم، من مُوَلَّدِي الجند.

قال أبو حنيفة: ما رأيتُ أفضل من عطاء.

وقال ابن جريج: كان في المسجد فراشه عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة.

وقال الأوزاعي: مات عطاء يوم مات، وهو أرضى أهل الأرض عند الناس.

وقال إسماعيل بن أمية: كان عطاء يطيل الصمت، فإذا تكلّم، خيل إلينا أنه يُؤَيَّد.

وقال عبد الله بن عباس: يا أهل مكة، تجتمعون إليّ، وعندكم عطاء.

وقدم ابن عمر مكة، فسألوه، فقال: تجمعون لي المسائل، وفيكم عطاء.

وقال جعفر الباقر: ما بقي على وجه الأرض أحد أعلم بمناسك الحجّ من عطاء.

توفي في رمضان سنة أربع عشرة ومائة، وقيل: سنة خمس عشرة بمكة.

/ ٢٦٧/ ومنهم:

= التاريخ ٥/ ١٧٩، صفة الصفوة ٢/ ٢١١ـ ٢١٤ رقم ٢٠٩، مروج الذهب ٣/ ٢١٥، ربيع الأبرار ٤/ ١١٠، تهذيب الكمال ٢/ ٣٣٣ـ ٣٣٤ رقم ٤٠٩، تحفة الأشراف ١٣/ ٢٩٨ رقم ١٢٠٠، تهذيب الأسماء واللغات ق١ ج١/ ٣٣٣ـ ٣٣٥ رقم ٤٠٩، دول الإسلام١/ ٧٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٩٨ رقم ٩٠، ميزان الاعتدال ٣/ ٧٠ رقم ٥٦٤٠، الكاشف ٢/ ٢٣١ رقم ٣٨٥٢، العبر ١/ ١٤١، سير أعلام النبلاء ٥/ ٧٨ـ ٨٨ رقم ٢٩، نكت الهميان ١٩٩، جامع التحصيل ٢٩٠ رقم ٥٢٠، مرآة الجنان ١/ ٢٤٤، البداية والنهاية ٩/ ٣٠٦، العقد الثمين ٦/ ٨٤، غاية النهاية١/ ٥١٣، النكت الظراف ١٣/ ٢٩٨، تهذيب التهذيب ٧/ ١٩٩ـ ٢٠٣ رقم ٣٨٤، تقريب التهذيب ٢/ ٢٢ رقم ١٩٠، النجوم الزاهرة ١/ ٢٧٣، طبقات الحفاظ ٣٠٩، خلاصة تذهيب التهذيب ٢٦٦، شذرات الذهب ١/ ١٤٧، تاريخ الخميس ٢/ ٣٥٦. تاريخ الإسلام (السنوات ١٠١ـ ١٢٠هـ) ص٤٢٠ رقم ٤٩٥.

[١٨]

أبو الزناد، عبد الله بن ذكوان المدني القرشي(١)، مولاهم، أبو عبد الرحمن

فقيه المدينة، وفقيد المِثْلِ لا تجد قرينه، برع في علم، ونزع حتى لا يراد منه إلاّ السّلم. كان إذا لُزّ بالقرناء، وهُزَّ للفتاء، طال وقصّروا، ونص واستنصروا، واعترف له بالرجاحة، وعرف لمجاهدته في الليل ما ينوّر صباحه، وولى جند الحندس مهزوماً وفي جبينه البرق جراحة.

سمع أنس بن مالك، وأبا أمامة بن سهل، وعبد الله بن جعفر، وسعيد بن المسيب، وهو راوية عبد الرحمن الأعرج.

وحدّث عنه مالك، وشعيب بن أبي حمزة، والليث، والسفيانان، وابنه عبد الرحمن وخلق.

وكان أحد الأئمة الأعلام. قال الليث بن سعد: رأيته وخلفه ثلاثمائة تابع من طالب فقه، وطالب شعرٍ، وصنوف.

قال: ثم لم يلبث أن بقي وحده، وأقبلوا على ربيعة.

وقال أبو حنيفة: رأيت أبا الزناد وربيعة. وأبو الزناد أفقه الرجلين.

وقال أحمد بن حنبل: هو أعلم من ربيعة.

قال: وكان سفيان يُسمّي أبا الزناد أمير المؤمنين في الحديث.

وقال مصعب الزبيري: هو كان فقيه أهل المدينة، وكان صاحب كتابة وحساب. وفد على هشام بحساب ديوان المدينة، وكان يعاند ربيعة.

وقال إبراهيم بن المنذر: كان هو سبب جلد ربيعة فوَلي بعد أمير، فطيَّن على أبي الزناد بيتاً، فشفع فيه ربيعة.

وقيل: إنَّ أبا الزناد هو ابن أخي أبي لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

---

(١) ترجمته في: الجرح والتعديل ٥/ ٤٩، ميزان الاعتدال ٢/ ٤١٨، تهذيب ابن عساكر ٧/ ٣٨٥، التاريخ الكبير ٥/ ٨٣، التاريخ الصغير ٢/ ٢٧، تهذيب التهذيب٥/ ٢٠٣، التاريخ لابن معين٢/ ٣٠٥ رقم ١١١٠، المعارف ٤٦٤، تاريخ الموصل ١١٥، طبقات الفقهاء ٦٥، سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٤٥ رقم ١٩٩، ميزان الاعتدال ٢/ ٤١٨، العبر ١/ ١٧٣، خلاصة التذهيب ١٩٦، شذرات الذهب ١/ ١٨٢، الوافي بالوفيات ١٧/ ١٦٢ رقم ١٤٩، تاريخ الاسلام (السنوات ١٢١ـ ١٤٠هـ) ص٤٦١.

توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة، وقيل: سنة ثلاث وثلاثين.
ومنهم:

[١٩]

ربيعة بن أبي عبد الرحمن فرُّوخ مولى آل المنكدر التيمي، أبو عثمان، ويقال أبو عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأي(١)

فقيه أهل/ ٢٦٨/ المدينة.

إمام ما دجت مشكلة إلاّ كان سراجها، ولا أعيت مسألة إلاّ فرى بأوّل ضربة أوداجها، ولا فخرت رتبة إلاّ كان تاجها، ولا زخرت حُجّة، إلاّ خرق برأيه الصائب أمواجها. سَعِد به مالك وشقي، وتقدّم عليه وبقي، وحدّث عنه، والمسجد يجمعُهما، وضيَّق ذكره الطائر مسالكه، والمدينة تسعهما. رزق دونه الحظوة، وتمسَّك بذيله وحلَّ قبله الذروة، ولم يؤخرّه إلاّ شقاشق جعلت صواب مقاله هدرا، وصفو زلاله كدرا، وطالع نجمه منكدرا، ومُحَلِّق سَهْمه منحدراً، وما هي إلاّ أحاظٍ قُسّمت وجدود، وشقاوة قُدّرت في سابق القدم وسعود.

أدرك جماعة من الصحابة، وروى عن أنس، وغيره، وعنه أخذ الثوري، ومالك، وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، وأنس بن عياض. وكان حافظاً، حجَّة، فقيهاً، مجتهداً، حاذقاً.

قال بكر بن عبد الله الصنعاني: أتينا مالك بن أنس، فجعل يحدثنا عن ربيعة. الرأي، فكُنا نستزيده من حديث ربيعة، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة، وهو نائم في الطاق؟ فأتينا ربيعة، فأنبهناه، وقلنا له: أنت الذي يحدّث عنك مالك بن أنس، قال: نعم، قلنا: كيف حظي بك مالك وأنت لم تحظ بنفسك؟، قال: أما علمتم أنَّ مثقالاً من دولةٍ خير من حمل من علم.

وكان ربيعة يكثر الكلام، ويقولُ: الساكت بين النائم والأخرس. وكان يوماً

---

(١) ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٨، الجرح والتعديل ٣/ ٤٧٥، طبقات الفقهاء ٦٥، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٥٨، تقريب التهذيب ١/ ٢٤٧، الخلاصة ١١٦، التاريخ لابن معين ٢/ ١٦٣ رقم ٧٠٠، ٩٥٧، ٤٤١١، المعرفة والتاريخ، تاريخ أبي زرعة ١/ ١٤٧، تاريخ الاسلام (السنوات ١٢١ـ ١٤٠هـ) ص٤١٧، التاريخ الكبير ٢/ ٢٨٦، التاريخ الصغير ٢/ ٣٢، المعارف لابن قتيبة ٤٩٦، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٨٩، سير أعلام النبلاء ٦/ ٨٩، تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٧، طبقات علماء الحديث ١/ ٢٤٥، تاريخ بغداد ١/ ٢٤٥، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٤، تهذيب الكمال ٩/ ١٢٣.

يتكلم في مجلسه، فوقف عليه أعرابي دخل من البادية، فأطال الوقوف والإنصات إلى كلامه، فظنَّ ربيعة أنه قد أعجبه كلامه، فقال له: يا أعرابي ما البلاغة عندكم؟، فقال: الإيجاز مع إصابة المعنى، فقال: وما/ ٢٦٩/ العِيُّ، قال: ما أنت فيه منذ اليوم. فخجل ربيعة.

وكانت وفاته سنة ستّ وثلاثين ومائة بالهاشمية، وهي مدينة بناها السفاح بأرض الأنبار وكان يسكنها، ثم انتقل إلى الأنبار.

قال مالك: ذهبت حلاوة الفقه مُنذ مات ربيعة.

ومنهم:

[٢٠]

يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو الحافظ، شيخ الإسلام، أبو سعيد، الأنصاري البخاري، المدني[١].

قاضي المدينة، ثم قاضي القضاة للمنصور.

المقدّم في سالف العصور، والمُقدِم على ذلك الليث الهصور، اختاره مثل ذلك الرجل، وأقامه حيث تضرب إليه آباط الأينق الذُّلل، وقدَّمه في ذلك الجيل، ولحظه بما يستحق من التبجيل، وأخلى له الميدان كيف شاء يجيل، فلهذا أرمّ ما فسد، وتمَّ له ما أرضى ذلك الضرغامة الأسد.

حدَّث عن أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، وأبي أمامة بن سهل، وسعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد، وخلق. وروى عنه شعبة، ومالك، والسفيانان، والحمادان، وابن المبارك، ويحيى القطان، ويزيد بن هارون، وأمم سواهم.

قال أيوب السختياني: ما تركت بالمدينة أحداً أفقه من يحيى بن سعيد.

وقال أبو حاتم: ثقة يوازي الزهري.

وقال يحيى القطان: هو مقدّم على الزهري، اختُلف على الزهري، وهو لم يختلف عليه.

وقال الثوري: كان من الحفاظ.

---

(١) ترجمته في: مشاهير علماء الأمصار ٨٠، تقريب التهذيب ٢/ ٣٤٨، التهذيب ١١/ ٢٢١، المعرفة والتاريخ ١/ ٦٤٨، أخبار القضاة ٣/ ٢٤١، تاريخ الإسلام (السنوات ١٤١ـ ١٦٠هـ) ص٣٣١، التاريخ الكبير ٨/ ٢٧٥، المعارف لابن قتيبة ٢٨٠، الجرح والتعديل ٩/ ١٤٧، تاريخ بغداد١٤/ ١٠٦، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٥٣، طبقات الفقهاء ٦٦، سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٦٨، تذكرة الحفاظ ١/ ١٣٧، طبقات علماء الحديث ١/ ٢١٧، تهذيب الكمال ٣١/ ٣٤٦.

وقال سليمان بن بلال: كان يحيى بن سعيد قد ساءت حاله، وأصابه ضيق شديد، وركبه الدين، فجاءه كتاب المنصور بالقضاء، فوكّلني بأهله، وقال لي: والله ما خرجت وأنا أجهل شيئاً، فلما قدم العراق كتب إليَّ: والله لأول خصمين جلسا بين يديّ، فاقتضيا شيئاً والله ما سمعته قطّ، فإذا جاءك كتابي، فسل ربيعة، واكتب إليَّ بما يقول، واكتم هذا./ ٢٧٠/ قال سليمان: ولما سار، خرجتُ معه أشيعه، فاستقبله جنازة فتغيَّرتُ، فقال لي: يا أبا محمد أراك تغيَّرت، فقلت: اللهم لا طير إلاّ طيرك، قال: والله لئن صدق طيرك لينعش أمري، قال: فما أقام إلاّ شهرين حتى قضى دينه وأصاب خيراً.

وقال أحمد بن حنبل: يحيى بن سعيد أثبت الناس.

وقال يحيى بن أيوب المقابري: حدثني أبو عيسى، وغيره: أنَّ قوماً كان بينهم وبين المسيب بن زهير خصومة، فارتفعوا إلى يحيى بن سعيد قاضي أبي جعفر، فكتب إليه يحيى أن يحضر، فاتوا المسيب بكتابه، فانتهرهم، وتمنَّع، فأتوا يحيى فاخبروه، فقام مغضباً يريد المسيب، فوافقه وقد ركب بين يديه نحو المائتين من الخشّابة؛ فلمّا رأوا يحيى أفرجوا له فأتى المسيب، وأخذ بحمائل سيفه، ورمي به إلى الأرض، ثم نزل عليه يحيى يخنقه. قال: فما خلص حمائل السيف من يده إلاّ أبو جعفر المنصور بنفسه.

وقال يحيى بن سعيد: أهل العلم أهل توسعة، وما برح المُفتُون يختلفون، فيحلّل هذا، ويحرم هذا، فلا يعيب هذا على هذا، ولا هذا على هذا، وإنَّ المسألة لترد على أحدهم مثل الجبل، فإذا فتح له بابها، قال: ما أهون هذه.

وقال يزيد بن هارون: حفظت ليحيى بن سعيد ثلاثة آلاف حديث، فمرضت، فنسيت نصفها[١].

توفي بالهاشمية سنة ثلاث وأربعين ومائة.

/ ٢٧١/ ومنهم:

[٢١]

سليمان بن مهران مولى بني كاهل أبو محمد، المعروف بالأعمش الكوفي[٢]

الغمام المشهور شهرة الأعلام، المذكور ذكر الروض للغمام، الدمث الأخلاق،

---

(١) بعدها بياض بمقدار سطرين.

(٢) ترجمته في: الجرح والتعديل ٤/ ١٦٤، الخلاصة ١٥٥، التاريخ الكبير ٤/ ٣٧، المشاهير ١١١، =

المنبعث انبعاث الشمس في الآفاق، المخضّر عُوده الرطيب، المفتر ثغره الشنيب، المنهل ندي ورقاته، المخضلّ ندى أوقاته، لمفاكهة تؤتي أكلها كل حين، وآدابٍ لو تومي إلى الحنادس لمُحِين. مداعبة ألطف من كؤوس الأندرين، وأخفّ من وصل الحبائب إن درين.

قدم أبوه الكوفة، وامرأته حامل بالأعمش، فولدته بها سنة ستين للهجرة، وقيل إنه ولد يوم مقتل الحسين ـ وهو يوم عاشوراء ـ سنة إحدى وستين، وحضر أبوه قتل الحسين.

وعدَّه ابن قتيبة من المعارف في جملة من حملت به أمه سبعة أشهر، ولا يعرف بغير الكوفي. وكان يقارن الزهري في الحجاز، ورأى أنس بن مالك، وكلّمه، لكنه لم يرزق السماع عليه، وما يرويه عنه، فهو وارسال، ولقي كبار التابعين، وروى عنه خلق كثير من جلّة العلماء.

وقال أبو معاوية الضرير: بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش أن اكتب إليَّ مناقب عثمان، ومساوىء علي، فأخذ القرطاس، وأدخلها في فم شاة، فلاكتها، وقال لرسوله: قل له: هذا جوابك، فقال له الرسول: إنه قد آلى أن يقتلني، إن لم آته بجوابك، وتحمل عليه بإخوانه، فقالوا: يا أبا محمد خلّصه من القتل؛ فلما ألحوا عليه كتب: «بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد يا أمير المؤمنين، فلو كانت لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعليّ مساوىء أهل الأرض ما ضرَّتك، فعليك بخويصة نفسك».

وقال زائدة بن قدامة: تبعتُ الأعمش يوماً، فأتى المقابر، فدخل قبراً محفوراً، فاضطجع فيه، ثم خرج منه، وهو ينفُضُ التراب عن رأسه، / ٢٧٢/ ويقول: واضيق مسكناه!

قال علي بن المديني: له نحو ألف وثلاثمائة حديث.

وقال ابن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض.

وقال أبو حفص الفلاس: كان الأعمش يسمّي المصحف من صدقه.

وقال القطان: هو علاّمة الإسلام.

= ميزان الاعتدال٢/ ٢٢٤، التقريب ١/ ٣٣١، التهذيب ٤/ ٢٢٢. حلية الأولياء ٥/ ٤٦، التاريخ لابن معين ٢/ ٢٣٤ رقم ١٥٧٠، المعرفة والتاريخ (راجع فهرس الأعلام)، تاريخ أبي زرعة١/ ١٨٩، الوافي بالوفيات ١٥/ ٤٢٩ رقم ٥٨٣، طبقات ابن سعد ٦/ ٣٤٢، تاريخ خليفة ٢٣٢ و٤٢٤، طبقات خليفة ١٦٤، التاريخ الصغير ٢/ ٩١، تاريخ بغداد٩/ ٣، الكامل في التاريخ ٥/ ٥٨٩، وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٠، سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٦، تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٤، غاية النهاية ١/ ٣١٥، شذرات الذهب ١/ ٢٢٠. تاريخ الإسلام (السنوات ١٤١ـ ١٦٠هـ) ص١٦١ .

وقال وكيع: كان الأعمش قريباً من سبعين سنة، لم تفته التكبيرة الأولى.

وقال الحربي: ما خَلَف أعبدُ منه، وكان صاحب سنة، وكان مع هذا كلّه مزّاحاً، جاءه أصحاب الحديث يوماً، ليسمعوا عليه، فخرج إليهم، وقال: لولا أنَّ في منزلي من هو أبغض إليّ منكم، ما خرجت إليكم، وجرى بينه وبين زوجته يوماً كلام، فدعا رجلاً، ليُصلح بينهما، فقال لها الرجل: لا تنظري إلى عمش عينيه، وحموشة ساقيه؛ فإنه إمام وله قدر، فقال الأعمش: خزاك الله، ما أردت إلاَّ أن تعرفها عيوبي.

وقال له داود بن عمر الحائك: ما تقول في الصلاة خلف الحائك؟؛ فقال: لا بأس بها على غير وضوء. قال: ما تقول في شهادة الحائك؟ قال: تقبل مع عدلين.

ويقال: إن الإمام أبا حنيفة عاده يوماً في مرضه، فطوَّل القعود عنده؛ فلما عَزم على القيام، قال له: ما كأني إلاّ ثقلت عليك؟ فقال: والله إنك لثقيل علي، وأنت في بيتك.

وعاده أيضاً جماعة، فأطالوا الجلوس عنده، فضجر منهم، فأخذ وسادته، وقام، وقال: شفى الله مريضكم بالعافية.

وله أخبار وملح مشهورة.

توفي في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة.

ومنهم:

[٢٢]

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى[١]، أبو عبد الرحمن

الفقيه، المقرىء، مفتي الكوفة وقاضيها. قام بها حتى أكمد قلوب المعتدين، وأرمد عيون أعداء الدين، بفضل يبهرُ الشموس اللامعة، والغصون اليانعة، / ٣/ ٢٧٣/ والبروق الخواطف، والسحب المبتلة المعاطف. لم تزل آفاته وإفاداته للمستظل والمستبين، وفتاويه وفتوته للجهول والمسكين، بشيء تفرَّد به في زمانه سجية طبع عليها نقده المبين، وجمع عقده الثمين، فسلَّم بها الكمال لواهبه، والجمال لما يزرّر عليه في جلابيبه.

---

(١) ترجمته في: التقريب ٢/ ١٨٤، التهذيب ٩/ ٣٠١، طبقات ابن سعد ٦/ ٣٥٨، طبقات الفقهاء ٨٤، التاريخ ١/ ١٦٢، المجروحين ٢/ ٢٤٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٦١٣، تاريخ أبي زرعة ١/ ٢٩٧، المعرفة والتاريخ (راجع فهرس الأعلام) طبقات خليفة ١٦٧، التاريخ الصغير ٢/ ٩١، المعارف ٤٩٤، الجرح والتعديل ٧/ ٣٢٢، الفهرست ٢٠٢، الكامل في التاريخ ٥/ ٢٤٩ و٥٨٩، وفيات الأعيان ٤/ ١٧٩، سير أعلام النبلاء ٦/ ٣١٠ رقم ١٣٣، الوافي بالوفيات ٣/ ٢٢١، غاية النهاية ٢/ ١٦٥، خلاصة تذهيب الكمال ٣٤٨، طبقات المفسرين ١/ ٢٦٩، تاريخ الإسلام (السنوات ١٤١ ـ ١٦٠هـ) ص٢٧٥.

حدّث عن الشعبي، وعطاء، والحكم، ونافع، وعمرو بن مرة، وطائفة وكان أبوه من كبار التابعين، فتوفي وهو طفل، فلم يدرك الأخذ عنه.

وحدّث عنه شعبة، والسفيانان، وزائدة، ووكيع، وأبو نعيم، وعمران ابنه.

قال أحمد بن يونس: كان محمد بن أبي ليلى أفقه أهل الدنيا.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: كان فقيهاً صدوقاً صاحب سُنّةٍ، جائز الحديث، عالماً بالقرآن، وقرأ عليه حمزة الزيات.

وقال أبو حفص الأبار عن ابن أبي ليلى. قال: دخلت على عطاء، فجعل يسألني، فكأن أصحابه أنكروا ذلك، فقال: وما تنكرون هو أعلم مني!

توفي في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين ومائة.

ومنهم:

[٢٣]

عبد الملك بن عبد العزيز بن جُريج الرومي الأموي[1] مولاهم.

المكي صاحب التصانيف أبو الوليد. فقيه الحرم، ونزيل ذلك الحمى الذي لم يُرم. عالم كان يخاف منه الفوات، وتُعجّ لديه الطلبة حتى لا تكاد تُفهم بناديه الأصوات. انصبَّت شعوب فكره، وأصْبَتْ تصانيفه؛ لأنها عقائل ما آوت غير خِدْره، وأتى منها بما لا يأتي به الصَّيِّبُ من بدائع الألوان، ووشائع الحِبَر التي لا تتغير بتغير الأوان.

ولد سنة نيَّف وسبعين، وأدرك صغار الصحابة، لكنه لم يحفظ عنهم، وروى عنه أمم.

قال أحمد بن حنبل: كان من أوعية العلم. هو وابن أبي عَرُوبة أوّل من صنّف الكتب.

وقال / ٢٧٤/ عبد الرزاق: ما رأيتُ أحسن صلاة من ابن جُريج.

وقال يحيى بن سعيد القطان: لم يكن ابن جريج عندي بدون مالك في نافع.

وقال ابن المديني: لم يكن في الأرض أعلم بعطاء من ابن جُريج.

وقال ابن جريج: كنت أتتبَّع الأشعار العربية والأنساب، فقيل لي: لو لزمت عطاء، فلزمته ثمانية عشر عاماً.

---

(١) ترجمته في: الجرح والتعديل ٥/ ٣٥٦، التاريخ ٥/ ٤٢٢، التهذيب ٦/ ٤٠٢، وفيات الأعيان ٣/ ١٦٣، تاريخ بغداد ١٠/ ٤٠٠، تذكرة الحفاظ ١٦٩، العبر ١/ ٢١٣، ميزان الاعتدال ٢/ ٦٥٩، غاية النهاية ١/ ٤٦٩، التقريب ١/ ٥٢٠، طبقات ابن سعد ٨/ ١٤٠، تاريخ خليفة ٤٢٥، التاريخ لابن معين ٢/ ٣٧١ رقم ٢٧٥، تاريخ أبي زرعة ١/ ٢٥٢، المعرفة والتاريخ (راجع الفهرس) طبقات خليفة ٢٨٣، التاريخ الصغير ٢/ ٩٨، مشاهير علماء الأمصار ١٤٥، الكامل في التاريخ ٥/ ٥٩٤، العقد الثمين ٥/ ٥٠٨، سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٥ رقم ١٣٨، طبقات المفسرين ١/ ٣٥٢، خلاصة تذهيب الكمال ٢٤٤، تاريخ الإسلام (السنوات ١٤١ ـ ١٦٠هـ) ص٢١٠.

وقال جرير: كان ابن جُريج يرى المتعة. تزوج ستين امرأة.

وقيل: سمع من مجاهد حرفين في القراءات. وكان إماماً، ثقة، صاحب عبادة، وقيل: إنه جاز مائة سنة.

وتوفي في أول الحجة سنة خمسين ومائة.

ووهم ابن المديني حيث يقول: مات سنة تسع وأربعين.

ومنهم:

[٢٤]

عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد الأوزاعي(١)

إمام أهل الشام، وغمام برقه الذي يُشام، وواحد زمانه، ولا احتشام، كان في زمان بني أمية، يُرمى إليه طرف كل مؤمّر، ويومىء إليه حتى طرف البنان المخمَّر وجاءت الدولة العباسية، فزادته راياتها السود المطلّة سؤدداً، وأعلمته أنَّ مع اليوم غدا، وشَدَتْ باسمه محافلها، واقتدت بعلمه جحافلها، ولم يقدم لمكانه أمير جيشهم القادم على الشام على إسراف في إطلال الدماء، واستحلال لأتلاف نفوس أولئك

(١) ترجمته في: التاريخ الكبير ٥/ ٣٢٦، الجرح والتعديل ٥/ ٢٦٦، تهذيب الأسماء ١ق ١/ ٢٩٨، تهذيب ٦/ ٢٣٩، المنتخب من ذيل المذيل ٦٥٦، الأنساب ١/ ٢٢٧، البداية والنهاية ١٠/ ١٢٠، تاريخ بيروت ـ صالح بن يحيى ١٣، التاج المكلل ٦٣، تاريخ أبي زرعة ٢/ ١٢٥، معرفة علوم الحديث ٥٦، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٧٦، الوافي بالوفيات ٥/ ٢٤٣، سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧ـ ١٣٤ رقم ٤٨، تاريخ مدينة دمشق ط دار الفكر ٣٥/ ١٤٧ـ ٢٢٩ رقم ٣٩٠٧، تقدمة معرفة الجرح ١/ ٢٠٦، المغني ٢/ ٧٣٣، لسان الميزان ٦/ ٥٥، حلية الأولياء ٦/ ١٣٥، جذوة المقتبس ٢٤٤، المعارف ٤٩٧، طبقات الفقهاء ٧٦، محاسن المساعي ١٩، الأوزاعي وتعاليمه الإنسانية ـ د. صبحي محمصاني، وفيات الأعيان ٣/ ١٢٧، مرآة الجنان ١/ ٣٣٣، عبد الرحمن الأوزاعي شيخ الإسلام ـ طه الولي، فهرسة ما رواه عن شيوخه ـ الإشبيلي ١٤٨، بغية الملتمس ٢٩٤، رجال السند والهند ١٦٤، المعرفة والتاريخ ٢/ ٤٠٩، التاريخ لابن معين ٢/ ٣٥٣ رقم ٩٤٦، طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٨، طبقات خليفة ٣١٥، تاريخ خليفة ٤٢٨، التاريخ الصغير ٢/ ٤ ١٢، المعرفة والتاريخ ٢/ ٣٩٠ ـ ٣٩٧ و٤٠٨ ـ ٤١٠، مشاهير علماء الأمصار ١٨٠، الفهرست: المقالة السادسة و الفن السادس، سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧ رقم ٤٨، ميزان الاعتدال ٢/ ٥٨٠، العبر ١/ ٢٢٦ طبقات الحفاظ ٧٩، خلاصة تذهيب الكمال ٢٣٢، شذرات الذهب ١/ ٢٤١، معرفة علوم الحديث للنيسابوري ٦٥، السابق واللاحق للخطيب البغدادي ٢٦٢ و٢٦٣ و٢٠٠.
وانظر ترجمته الموسَّعة في «موسوعة علماء الملسمين في تاريخ لبنان الإسلامي» القسم الأول ـ ج ٣/ ٦١ رقم ٧٧٥ ـ (للتدمري)، تاريخ الإسلام (السنوات ١٤١ ـ ١٦٠هـ) ص٤٨٣.

العظماء، إلاّ ما سبق السيف فيه العذل، وقبل سرعان الجيش من سومهم السائب ما بذل، حتى ألجمهم بفُتياه، وألجأهم إلى الوقوف دون منتهاه، وكان ربّ جهادٍ في الثغر، وسداد للثغر، ينام والعدو الأزرق من البحر ينظر شزرا، وينوي للرقاب الممتدة جزرا. أقام ببيروت، وكتب في عَدَدها، وحسب زيادة في عَمَدها، وكان محطّ الرحلة، ومحل الفضل الذي لا يجنى مثل مجاجة النحلة، علماً جماً ما نقص، / ٢٧٥/ وفضلاً مقبلاً ما نكص، ورسائل هي قطع الروض المنوّر، وصفو الزلال المتحدّر، وعدد النجوم إلاّ أنه يضعها غير متكثر، وبفرعها الشامخ غير متكبر، ولجلالة مكانه في العلم، لم أذكره إلاّ لحُلَّة فضله طرازا، ولجُملة كماله تماماً لا إعوازا. كلّ هذا إلى دين لا يجاذبه فيه منازع، وتقى كمن عساه يزع إن لم يكن منه للأوزاعي وازع.

ولد ببعلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة، وقيل: سنة ثلاث وتسعين. ونشأ يتيماً بالكرك بالبقاع، ثم نقلته أمه إلى بيروت.

وكان فوق الربعة، خفيف اللحية، به سمرة، وكان يخضّب بالحناء، ولم يكن بالشام أعلم منه. قيل: إنه أجاب في سبعين ألف مسألة.

رُوي أنَّ سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي، فخرج حتى لقيه بذي طُوى، فحلَّ سفيان رأس بعيره عن القطار ووضعه على رقبته، فكان إذا مرَّ بجماعة، قال: الطريق للشيخ.

وقال إسماعيل بن عياش: سمعتهم يقولون ـ سنة أربعين ومائة: الأوزاعي اليوم عالم الأمّة.

وقال أبو إسحاق الفزاري، لو خُيِّرتُ لهذه الأمة، لاخترت الأوزاعي ـ يعني في الخلافة ـ.

وقال بشر بن المنذر: رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع.

وقال أبو مسهر: كان الأوزاعي يُحيي الليل صلاة، وقرآناً، وبكاء.

وقال الأوزاعي: رأيتُ كأنَّ مَلَكَين عرجا بي إلى الله، فأوقعاني بين يديه. فقال: أنت عبدي عبد الرحمن الذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؟، قلت: بعزَّتك ربي، فردَّاني إلى الأرض.

وقال أبو الوليد بن مزيد: تعجز الملوك أن تؤدّب أولادها أدبه في نفسه. ما سمعت منه كلمة إلاّ احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكاً بقهقهةٍ، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد أقول: تُرى في المجلس، قلبٌ: لم يبك.

وقال أبو زرعة الدمشقي: كانت صنعته / ٢٧٦/ الكتابة والترسل ورسائله تُؤثر، فمما يؤثر من كلامه: عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال،

وإن زخرفوه بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم.

وقال: إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث، فإياك أن تقول بغيره، فإنَّه كان مبلغاً عن الله.

وقال: ما ابتدع رجل بدعةً إلاّ سلِبَ ورعَه.

وقال: ويل للمتفقهين لغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات.

واجتمع سفيان، والأوزاعي، وعباد بن كثير، فقال سفيان: يا أبا عمرو حدّثنا حديثك مع عبد الله بن علي ـ يعني عمَّ السفاح ـ فقال: لما قدم الشام، وقتل بني أمية، جلس على سريره، وعبأ أصحابه أربعة أصناف مع كل صنف نوع من أنواع السلاح، ثم بعث إليّ؛ فلما صرت إلى الباب أنزلوني عن دابتي، وأخذ اثنان بعضدي وأدخلوني بين الصفوف حتى أقاموني بحيث يسمع كلامي، فقال لي: أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي؟، قلت: نعم، أصلح الله الأمير! قال: ما تقول في دماء بني أمية؟ فقلت: قد كان بينك وبينهم عهود كان ينبغي أن يفوا لك بها. قال: ويحك! اجعلني وإياهم لا عهد بيننا، فأجهشت نفسي، وكرهت القتل، فذكرت مقامي بين يدي الله، فلفظتها، فقلت: دماؤهم عليك حرام، فغضب، وانتفخت عيناه وأوداجه، فقال لي: ويحك، ولم؟، قلت: قال رسول الله ﷺ لا يحلّ دم امرئٍ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث: ثيّب زان، ونفس بنفس، وتارك لدينه، فقال: ويحك أوليس الأمر لنا ديانة؟، قلت: كيف ذاك؟، قال: أليس كان رسول الله ﷺ أوصى إلى علي؟، قلت: لو أوصى إليه ما حكَّم الحكمين، فسكت، وقد اجتمع غضباً، فجعلتُ أتوقع رأسي يسقط بين يدي، فقال بيده هكذا، يومىء أنْ أخرجوه، فخرجت، فما أبعدت حتى لحقني فارس، /٢٧٧/ فنزلت، وقلت: قد بعث لأخذ رأسي، أصلّي ركعتين، فكبرتُ، وصليت، فسلَّم، وقال: إنَّ الأمير بعث إليك بهذه الدنانير، قال: ففرقتها قبل أن أدخل بيتي.

وقال الأوزاعي: كنا نمزح ونضحك؛ فلما صرنا يُقْتدى بنا خشيت أن لا يسعنا التبسم.

وكان أهل الشام ثم أهل الأندلس على مذهب الأوزاعي مدَّة، ثم فني العارفون به، وبقي منه ما يوجد في كتب الخلاف.

وقال عقبة بن علقمة البيروتي: دخل الأوزاعي حماماً في بيته، وأدخلت معه زوجته كانوناً، ليدفأ به، ثم أغلقت عليه، وتشاغلت، فهاج الفحم، فمات. قال عقبة: فوجدناه متوسداً ذراعه إلى القبلة.

قال أبو مُسهر: أغلقت عليه غير متعمدة، فمات. فأمرها سعيد بن عبد العزيز بعتق رقبة، ولم يُخلّف إلاّ ستة دنانير فضلت من عطائه، وكان قد كتب في ديوان الساحل.

وكانت وفاته يوم الأحد لليلتين بقيتا من صفر، وقتل: في ربيع الأول سنة سبع وخمسين ومائة ببيروت، وقبره في قرية على باب بيروت، يقال لها حنتوس، وأهلها مسلمون، وهو مدفون في قبلة المسجد، وأهل القرية لا يعرفونه، بل يقولون: ها هنا رجل صالح ينزل عليه النور، ولا يعرفه إلاّ الخواصّ من الناس.

والأوزاعي منسوب إلى أوزاع: بطن من ذي كلاع، وقيل: بطن من همدان.

ومنهم:

[٢٥]

سُفْيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله، من موهبة، أبو عبد الله، الثَّوْري، الكوفي[1]

الفقيه الإمام. سيد الحُفّاظ، ومرتمى الألفاظ، ومرتمق الألحاظ. ذو المذهب الواضح الذي لا يضِلُّ سالكه، ولا يظلم به إن دجا الليل حالكه. تمذهب به جماعة، وكاد الزمان يعقد عليه إجماعه، والآن هو إنما مُحي رسمه، وبقي حكمه. هذا وقد

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٤، والمصنف لابن أبي شيبة ١٣/ رقم ١٥٧٨١، والتاريخ لابن معين ٢/ ٢١١ـ ٢١٥، ومعرفة الرجال له ١/ ١١٥ رقم ٥٥٦ و١/ ١١٦ رقم ٥٥٧ و١/ ١١٧ رقم ٥٦٩ و١/ ١٢٣، رقم ٦٠٦ و١/ ١٤٨ رقم ٨١٢ و١/ ١٥٢ رقم ٨٤٢ و١/ ١٥٩ رقم ٨٧٩ و٨٨٥ و٢/ ٧٦ رقم ١٦٢ و٢/ ١٣٥ رقم ٤٤٢ و٢/ ١٤٢ رقم ٤٤٣ و٢/ ١٥٥ رقم ٤٩١ و٢/ ١٥٩ رقم ٥٠١ و٢/ ١٨٥ رقم ٦٠٩ و٢/ ١٩٤ رقم ٦٤٣ و٢/ ٢١٨ رقم ٧٣٤، وتاريخ الدارمي رقم ٤٧ و٨٤، وتاريخ خليفة ٣١٩ و٤٣٧ والطبقات له ١٦٨، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد ١/ رقم ٦٨ و١٤٦ و١٥٣ و٣٩١ و٤٠٠ و٤٤٥ و١١٩٥ و١٣٠٧ و١٣٠٩ و١٣٦٢ و٢/ ١٤٤٣ و١٥٧٧ و٢٠٠٣ و٢٤٥٦ و٢٤٥٨ و٢٥٤٠ و٢٥٤٣ و٢٥٤٩ و٢٦١٩، ٢٦٨١ و٢٦٨٤ و٢٨٨٠ و٢٩٥٩ و٢٩٧١ و٣٠١٤ و٣٠٢٦ و٣٥٨٧ و٣٦٠٥ و٣٨٥٥ و٣/ ٤١٥٢، ٤٢١١ و٤٢٣٨ و٤٥٠٠ و٤٥٣٨ و٤٥٧٨ و٤٥٧٩ و٤٦٨٣ و٤٦٨٦ و٤٦٨٧ و٤٩٠٦ و٤٩٣٢ و٤٩٨٦ و٥٠٣٢ و٥٠٤٠ و٥٠٤٥ و٥٠٥٢ و٥٦١٠ و٥٦٩٦ و٥٧٣٨ و٦٠٦٣ و٦٠٧٣ و٦١٢١، والتاريخ الكبير ٤/ ٩٢ـ ٩٣ رقم ٢٠٧٧، والتاريخ الصغير ١٨٣، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٦٢، وتاريخ الثقات للعجلي ١٩٠ـ ١٩٣ رقم ٥٧١، والمعارف ٤٩٧، ٤٩٨، والمعرفة والتاريخ ١/ ٧١٣ـ ٧٢٨ وانظر فهرس الأعلام (٣/ ٥٥٩، ٥٦٠)، وأنساب الأشراف ١/ ١٦٢ـ ١٦٧ وانظر (فهرس الأعلام ـ ص٦٤٦) و٣/ ٣٥ و٤٥ و٤٦، والعلل لابن المديني ٣٩ و٤٤ و٤٦ و٦١ و٧٥ و٧٦ و٩١ و١٠٠، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/ ٢٩٨ـ ٢٩٩ وانظر فهرس الأعلام (٢/ ٨٧٢، ٨٧٣)، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٨١ و٣٩١ و٤٠٣، وعيون الأخبار ١/ ١٥٠ و٣٠٧ و٢/ ١٢٥ و١٣٥ و٣٣١ و٣٦٨ و٣٧٢ و٣/ ١٢٢ و١٩٩ و٢٠١ و٢١٦ و٢٣٤ و٢٥٦، وأخبار القضاة لوكيع انظر: فهارس الأعلام (١/ ٢٨ و٢/ ٤٧٦ و٣/ ٣٥١)، وتاريخ الطبري ٨/ ٥٨ وانظر فهرس الأعلام (١٠/ ٢٦٨)، والورع لابن حنبل ٩١ و٩٣ و٩٥ و٩٦ و٩٧ و١٢٢ =

. . . .

= و١٣٨ و١٩٣ و١٩٤ و١٩٥، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ٥٦، والمنتخب من ذيل المذيل ٦٥٧، والبرصان والعرجان ١٧٧ و٣٥٣ و٣٥٧، والجرح والتعديل ٤/ ٢٢٢ـ ٢٢٥ رقم ٩٧٢، والثقات لابن حبان ٦/ ٤٠١، ومشاهير علماء الأمصار ١٦٩ـ ١٧٠، رقم ١٣٤٩، والسنن للدارقطني ١/ ١٧٢، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين ١٥٤ رقم ٤٧٥، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ٣٢٩ رقم ٤٦٢، ورجال صحيح مسلم ١/ ٢٨٢ـ ٢٨٤ رقم ٦١٤، وطبقات الصوفية للسلمي ٢ و٢٧ و٣٦ و٣٧ و٤١ و٥٧ و٦٨ و٨٦ و١٢٣ و١٤٣ و١٥٥ و١٦٥ و٣٣٢ و٣٦٦ و٣٩٢ و٤٤٢، وأخبار مكة للأزرقي ٢/ ١٣، والعقد الفريد ١/ ٥٧ و٩١ و٢/ ٢٣٣ و٢٣٥ و٢٣٦ و٢٣٧ و٣٠١ و٤٢٢ و٤٣٤ و٤٤٦ و٤٥٠ و٣/ ١١ و٢٩ و٣٤ و١٥٠ و١٦٥ و١٧٠ و١٧٨ و٢٠٠ و٢٠٩ و٢٢١ و٢٣٤ و٣٠٧ و٣١٦ و٤/ ٣٢١ و٦/ ٢٣٩ و٣٥٣ و٣٧١، ومن حديث خيثمة (تحقيق التدمري) ٧٨ و٩٥ و١٠٠ و١٣٤ و١٣٥ و١٣٧ و١٤٠ و١٦٥ و١٦٧، وحلية الأولياء ٦/ ٣٥٦ إلى آخر الجزء، و٧/ من أوله إلى ١٤٤، وربيع الأبرار ١/ ٨١٤، ٤/ ١٠٨ و١٣١ و١٤٢ و١٧٢ و١٩٦ و٢١٥ و٢٢٣ و٢٢٧ و٣٢٢ و٣٥٩ و٣٧١ و٣٧٢، والعيون والحدائق ٣/ ٢٦٦ و٣٠٣، والبيان والتبيين ٣/ ٢٨٣، ومروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية) ٢١٢٩ و٢٤٦٥ و٢٤٦٧، والفرج بعد الشدة ١/ ١٢٤ و٢٩١ و٢/ ٣٥٩ و٥/ ١٣، والفوائد العوالي المؤرخة (تحقيق التدمري) ١٢٨، والفهرست لابن النديم، المقالة السادسة، الفن السادس، ورجال الطوسي ٢١٢ رقم ١٦٢، وثمار القلوب ١٦٩ ـ ١٧١، والزهد الكبير للبيهقي، رقم ٤١، ٧٣ و١٤٣ و١٤٤ و١٦٠ و١٦٨ و١٦٩ و٢٤٨ و٢٦٩ و٢٨٢ و٢٨٣ و٢٨٧ و٤٤٠ و٤٥٠ و٤٦٦ و٥٦٣ و٥٩٩ و٧٣٦ و٧٨٦ و٨٤٦ و٩٠٢ و٩٣٨، وتاريخ بغداد ٩/ ١٥١ ـ ١٧٤ رقم ٤٧٦٣، والسابق واللاحق ٢٢٠ ـ ٢٢٦ رقم ٨٦، وتقدمة المعرفة بكتاب الجرح والتعديل ١/ ٥٥ ـ ١٢٦، وهي من أجلّ التراجم، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ١٩٤، ١٩٥ رقم ٧٣٠، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٧٢ و٧٦ و٨٤ و٨٥ و٨٩ و٩١ و٩٢ و٩٤ و١٠١، وشرح السِّير الكبير ١/ ١٨٧ و٤/ ١٤١٠، والأنساب لابن السمعاني ٣/ ١٤٦، والإنباء في تاريخ الخلفاء ١٣٣، والتذكرة الحمدونية ١/ ١١٣ و١٤٦ و١٦٦ و١٦٧ و١٦٩ و٢١٠ و٢١٤ و٢٢١ و٣٥٣ و٣٥٦ و٢/ ٩٤، محاضرات الأدباء ٤/ ٤٦٧، والحكم الخالدي ١٢٩، ونثر الدر ٧/ ٧١ رقم ٨٩، وبرد الأكباد ١٢٥، وآثار البلاد في أخبار العباد ١٠٠ و٣٢٤ و٤٥٨، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٢٨، والإشارات إلى معرفة الزيارات ٨٢، وصفوة الصفوة ٣/ ١٤٧ ـ ١٥٢ رقم ٤٤٣، والكامل في التاريخ ٥/ ٦٥ و٦/ ١٢٥، وتهذيب الأسماء واللغات ق١ ج١/ ٢٢٢، ٢٢٣ رقم ٢١٥، ووفيات الأعيان ١/ ٢٦ و٣٧٣ و٢/ ٥٤ و٢٦٣ و٢٨٥ و٢٨٦ و٣١٨ و٣١٩ و(٣٨٦ـ ٣٩١) و٤٠٠ و٤٦٥ و٤٦٩ و٤٧٠ و٣/ ٢٩ و٣٢ و١٢٧ و٤٥٩ و٤/ ١٧٧ و١٧٩ و٣١٠ و٣٤٨ و٥/ ٢٤١ و٤١١ و٦/ ٨٠ و١٤٠ و٢٢٨، وخلاصة الذهب المسبوك ٩٧ـ ٩٨، تهذيب الكمال ١١/ ١٥٤ـ ١٦٩ رقم ٢٤٠٧، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٩، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٢٩ـ ٢٧٩ رقم ٨٢، والمعين في طبقات المحدثين ٦٠ رقم ٥٨٤، والكاشف ١/ ٣٠٠ـ ٣٠١ رقم ٢٠١٥، وميزان الاعتدال ٢/ ١٦٩ رقم ٣٣٢٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٣ـ ٢٠٧، والعبر ١/ ٢٣٥ـ ٢٣٦، وملء العيبة للسبتي ٢/ ١٨٢ و٣٣٢ و٣٣٨ و٣٤٤ و٣٤٥ و٣٥٠، وجامع التحصيل ٢٢٥ـ ٢٢٦، رقم ٢٤٩، والوافي بالوفيات ١٥/ ٢٧٨ـ ٢٨٢ رقم ٣٩٠، ودول =

فرقت أوصاله الدود، ومزّقت أعضاءه اللحود، وأبلى جدَّته التراب، وأطال مدّته الذهاب، لكن هو العلم /٢٧٨/ الذي يورث صاحبه الخلود، ويحييه وقد بليت محاسن أوجه وخدود.

قال سفيان بن عيينة: ما رأيتُ رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري.

وقال عبد الله بن المبارك: كتبت عن ألف ومائة شيخ ما فيهم أفضل من سفيان الثوري، ولا أعلم على وجه الأرض أفضل من سفيان.

وقال الأوزاعي: لم يبق من تجمع عليه الأمة بالرضا والصحة إلاّ سفيان.

وقال يحيى القطان: سفيان فوق مالك في كل شيء.

وقال أبو أسامة: من أخبرك أنه رأى مثل سفيان، فلا تصدّقه.

وقال ابن أبي ذئب: ما رأيتُ بالعراق أحداً يشبه ثوريّكم.

وقال سفيان: العالم طبيب الدين، والدرهمُ داء الدين، فإذا اجترّ الطبيب الداء إليه، متى يُداوي غيره.

وقال القعقاع بن حكيم: كنت عند المهدي، وأتى سفيان الثوري، فلمّا دخل سلّم عليه تسليم العامة، ولم يسلّم بالخلافة، والربيع قائم على رأسه، متكئاً على سيفه، يرقب أمره، فأقبل المهدي عليه بوجهٍ طلق، وقال له: يا سفيان تفرُّ منا ههنا وههنا، وتظنّ أنا لو أردناك بسوء، لم نقدر عليك؟ فقد قدرنا عليك الآن، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا؟ قال سفيان: إن تحكم فيّ يحكم فيك مَلِكٌ قادر يفرّق بين الحق والباطل، فقال له الربيع: يا أمير المؤمنين ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا؟ ائذن لي أن أضرب عنقه، فقال له المهدي: أسكت ويلك، وهل يريد هذا وأمثاله إلاّ أن نقتلهم، فنشقى بسعادتهم. اكتبوا عهده على قضاء الكوفة، على أن لا يعترض عليه. فكتب عهده، ودفع إليه، فأخذه، وخرج، فرمى به في دجلة، وهرب، فطُلب في كل بلد، فلم يوجد.

= الإسلام ١/ ١٠٩، ومرآة الجنان ١/ ٣٤٥ـ ٣٤٧ والاقتراح لابن دقيق العيد ٩٧ و٣٠٤ و٤٩٣ و٥٢٧، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٦ و٣٢ و١١٥ و١٢٦ و١٧٠ و١٨٧، وحياة الحيوان للدميري ١/ ٢٢٦ سلسلة كتاب التحرير رقم ١٣٧، وغاية النهاية ١/ ٣٠٨، رقم ١٣٥٧، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١١ ـ ١١٥ رقم ١٩٩، وتقريب التهذيب ١/ ٣١١ رقم ٣١٢، وطبقات المدلسين ٩، وطبقات المفسرين ١/ ١٨٦ ـ ١٩٠ رقم ١٨٦، وطبقات الحفّاظ ٨٨ـ ٨٩، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٩، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٤٥، وشذرات الذهب ١/ ٢٥٠ـ ٢٥١، والرسالة المستطرفة ٤١، وطبقات المحدّثين بأصبهان لأبي الشيخ الأنصاري ٢/ ١١٤، تاريخ الإسلام (السنوات ١٦١ ـ ١٧٠هـ) ص٢٢٢ رقم ١٥١.

ولما امتنع من قضاء الكوفة، وتولاه شريك بن عبد الله النخعي، قال الشاعر: [من الطويل]

/٢٧٩ تَحَرَّرَ سُفْيَانُ وَفَرَّ بِدِيْنِهِ ... وَأَمْسَى شَرِيْكٌ مُرصَداً لِلْدَرَاهِمِ

وحكي عن أبي صالح المدائني أنه قال: إني لأحسبُ سفيان الثوري يوم القيامة حجَّة من الله على الخلق. يقال لهم: لم تدركوا نبيّكم ﷺ فقد رأيتم سفيان الثوري هلاّ اقتديتم به؟!

مولده سنة بضع وتسعين للهجرة، وتوفيّ بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة متوارياً من السلطان، ودفن عشاءً ولم يُعقب.

ومنهم:

[٢٦]

حماد بن سلمة بن دينار[1]

الإمام الحافظ شيخ الإسلام، أبو سلمة، الربعي، مولاهم البصري، البزاز،

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٢٨٢، والتاريخ لابن معين ٢/ ١٣٠، ١٣١، ومعرفة الرجال له ١/ ٥٤ رقم ٤٠ و١/ ٩٤ رقم ٣٦٧ و٢/ ١٩٩ رقم ٦٦٢، وتاريخ الدارمي رقم ٣٧ و٣٨ و٣٩ و٢٠٠، والعلل لابن المديني ٣٨ و٧٢ و٧٥ و٨٤ و٨٦ و٨٧ و٩١، وطبقات خليفة ٢٢٣، وتاريخ خليفة ٤٣٩، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد ١/ ٢٥١ رقم ٣٤٧ و١/ ٢٦٤ رقم ٣٨٩ و١/ ٣٩١ رقم ٥٥٣، و١/ ٤٠٨ رقم ٨٤٧ و٢/ ١٤٧ رقم ١٨٢٣ و٢/ ٣٠٥ رقم ٢٣٥٣ و٢/ ٤٣٦ رقم ٢٩٢٢ و٢٩٢٣ و٢/ ٥١٦ رقم ٣٣٩٩ و٢/ ٥٢٧ رقم ٣٤٧٨ و٢/ ٥٤٥ رقم ٣٥٨٦ و٣/ ١٢٧ رقم ٤٥٤٢ و٤٥٤٤ و٣/ ٢٢٨ رقم ٤٩٩٨ و٣/ ٢٦٨ رقم ٥١٨٩ و٣/ ٢٧٦ رقم ٥٢٢٤، والتاريخ الكبير ٣/ ٢٢، ٢٣ رقم ٤٩٩٨ و٣/ ٢٦٨ رقم ٥١٨٩ و٣/ ٢٧٦ رقم ٥٢٢٤، والتاريخ الصغير ١٨١، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٤٧، وتاريخ الثقات للعجلي ١٣١ رقم ٣٣٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٩١ و٤٠٣، والبرصان والعرجان ١٠٣، و٢٦٦، والمعارف ٥٠٣، وعيون الأخبار ١/ ٥٢ و٢/ ١٤، وسؤالات الآجري لأبي داود ٢٢٩ و٢٤٣ و٢٥٨ و٣٠٠ و٣٢٩ و٣٥٩ و٣٦١، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/ ٢٥٣ و٤٥٧ و٤٧١ و٥٣٧ و٥٦٢ و٦٤٤ و٢/ ٦٨٥، ٦٨٦، وتاريخ واسط لبحشل ٥١ و٨٠ و١٤٩ و١٦٠ و٢٠٠ و٢٠٢ و٢٥٨ و٢٧٤، وأنساب الأشراف للبلاذري ٣/ ١٧ و٢٨ و٢٨٩ و٢٩٠ وق. ٤ج١/ ١٢ و١٣ و١٢٧ و١٢٨ و٢١١ و٢١٢ و٢١٩ و٢٢٤ و٢٣٦ و٢٦٤ و٣٥٠ و٤٨٤ و٤٩٥ و٥٠٩، والمعرفة والتاريخ ١/ ١٤٩ و١٥٥ و٢١٨ و٢٣٠ و٢١٣ و٢٤٥ و٢٧٠ و٢٧٢ و٣٤٢ و٣٤٨ و٤٢٧ و٤٨٥ و٤٨٧ و٤٩٣ و٥٠٩ و٥١٠ و٥١٢ و٧٢٧ و٢/ ٣٦ و٣٧ و٤٠ و٤٤ و٤٩ و٦١ و١٦٧ و١٩١ و١٩٣ـ ١٩٥ و٢٠١ و٢٠٨ و٢١٤ و٢٣١ و٢٥٦ و٢٦٣ و٢٨٢ و٣٢٨ و٥٤٥ و٦٦١ و٦٦٩ و٧٦١ و٣/ ٢٩ و٣١ و٣٤ و٦٧ و٧٧ و٨٤ و١٥٢ =

البطائني، النحوي، المحدّث. شرارة زند، ونوّارة رند، وسحابة ندّ، وسخاءة عنبر ختم بها معاقد بند، سلّم به إلى أبيه سلمة، وحُمِد لدين ما أسلمه، جداً ما نكب عن طريقه،

= وأخبار القضاة لوكيع ١/ ٦٥ و١٠٠ و١٠٣ و٢١٢ و٢٧٨ و٢٩٠ و٣٠٠ و٣٠٥ و٣٠٦ و٣٠٨ و٣١٣ و٣٢١ و٣٢٢ و٣٣٦ و٣٣٠ـ ٣٣٧ و٣٣٩ و٣٤٠ و٣٤٤ـ ٣٤٦ و٣٥٠ و٣٥٥ و٣٥٩ و٣٦٠ و٢/ ١٠ و١٣ و١٤ و٢٠ و٢١ و٤٨ و٦٥ و٦٩ و٨٩ و١٢٦ و١٩٦ و٢١٣ و٢٦٨ و٣٣٥ و٣٣٦ و٣٣٧ و٣٨٣ و٣٨٧ و٣٩٣، و٣/ ١٨٩، والكنى والأسماء للدولابي ١/ ١٩١، وأمالي القالي ٢/ ٥٧، وتاريخ الطبري ١/ ١٠ و٢٣ و٣٧ و٦٢ و١٢١ و٣٣٠ و٣٣٩ و٤٠٠ و٤٢١ و٣٣٤، و٢/ ٢٩٠ و٢٩١ و٣٨٤ و٣٩٧ و٣/ ٧٧ و١٨٢ و٢٠٩ و٢١٥ و٢١٦ و٤/ ١٤١ و٥/ ٥٠٤، والجرح والتعديل ٣/ ١٤٠ـ ١٤٢ رقم ٦٢٣، والزاهر للأنباري ٢/ ٢٩٨، ومشاهير علماء الأمصار ١٥٧ رقم ١٢٤٣، والثقات لابن حبان ٦/ ٢١٦، والكامل في الضعفاء لابن عدي ٢/ ٦٧٠ـ ٦٨٢، وأسماء التابعين للدارقطني، رقم ٢٢٧، والسنن له ٢/ ١٢١ رقم ٢، وطبقات النحويين للزبيدي ٥١، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/ ٨٨٧ـ ٨٨٨ رقم ١٥٢٤، ورجال صحيح مسلم ١/ ١٥٧، و٣/ ٢٣٠ و٢٣٨ و٦/ ٢٢٥، والأسامي والكنى للحاكم، ج١ ورقة ١٣٦أ، وتاريخ جرجان ٦٤ و١٠٧ و١٢٩ و١٣٨ و١٤٦ و١٥١ و١٩٥ و١٩٩ و٢١٣ و٢٤٣ و٣١٥ و٣٩٦ و٤٠٥ و٤٤٩ و٥٤٣ و٥٥١ والزهد الكبير للبيهقي ٢١٩ـ ٢٢٠ رقم ٥٦٣، وأمالي المرتضى ١/ ٢٨٥ و٤٥٤، والسابق واللاحق ١٧٥، وموضح أوهام الجمع والتفريق ٢/ ٦٣، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ١٠٣ رقم ٣٩٩، والأنساب لابن السمعاني ٥/ ١٠٢، ونزهة الألباء ٣٠ و٤٢ـ ٤٤ و٥٤ و٥٥ و٩٢ و١٢٥، والتذكرة الحمدونية ٢/ ١٦٢، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٣٠، ومعجم الأدباء ١٠/ ٢٥٤ـ ٢٥٨ رقم ٣٢، والكامل في التاريخ ٦/ ٧٤ و٧٦، وإنباه الرواة ١/ ٣٢٩ـ ٣٣٠ رقم ٢٢٠، وأخبار النحويين البصريين ٤٢ ـ ٤٤، وتلخيص ابن مكتوم ٦٣، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٧ و٢/ ٤١٨ و٤٥٩ و٣/ ١٧٠ و٦/ ١٤٠ و٧/ ٢٤٤، وخلاصة الذهب المسبوك ١٠٢، وتهذيب الكمال ٧/ ٢٥٣ـ ٢٦٩ رقم ١٤٨٢، ودول الإسلام ١/ ١١٢، والعبر ١/ ٢٤٨ـ ٢٤٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٢ـ ٢٠٣، والمعين في طبقات المحدثين ٥٩ رقم ٥٧٣، والكاشف ١/ ١٨٨ رقم ١٢٢٩، والمغني في الضعفاء ١/ ١٨٩ رقم ١٧٧، وميزان الاعتدال ١/ ٥٩٠ـ ٥٩٥ رقم ٢٢٥١، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٤٤٤ـ ٤٥٦ رقم ١٦٨، ومرآة الجنان ١/ ٣٥٣، والوافي بالوفيات ١٣/ ١٤٥، ١٤٦ رقم ١٥٣، والفهرست لابن النديم، المقالة السادسة، الفن السادس، والجواهر المضية ٢/ ١٤٩ رقم ٥٣٨، ومراتب النحويين ١٠٧، وصفة الصفوة ٣/ ٣٦١ـ ٣٦٣ رقم ٥٥٢ وفيه تحرف إلى (حماد بن سليمة)، والوفيات لابن قنفذ ١٣٦ رقم ١٦٧، والاغتباط بمعرفة من رُمي بالاختلاط ٥٢ رقم ٢٩، وغاية النهاية ٣/ ٢٥٨ رقم ١١٦٩، وطبقات ابن قاضي شهبة ١/ ٣٢٥ـ ٣٢٧، وتهذيب التهذيب ٣/ ١١ رقم ١٤، وتقريب التهذيب ١/ ١٩٧ رقم ٥٤٢، والبُلْغة في تاريخ أئمة اللغة ٧٣، والنجوم الزاهرة ٢/ ٥٦، وبغية الوعاة ١/ ٥٤٨ـ ٥٤٩ رقم ١١٤٨، وطبقات الحفاظ ٨٧ـ ٨٨، وخلاصة تذهيب التهذيب ٩٢، والطبقات السنية، رقم ١١٤٨، وشذرات الذهب ١/ ٢٦٢، وروضات الجنات للخوانساري ٣/ ٢٤٩ـ ٢٥٠، والرسالة المستطرفة للكتاني ٤٠، والأعلام ٢/ ٢٧٢، ومعجم المؤلفين ٤/ ٧٢، تاريخ الإسلام (السنوات ١٦١ ـ ١٧٠هـ) ص١٤٤ رقم ٨٢ .

ولا نكَّل عن فريقه، ولا نكّد به إلاّ عدوّاً جرّعه غيظاً بريقه.

قال وهيب: حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا.

وقال أحمد بن حنبل: حمّاد أعلم الناس بثابت البُناني، وأثبتُهم في حُمَيد.

وقال علي بن المديني: كان عند يحيى بن ضريس عن حماد عشرة آلاف حديث.

وقال شهاب بن معمر: كان حماد بن سلمة يُعَدُّ من الأبدال، وهو أول من صنّف التصانيف مع ابن أبي عروبة، وكان بارعاً في العربية، فقيهاً، فصيحاً، مفوّهاً، صاحب سنة.

وقال ابن مهدي: لو قيل لحماد: إنك تموت غداً ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً.

وقال عفان: ما رأيتُ أشد مواظبة على الخير، وقراءة القرآن، والعمل لله منه.

وقال عمرو بن عاصم: كتبتُ عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديث.

وقيل: إنَّ حماداً تزوّج سبعين امرأة، ولم يولد له ولد.

وقال أحمد بن حنبل: إذا رأيت الرجل ينال من حماد بن سلمة، فاتهمه على الإسلام.

توفي بعد عيد النحر سنة سبع وستين ومائة وقد قارب الثمانين.

/ ٢٨٠/ ومنهم:

[٢٧]

عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي[(١)]

مولى بني حنظلة، والمؤتى من كل شيء أفضله. هو المبارك وابنه، وأصله الزاكي

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى ٧/ ٣٧٢، والتاريخ لابن معين ٢/ ٣٢٨ـ ٣٢٩، ومعرفة الرجال له ١/ ١٠٩ رقم ٥٠٤ و١/ ١٥، ١١٦ رقم ٥٥٦، ١/ ١١٩ رقم ٥٨١، و١/ ١٣١ رقم ٦٦٨ و١/ ١٤٧ رقم ٨٠٩، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد ١/ ٢٧٢ رقم ٤٢٠ و٢/ ١٠٢، ١٠٣ رقم ١٧٠٨ و٢/ ٣٦١ رقم ٢٥٩٩ و٢/ ٣٦٥ رقم ٢٦٢٢ و٢/ ٤٢٩ رقم ٢٨٩٣ و٢/ ٥٥٩ رقم ٣٦٤١ و٣/ ٤٨٣ـ ٤٨٤ رقم ٦٠٧٠ و٣/ ٤٨٥ رقم ٦٠٧٥ و٦٠٧٧، و٦٠٧٨ و٣/ ٤٨٦ رقم ٦٠٧٩، و٦٠٨٠ و٦٠٨١ و٦٠٨٢ و٣/ ٤٨٩ رقم ٦٠٩١، وطبقات خليفة ٣٢٣، والتاريخ الكبير ٥/ ٢١٢ رقم ٦٧٩، والتاريخ الصغير ١٩٨، وتاريخ الثقات للعجلي ٢٧٥ـ ٢٧٦ رقم ٨٧٦، وبغداد لابن طيفور ٦٤، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/ ١٦٢ و٢٠٧ و٢٠٨ و٢٢٩ و٤١٨ و٤٣١ و٥٠٦ و٥٣٧ و٥٥٧ و٥٨٠ و٥٩١، ٥٩٢ و٥٩٥ و٦١٤ و٤٢٩ و٦٥٨ و٦٦٥ و٦٦٩ و٦٧٠ و٢/ ٦٨١، ٦٨٢، وتاريخ خليفة ١٤٦، والمعارف ٥١١، وتاريخ الطبري (انظر فهرس الأعلام) ١٠/ ٣١٣، والمعرفة والتاريخ ١/ ٢٢٠ـ ٢٢٢ و٥٨٤ـ ٥٨٦ و٥٨٨ـ ٥٩١ و٢/ ٧٥ـ ٧٧ و٥٦٨ـ ٥٧١، ومروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية) ٢٥٠١، والبيان والتبيين ٢/ ٢٤، والحيوان ١/ ٢٧٩، والبدء والتاريخ ٢/ =

وغصنه، لعلمِ جد مُنصله، وصاد الشوارد أجدله، هذا إلى دماثة خلق خفَّ على القلوب محمله، وأسرعَ إلى الخواطر توصله، يُنَزّهه ورع ما رنق غديره قذى، ولا نبع منه أذى،

= ١٥٣، والعيون والحدائق ٣/ ٢٩٧، وتقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ١/ ٢٦٢- ٢٨١، والجرح والتعديل ٥/ ١٧٩- ١٨١ رقم ٨٣٨، والولاة والقضاة ٣٦٨، وحلية الأولياء ٨/ ١٦٢- ١٩٠ رقم ٣٩٧، وطبقات الفقهاء ٦١ و٧٦ و٨٥ و٩٤ و١٣٧، والإنتقاء ١٣٢، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٥٢- ١٦٩ رقم ٥٣٠٦، والفوائد العوالي المؤرخة (بتحقيق التدمري) ١٣١، والفوائد المنتقاة والغرائب الحسان (بتحقيق التدمري) ٥٠- ٥٢، والفهرست ٢٢٨، ومشاهير علماء الأمصار ١٩٤- ١٩٥ رقم ١٥٦٤، والثقات لابن حبان ٧/ ٧، وأخبار القضاة لوكيع ٢/ ١٢ و٣١ و٩٤ و١١٤ و١٢٣ و١٣٣ و١٦٣ و١٦٩ و٢٤٦ و٢٤٧ و٣/ ١٩٥ و١٩٩ و٢٠٠ و٢٢٤ و٢٤١ و٢٤٦ و٢٥٧ و٢٥٨ و٢٦٢ و٢٦٤ و٢٦٩ و٢٧٥ و٢٧٦ و٢٨٩ و٢٩٢ و٣١٢ و٣١٤ و٣١٨ و٣٢٨ و٣٢٩ و٣٣٨ و٣٥٨ و٣٥٩ و٣٧٦ و٣٧٧ و٣٧٨ و٣٩٣ و٣٩٥ و٤٠٠ و٤٠٦، والعقد الفريد ٢/ ٢٢١ و٥/ ٢٨٥، وترتيب المدارك ١/ ٣٠٠، والإشارات إلى معرفة الزيارات ٦٦، وتهذيب الأسماء واللغات ق١ ج١/ ٢٨٥- ٢٨٧ رقم ٣٢٩، ٣٩٠ رقم ٨٦٠، وصفة الصفوة ٤/ ١٣٤- ١٤٧ رقم ٦٩٥، وخلاصة صفة الصفوة ١٩٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٢- ٣٤ رقم ٣٢٢، وانظر أيضاً: ٢/ ٥٤ و٣١٧، و٣٨٧ و٤٦٤ و٣/ ٣٩ و١٢٧ و١٤٨ و٤/ ٤٩ و١٢٩ و٢٠٢ و٥/ ٢٥٦ و٤٠٦ و٤١٠ و٤١١ و٦/ ٨١ و١٤٠ و١٤١ و١٤٧ و٣٨٨ و٤٠١، والأذكياء ٧٧، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٢٥٩- ٢٦٠، وخلاصة الذهب المسبوك ١٢٦- ١٢٧، والسابق واللاحق ٢٥٢- ٢٥٤ رقم ٩٩، وتهذيب الكمال (المصور) ٢/ ٧٣٠، والعبر ١/ ٢٨٠- ٢٨١، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٤- ٢٧٠، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٣٦- ٣٧١ رقم ١١٢، والكاشف ٢/ ١٦٠ رقم ٢٩٧٨، والمعين في طبقات المحدثين ٦٦ رقم ٦٦٩، والتذكرة الحمدونية ١/ ١٨٦ و٢٠٦ و٢١٨ و٢/ ٩٤، ومحاضرات الأدباء ١/ ١٣٣، والحكمة الخالدة ١٦٨، والوافي بالوفيات ١٧/ ٤١٩- ٤٢٠ رقم ٣٥٩، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٣٢/ ٣٩٦- ٤٨٤ رقم ٣٥٥٥، ومرآة الجنان ١/ ٣٧٨- ٣٨، ودول الإسلام ١/ ١٣أ، والبداية والنهاية ١٠/ ١٧٧- ١٧٩، والديباج المذهب ١/ ٤٠٧- ٤٠٩، وغاية النهاية ١/ ٤٤٦ رقم ١٨٥٨، والجواهر المضية ١/ ٢٨١- ٢٨٢، وتهذيب التهذيب ٥/ ٣٨٢- ٣٨٧ رقم ٦٥٧، وتقريب التهذيب ١/ ٤٤٥ رقم ٥٨٣، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ٢١١، والطبقات الكبرى للشعراني ٥٠، وشذرات الذهب ١/ ٢٩٥- ٢٩٧، ومناقب أبي حنيفة للكردي ٤٤١- ٤٥٥، والأعلام ٤/ ٢٥٦، ومعجم المؤلفين ٦/ ١٠٦، وتاريخ التراث العربي ١/ ٣٧٠، وعبد الله بن المبارك - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - طبعة حيدر أباد ١٣٨٦هـ، وعبد الله بن المبارك، للدكتور عبد المجيد المحتسب - منشورات وزارة الأوقاف بالأردن، عمّان ١٩٧٢، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي (للتدمري) ٣/ ٢٠٧- ٢١٣ رقم ٨٩٧، والكامل في التاريخ ٥/ ٤٧٩ و٨/ ٨٢، وانظر له كتاب الزهد بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، والزهد الكبير للبيهقي رقم ٧٣ و١٣٣ و٥٢٩ و٩٤٨ و٩٦٦ وآثار البلاد وأخبار العباد ٢٥٢ و٤١٩ و٤٢٠ و٤٥٦ و٤٥٧ و٤٥٨، والرحلة في طلب الحديث ٩٠ رقم ١٦ و٩١ رقم ١٧ و١٥٦، ١٥٧ رقم ٦٢، تاريخ الإسلام (السنوات ١٨١- ١٩٠هـ) ص ٢٢١ رقم ١٩٣.

بنقاء سريرة أصفى من الماء في المزن، وأغسل للغمَّاء من السرور غبّ الحزن.

تفقه على الثوري ومالك وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع محبّاً للخلوة شديد التورع جامعاً بين العلم والزهد.

نقل أبو عبد الله الحياني: أنَّ عبد الملك بن المبارك سُئل أيما أفضل معاوية بن أبي سفيان أم عمر بن عبد العزيز؟، فقال: والله إنَّ الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بألف مرَّة، صلّى معاوية خلف رسول الله ﷺ فقال: سمع الله لمن حمده، فقال معاوية: ربنا ولك الحمد، فما بعد هذا.

ومن كلامه، تعلمنا العلم للدنيا، فدلنا على ترك الدنيا.

ومن شعره: [من البسيط]

قَدْ يَفْتَحُ المَرْءُ حَانُوتاً لِمَتْجَرِهِ ... وَقَدْ فُتَحْتَ لَكَ الحَانُوت بِالدِّيْنِ

صَيَّرْتَ دِيْنَكَ شَاهِيْناً تَصِيْدُ بِهِ ... وَلَيْسَ يُفْلِحُ أَصْحَابُ الشَّوَاهِيْنِ

توفي منصرفاً من الغزو بهيت في رمضان سنة نيّف وثمانين ومائة.

ومولده بمرور سنة ثمان عشرة ومائة.

ومنهم:

[٢٨]

سُفْيان بن عُيَيْنَة بن أبي عمران ميمون الهلالي(١)

قمر طلع من هلال، ودرّ تجسّد من زلال، من خير من تنقّلت به الأصلاب، / ٢٨١/

---

(١) ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٤٩٧ـ ٤٩٨، والتاريخ لابن معين ٢/ ٢١٦ـ ٢٢٠، ومعرفة الرجال له ١/ رقم ٥٨٧ و٥٩٢ و٦٢٩ و٢/ ١٥٩ ز٤٤٣ و٧٤٨، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد ١/ رقم ٨٧ و٩٦ و٩٧ و٩٩ و١٠٣ و١٣٢ و١٣٥ و١٦٣ و١٦٦ و١٧٦ و١٧٧ و١٧٨ و١٨٧ و١٩٤ و١٩٧ و٤٠٧ و٤٩٣ و٥٦٨ و٧٢٢ و٧٥٠ و٩٦٤ و١٠٠١ و١٠٢٢ و١٠٢٦ و١٠٤٦ و١١٣٦ و٢/ ١٤١٣ و١٥٤٦ و١٥٦١ و١٦٥٣ و١٨٣٣ و٢٠٨٠ و٢١٧٥ و٢١٩٠ و٢٤٣٩ و٢٤٤١ و٢٤٥٨ و٢٥١٩ و٢٦٦١ و٢٦٨٢ و٢٩٥٤ و١٨٣٣ و٣٠٢٠ و٣٥٨٨ و٣٨٩٦ و٣/ ٤٢٢٣ و٤٦١٠ و٤٦١١ و٤٦٦٦ و٤٦٦٧ و٤٧٣٧ و٤٩٩٧ و٥٠١٥ و٥١٣١ و٥١٣٦ و٥١٣٧ و٥٦٥٣ و٥٦٨٣ و٥٩٠٦ و٦٠١٢ و٦٠٣٢ و٦٠٦٢ و٦١٥٩، وتاريخ الدارمي، رقم ٤ و٦٧ و٦٨ و٣٦٢، والعلل لابن المديني ٣٨ و٤٤ و٤٧ و٥٧ و٥٩ و٦٧ و٧١ و٧٥ و٧٨ و٨٠ و٩٦ و٩٩، وطبقات خليفة ٢٨٤، والتاريخ له ٤٦٨، والتاريخ الكبير ٤/ ٩٤ رقم ٢٠٨٢، والتاريخ الصغير ٢١٤، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ٩٨، وتاريخ الثقات للعجلي ١٩٤ـ ١٩٥ رقم ٥٧٧، وسؤآلات الآجُرّي لأبي داوود ٣/ رقم ١٣٢ـ ١٣٣، والمعارف ٥٠٦، والمعرفة والتاريخ ١/ ١٨٥ـ ١٨٧ وانظر فهرس الأعلام (٣/ ٥٦٠ـ ٥٦٢)، وأنساب الأشراف ١/ ١٨٦ و٢٢٢ و٢٣٢ و٢٢٦ و٣٤٢ و٤٠٣ =

. . . .

= و٤٠٥ و٤١١ و٤٤٦ و٥٠٧ و٥١٨ و٥٤٠ و٥٨٩ و٣/ ٢٧ و٣١ و٣٢ و٤٦ و٤٨ و٥٠ و٩١، وق٤ج١/ ٢٩ و٢٧٩ و٤٣٥، وتاريخ أبي زرعة الدمشقي ١/ ١٤٥ وانظر فهرس الأعلام (٢/ ٨٧٢ـ ٨٧٣)، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٣١ـ ٤٤٣، والبرصان والعرجان ٧٥، والورع لابن حنبل ٨ و٩ و٥٠ و٨٠ و١٣٥، وعيون الأخبار ١/ ٣٣٧ و٢/ ١١٢ و١٣٥ و٢١٠ و٣١٧ و٣/ ٢٦، وتاريخ الطبري ١/ ١٠ـ ١٢ و١٢٩ و٢٥٢ و٢٦٦ و٣٣٧ و٣٩٩ و٤٣١ و٢/ ٢١ و٣/ ١٩٢ و٤٢١ و٤٢٩ و٥/ ٣٣٧ و٩/ ١٣٨، والمنتخب من ذيل المذيل ٦٦١، وتقدمة المعرفة ١/ ٣٢ـ ٥٤ وهي ترجمة حافلة، والجرح والتعديل ٤/ ٢٢٥ـ ٢٢٧ رقم ٩٧٣، والمراسيل ٨٥ـ ٨٦ رقم ١٣٦، والثقات لابن حبّان ٦/ ٤٠٣، ومشاهير علماء الأمصار ١٤٩ـ ١٥٠ رقم ١١٨١، والعيون والحدائق ٣/ ٣٤٥، والولاة والقضاة للكندي ٢٣ و٣٩ و٥٧٦، وأمالي القالي ٢/ ٣٠٢ و٣/ ٤٨ و١٧٤، وطبقات الشعراء لابن المعتزّ ١٢٠، وأخبار القضاة لوكيع (انظر فهرس الأعلام ١/ ١٦ و٢/ ٤٧٦، ٤٧٧ و٣/ ٣٥١)، ومن حديث خيثمة (تحقيق التدمري) ١٣٠ و١٩٨، وربيع الأبرار ١/ ٦١ و٤ و٨٠٥، ٨٠٦، ٥٩ و١٢٥ و١٣٩ و١٤٢ و٢٢٤ ٢٦١ و٣٧٢، وأمالي المرتضى ١/ ٦٣٢، والفوائد المنتقاة والغرائب الحسان (تحقيق التدمري) ٤٨ و٦٥ و٨٠ و٨١ و٨٥ و٨٦ ووتحفة الوزراء ١٤١، وثمار القلوب ٥٩٤، ورجال الطوسي ٢١٢ رقم ١٦٣، والفهرست لابن النديم ٣١٦، ومروج الذهب (طبعة الجامعة اللبنانية) ٢٥٣١، وتاريخ جرجان (انظر فهرس الأعلام ٧٠٦)، والفرج بعد الشدة للتنوخي ١/ ٨٧ و١٤٥ و١٤٦ و٢٠٠ و٤/ ٣٨٧، وحلية الأولياء ٧/ ٢٧٠ـ ٣١٨ رقم ٣٩٠، والعقد الفريد ٢/ ١٤٠ و٢١٤ و٢٣٠ و٢٩٠ و٤٥٥ و٣/ ١٨٨ و٢٢١ و٦/ ٩ و١٠، وأخبار مكة ١/ ١٢ و٣١ و٢/ ٩٧، ورجال صحيح البخاري ١/ ٣٣٠ـ ٣٣١ رقم ٤٦٣، ورجال صحيح مسلم ١/ ٢٨٥ـ ٢٨٧ رقم ٦١٦، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين ١٥٤ـ ١٥٥، رقم ٤٧٦، وطبقات الصوفية للسلمي ٩٨ و١٢٤ و٣٦٣، ٤٢٧، والزهد الكبير للبيهقي، رقم٢ و٥٩ و٦٣ و٦٥ و٧٣ و١٩٤ و٢١٩ و٢٣٨ و٤٤١ و٥٩٨ و٦٣٦، والفوائد العوالي المؤرخة ١٠١ و١١٢ و١١٣ و١١٤ و١٢٩ و١٣١ و١٥٤، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٦٤ و٧٠ و٧٢ و٧٣ و٨٤ و٨٦ و٩٤ و١٠٠، وجمهرة أنساب العرب ١٨ و١١٧ و١٤٣ و١٦٧ و١٩١ و٤٢٥، وتاريخ بغداد ٩/ ١٧٤ـ ١٨٤ رقم ٤٧٦٤، والسابق واللاحق ٢٢٧ـ ٢٣١ رقم ٨٧، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ١٩٥ رقم ٧٣١، والتبيين في أنساب القرشيين ٢٤٩، والتذكرة الحمدونية ١/ ١٨١ و١٨٣ و٢٠٧ و٢/ ٩٣ و٢١٦، وسرح العيون ٢٦٢، وترتيب المدارك ٢/ ١٩ و٢٠ و٢٣ و٢٤، والبصائر والذخائر ١/ ٧٧، وسراح الملوك ٥١، ومحاضرات الأدباء ١/ ٥٣٨، والذهب المسبوك ٢١٢، والمصباح المضيء ٢/ ١٥٢، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٣٩، والمستطرف ١/ ٦٨، وشرح السير الكبير ١/ ١٧، والإشارات إلى معرفة الزيارات ٨٨، والأذكياء لابن الجوزي ٩٨، وآثار البلاد للقزويني ٢٨٩، وتهذيب الأسماء واللغات ق١ ج١/ ٢٢٤، ٢٢٥ رقم ٢١٧، ووفيات الأعيان ١/ ٢٠٠ و٢٠٣ و٣٧٧ و٣٤٠ و٢/ ٥٦ و٧٣ و٢٤٣ و٣١١ و٣٨٦ و٣٨٩ و(٣٩١ـ ٣٩٣) و٤٦٩ و٣/ ٢١٧ و٢٩٦ و٤/ ٤٧ـ ٤٨ و١٦٤ و١٧٧ و٢٧٦ و٣٥١ و٣٩٨ و٥/ ٢٥٦ و٦/ ٨٠ و١٤٠ و١٤١ و١٤٤ و و٧/ ٢٥٠، والإلمام بالإعلام للنويري السكندري ١/ ١٤٤، وتهذيب =

ونقلت له الأسلاب، ونفلت له خوص المطايا الأجلاب، وأقبلت إليه الطلبة في هيأة الأطلاب، وحطّتْ عليه بأملها الركائب الطّلاح، وخطت إليه بغللها السحائب الدلاح. طالما شكر الموقف بالصخرات موقفه، وحمد منه مُعرق المعرفة، وأجمع جمع أنه ما رأى مثله بالعيان، ولا بالصفة.

ولد بالكوفة في منتصف شعبان سنة سبع ومائة، ونقله أبوه إلى مكة وكان إماماً، عالماً، ثبتاً، زاهداً، ورعاً، مجمعاً على صحة حديثه وروايته، وحجَّ سبعين حجة، وروى عنه جماعة من الأعيان، وروى عن خلق كثير.

قال ابن خلكان ـ رحمه الله ـ رأيتُ في بعض المجاميع أنَّ سفيان خرج يوماً إلى من جاءه يسمع منه ـ وهو ضجر ـ فقال: أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد، وجالس هو أبا سعيد الخدري، وجالست عمرو بن دينار، وجالس هو عبد الله ابن عمر، وجالست الزهري، وجالس هو أنس بن مالك، حتى أتى عَدَّ جماعة، ثم أنا أجالسكم؟! فقال له حدث في المجلس: أتنصفُ يا أبا محمد؟، قال: إن شاء الله تعالى، فقال: والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ بك أشدّ من شقائك بنا، فأطرق، وأنشد قول أبي نُواس: [من مجزور الرمل]

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامِي ... وَامْضِ عَنْهُ بِسَلاَمِ
مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ ... لَكَ مِنْ دَاءِ الكَلاَمِ

= الكمال ١١/ ١٧٧ـ ١٩٦ رقم ٢٤١٣، وخلاصة الذهب المسبوك ١٩٤ـ ١٩٦، والتقييد لابن الصلاح ٤٥٨ـ ٤٥٩، والمقدمة له ٣٥٥، والتبصرة ٣/ ٢٧١ـ ٢٧٢، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٠ـ ٤١٨ رقم ١٢٠، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٦٢، وميزان الاعتدال ٢/ ١٧٠ـ ١٧١ رقم ٣٣٢٧، والمغني في الضعفاء ١/ ٢٦٨ـ ٢٦٩ رقم ٦٥٨، وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٦٢، والعبر ١/ ٢٠٨ـ ٢٠٩، وملء العيبة للسبتي ٢/ ١٤٠ و٢٦٣ و٢٦٦ و٢٧٨ و٢٧٩ و٢٨١ ـ ٢٨٣ و٢٨٧ و٢٩٠ و٣٦٧، ودول الإسلام ١/ ١٢٥، ومرآة الجنان ١/ ٤٥٩، والوفيات لابن قنفذ ١٤٩ رقم ١٩٠، والوافي بالوفيات ١٥/ ٢٨١ـ ٢٨٢، رقم ٣٩١، وجامع التحصيل ٢٢٦ رقم ٢٥٠، والإغتباط بمعرفة من رُمي بالاختلاط ٦٤ـ ٦٥ رقم ٤٨، والاقتراح لابن دقيق العيد ٨ و٢٠٢ و٣٠٤ و٣٠٥، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٧٠، وشرح علل الترمذي لابن رجب ٦٩، والعقد الثمين ٤/ ٥٩١، وغاية النهاية ١/ ٣٠٨ رقم ١٣٥٨، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١٧ـ ١٢٢ رقم ٢٠٥، وتقريب التهذيب ١/ ٣١٢ رقم ٣١٨، وطبقات المدلسين ٢٢، والتبيين لأسماء المدلسين ٥، وتدريب الراوي ٢/ ٣٧٧، وفتح المغيث ٢/ ٣٤٣ـ ٣٤٥، وطبقات المفسرين ١/ ١٩٠ـ ١٩٢ رقن ١٨٧، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٤٥، وشذرات الذهب ١/ ٣٥٤، والكواكب الدرية للمناوي ١١٧، والطبقات الكبرى للشعراني ٤٠، وإيضاح المكنون ٢٠٣، والرسالة المستطرفة ٣١، وأعيان الشيعة ٣٥/ ١٥١ـ ١٥٤، تاريخ الإسلام (السنوات ١٩١ـ ٢٠٠هـ) ص ١٨٩ رقم ١٠٩ .

وتفرَّق الناس وهم يتحدَّثون برجاحة الحدث، وكان ذلك الحدث يحيى بن أكثم، فقال سفيان: هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء يعني السلطان.

وقال الشافعي: ما رأيتُ أحداً فيه من آلة الفتيا ما في سفيان، وما رأيت أكفّ منه عن الفتيا.

وقال سفيان: دخلت الكوفة، ولم يتمَّ لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه /٢٨٢/ ولأهل الكوفة: جاءكم حافظ علم ابن دينار، قال: فجاء الناس يسألوني عن عمرو بن دينار، فأوّل من صيّرني محدّثاً أبو حنيفة، فذاكرته.

توفي بمكة في آخر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون.

ومنهم:

[٢٩]

إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلّد بن إبراهيم بن عبد الله، الحنظلي، المروزي المعروف بابن راهويه[(١)]، أبو يعقوب

الحافظ الكبير نزيل نيسابور وعالمها. إمام لا يُعام في بحره، وتمام لا يُغام على

---

(١) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر بن عُبيد الله بن غالب بن وارث بن عُبيد الله بن مرة بن كعب بن همام بن أسد بن مرة بن عمرو بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

ترجمته في: الورع لأحمد ١٢٢، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد برواية ابنه عبد الله ١/ ٥١٣، والتاريخ الكبير للبخاري ١/ ٣٧٩، ٣٨٠، وتاريخه الصغير ٢٣٣، والأدب المفرد له، رقم ٩، ٢٣٤، ٥١٧، ٥٤٠، ٥٥٥، ٥٧٩، ٧٣٨، ٨١٣، ٨٧١، ٩٣٠، ٩٨٨، ٩٩٣، ١٢٠١، والمعارف لابن قتيبة ٢٨٧، والكنى والأسماء للدولابي ٢/ ١٥٨، والجرح والتعديل ٢/ ٢٠٩ رقم ٧١٤، والثقات لابن حبان ٨/ ١١٥، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ١/ ٧٢ رقم ٦٨، وحلية الأولياء ٩/ ١٠٢، ١٠٣، ١٧١، ٢٣٨، والفوائد العوالي المؤرخة للتنوخي، تخريج الصوري (تحقيق التدمري) ١٠٢، ١١٤، ١١٦، وذكر أسماء التابعين ومن بعدهم للدارقطني (٤١٨) رقم ٤٦، والفهرست لابن النديم ٢٨٦، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٤٥ ـ ٣٥٥، رقم ٣٣٨١، وتاريخ جرجان للسهمي ٢٢٩، ٣١١، ٣٧٨، ٣٩٢، ٤٣١، ٥١٨، وموضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب ١/ ٤٢٨، والسابق واللاحق له ١٣٥، وتاريخ بغداد ٦/ ٣٤٥ رقم ٣٣٨١، والجمع بين رجال الصحيحين ١/ ٢٨ رقم ١٠٧، والمعجم المشتمل لابن عساكر ٧٤ رقم ١٤٣، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ١٠٩ رقم ١٢٢، والكامل في التاريخ ٧/ ٧٠، ومروج الذهب ٢٩٧٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٤١٢ ـ ٤١٧، وطبقات الشافعية للسبكي ١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٨، والإشارات إلى معرفة الزيارات للهروي ٩٩، وأدب القاضي للماوردي ١/ ٢٠٦ و٢/ ٩٧، ٢٤١، ٢٦٤، وتهذيب الكمال ٢/ ٣٧٣ ـ ٣٨٨ رقم ٣٣٢، ودول الإسلام ١/ ١٤٥، والمعين في طبقات المحدثين ٨٣ =

بدره. لسان جدل لا يحجّ، وبيان جدل للمحتج، أثنت عليه الأئمة، وثنت إليه الأزمة، وخلف في الخير سالف الأمة، وخلَّف الناس بعده تتمة، وأقامت إليه المطيّ صدورها، وأدامت به سرورها، وترامت إليه بالطلبة أشباحها، وأمَّت به حيث يطلع صباحها، وكان لحناً بالحجج إذا ناظر، محسناً إذا حاضر، لا تملّ مجالسته، ولا تخل بالصواب منافسته.

ذكره الدارقطني فيمن روى عن الشافعي، وعدّه البيهقي في أصحاب الشافعي، وكان قد ناظر الشافعي في مسألة جواز بيع دور مكة؛ فلما عرف فضله نسخ كتبه وجمع مصنّفاته.

قال أحمد بن حنبل: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين، وما عبر الجسر أفقه منه.

قال محمد بن أسلم الطوسي لما بلغه موت إسحاق: ما أعلم أحداً كان أخشى لله من إسحاق. يقول الله: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» وكان أعلم الناس، ولو كان الحمادان، والثوري في الحياة، لاحتاجوا إليه.

وقال أحمد أيضاً: لا أعلم لإسحاق نظيراً بالعراق، لم يلق مثله.

وقال إسحاق: أحفظ سبعين ألف حديث وأذاكر بمائة ألف، وما سمعت قط شيئاً إلاّ حفظته، ولا حفظت شيئاً قطّ، فنسيته.

وقال أيضاً: كأني أنظر إلى مائة ألف حديث في كتبي، /٢٨٣/ وثلاثين ألفاً أسردها.

وقال أبو داود الخفاف: أملى علينا إسحاق من حفظه، أحد عشر ألف حديث، ثم قرأها علينا، فما زاد حرفاً، ولا نقص حرفاً.

وقال أبو حاتم: العجب من إتقانه، وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ.

وقال أبو زرعة: ما رُئي أحفظ من إسحاق، وله مسند مشهور رحل إلى

= رقم ٨٩٦، والكاشف ١/ ٥٩ رقم ٢٧٥، وميزان الاعتدال ١/ ١٨٢ـ ١٨٣ رقم ٧٣٣، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٣٥٨ـ ٣٨٣ رقم ٧٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٣، والعبر ١/ ٤٢٦، ومرآة الجنان ٢/ ١٢١، والبداية والنهاية ١٠/ ٣١٧، والوافي بالوفيات ٨/ ٣٨٦ـ ٣٨٨ رقم ٣٨٣٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٨٣ـ ٨٩، وتهذيب التهذيب ١/ ٢١٦ـ ٢١٩ رقم ٤٠٨، وتقريب التهذيب ١/ ٥٤ رقم ٣٧٤، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٩٠، وطبقات الحفاظ ١٨٨ـ ١٨٩، والرسالة المستطرفة للكتاني ٦٥، والأعلام ١/ ٢٨٤، ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٨٨، وتاريخ التراث العربي ١/ ١٦٣ـ ١٦٤ رقم ٥٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٢١ـ ٢٤٠هـ) ص ٨٠ رقم ٥١ .

الحجاز، والعراق، واليمن، والشام، وسمع ابن عيينة وطبقته، وسمع منه البخاري، ومسلم، والترمذي.

وكانت ولادته سنة إحدى وستين ومائة، وسكن آخر عمره في نيسابور، وتوفي بها ليلة النصف من شعبان سنة ثمان وثلاثين، وقيل: سنة سبع وثلاثين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة.

ومنهم:

[٣٠]

إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي(١)

الفقيه البغدادي، أبو ثور.

ورد البحر، فاستقلَّ السواقي، وظفر بالمُنى، فهان عليه ما كان يُلاقي، وصحب الإمام المعرق في قريش. وأنشد: [من الخفيف]

كُلّما فَاتَ فِيْ اللَّيَالِيْ المَواضِيْ فَهْوَ فِيْ ذِمَّةِ اللَّيَالِي البَوَاقِيْ

صحب الإمام الشافعي، ونقل الأقوال عنه، وكان أحد الفقهاء الأعلام، والثقات المأمونين في الدين، واشتغل أولاً بمذهب أهل الرأي، حتى قدم الشافعي

(١) ترجمته في: التاريخ الصغير للبخاري ٢٣٣، والكنى والأسماء لمسلم، ورقة ١٧، والجرح والتعديل ٢/ ٩٧ـ ٩٨ رقم ٢٦٦، والثقات لابن حبان ٨/ ٧٤، والأسامي والكنى للحاكم، ج١ ورقة ١٩٧أ، وتاريخ بغداد ٦/ ٦٥ـ ٦٩ رقم ٣١٠٠، والإنتقاء لابن عبد البر ١٠٧، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٧٢، ٩٢، ١٠١ـ ١٠٣، والفهرست لابن النديم ٢٦٥، والمعجم المشتمل لابن عساكر ٦٥/ رقم ١٠٩، والكامل في التاريخ ٧/ ٧٥، واللباب ٣/ ١٠٤ـ ١٠٥، ووفيات الأعيان ١/ ٧، وتهذيب الكمال ٢/ ٨٠ـ ٨٣ رقم ١٦٩، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٣٩، ودول الإسلام ١/ ١٤٦، والكاشف ١/ ٣٦ رقم ١٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٧٢ـ ٧٦ رقم ١٩، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥١٢ـ ٥١٣، والمغني في الضعفاء ١/ ١٣ـ ١٤، رقم ٧١، والعبر ٢١/ ٤٣١، والمعين في طبقات المحدثين ٨٣ رقم ٨٩١، وميزان الاعتدال ١/ ٢٩ـ ٣٠ رقم ٨٠، ومرآة الجنان ٢/ ١٢٩ـ ١٣٠، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٢٢، والوافي بالوفيات ٥/ ٣٤٤ـ ٣٤٥، رقم ٢٤١٩، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٧٤ ـ ٨٠، وطبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٢٥ـ ٢٦ رقم ٨، وتهذيب التهذيب ١/ ١١٨ـ ١١٩، رقم ٢١١، وتقريب التهذيب ١/ ٣٥ رقم ١٩٧، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٠١ـ ٣٠٢، وطبقات الحفاظ ٢٢٣، وطبقات الشافعية للعبادي ٢٢، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٢٢، ٢٣، ٢٧، ٣٩، ٥٣، وخلاصة تذهيب التهذيب ١٧، وشذرات الذهب ٢/ ٩٣ـ ٩٤، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٧ رقم ٩ (ذكره دون ترجمة) تاريخ الإسلام (السنوات ٢٣١ـ ٢٤٠هـ) ص٦٣ رقم ٣٤.

العراق، فاختلف إليه، واتَّبعه، ورفض مذهبه الأوّل، ولم يزل كذلك إلى أن توفي لثلاث بقين من صفر سنة أربعين ومائتين ببغداد، وله الكتب المصنّفة في الأحكام، جمع فيها الحديث والفقه.

ومنهم:

[٣١]

محمد بن نصر الإمام، أبو عبد الله، المَرْوَزِي[(١)]

أحد الأئمة الأعلام، والأزمة فيما تُمليه الأقلام، ضرب الآفاق في طلب الحديث، / ٢٨٤/ واغترب لا يقنعه السير الحثيث، ثم لم يرض بمجرد الرواية، حتى وصلها بالدراية، وتفقّه فيما اتصل به، حتى أبرزه علماً جلياً، ومثّله عياناً مرئياً.

ولد ببغداد سنة اثنتين ومائتين، ونشأ بنيسابور، وسكن سمرقند، وغيرها. وكان أبوه مَرْوزياً.

تفقّه أبو عبد الله على أصحاب الشافعي بمصر، وعلى إسحاق بن راهويه، ورحل في طلب الحديث والعلم إلى الآفاق.

قال الحاكم: هو إمام الحديث في عصره بلا مدافعة.

وقال الخطيب: كان من أعلم الناس؛ باختلاف الصحابة، ومن بعدهم.

وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: كان محمد بن نصر إماماً بمصر، فكيف بخراسان.

وقال القاضي محمد بن محمد: كان الصدر الأول من مشايخنا يقولون: رجال خراسان أربعة؛ ابن المبارك، وابن راهوية، ويحيى بن يحيى، ومحمد بن نصر.

(١) ترجمته في: طبقات الشافعية للعبادي ٤٩، وتاريخ بغداد ٣/ ٣١٥ـ ٣١٨ رقم ١٤١٦، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٦ـ ١٠٧، والمنتظم لابن الجوزي ٦/ ٦٣ـ ٦٦ رقم ٩٨، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ج١ ق٢/ ٩٢ـ ٩٤، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٦١، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٥٩، ودول الإسلام ١/ ١٧٨، والمعين في طبقات المحدثين ١٠٥ رقم ١١٩٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٥٠ـ ٦٥٣، والعبر ٢/ ٩٩، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٣ـ ٤٠ رقم ١٣، ومرآة الجنان ٢/ ٢٢٣، والوافي بالوفيات ٥/ ١١١، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٢٤٦ـ ٢٥٥، والوفيات لابن قنفذ ١٩٥ رقم ٢٩٤، وتهذيب التهذيب ٩/ ٤٨٩ـ ٤٩٠ رقم ٧٩٨، وتقريب التهذيب ٢/ ٢١٣ رقم ٧٦٧، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٦١، وطبقات الحفاظ ٢٨٤ـ ٢٨٥، وحسن المحاضرة ١/ ٣١٠ـ ٣١٢، ومفتاح السعادة لطاش كبري زاده ٢/ ٧١، وشذرات الذهب ٢/ ٢١٦ـ ٢١٧، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٣٤، ٣٥، والرسالة المستطرفة ٤٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٢٩١ ـ ٣٠٠هـ) ص ٢٩٥ رقم ٤٨٧.

وقال السليماني: محمد بن نصر المروزي إمام الأئمة الموفق من السماء. له كتاب «تعظيم قدر الصلاة»، وكتاب «رفع اليدين» وغيرهما من الكتب المعجِزَة. وكان له مال يقارض عليه، وينفق عليه من غلّته، وكان إسماعيل بن أحمد ـ والي خراسان ـ وأخوه يصله كل منهما بأربعة آلاف في السنة، ويصله أهل سمرقند بأربعة آلاف، فكان ينفقها في السنة إلى السنة، فقيل له: لو ادخرت لنا منه، فقال: سبحان الله! أنا بقيت بمصر كذا سنة. قوتي، وثيابي، وكاغدي، وحبري، وجميع ما أنفقته على نفسي عشرون درهماً، أفترى إن ذهب ذا لا يبقى ذاك؟.

وقد ذكرت له كرامات منها: ما رواه أبو الفضل محمد بن عبيد الله. قال: سمعت الأمير إسماعيل بن أحمد يقول: كنت بسمرقند، فجلستُ يوماً للمظالم. / ٢٨٥/ وجلس أخي إلى جنبي، فدخل أبو عبد الله محمد بن نصر، فقمتُ له إجلالاً لعلمه؛ فلما خرج عاتبني أخي، وقال: أنت والي خراسان تقوم لرجل من الرعيّة؟ هذا ذهاب السياسة. فبت تلك الليلة وأنا منقسم الفكر، فرأيت النبي ﷺ فأخذ بعضدي، فقال لي: ثبّت ملكك وملك بنيكَ بإجلالك محمد بن نصر، ثم التفت إلى إسحاق وقال: ذهب ملك إسحاق، وبنيه باستخفافه بمحمد بن نصر.

وقال ابن حزم ـ في بعض تواليفه ـ: أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن، وأضبطهم لها، وأذكرهم لمعانيها، وأدركهم بصحتها، وبما أجمع الناس عليه مما اختلفوا فيه، وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتمَّ منها في محمد بن نصر المروزي؛ فلو قال قائل: ليس لرسول الله ﷺ حديث، ولا لأصحابه إلاّ وهو عند محمد بن نصر، لما بَعُد عن الصدق.

توفي بسمرقند سنة أربع وتسعين ومائتين.

ومنهم:

[٣٢]

محمد بن إبراهيم بن المنذر، أبو بكر النيسابوري(١)

الحافظ الفقيه شيخ الحرم. مشكاة النقل، ومرآة العقل، ألقى ما أغلق إليه

---

(١) ترجمته في: صلة تاريخ الطبري لعريب ١٣٤، وطبقات فقهاء الشافعية للعبادي ٢٦٧، والعيون والحدائق ج٤ ق١/ ٣١٩ في حوادث سنة ٣١٢هـ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٠٨، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ١٩٦ـ ١٩٧ رقم ٣٠١، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٠٧ رقم ٥٨٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٩٠ـ ٤٩٢ رقم ٢٧٥، وميزان الاعتدال ٣/ ٤٥٠ـ ٤٥١ رقم ٧١٢٣، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٧٨٢ـ ٧٨٣، والوافي بالوفيات ١/ ٣٣٦ رقم ٢١٠، ومرآة الجنان ٢/ ٢٦١ـ ٢٦٢، وطبقات =

الأقاليد، وأقال عثرات دينه من آفة التقليد، وجعل كتبه حججاً لا تخصم، ولججاً ما منها معصم، لم يُخَلِّ ثنيَّة ما طلع، ولا خفيةً ما استطلع، فَصِينَت مصنفاته مع الأعلاق، وحفظت الضنين من الإملاق، فكانت مما تغلق عليه الخزائن أبوابها وتقفل، ويتفطن للاحتراز عليها، ثم لا يبالي بما تَفْعل.

عدَّه الشيخ أبو إسحاق في طبقات الفقهاء الشافعية، وقال: صنّف في اختلاف الفقهاء كتباً لم يصنّف أحد مثلها، واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف. ولا أعلم عمَّن أخذ الفقه.

قال: وتوفي بمكة سنة تسع أو عشر /٢٨٦/ وثلاثمائة.

وهذا لا يصحّ، فإنَّ ابن عمار لقيه، وسمع منه في سنة ست عشرة وثلاثمائة.

وأرّخ ابن القطان وفاته سنة ثمان عشرة وثلاثمائة.

ومن مصنّفاته كتاب «المبسوط في الفقه»، وكتاب «الأشراف في اختلاف العلماء»، وكتاب «الإجماع»، وكان غاية في معرفة الخلاف والدليل، مجتهداً لا يقلّد أحداً.

ومنهم:

[٣٣]

أبو سليمان الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب القرشي العدوي البُسْتي(١)

من ولد زيد بن الخطاب بن نفيل، ومن بقية أبناء ذلك القيل، وغُدر ما غادر ذلك

= الشافعية الكبرى للسبكي ٣/ ١٠٢ـ ١٠٨، والوفيات لابن قنفذ ٢٠٥ رقم ٤٤، ولسان الميزان ٥/ ٢٧ـ ٢٨ رقم ١٠٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٨٥، وطبقات الحفاظ ٣٢٨، وطبقات المفسرين للسيوطي ٢٨، وطبقات المفسرين للدوادي ٢/ ٥٠ـ ٥١، رقم ٤٢٣، وشذرات الذهب ٢/ ٢٨٠، والرسالة المستطرفة ٧٧، وطبقات الأصوليين ١/ ١٦٨ـ ١٦٩، والأعلام ٦/ ١٨٤، وهدية العارفين ٢/ ٣١، وديوان الإسلام ٤/ ٢٦٢ـ ٢٦٣، رقم ٢٠١٧، وإيضاح المكنون ١/ ٣٤٩، ومعجم المؤلفين ٨/ ٣٣٠، وكشف الظنون ١٠٣ وغيرها، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٠١ ـ ٣٢٠هـ) ص١٦٥ رقم٣٨٦.

(١) ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠١٨ـ ١٠٢٠ رقم ٩٥٠، قال الذهبي: «وهم أبو منصور الثعالبي في «اليتيمة» حيث سماه أحمد بن محمد». انظر: يتيمة الدهر ٤/ ٣٣٤ـ ٣٣٥ حيث سماه «أحمد» وكناه «أبا سليمان»، العبر ٣/ ٣٩، شذرات الذهب ٣/ ١٢٧ وفيه إن حمْد سُئل عن اسمه: أحمد أو حمد؟ فقال: سُمّيت بحمد وكتب الناس أحمد فتركته. وجاء بهامش الشذرات: أفاد المتبولي في «شرح الجامع الصغير» أنه بسكون الميم، النجوم الزاهرة ٤/ ٩٩ وفيه «أحمد»، وكذلك في =

السيل، والطراز الذي امتدّ رقمه في ذلك الثوب من الكُمِّ إلى الذيل.

وهو ممن اتيت على ذكره في «فواضل السمر»، وهو به أولى. ولهذا ما كدت أذكره هنا، لولا أنَّ مثله ممن يُباهى به، ويباهل الشرق الغرب بتذهيبه.

سمع بالعراق أبا علي الصفار، وأبا جعفر الرزاز، وغيرهما، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري، وعبد الغفار الفارسي. وكان فقيهاً، أديباً، صنَّف التصانيف البديعة، منها: «غريب الحديث»، «ومعالم السُنن في شرح سُنن أبي داود»، «وأعلام السنن في شرح البخاري».

وكان يُشبَّه في عصره بأبي عبيد القاسم بن سلام، علماً، وزاهداً، وأدباً، وورعاً، وتدريساً، وتأليفاً.

توفي في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة.

وذكره صاحب اليتيمة وأنشد له قوله[1]: [من الطويل]

وَمَا غُرْبَةُ الإنْسَانِ فِيْ شُقَّةِ النَّوَى ... وَلَكِنَّهَا وَاللهِ فِيْ عَدَمِ الشَّكْلِ

وَإِنِّيْ غَرِيْبٌ بَيْنَ بُسْتٍ وَأَهْلِهَا ... وَإِنْ كَانَ فِيْهَا أُسْرَتِي وَبِهَا أَهْلِيْ

وقوله[2]: [من البسيط]

شَرُّ السِّبَاعِ العَوَادِي دَوْنَهُ وَزَرٌ ... وَالنَّاسُ شَرُّهُمُ مَا دَوْنَهُ وَزَرُ

كَمْ مَعْشَرٍ سَلِمُوا لَمْ يُؤْذِهِمْ سَبُعٌ ... وَمَا تَرَى بَشَراً لَمْ يُؤْذِهِ بَشَرُ

/ ٢٨٧/ ومنهم:

[٣٤]

الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي، أبو الفضائل القرشي العدوي العمري[3]

عُرِف بالصغّاني الحنفي المحدّث، الفقيه، اللغوي. رضي الدين، صاحب

= مرآة الجنان ٢/ ٤٣٥ ـ ٤٤١، والبداية والنهاية ١١/ ٣٢٤، إنباه الرواة ١/ ١٢٥، دول الإسلام ١/ ٢٣٥، معجم الأدباء ٤/ ٢٤٦، بغية الوعاة ١/ ٥٤٦ـ ٥٤٧ رقم ١١٤٣ (حمد)، الأنساب ١٨٠، خزانة الأدب ١/ ٢٨٢، طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٢١٨، وفيات الأعيان ٢/ ٢١٤ـ ٢١٦ رقم ٢٠٧، اللباب ١/ ٤٥٢، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٩٥ دون ترجمة، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٨١ ـ ٤٠٠هـ) ص ١٦٥.

(١) يتيمة الدهر ٤/ ٣٣٥.

(٢) يتيمة الدهر ٤/ ٣٣٥.

(٣) الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي العدوي العمري الصَّاغاني الحنفي، رضي الدين: =

التصانيف. إمام مشهور، وغمام مشكور، وكمام تفتّح بالشُّذُور، وتمام سلم مما يعترى من النقص للبدور.

وقد ذكرته في «فواضل السمر في فضائل آل عمر»، وهو أمسُّ به، وأمدُّ لسببه،

= أعلم اهل عصره في اللغة. وكان فقيهاً محدثاً. ولد في لاهور (بالهند) سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م ونشأ بغزنة (من بلاد السند) ودخل بغداد، ورحل إلى اليمن، وتوفي ودفن في بغداد، بداره بالحريم الطاهري، سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م، وكان قد أوصى أن يدفن بمكة، فنقل إليها ودفن بها. له تصانيف كثيرة منها «مجمع البحرين ـ خ» مجلدان في اللغة، و«التكملة ـ خ» ست مجلدات طبع الرابع منها، جعلها تكملة لصحاح الجوهري، و«العباب» معجم في اللغة ألفه لابن العلقمي (وزير المستعصم)، بقيت منه أجزاء ط بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، و«الشوارد في اللغات» و«الأضداد ـ ط» و«مشارق الأنوار ـ ط» في الحديث، ألفه للمستنصر العباسي، و«شرح صحيح البخاري» مختصر، و«در السحابة في مواضع وفيات الصحابة ـ ط» رسالة، و«فعال ـ ط» و«شرح أبيات المفصل» و«يفعول ـ ط» رسالة، و«مختصر الوفيات» و«ما تفرد به بعض أئمة اللغة ـ خ» جزء.

ترجمته في: معجم الأدباء ٩/ ١٨٩ـ ١٩١ رقم ١٥، وصلة التكملة للحسيني، ورقة ٧١، والحوادث الجامعة ٢٦٢ـ ٢٦٤، والعبر ٥/ ٢٠٥ـ ٢٠٦، وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٨٢ـ ٢٨٤ رقم ١٩١، ودول الإسلام ٢/ ١١٨، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٤٩ـ ٣٥٠، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٧١، ومرآة الجنان ٤/ ١٢١، وتاريخ علماء بغداد ٤٨، وعيون التواريخ ٢٠/ ٦٦ـ ٦٧، والوافي بالوفيات ١٢/ ٢٤٠ـ ٢٤٣ رقم ٢١٩، وفوات الوفيات ١/ ٣٥٨ـ ٣٦٠ رقم ٢٩، ومنتخب المختار لابن رافع ٤٨ـ ٤٩ رقم ٤٣، والجواهر المضية ٢/ ٨٢ـ ٨٥ رقم ٤٧٥، والعسجد المسبوك ٢/ ٥٨٩ـ ٥٩٠، وذيل التقييد للفاسي ١/ ٥١١ـ ٦٥١٢ رقم ٩٩٩، وكتائب أعلام الأخيار، رقم ٤٥٠، والطبقات السنية، رقم ٧٢٠، والمزهر ١/ ١٠٠ و٢/ ٤٢١، والعقد الثمين ٤/ ١٧٦ـ ١٧٩ رقم ١١٣، وتاج التراجم ٢٤، والدليل الشافي ١/ ٣٦٨، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٦، وبغية الوعاة ١/ ٥١٩ـ ٥٢١ رقم ١٠٧٦، وشذرات الذهب ٥/ ٢٥٠، وتاج العروس (صغن)، وتاريخ ثغر عدن ٢/ ٥٣، ومفتاح السعادة ١/ ١١٢، وكشف الظنون ٢/ ١١٢٢، والفوائد البهية ورجال السند والهند ٩٨ـ ٩٩، وتاريخ الأدب العربي ٦/ ٢١٢، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٣/ ٥٠، ونزهة الخواطر ١/ ١٣٧، ومعجم المؤلفين ٣/ ١٧٩، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ٦٣، والقاموس المحيط (صغن)، وديوان الإسلام ٣/ ٢٠٥ـ ٢٠٦ رقم ١٣٢٧، وإيضاح المكنون ٢/ ٤٣٣، والأعلام ٢/ ٢١٤.

وانظر مقدمة «العباب الزاخر واللباب الفاخر» للشيخ محمد حسن آل ياسين ـ طبعة المعارف ببغداد ١٩٧٧، ومقدمة «العباب» أيضاً، للدكتور فير محمد حسن ـ طبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٨، ومقدمة «التكملة والذيل والصلة» له، بتحقيق عبد العليم الطحاوي، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٠، و مقدمة «الشوادر في اللغة» بتحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري، طبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الأعلام ٢/ ٢١٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ـ ٦٥٠هـ) ص ٤٤٣ رقم ٥٩٨.

على أنَّ المطنب فيه مقصر، والموفي متعذر، وهيهات أن تُبلغ السماء، أو تُحصى الأسماء، أو توفّي حقّ شكرها النعماء.

ولد بمدينة لوهور من بلاد الهند في عاشر صفر سنة سبع وسبعين وخمسمائة، ونشأ بغزنة، ودخل بغداد سنة خمس عشرة وستمائة، وسمع بعدة بلاد.

قال عبد المؤمن الدمياطي: كان شيخاً صالحاً صدوقاً، صموتاً عن فضول الكلام، ملازماً للصوم، إماماً في الحديث واللغة والفقه.

وقال ابن الشعار في عقود الجمان[1]: كان فاضلاً في النحو والعربية، إماماً في اللغة. وقدم العراق، وأقام ببغداد مُديدة، وتأمر هناك، ثم حجَّ، ودخل اليمن، ونفق له بها سوق، ثم قدم العراق، وأقام ببغداد، وكان عنده خبرة بلعب الرمح، والنضال بالسهام والنبل، والخزندارات، وركوب الخيل، والتصيد بالكلاب، وجميع الآداب الملوكية. وأثرى، وكثر ماله، ونفذ إلى الخليفة يشعره أنه قد حوى من الذهب العين سبعين ألف دينار، ومثل ذلك أثاث، وقماش، وكتب وغير ذلك من آلات السلاح. وله من مصنفات الحديث، والفقه، واللغة، والنحو، والتصريف بضعٌ وعشرون مصنفاً؛ منها «مشارق الأنوار في الجمع بين الصحيحين»، «وشرح البخاري»، وكتاب «في علوم الحديث»، و«وكف السحابة في وفيات الصحابة»، وكتاب / ٢٨٨/ «مجمع البحرين» في اللغة، اثنا عشر مجلداً، و«العباب الزاخر واللباب الفاخر»، في اللغة أيضاً عشرون مجلداً، وصنّف في «مناسك الحج» ختمه بأبيات وهي: [من البسيط]

شَوْقِيْ إِلَى الكَعْبَةِ الغَرَّاءِ قَدْ زَادَا ... فَاسْتَحْمِلِ القُلُصَ الوَفَّادةِ الزَّادَا
أَذَاقَكَ الحَنْظَلَ العَامِيّ مُنْتَجِعاً ... وَغَيْرُكَ انْتَجَعَ السَّعْدَانَ وَالرَّادَا
أَسَرْتَ سَرْحَكَ حَتَّى آضَ عَنْ كَثَبٍ ... نِيَاقُهَا رازِحاً وَالصَّعْبُ مُنْقَادَا
فَاقْطَعْ عَلاَئِقَ مَا تَرْجُوهُ عَنْ عُرُضٍ ... وَاسْتَوْدِعِ اللهَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدَا

ومما أورد له ابن الشعار أيضاً: [من الوافر]

أَطَرْفَ العَيْنِ مَا لَكَ لاَتَنَامُ ... عَسَى طَيْفٌ يُؤَرِّقُهُ حِمَامُ!
فَيَنْقَعَ غُلَّةً ويُشِيْبَ أَجْراً ... وَيَشْفِي مَنْ أَضَرَّ بِهِ السَّقَامُ
تَقَضَّتْ بِالمُنَى أَيَّامُ عَمْرِيْ ... وَأَخْلَقَ جِدَّتِيْ شَهْرٌ وَعَامُ
وَلِيْ أَرَبٌ لَوَ انَّ الدَّهْرَ يَوْماً ... يُقَرِّبُهُ ويلبسُنِي الحِمَامُ

---

(١) لم ترد في الأجزاء المطبوعة من قلائد الجمان (عقود الجمان) ولعله في الأجزاء المفقودة منه.

لِـرَوْضٍ مَـا تَـصَـوَّحَ مِـنْ شَبَـابِـيْ ... وَأَضْـحَـى الـشَّـيْـخُ وَهْـوَ بِـهِ غُـلاَمُ

توفي ببغداد ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان سنة خمسين وستمائة، ودفن بداره، ثم نقل إلى مكة ـ شرَّفها الله تعالى ـ بمقتضى وصيته، وإعداده لمن يحمله إليها خمسين ديناراً.

ومنهم:

[٣٥]

أبو عمرو، عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر النصري الكردي والشهرزوري[(١)]

عرف بابن الصلاح. تقي الدين الفقيه، الحافظ، شيخ الشافعية.

رجل يرجع إلى فتاويه، ويمنع كبرياؤه من يناديه. دوّنت فتاويه، وأشير إليها،

---

(١) ترجمته في: مرآة الزمان ج٨ق٢/ ٧٥٧ـ ٧٥٨، ومفرّج الكروب لابن واصل ٥/ ١٤٣، وذيل الروضتين ١٧٥ـ ١٧٦، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٤٣ـ ٢٤٥ رقم ٤١١، وصلة التكملة للحسيني، ورقة ٢٧، وملء العيبة للفهري ٣/ ٢١٧ـ ٢١٨، وطبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي، تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزَيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ ج٤/ ٢١٤ـ ٢١٨، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ١٧٤، ونهاية الأرب ٢٩/ ٣١٨، والمعين في طبقات المحدّثين ٢٠٢ رقم ٢١٣٦ وفيه: «تقيّ الدين أبو عمرو بن عثمان» وهذا وهم، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٠ـ ١٤٣٣، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٧، والعبر ٥/ ١٧٧ـ ١٧٨، ودول الإسلام ٢/ ١١٢، وبرنامج الوادي آشي ٢٦٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧٥، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨/ ٣٢٦ـ ٣٣٦ (٥/ ١٣٧)، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٤١ رقم ٧٣٠، ومرآة الجنان ٤/ ١٠٨ـ ١١٠، وطبقات الشافعية لابن كثير (مخطوط) ورقة ١٧٢أ، ب، والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٧ و١٦٨ و١٦٩، وتاريخ علماء بغداد (المنتخب المختار) لابن رافع، ١٣٠ـ ١٣٣، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٤٤٤ـ ٤٤٦ رقم ٤١٤، والوفيات لابن قنفذ ٣١٦ـ ٣١٧ رقم ٦٤٢، وذيل التقييد للفاسي ٢/ ١٦٩ـ ١٧٠ رقم ١٣٦٩، وتاريخ الخميس للديار بكري ٢/ ٤١٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٤، والإعلان بالتوبيخ للسخاوي ٦٠٢، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٤٩٩ـ ٥٠٠، والأنس الجليل للعليمي ٢/ ٤٤٩، وطبقات المفسّرين للداوودي ١/ ٣٧٧ـ ٣٧٨، وكشف الظنون ٤٨، ٧٠، ٨٣٦، ١١٠٠، ١١٦١، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٩٧، ١٨٣٠، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩، ومفتاح السعادة ٢/ ٦٠، ٦١ و١٤٧، ١٤٨ و٣٥٥، وحاشية البغدادي على شرح بانت سعاد ١/ ٤٧١، وشذرات الذهب ٥/ ٢٢١ـ ٢٢٢، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٢٢٠، وصلة الخَلَف للروداني ٢١٥ و٢٤٥ و٣٠٦ و٣٩٨، وديوان الإسلام لابن الغزّي ٣/ ٢١٤ـ ٢١٥ رقم ١٣٤١، والتاج المكلّل للقنوجي ٨٠، والإشارات إلى أماكن الزيارات للحوراني ٣٧ـ ٣٨، والزيارات للعدوي ٨٤ـ ٨٥، وهدية العارفين ١/ ٦٥٤، وتاريخ الأدب العربي ٦/ ٢٠٢ـ ٢١١، وذيله ١/ ٦١٢، والأعلام ٤/ ٢٠٧، ومعجم المؤلّفين ٦/ ٢٥٧، والمستدرك على المعجم ٤٥٧ـ ٤٥٨، وفهرس مخطوطات =

وأدير زماناً العمل عليها. وكان لَقِناً بالحديث وأجوبته، ويفاضل ما بين رجاله وأسولته. أذهب في هذا صدر شبيبته، ولقي الخصم لا يبالي بصدم كتيبته، ووطىء حجج / ٢٨٩/ أهل المنازعة بكلكله، ورمى شمس أرباب المقارعة بأفكله، وكان لا يعاب بترخيص في دين، ولا تنقيص إلا لمعتدين، لكنه كان يسرّ على ابن عبد السلام دقائق الضغناء، ويشحن له باطنه بحقائق الشحناء، ويُعين عليه غير أهل مذهبه، ولا يخلّيه من حريق لهبه، ويُغري به الملك الأشرف شاه أرمن موسى على ألسنة حاشيته، ويسري إليه المكائد في ليل ناشئته، ويسلّط عليه قوارص الذئاب، ويرمي على جسمه قوارض الذباب، إلى أن امتلأ صدر الملك الأشرف عليه حنقاً، وابتدأ لا يَبُل عليه لغليله حُرقاً، لمكانةٍ كانت لابن الصلاح ولأهل عصبته من خاطره، ولانحرافٍ منه على ابن عبد السلام كان يراه به قذى ناظره، إلى أن كان ما هو معروف مما أرج به ذكر ابن عبد السلام، وعرج إلى حيث ينجلي عن الصبح الظلام. والسكوت أولى من نبش ما كان كامناً بين أئمة الإسلام.

وكان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال، وما يتعلق بعلم الحديث، ونقل اللغة. وكان له مشاركة في فنون عديدة، وكانت فتاويه مسدّدة.

قرأ الفقه على والده وكان من جلّة المشايخ الأكراد المشار إليهم، ثم نقله والده إلى الموصل فاشتغل بها مدّة، ثم سافر بها إلى خراسان، وأقام بها مدة، وحصل علم الحديث هناك، ثم رجع إلى الشام، وتولى تدريس المدرسة الصلاحية ببيت المقدس، وأقام مدة وأشغل الناس وانتفعوا به.

ثم عاد إلى دمشق، فولي تدريس الرواحية، ومشيخة دار الحديث الأشرفية، وتدريس الشامية التي داخل / ٢٩٠/ دمشق، وقام بالوظائف الثلاثة من غير إخلال بشيء إلاّ لعذر شرعي.

وكان من العلم والدين على قدم حسنة، وله مصنفات مفيدة وإشكالات على الوسيط، وجمعت فتاويه في مجلد، ولم يزل أمره جارياً على سداد، وصلاح حال واجتهاد في الاشتغال والنفع إلى أن توفي يوم الأربعاء وقت الصبح، وصُلِّيَ عليه بعد

= الحديث بالظاهرية ٦٥، وفهرس الفقه الشافعي بالظاهرية ١٦٣، وفهرس مخطوطات التاريخ بالظاهرية ٢٤٩ـ ٢٥١، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ١٢٧ رقم ١١٠٧.
وانظر مقدّمة كتاب «أدب المفتي والمستفتي» لابن الصلاح بتحقيق الدكتور محيي هلال السرحان. ومقدّمة كتاب «طبقات الفقهاء الشافعية» له، بتحقيق محيي الدين علي نجيب ـ طبعة دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ـ ٦٥٠هـ) ص١٨٥ رقم ٢١٤.

الظهر، وهو الخامس والعشرون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وستمائة بدمشق، ودفن بمقبرة الصوفية.

ومولده سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

ومنهم:

[٣٦]

يحيى بن شَرَف بن مُرّي بن الحسن بن الحسين الخرامي النووي الشافعي(١)

الحافظ، شيخ الإسلام، علم الأولياء، قدوة الزهاد، محيّي الدين أبو زكريا صاحب التصانيف.

رجل علم وعمل، ونجاح سؤل وأمل، وكامل، وقلَّ مثلُه في الناس من كمل. وفق للعلم، وسُهّل عليه، ويسّر له وسيّر إليه، من أهل بيت من نوى من كرام القُرى، وكرام أهل القِرى، لهم بها بيت مضيف لا تخمد ناره، ودار قرى لا يخمل مناره، طلع من أممهم سادات، وسمع لكرمهم عادات، وجمع لهممهم أطراف السعادات، ونبت فيهم نباتاً حسناً، ونبغ ذكاءاً ولَسَناً، وأتى دمشق متلقناً، للأخذ عن علمائها متقلّلاً من

---

(١) ترجمته في: المقتفي ١/ ورقة ٧٠أ، ب، وزبدة الفكرة ٩/ورقة ٩٠ب، ونهاية الأرب ٣٠/ ٣٨٣-٣٨٤، ودول الإسلام ٢/ ١٧٨، والعبر ٥/ ٣١٢-٣١٣، والمعين في طبقات المحدّثين ٢١٥ رقم ٢٢٤٣، وتذكر الحفاظ ٤/ ١٤٧٠، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٨٢، وذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٨٣، ومرآة الجنان ٤/ ١٨٢-١٨٦، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٧٨-٢٧٩، وطبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٦٥، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٤٧٦-٤٧٧، رقم ١١٦٢، وفوات الوفيات ٤/ ٢٦٤ رقم ٥٦٨، وطبقات النحاة لابن قاضي شهبة، ورقة ٢١٨، والسلوك ج١ق٢/ ٦٤٨، وعقد الجمان (٢) ١٩٤-١٩٥، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨، وكشف الظنون ٥٩/ ٧٠، ٩٦، ٩٧، ١١٥، ٢٠٠، ٢١٠، ٢٤٤، ٣٤٠، ٣٧٩، ٣٩٨، ٤٦٥، ٤٩٠، ٥٠٤، ٥٥٠، ٥٥٧، ٦٨٨، ٧١٧، ٩١٥، ٩٣٦، ١٠٣٩، ١١٦٢، ١١٨٨، ١٦١٣، ١٦٤٨، ١٦٩٤، ٧١٨٣٣، ١٨٣٨، ١٨٥٩، ١٨٧٣، ١٨٧٧، ١٩٨٢، ٢٠٢٥، وحُسن المحاضرة ٢/ ٧٥ وتاريخ الخلفاء ٤٨٣، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ٢٢٥-٢٢٧، وتاريخ ابن سباط ١/ ٤٥٦، ومفتاح السعادة ١/ ١٨٢، والدارس ١/ ٢٣، وإيضاح المكنون ١/ ٢٥٢ و٢/ ١٥٢، ١٩٩، ٤٧٥، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٢٤، ومعجم المؤلفين ١١/ ٢٠٢-٣٠٣، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/ ٩-١٣ رقم ٤٥٤، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٢٤٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٤، والأعلام ٩/ ١٨٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣٦، وعيون التواريخ ٢١/ ١٦٠-١٦١، ومختصر تاريخ الإسلام، ورقة ٢٩٠، وطبقات الحفاظ ٥١٠، ومجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ١٨٧ رقم ١١٢٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٧١- ٦٨٠هـ) ص٢٤٦ رقم٣٣٠.

عيشها، حتى يكاد يعف، فلا يشرب من مائها، فنَبُه شكره، ونُهب مدى الآفاق ذكره، وحلّق اسمه، وذكر تصنيفه وعلمه؛ فلمّا سولت للملك الظاهر بيبرس أمانيه، وحدَّثته نفسه من الظلم بما كاد يأتي / ٢٩١/ قواعده من مبانيه، وكتب له من الفقهاء من كتب، وحمله سوء رأيه على بيع آخرته بشيء من الذهب، ولم يبق سواه، فلما حضر هابه، وألقى إليه الفتيا، فألقاها، وقال: لقد أفتوك بالباطل. ليس لك أخذ معونة حتى تنفد أموال بيت المال، وتعيد أنت ونساؤك ومماليكك وأمراؤك ما أخذتم زائداً عن حقّكم، وتردُّوا فواضل بيت المال، وأغلظ له في القول؛ فلما خرج قال: اقطعوا وظائف هذا الفقيه ورواتبه فقيل له: إنه لا وظيفة له، ولا راتب. قال: فمن أين يأكل؟ قالوا: مما يبعثه إليه أبوه من نوى. فقال: والله لقد هممت بقتله، فرأيتُ كأنَّ أسداً فاغراً فاه بيني وبينه، لو عرضت له لالتقمني، ثم وقر له في صدره ما وقر، ومدَّ إليه يد المسألة يسأله، وما افتقر. ثم كانت سمعة النووي التي شرَّقت وغربت، وبعدت وقربت، وعظم شأن تصانيفه، وبيان البيان في مطاوي تفاويفه، ثم هي اليوم محجة الفتوٰى، وعليها العمل، وما ثمَّ سوى سببها الأقوى.

ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وقدم دمشق سنة تسع وأربعين، فسكن في الرواحية، وتناول خُبز المدرسة، وحفظ «التنبيه» في أربعة أشهر ونصف، وقرأ ربع «المهذب» حفظاً في باقي السنة.

ثم حجَّ مع أبيه ومرض أكثر الطريق. قال مخبراً عن نفسه: أنه كان يقرا كل يوم اثني عشر درساً على مشايخه شرحاً، وتصحيحاً في الحديث والفقه، والنحو، والأصلين، والتصريف، وأسماء الرجال.

قال: وكنتُ أعلق جميع ما يتعلّق بها من شرح مشكل، ووضوح عبارة، وضبط لغة. وبارك الله لي في وقتي، وخطر لي أن أشتغل في / ٢٩٢/ الطبّ، واشتريت كتاب القانون، فأظلم قلبي، وبقيتُ أياماً لا أقدر على الاشتغال، فأفقت على نفسي، وبعت القانون، فأنار قلبي.

وسمع الكتب الستة، والمسانِد، و«الموطّأ»، وغير ذلك، ولازم الاشتغال، والتصنيف، ونشر العلم، والعبادة، والأوراد، والصيام، والذكر، والصبر على العيش الخشن في المأكل والملبس ملازمة كليّة لا مزيد عليها ملبسه ثوب خام، وعمامته شنجبابيه صغيرة، وتخرَّج به جماعة من العلماء. وكان لا يضيّع له وقتاً في ليلٍ ولا نهارٍ، إلاّ في اشتغال حتى في الطرق، ودام على هذا ست سنين.

ثم أخذ في التصنيف، والإفادة، والنصيحة، وقول الحقّ مع ما هو فيه من المجاهدة لنفسه، والعمل بدقائق الورع، والمراقبة، وتصفية النفس من الشهوات والشوائب، ومحقها من أغراضها. وكان حافظاً للحديث، وفنونه، ورجاله،

وصحيحه، وعلله، رأساً في معرفة المذهب.

[حكى أبو الحسن بن العطار عنه أنّه قال: كنت مريضاً بالرواحية، فبينا أنا ليلة في الضفة الشرقية بها، ووالداي وأخواي نائمون إلى جانبي إذ عافاني الله من ألمي، ونشطني للذكر، فجعلت أُسبّح بين السرّ والجهر. فبينما أنا كذلك إذا بشيخ حسن الصورة، جميل المنظر، يتوضأ على البركة قريباً من نصف الليل؛ فلمّا فرغ من وضوئه، أتاني، وقال لي: يا ولدي لا تذكر تزعج أباك وإخوتك وأهل المدرسة، فقلت: يا شيخ من أنت؟، قال: أنا ناصح لك، ودعني أكون من كنت، فوقع في نفسي أنه إبليس، فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ورفعت صوتي بالتسبيح، فأعرض عنّي، ومشى نحو باب المدرسة فقمت أتبعه فلم أجده، ووجدت الباب مقفلاً، وفتشتها، فلم أجد أحداً فيها غير من كان فيها، فقال لي والدي: ما خبرك يا يحيى؟ فأخبرته به، فجعل هو وإخوتي يتعجبون، وقعدنا كلّنا نسبح، ونذكر].

قال ابن فرح: صار الشيخ محيي الدين إلى ثلاث مراتب كل مرتبة منها لو كانت لشخص لشدَّت إليه الرحال [في] العلم، والزهد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

[حكى لي العلامة أبو اليسر أنه جرى في مجلس أبيه قاضي القضاة أبي عبد الله الصايغ ذكر النووي وشيخه العالم الرباني أبي إبراهيم إسحاق بن أحمد بن عثمان المغربي الشافعي ـ رحمهما الله ـ فقال ابن الصايغ: لو أدرك القشيري صاحب الرسالة النووي وشيخه، لما قدم عليهما أحداً من مشايخ الرسالة؛ لما جُمع فيهما من العلم، والعمل، والزهد، والورع، والنطق بالحكم، وغير ذلك.

وحكى الشيخ القدوة المسلك أبو الحسن علي المقيم بجامع بيت لهيا. قال: مرضت بالنقرس في رجلي، فعادني النووي؛ فلما جلس إليّ جعل يتكلم في الصبر، وجعل الألم الذي بي يذهب؛ فلما انتهى كلامه جميعه، زال الألم جميعه، فعلمت أنَّ ذلك ببركته، أو كما قال].

قال شمس الدين، ابن الفخر: ـ كان إماماً، بارعاً، حافظاً، متقناً، أتقن علوماً شتى، وصنّف التصانيف الجمة، وكان شديد الورع والزهد، تاركاً لجيع ملاذ الدنيا من المأكول إلاّ ما يأتيه به أبوه من تين وكعك، وكان يلبس الثياب المرقعة الرثة، ولا يدخل الحمام، ولا يأكل الفواكه، ولم يتناول من الجهات درهماً.

وحكى أبو الحسن بن العطّار: أنه عُذل في عدم دخوله الحمام، وتضييق العيش في مأكله، وملبسه، وأحواله، وخوّف /٢٩٣/ من مرض يُعطّله عن الاشتغال، فقال: إنَّ فلاناً يأكل في اليوم والليلة أكلة، ويشرب مرَّة واحدة عند السحر.

قال ابن العطار: كلَّمته في الفاكهة، فقال: دمشق كثيرة الأوقاف، وأملاك من

تحت الحجر والتصرّف لهم لا يجوز إلاّ على وجه الغبطة لهم، ثم المعاملة لهم فيها على وجه المساقاة، وفيها خلاف، فكيف تطيب نفسي بأكل ذلك؟ [وأيضاً فغالب من يطعم إنما يأخذ الأقلام والعين غصباً، أو سرقة؛ لأنَّ أحداً ما يهون عليه بيع أقلام أشجاره، وكشط لحائها، ولا جرت بذلك عادة ولا يختاره أحد من خلق الله تعالى، فيطلع الثمر في نفس وذلك المغصوب، أو المسروق، فتكون الثمرة ملكاً لصاحب القلم، أو العين، لا لصاحب الشجرة، ويبقى بيعه وشراؤه حراماً].

وكان لا يقبل من أحدٍ شيئاً إلاّ في النادر ممن لا يشتغل عليه. أهدى له فقيرٌ إبريقاً، فقبله، وعزم عليه البرهان الإسكندري للفطر عنده في رمضان، فقال: أحضر الطعام إلى هنا ونفطر جملةً، فأكل من طعامه، وكان لونين، وربما جمع بعض الأوقات بين أدامين.

وكان يواجه الملوك والظلمة بالإنكار، ويكتب إليهم، ويخوّفهم بالله، كتب مرّةً إلى بيليك الخزندار كافل الممالك: «من عبد الله يحيى النووي. سلام الله ورحمته وبركاته على المولى المحسن، ملك الأمراء بدر الدين أدام الله له الخيرات، وبارك له في جميع أحواله آمين. وينهى إلى العلوم الشريفة أنَّ أهل الشام في ضيق وضعف حال؛ بسبب قلّة الأمطار». وذكر فصلاً طويلاً. وفي طيّ ذلك ورقة إلى الملك الظاهر، في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وواقفه مرَّة بدار العدل، فحكي أنَّ الظاهر قال: أنا أفزع منه، وجرت له معه فصول.

ثم إنَّ الشيخ سافر، فزار القدس، ثم عاد إلى نوى، فمرض عند والده، وحضرته المنية، فانتقل إلى الله ـ عزَّ وجل ـ في الرابع والعشرين من شهر رجب الفرد سنة ستّ وسبعين وستمائة، وقبره ظاهر مقصود بالزيارة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[وحكى لنا أخوه الشيخ عبد الرحمن عنه: ـ أنه لما مرض مرض موته اشتهى التفّاح، فأُتي به، فلم يأكله؛ فلما مات رآهُ بعض أهله، فقال له: ما فعل الله بك؟، فقال: أكرم نزلي وتقبّل عملي، وأوّل قِرًى جاءني التُّفاح.

وحكى لنا أنه لما دفن حيث هو الآن، أراد أهله أن يبنوا على ضريحه قبّة، فرأته عمّته وهو يقول لها: قولي لأخي والجماعة: كلّما بنوا شيئاً يهدم عليهم].

/ ٢٩٤/ ومنهم:

[٣٧]

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحرَّاني(١)

العلاَّمة الحافظ، الحجة المجتهد، المفسّر شيخ الإسلام، نادرة العصر، علم الزهاد، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية.

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي =

....

= الحنبلي، أبو العباس، تقيّ الدين ابن تَيمِيَّة: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الاسكندرية، ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد ومات معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م. فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، وتصانيفه كما في الدرر الكامنة أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفياتّ أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، منها «الجوامع ـ ط» في السياسة الإلهية والآيات النبوية، ويسمى «السياسة الشرعية» و«الفتوى ـ ط»، خمس مجلدات، و«الإيمان ـ ط»، و«الجمع بين النقل والعقل ـ خ» الجزء الرابع منه، والثالث في ٢٦٧ ورقة كتب. سنة ٧٣٧ في شستربتي (٣٥١٠)، و«منهاج السنة ـ ط» و«الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان ـ ط» و«الواسطة بين الحق والخلق ـ ط» و«الصارم المسلول على شاتم الرسول ـ ط» و«مجموع رسائل ـ ط» فيه ٢٩ رسالة، و«نظرية العقد ـ ط» كما سماه ناشره. واسمه في الأصل «قاعدة» في العقود و«تلخيص كتاب الاستغاثة ـ ط» يعرف بالرد على البكري، وكتاب «الرد على الأخنائي ـ ط» و«رفع الملام عن الأئمة الأعلام ـ ط» رسالة، و«شرح العقيدة الأصفهانية ـ خ» في المكتبة السعودية بالرياض، و«القواعد النورانية الفقهية ـ ط» و«مجموعة الرسائل والمسائل ـ ط» خمسة أجزاء. و«التوسل والوسيلة ـ ط» و«نقض المنطق ـ ط» و«الفتاوى ـ خ» و«السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ـ خ» و«مجموعة ـ ط» أخرى اشتملت على أربع رسائل: الأولى رأس الحسين (حقق فيها أن رأس الحسين حمل إلى المدينة ودفن في البقيع) والثانية الرد على ابن عربي والصوفية. والثالثة العقود المحرمة، والرابعة قتال الكفار.

ولابن قدامة كتاب في سيرته سماه «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ ط» وللشيخ مرعي الحنبلي، كتاب «الكواكب الدرية ـ ط» في مناقبه، ومثله لسراج الدين عمر بن علي ابن موسى البزار. ولمؤلف المسالك أيضاً أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري.

ترجمته في: الوافي بالوفيات ٧/ ١٥، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٦ـ ١٤٩٧، طبقات علماء الحديث ٤/ ٢٧٩، البدر الطالع ١/ ٦٣، المقصد الأرشد ١/ ١٣٢، تاريخ حوادث الزمان ٢/ ٣٠٦ـ ٣١٠ رقم ٢٨٧، ودول الإسلام ٢/ ٢٢٧، وذيل العبر ١٥٧ـ ١٥٨، والإعلام بوفيات الأعلام ٣٠٨، والمعين في طبقات المحدثين ٢٣٧ رقم ٢٤٢١، والمعجم المختص ٢٥ـ ٢٧ رقم ٢٢، ومعجم الشيوخ ٤١ـ ٤٢ رقم ٤٠، والدرّ الفاخر ٣٤٩، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٨٧ـ ٤٠٢، ومختصره ٩٨، وتايخ ابن الوردي ٢/ ٢٨٤ـ ٢٩٠، ومرآة الجنان ٤/ ٢٧٧ـ ٢٧٨، والردّ الوافر ١٢١ـ ١٢٣، والبداية والنهاية ١٤/ ١٣٥ـ ١٤٠، وفوات الوفيات ١/ ٦٢ رقم ٣٤، ودرّة الأسلاك ٢/ ورقة ٢٥٥ـ ٢٥٨، وتذكرة النبيه ٢/ ١٨٥ـ ١٨٨، والوافي بالوفيات ٧/ ١٥ـ ٣٣ رقم ٢٩٦٤، وأعيان العصر ١/ ٢٣٣ـ ٢٥٣ رقم ١١٨، وبرنامج الوادي آشي ١٠٥، وذيل التقييد ١/ ٣٢٥ـ ٣٢٦ رقم ٦٤٧، والمقفى الكبير ١/ ٤٥٤ رقم ٤٦٢، والسلوك ج٢ق١/ ٣٠٤، والمنهج الأحمد ٤٢٤، والدرر الكامنة ١/ ١٤٤ـ ١٦٠ رقم ٤٠٩، ونثر الجمان ٢/ ورقة ٨١أ، ب، والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٧١ـ ٢٧٢، والمنهل الصافي ١/ ٣٣٦ـ ٣٤٠ رقم ١٩١، وتاريخ ابن سباط ٢/ ٦٤٦، ٦٤٧، =

هو البحر من أي النواحي جئته، والبدر من أيّ الضواحي أتيته، جرت آناؤه لشأوٍ ما قنع به، ولا وقف عنده طليحاً مريحاً من تعبه طلباً لا يرضى بغاية، ولا يقضي له بنهاية. رضع ثدي العلم منذ فطم، وطلع وجه الصباح؛ ليحاكيه، فلُطِم، وقطع الليل والنهار دائبين، واتخذ العلم والعمل صاحبين، إلى أن أنسى السلف بهداه، وأنأى الخلف عن بلوغ مداه: [من البسيط]

وَثَــقَّــفَ اللهُ أَمْــراً بَــاتَ يَـكْــلَــؤُهُ   يَمْضِيْ حُسَامَاهُ فِيْهِ السَّيْفُ وَالقَلَمُ
بِـهِـمَّـةٍ فِـيْ الـثُّـرَيَّـا إِثْـرَ أَخْـمَـصِـهَـا   وَعَـزْمَـةٍ لَـيْـسَ مِـنْ عَـادَاتِـهَـا الـسَّـأَمُ

على أنه من بيت نشأت منه علماء في سالف الدهور، ونشأت منه عظماء على المشاهير الشهور، فاحيا معالم بيته القديم إذ درس، وجنى من فنه الرطيب ما غرس،

=

والدرّ المنضّد ٢/ ٤٧٦ـ ٤٨٠ رقم ١٢٤٠، والبدر الطالع ١/ ٦٣، وطبقات المفسّرين للداوودي ١/ ٤٥ رقم ٤٢، وثلاث تراجم نفيسة (من كتاب ذيل تاريخ الإسلام) بتحقيق محمد بن ناصر العجمي ـ دار ابن الأثير، الكويت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥، والدارس ١/ ٧٥ و٢/ ٧٢، وديوان الإسلام ٢/ ٤٠ـ ٤١ رقم ٦٢١، وشذرات الذهب ٦/ ٨٠ـ ٨٦، والعقود الدرّية لابن عبد الهادي، وهو بكامله عن ابن تيمية، وطبقات علماء الحديث، لابن عبد الهادي ٤/ ٢٧٩ـ ٢٩٦، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٥١٦، والكنى والألقاب ١/ ٣٢٦، ودرّة الحجال ١/ ٣٠ـ ٤١ رقم ٢٣، وهدية العارفين ١/ ١٠٥، وكشف الظنون ١٣٥ و٢٢٠ و٢٦٠ و٢٦١ و٢٧٧ و٣٧٩ و٤٨٧ و٧٣٠ و٧٥٧ و٨٨٧ و٩١١ و١٠١١ و١٠٦٩ و١٠٧٨ و١١٥٧ و١١٧٨ و١٣٥٨ و١٤٣٨ و١٥٠٦ و١٦١٢ و١٨٧٢ و١٩١٣ و١٩٥٧، وإيضاح المكنون ١/ ٢٣ و٢٥ و٢٦ و٩٧ و٢٠٤ و٢٠٦ و٣٣ و٢٥٤ و٢٦٦ و٢٩٤ و٣٠٦ـ ٣٠٨ و٣١٢ و٣٢٢ و٣٤٣ و٣٤٥ و٣٧١ و٢/ ٥٨ و١٨٧ و٣٥٨ و٤٠٩ و٤٧٦ و٥٠٣ و٥٨٥، وتاريخ الخلفاء ٤٨٨، وبدائع الزهور ج١ق١/ ٤٧٥ (سنة ٧٣٨هـ)، ومعجم طبقات الحفّاظ والمفسّرين ٥٣ رقم ١١٤٢، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٢٤٣، والأعلام ١/ ١٤٤، ومعجم المؤلفين ١/ ٢٦١، والرسالة المستطرفة ١٤٤، ودائرة المعارف الإسلامية ٣/ ١٩٧٢، وكنوز الأجداد ٣٦٠ـ ٣٦٩، والمجدّدون في الإسلام ٢٦٢ـ ٢٦٦، وفهرس التيمورية ٤/ ١٠٦، وفهرس المخطوطات المصوّرة بدار الكتب المصرية ١/ ١٢٥، وفهرس الفهارس ١/ ١٩٩ـ ٢٠٢، والتاريخ العربي والمؤرخون ٤/ ١٥٩ـ ١٦٠ رقم ٥٣، وتاريخ الأدب العربي ٢/ ١٠٣، وملحقه ٢/ ١١٩ـ ١٢٦، والمُعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ١/ ٢٦٩ـ ٢٩٥، ومختارات من المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا ٢٨ـ ٣١ رقم ٥٦ وفيه «أحمد بن عبد الوهاب»، وفهرس مخطوطات الأدب بالمكتبة الظاهرية ١/ ٢٤٧ـ ٢٤٨ و٣٨٤، ٣٨٥، وفهرس مخطوطات التفسير ٣١٠ و٣٦٢، الأعلام ١/ ١٤٤، ذيل تاريخ الإسلام (السنوات ٧٠١ـ ٧٤٦هـ) ص٢٥٩ـ ٢٦٠ رقم ٨١٦.

وأصبح في فضله آيةً إلاّ أنه أية الحرس. عرضت له الكدى فزحزحها، وعارضته البحار فضحضحها.

ثم كان أمة وحده، وفرداً حتى نزل لحده، أخمل من القرناء كل عظيم، وأخمد من أهل الغناء كلّ قديم، ولم يكن منهم إلاّ من يجفل عنه إجفال الظليم، ويتضاءل لديه تضاؤل الغريم [الكامل].

مَا كَانَ بَعْضَ النَّاسِ إلاَّ مِثْلَ مَا   بَعْضُ الحَصَى اليَاقُوْتَهُ الحَمْرَاءُ

جاء في عصر مأهولٍ بالعلماء، مشحون بنجوم السماء، تموج في جانبيه بحور خضارم، وتطير بين خافقيه نسور قشاعم، وتُشرق في أنديته / ٢٩٥/ بدور دُجُنَّة، وصدور أسنة، وتُثار جنود رعيل، وتزأر أسود غيل، إلاّ أن صباحه طمس تلك النجوم، وبحره طمّ على تلك الغيوم، ففاءت سمرته على تلك القلاع، وأطلّت قسورته على تلك السباع، ثم عبئت له الكتائب، فحطم صفوفها، وخطَم أنوفها، وابتلع غديره المطمئن جداولها، واقتلع طوده المرجحن جنادلها، وأخمدت أنفاسهم ريحه، وأكمدت شرارتهم مصابيحه: [من الوافر]

تَقَدَّمَ رَاكِباً فِيْهِمْ إمَاماً   وَلَوْلاَهُ لَمَا رَكِبُوا وَرَاءَهْ

فجمع أشتات المذاهب، وشُتَّات المذاهب، ونقل عن أئمة الإجماع فمن سواه مذاهبهم المختلفة، واستحضرها، ومثَّل صورهم الذاهبة، وأحضرها، فلو شعر أبو حنيفة بزمانه، وملك أمره لأدنى عصره إليه مقترباً، أو مالك لأجرى وراءه أشهبه ولو كَبَا، أو الشافعي لقال: ليت هذا كان للأم ولداً وليتني كنتُ له أباً، أو الشيباني ابن حنبلَ لما لام عذاره إذا غدا منه لفرط العجب أشيبا، لا بل داود الظاهري، وسنان الباطني، لظنّا تحقيقه من منتحله، وابن حزم، والشهرستاني، لحشر كل منهما ذكره أمة في نحله، والحاكم النيسابوري، والحافظ السلفي، لأضافه هذا إلى استدراكه، وهذا إلى رحله.

تَرِد إليه الفتاوى، ولا يردها، وتفد عليه فيجيب بأجوبة كأنه كان قاعداً لها يُعِدُّها: [من الكامل]

أَبَداً عَلَى طَرفِ اللِّسَانِ جَوَابُهُ   فَكَأَنَّمَا هِيَ دَفْعَةٌ مِنْ صَيِّبِ

تَغْدُو مُسَاجِلُهُ بِغُرَّةٍ صَافِحٍ   وَيَرُوْحُ مُعترفاً بِذِلَّةِ مُذْنِبِ

ولقد تَضافرت عليه عُصَبُ الأعداء، فأُقحموا إذ هدر فحله، وأُفحموا إذ زمزم / ٢٩٦/ ليجني الشهد نحله، ورفع إلى السلطان غير ما مرّة، ورمي بالكبائر، وتربصت به الدوائر، وسعي به ليؤخذ بالجرائر، وحسده من لم ينل سعيه، وكثر فارتاب، ونَمَّ وما زاد على أنه اغتاب، وأُزعج من وطنه تارةً إلى مصر، ثم إلى الإسكندرية، وتارة إلى

محبس القلعة بدمشق، وفي جميعها يودع أخبية السجون، ويلدغ بزُباني المنون، وهو على علم يُسطّر صحفه، ويدخر تحفه، وما بينه وبين الشيء إلاّ أن يصنفه، ويُقَرِّظ به، ولو سَمْعَ امرئٍ واحدٍ، ويُشَنِّفه حتى تستهدي أطراف البلاد طرفه، وتستطلع بنايا الأقاليم شُرفه، إلى أن خطفته آخر مرة من سجنه عقاب المنايا، وجذبتها إلى مهواتها قرارة الرزايا.

وكان قبل موته قد مُنع الدواة والقلم، وطُبع على قلبه منه طابع الألم؛ فكان مبدأ مرضه، ومنشأ عرضه، حتى نزل قفار المقابر، وترك فِقار المنابر، وحلَّ ساحة تربه وما يُحاذر، وأخذ راحة قلبه من اللائم والعاذر، فمات لا بل حيي، وعُرف قدره أنَّ مثله ما رُئي. وكان يوم دفنه يوماً مشهوداً ضاقت به البلد وظواهرها، وتُذُكِّرَتْ به أوائل الرزايا وأواخرها، ولم يكن أعظم منها منذ مئين سنين. جنازة رفعت على الرقاب، ووطئت في زحامها الأعقاب، وسار مرفوعاً على الرؤوس، متبوعاً بالنفوس، تحدوه العبرات، وتتبعه الزفرات، وتقول له الأمم: لا فقدت من غائب، ولأقلامه النافقة لا أبعدكن الله من شجرات، وكان في مدد ما يؤخذ عليه في مقاله، وينبذ في حفرة اعتقاله لا تبرد له غلّة بالجمع بينه وبين خصمائه بالمناظرة، والبحث حيث العيون ناظرة، بل يبدر حاكم فيحكم باعتقاله، أو يمنعه من الفتوى، أو بأشياء من نوع هذه البلوى /٢٩٧/ لا بعد إقامة بيّنة، ولا تقدم دعوة، ولا ظهور حجّة بالدليل، ولا وضوح محجّة للتأميل. وكان يجدُ لهذا ما لا يزاح فيه ضرر شكوى، ولا يُطفأُ ضرم عدوى: [من الطويل]

وَكُـلُّ امْـرِئٍ حَـازَ الـمَـكَـارِمَ مَـحْـسُـودُ

[من الكامل]

كَضَرائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا ... حَسَداً وَبُغْضاً إِنَّهُ لَذَمِيْمُ

كلّ هذا لتبريزه في الفضل حيث قصرت النظراء، وتجلّيه كالمصباح إذ أظلمت الآراء، وقيامه في دفع حجة التتار، واقتحامه وسيوفهم تتدفق لجّة البدار، حتى جلس إلى السلطان محمود غازان حيث تجمّ الأسد في آجامها، وتسقط القلوب في دواخل أجسامها، وتجد النار فتوراً في ضَرمها، والسيوف فرقاً في قُرُبها، خوفاً من ذلك السبع المغتال، والنمرود المختال، والأجل الذي لا يُدفع بحيلة محتال، فجلس إليه، وأومأ بيده إلى صدره، وواجهه ودرأ في نحره، وطلب منه الدعاء، فرفع يديه ودعا دعاءَ مُنصفٍ أكثره عليه، وغازان يؤمّن على دعائه، وهو مقبل إليه. ثم كان على هذه المواجهة القبيحة، والمشاتمة الصريحة أعظم في صدر غازان والمغل من كل من طلع معه إليهم، وهم سلف العلماء في ذلك الصدر، وأهل الاستحقاق لرفعة القدر. هذا مع ما له من جهاد في الله لم يفزعه فيه طلل الوشيج، ولم يجزعه فيه ارتفاع النشيج. مواقف

حروب باشرها، وطوائف ضروب عاشرها، وبوارق صفائح كاشرها، ومضائق رماحٍ حاشرها، وأصناف خصوم لدٍّ اقتحم معها الغمرات، وواكلها مختلف الثمرات، وقطعَ جدالها قوي لسانه، وجلادها شَبا سنانه، قام بها وصابرها، وبُلي بأصاغرها، وقاسى أكابرها، /٢٩٨/ وأهل بدع قام في دفاعها، وجهد في حطّ يفاعها، ومخالفة ملل بيَّن لها خطأ التأويل، وسقم التعليل، وأسكت طنين الذباب في خياشيم رؤوسهم الأضاليل، حتى ناموا في مراقد الخضوع، وقاموا وأرجلهم تتساقط للوقوع بأدلةٍ أقطع من السيوف، وأجمع من السجوف، وأجلى من فَلق الصباح، وأجلب من فِلَق الرماح: [من الطويل]

إِذَا وَثَبَتْ فِيْ وَجْهِ خَطْبٍ تَمَزَّقَتْ عَلَى كَتِفَيْهِ الدِّرْعُ وَانْتَثَرَ السَّرْدُ

إلاّ أنَّ سابق المقدور، أوقعه في خلل المسائل، وخطل خطأً لا يأمن فيه مع الإكثار قائل.

وأظنه ـ والله يغفر له ـ عُجّلت له في الدنيا المقاصّة، وأخذ نصيبه من بلواها عامةً وله خاصّة، وذلك لحطّه على بعض سلف العلماء، وحلّه لقواعد كثيرة من نواميس القدماء، وقلّة توقيره للكبراء، وكثرة تكفيره للفقراء، وتزييفه لغالب الآراء، وتقريبه لجهلة العوام وأهل المراء، وما أفتى به آخراً في مسألتي الزيارة والطلاق، وإذاعته لهما حتى تكلّم فيهما من لا دين له ولا خلاق، فسلَّط ذُبال الأعداء على سليطه، وأطلق أيدي الأعداء في تقريعه، ولقم نارهم سعفه، وأرى أقساطهم سرفه، فلم يزل إلى أن مات عِرْضُه منهوباً، وغَرَضهُ موهوباً، وصفاته تتصدّع، ورفاته لا تتجمّع، ولعلَّ هذا لخيرٍ أريد به، وأُرِيْغَ له لحسن منقلبه، وكان لتعمده للخلاف، وتقصّده لغير طريق الأسلاف، وتقويته للمسائل الضعاف، وتقويضه عن رؤوس السعاف، تغيّر مكانته من خاطر السلطان، وتسبب له التغرّب عن الأوطان، وتنفذ إليه سهام الألسنة الرواشق، ورماح الطعن في يد كلّ ماشق؛ فلهذا /٢٩٩/ لم يزل منغصاً عليه طول مدته، لا تكاد تنفرج عنه جوانب شدّته. هذا مع ما جمع من الورع وإلى ما فيه من العُلا، وما حازه بحذافير الوجود من الجود. كانت تأتيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسوّمة، والأنعام والحرث، فيهبه بأجمعه، ويضعه عند أهل الحاجة في موضعه لا يأخذ منه شيئاً إلاّ ليهبه، ولا يحفظه إلاّ ليُذهبه كلّه في سبيل البرّ، وطريق أهل التواضع لا أهل الكبر، لم يمل به حبّ الشهوات، ولا حُبّب إليه من ثلاث الدنيا غير الصلاة، ولقد نافست ملوك جنكز خان عليه، ووجهت دسائس رسلها إليه، وبعثت تُجد في طلبه، فنُوسِيَتْ عليه لأمور أعظمها خوف توثبه، وما زال على هذا ومثله إلى أن صرعه أجله، وأتاه بشير الجنة يستعجله، فانتقل إلى الله والظنّ به أنه لا يخجله.

ولد بحرّان يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وقدم مع والده وأهله دمشق، وهو صغير، فسمع ابن عبد الدائم وطبقته، ثم طلب بنفسه قراءة وسماعاً من خلقٍ كثير، وقرأ بنفسه الكتب، وكتب الطباق والإثبات، ولازم السماع مدة سنتين، واشتغل بالعلوم، وكان من أذكى الناس، كثير الحفظ، قليل النسيان؛ قلَّما حفظ شيئاً فنسيه.

وكان إماماً في التفسير، وعلوم القرآن، عارفاً بالفقه، واختلاف الفقهاء، والأصلين، والنحو، وما يتعلَّق به، واللغة، والمنطق، وعلم الهيأة، والجبر، والمقابلة، وعلم الحساب، وعلم أهل الكتابين، وأهل البدع، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية.

وما تكلَّم معه فاضل في فن من الفنون إلاّ ظنّ أنَّ ذلك الفنّ فنه، وكان حفظه للحديث مميّزاً بينَ صحيحه وسقيمه، عارفاً برجاله متضلّعاً من ذلك، وله تصانيف كثيرة، وتعاليق مفيدة، /٣٠٠/ وفتاوى مشبعة في الفروع والأصول، كمّل منها جملة في الفقه والحديث، وردّ البدع بالكتاب والسنة، مثل كتاب «الصارم المسلول على متنقّص الرسول ﷺ»، وكتاب «تبطيل التحليل»، وكتاب «اقتضاء الصراط المستقيم»، وكتاب «تأسيس التقديس» في عشرين مجلداً، وكتاب «الردّ على طوائف الشيعة» أربع مجلدات، وكتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، وكتاب «السياسة الشرعية»، وكتاب «التصوف»، وكتاب «الكلم الطّيب»، وكتاب «المناسك في الحج».

وكان من أعرف الناس بالتاريخ. وكثير من مصنّفاته مسوَّدة ما بيضت. وتوفي والده، وهو شاب، فولي مشيخة الحديث بدار الحديث السكرية، وحضر عنده جماعة من الأعيان، فشكروا علمه، وأثنوا عليه، وعلى فضائله وعلومه، حتى قال الشيخ إبراهيم الرقي: الشيخ تقي الدين يؤخذ عنه، ويقلّد في العلوم، فإن طال عمره، ملأ الأرض علماً، وهو على الحق، ولا بدّ ما يعاوده الناس؛ فإنه وارث علم النبوة.

وقال ابن الزملكاني: لقد أُعطي ابن تيمية اليد الطُّولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب، والتقسيم، والتبيين، وقد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد.

ثم كتب على بعض تصانيف ابن تيميّة من نظمه هذه الأبيات: [من الكامل]

مَاذَا يَقُولُ الوَاصِفُونَ لَهُ ... وَصِفَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الحَصْرِ
هُوَ حُجَّةٌ للهِ قَاهِرَةٌ ... هُوَ بَيْنَنَا أُعْجُوبَةُ العَصْرِ
هُوَ آيَةٌ فِيْ الخَلْقِ ظَاهِرَةٌ ... أَنْوَارُهَا أَرْبَتْ عَلَى الفَجْرِ

ثم نزغ الشيطان بينهما، وغلبت على ابن الزملكاني أهويته، فمال عليه مع من مال.

ولما سافر على البريد إلى القاهرة سنة سبعمائة، نزل عند عمي الصاحب شرف الدين ـ تغمده الله / ٣٠١/ برحمته وحضَّ على الجهاد في سبيل الله، وأغلظ في القول، ورُتِّب له مُرتَب في كل يوم وهو دينار ومنحفية، وجاءته بقجة قماش، فلم يقبل من ذلك شيئاً.

وقال القاضي أبو الفتح بن دقيق العيد: لما اجتمعتُ بابن تيمية رأيتُ رجلاً كل العلوم بين عينيه، يأخذ ما يريد، ويدع ما يريد.

وحضر عنده شيخنا العلامة شيخ النحاة أبو حيان، وقال: ما رأت عيناي مثله، ثم مدحه أبو حيان على البديهة في المجلس بقوله: [من البسيط]

لـمَّا أَتَـيْـنَـا تَـقِـيَّ الـدِّيـنِ لَاحَ لَـنَـا	دَاعٍ إِلَـى اللهِ فَـرْدٌ مَـا لَـهُ وَزَرُ
عَلَى مُحَيَّاهُ مِنْ سِيْما الأُلَى صَحِبُوا	خَيْرَ الـبَـرِيَّـةِ نُـورٌ دُوْنَـهُ الـقَـمَـرُ
حَـبْـرٌ تـسـربـلَ مـنـهُ دهـرُهُ حِـبَـراً	بـحـرٌ تَـقَـاذَفُ مِـنَ أَمْـوَاجِـهِ الـدِرَرُ
قَـامَ ابْنُ تَـيْـمِـيَّـةٍ فِـي نَـصْـرِ شِـرْعَـتِـنَـا	مَـقَـامَ سَـيِّـدِ تَـيْـم إِذْ عَـصَـتْ مُـضَـرُ
فَـأَظْـهَـرَ الـحَـقَّ إِذْ آثَـارُهُ دَرَسَـتْ	وَأَخْـمَـدَ الـشَّـرَّ إِذْ طَـارَتْ لَـهُ الـشَّـرَرُ
كُـنَّـا نُـحـدَّثُ عَـنْ حَـبْـرٍ يـجـيءُ فَـهَـا	أَنْـتَ الإِمَـامُ الَّـذِي [قَـدْ] كَـانَ يُـنْـتَـظَـرُ

[قلت: ثم دار بينهما كلام جرى فيه ذكر سيبويه، فتسرع ابن تيمية فيه بقولٍ نافره عليه أبو حيان، وقطعه بسببه، ثم عاد اكثر الناس ذمّاً له، واتخذه له ذنباً لا يغفر].

ولما قدم غازان دمشق، خرج إليه ابن تيمية في جماعة من صلحاء الدماشقة، منهم القدوة الشيخ محمد بن قوّام؛ فلما دخلوا على غازان، كان مما قال ابن تيمية للترجمان: قُلْ للقان: أنت تزعم أنك مسلم، ومعك قاضٍ، وإمام، وشيخ، ومؤذنون، على ما بلغنا، فغزوتنا، وأبوك، وجدّك هولاكو كانا كافرين، وما عملا الذي عملت. عاهدا فوفيّا، وأنت عاهدت، فغدرت، وقلت فما وفيت.

[وجرت له مع غازان، وقطلوشاه، وبولاي أُمور ونوب قام فيها كلّها لله، وقال الحق، ولم يخش إلاّ الله.

أخبرنا قاضي القضاة أبو العباس ابن صصرى انهم لما حضروا مجلس غازان، قُدِّم لهم طعام، فأكلوا منه إلاّ ابن تيمية، فقيل له: لم لا تأكل؟، فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس.

ثم إنَّ غازان طلب منه الدعاء، فقال في دعائه: اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وجهاداً في سبيلك، فأنْ تؤيده وتنصره، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر، فأنْ تفعل به وتصنع ـ بدعو عليه ـ وغازان يؤمن على دعائه، ونحن نجمع ثيابنا خوفاً أن يقتل فنطرطش بدمه.

ثم لما خرجنا قلنا له: كدت تهلكنا معك، ونحن ما نصحبك من هنا، فقال: وأنا

لا أصحبكم فانطلقنا عُصبة، وتأخر في خاصة من معه، فتسامعت الخوانين والأمراء، فأتوه من كل فجّ عميق، وصاروا يتلاحقون به؛ ليتبركوا برؤيته، فأما هو، فما وصل إلاّ في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه، وأما نحن، فخرج علينا جماعة، فلحقونا.

وكان لا يسمح لمناظريه في بلوغ مرادهم من ضررِهِ، ويقول: ما لي وله.

وكان قاضي القضاة أبو عبد الله بن الحريري يقول: إن لم يكن ابن تيميّة شيخ الإسلام، فمن هو؟!]

ثم بعد ذلك تمكن ابن تيمية في الشام حتى صار يحلقُ الرؤوس، ويضرب الحدود، ويأمر بالقطع والقتل.

ثم ظهر الشيخ نصر المنبجي، واستولى على أرباب الدولة بالقاهرة، وشاع أمره وانتشر، فقيل لابن تيميّة: إنه اتحادي، وإنه ينصر مذهب ابن العربيّ / ٣٠٢/ وابن سبعين، فكتب إليه نحو ثلاثمائة سطر ينكر عليه، فتكلّم نصر المنبجي مع قضاة مصرفي أمره، وقال: هذا مبتدع، وأخاف على الناس من شرّه، فحسَّن القضاة للأمراء طلبه إلى القاهرة، وأن يُعقد له مجلس، فعُقد له مجلس بدمشق، فلم يرض نصر المنبجي، وقال لابن مخلوف: قل للأمراء: إنَّ هذا يُخشى على الدولة منه، كما جرى لابن تومرت في بلاد المغرب، فطلب من الأفرم ـ نائب دمشق ـ فعقد له مجلس ثانٍ وثالث بسبب العقيدة الحموية.

ثم سكنت القضية إلى أيام الجاشنكير، فأوهمه الشيخ نصر أنَّ ابن تيمية يخرجهم من الملك، ويُقيم غيرهم، فطلب إلى الديار المصرية، فمانع نائب الشام، وقال: قد عقد له مجلسان بحضرتي، وحضرة القضاة والفقهاء، وما ظهر عليه شيء، فقال الرسول لنائب دمشق: أنا ناصح لك، وقد قيل: إنه يجمع الناس عليك، وعقد لهم بيعة، فجزع من ذلك، وأرسله إلى القاهرة في رمضان سنة خمس وسبعمائة، وكتب معه كتاباً إلى السلطان، وكُتب معه محضر فيه خطوط جماعة من القضاة، وكبار الصلحاء والعلماء بصورة ما جرى في المجلسين، وأنه لم يثبت عليه فيهما شيء، ولا منع من الإفتاء، فما التُفِتَ إلى شيء من ذلك، وسُجن بالإسكندرية مدّةً، ثم عاد إلى دمشق.

[وحكي من شجاعته في مواقف الحرب نوبة شقهب ونوبة كسروان ما لم يسمع إلاّ عن صناديد الرجال، وأبطال اللقاء، وأحلاس الحرب. تارةً يباشر القتال، وتارةً يحرّض عليه. وركب البريد إلى مهنّا بن عيسى، واستحضر. إلى الجهاد، وركب بعدها إلى السلطان، واستنفره، وواجه بالكلام الغليظ أمراءه وعسكره؛ ولمّا جاء السلطان إلى شقحب لاقاه إلى قرب الحرّة، وجعل يُشجّعه، ويلينه، فلما رأى السلطان كثرة التّتار، قال: يا لخالد بن الوليد!، فقال له: لا تقل هذا، بل قل: يا الله، واستغث بالله

ربك، ووحِّدْه وحدَه تُنْصر، قال: يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين، ثم ما زال يقبل تارة على الخليفة، وتارة على السلطان، ويهدئهما، ويربُط جأشهما، حتى جاء نصر الله والفتح.

وحكي انه قال للسلطان: اثبت فأنت منصور، فقال له بعض الأمراء قل: إن شاء الله، فقال: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، فكان كما قال.

وحكى أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزاز البغدادي، قال: حدّثني الشيخ المقرىء تقي الدين عبد الله بن أحمد بن سعيد، قال: مرضت بدمشق مرضة شديدة، فجاءني ابن تيميّة، فجلس عند رأسي - وأنا مثقل بالحمّى والمرض - فدعا لي، ثم قال: قُم، جاءت العافية، فما كان إلاّ أن قام وفارقني، وإذا بالعافية قد جاءت، وشفيت لوقتي.

قلتُ: وكان يجيئه من المال في كل سنة ما لا يكاد يحصى، فينفقه جميعه آلافاً ومئين لا يلمس درهماً بيده، ولا ينفقه في حاجة له، وكان يعود المرضى، ويشيع الجنائز، ويقوم بحقوق الناس، ويتألف القلوب، ولا ينسبُ إلى باحث لديه مذهباً، ولا يحفظ لمتكلّم عنده زلَّة، ولا يشتهي طعاماً، ولا يمتنع من شيء منه، بل هو مع ما حضر، لا يتجهم مرآه، ولا يتكدّر صفوه، ولا يسأم عفوه].

وآخر أمره أنه تكلَّم في مسألتي الزيارة والطلاق، فأخذ وسجن بقلعة دمشق في قاعة، فتوفي بها في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وحضر جمع كبير إلى القلعة، وأُذن لبعضهم في الدخول، وغُسل، وصُلّي عليه بالقلعة، ثم حمل على أصابع الرجال إلى جامع دمشق ضَحوةَ النهار، وصلي عليه، ودفن بمقبرة الصوفية، وما وصل إلى قبره إلاّ وقت العصر. وخرج الناس من جميع أبواب البلد، وكانوا خلقاً لا يحصيهم إلاّ الله تعالى، وحُزر الرجال بستين ألفاً، والنساء بخمسة آلاف امرأة، وقيل، أكثر من ذلك.

ورويت له منامات صالحة، ورثاه جماعات من الناس بالشام، ومصر، والعراق، والحجاز، والعرب من آل فضلٍ - رحمه الله عليه -.

/٣٠٣/ ورثيته بقصيدة لي وهي: [من البسيط]

أَهَكَذَا بِالدَّيَاجِي يُحْجَبُ القَمَرُ ... وَيُحْبَسُ النُّورُ حَتَّى يَذْهَبَ المَطَرُ
أَهَكَذَا تُمْنَعُ الشَّمْسُ المُنِيرَةُ عَنْ ... مَنَافِعِ الأَرْضِ أَحْيَاناً فَتَسْتَتِرُ
أَهَكَذَا الدَّهْرُ لَيْلاً كُلُّهُ أَبَداً ... فَلَيْسَ يُعْرَفُ فِيْ أَوْقَاتِهِ سَحَرُ
أَهَكَذَا السَّيْفُ لاَ تَمْضِيْ مَضَارِبُه ... وَالسَّيْفُ فِي الفَتْكِ مَا فِي عَزْمِهِ خَوَرُ
أَهَكَذَا القَوسُ تُرْمَى بِالعَرَاءِ وَمَا ... تَمْضِي الرَّمَايَا وَمَا فِيْ بَاعِهَا قِصَرُ
أَهَكَذَا يُتْرَكُ البَحْرُ الخِضَمُّ وَلاَ ... يُلْوَى عَلَيْهِ وَفِيْ أَصْدافِهِ الدُّرَرُ

أَهَكَذَا بِتَقِيِّ الدِّيْنِ قَدْ عَبِثَتْ ... أَيْدِي العِدَا وَتَعَدَّى نَحْوَهُ الضَّرَرُ
أَلاِبْنِ تَيْمِيَّةٍ تُرمَى سِهَامُ أَذًى ... مِنَ الأَنَامِ وَيَدْمَى النَّابُ وَالظُّفُرُ
بَذَّ السَّوَابِقَ مُمْتَدَّ العَبَادَةِ لاَ ... يَنَالُهُ مَلَلٌ فِيْهَا وَلاَ ضَجَرُ
وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ بَعْدَ الصَّحَابَةِ فِيْ ... عِلْمٍ عَظِيْمٍ وَزُهْدٍ مَا لَهُ خَطَرُ
طَرِيْقَةٌ كَانَ يَمْشِيْ قَبْلَ مِشْيَتِهِ ... بِهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ أَوْ عُمَرُ
فَرْدُ المَذَاهِبِ فِي أَقْوَالِ أَرْبَعَةٍ ... جَاءُوا عَلَى أَثَرِ السُّبَّاقِ وَابْتَدَرُوا
لَمَّا بَنَوا قَبْلَهُ عُلْيَا مَذَاهِبِهِمْ ... بَنَى وَعَمَّرَ مِنْهَا مِثْلَ مَا عَمَرُوا
مِثْلَ الأَئِمَّةِ قَدْ أَحْيَا زَمَانَهُمُ ... كَأَنَّهُ كَانَ فِيْهِمْ وَهْوَ مُنْتَظر
إِنْ يَرْفَعُوهُمْ جَمِيْعاً رَفْعِ مُبْتَداءٍ ... فَحَقُّهُ الرَّفْعُ أَيْضاً أَنَّهُ خَبَرُ
أَمِثْلُهُ بَيْنَكُمْ يُلْقَى بِمَضْيَعَةٍ ... حَتَّى يَطِيْحَ لَهُ عَمْداً دَمٌ هَدَرَ
يَكُوْنُ وَهْوَ أَمَانِيٌّ لِغَيْرِكُمُ ... تَنُوبُهُ مِنْكُمُ الأَحْدَاثُ وَالغِيَرُ
وَاللهِ لَوْ أَنَّهُ فِيْ غَيْرِ أَرْضِكُمُ ... لَكَانَ مِنْكُمْ عَلَى أَبْوَابِهِ زُمَرُ
مِثْلُ ابنِ تَيْمِيَّةٍ يُنسي بِمَحْبِهِ ... حَتَّى يَمُوتَ وَلَمْ يُكْحَلْ بِهِ بَصَرُ
/ ٣٠٤/ مِثْلُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ تُرضَى حَوَاسِدُهُ ... بِحبسِهِ أَوْ لَكُمْ فِي حَبْسِهِ عُذْرُ
مِثْلُ ابنِ تَيْمِيَّةٍ فِي السِّجْنِ مُعْتَقَلٌ ... والسِّجْنُ كَالغِمْدِ وهْوَ الصَّارِمُ الذَّكَرُ
مِثْلُ ابنِ تَيْمِيَّةٍ يُرْمَى بِكُلِّ أَذًى ... وَلَيْس يُجْلَى قَذًى مِنْهُ وَلاَ نَظَرُ
مِثْلُ ابنِ تَيْمِيَّةٍ تَذْوَى خَمَائِلُهُ ... وَلَيْس يُلْقَطُ مِنْ أَفْنَانِهِ الزَّهَرُ
مِثْلُ ابنِ تَيْمِيَّةٍ شَمْسٌ تَغِيْبُ سُدًى ... وَمَا تَرِقُّ بِهَا الآصَالُ وَالبُكَرُ
مِثْلُ ابنِ تَيْمِيَّةٍ يَمْضِي وَمَا عَبِقَتْ ... بِمِسْكِهِ العَاطِرِ الأَرْدَانُ والطُّرَرُ
مِثْلُ ابنِ تَيْمِيَّة يَمْضِي وَمَا نَهِلَتْ ... لَهُ سُيُوفٌ وَلاَ خَطِّيَّةٌ سُمُرُ
وَلاَ تُجَارَى لَهُ خَيْلٌ مُسَوَّمَةٌ ... وَجُوهُ فُرْسَانِهَا الأَوْضَاحُ وَالغُرَرُ
وَلاَ تَحُفُّ بِهِ الأَبْطَالُ دَائِرَةً ... كَأَنَّهُمْ أَنْجُمٌ فِيْ وَسْطِهَا قَمَرُ
وَلاَ تُعَبِّسُ حَرْبٌ فِيْ مَوَاقِفِهِ ... يَوْماً وَيَضْحَكُ فِيْ أَرْجَائِهِ الظَّفَرُ
حَتَّى يُقَوِّمَ هَذَا الدِّيْنَ مِنْ مَيَلٍ ... وَيَسْتَقِيْمَ عَلَى مِنْهَاجِهِ البَشَرُ
بَلْ هَكَذَا السَّلَفُ الأَبْرَارُ مَا بَرِحُوا ... يَبلَى اصْطِبَارُهُمْ جُهْداً وَهُمْ صُبُرُ
تَأَسَّ بِالأَنْبِيَاءِ الطُّهْرِ كَمْ بَلَغَتْ ... فِيْهِمْ مَضَرَّةُ أَقْوَامٍ وَكَمْ هُجِرُوا
فِي يُوسُفٍ فِي دُخُولِ السِّجْنِ مَنْقَبَةٌ ... لِمَنْ يُكَابِدُ مَا يَلْقَى وَيَصْطَبِرُ
مَا أُهْمِلُوا أَبَداً بَلْ أُمْهِلُوا لِمَدًى ... واللهُ يُعْقِبُ تَأْيِيْداً وَيَنْتَصِرُ
أَيَذْهَبُ المُنْهَلُ الصَّافِي وَمَا نُقِعَتْ ... بِهِ الظِّمَاءُ وَيَبْقَى الحَمْأَةُ الكَدِرُ

مَضَى حَمِيداً ولَمْ يَعْلَقْ بِهِ وَضَرٌ ... وَكُلُّهُمْ وَضَرٌ فِي النَّاسِ أَوْ وُذَرُ
طَوْدٌ مِنَ الحِلْمِ لاَ يُرقَى لَهُ قُنَنٌ ... كَأَنَّما الطَّوْدُ مِنْ أَحْجَارِهِ حَجَرُ
بَحْرٌ مِنَ العِلْمِ قَدْ فَاضَتْ بَقِيَّتُهُ ... فَفَاضَتِ الأَبْحُرُ العُظْمَى وَمَا شَعَرُوا
يَا لَيْتَ شِعْرِيَ هَلْ فِيْ الحَاسِدِيْنَ لَهُ ... نَظِيْرُهُ فِيْ جَمِيْعِ القَوْمِ إنْ ذُكِرُوا
/ ٣٠٥/ هَلْ فِيْهُمْ لِحَدِيْثِ المُصْطَفى أَحَدٌ ... يُمَيِّزُ النَّقْدَ أَوْ يُرْوَى لَهُ خَبَرُ
هَلْ فِيْهُمُ مَنْ يصمُّ البَحْثَ فِي نَظَرٍ ... أَوْ مِثْلُهُ مَنْ يضمُّ البَحْثُ وَالنَّظَرُ
هَلاَّ جَمَعْتُمْ لَهُ مِنْ قَومِكُمْ مَلاً ... كَفِعْلِ فِرْعَونَ مَعْ مُوسَى لِتَعْتَبِرُوا؟
قُولُوا لَهُمْ: قَالَ هَذَا فَابْحَثُوا مَعَهُ ... قُدّامَنَا وَانْظُرُوا الجُهَّالَ إنْ قَدَرُوا
تُلْقِي الأَبَاطِيلَ أَسْحَارٌ لَهَا دَهَشٌ ... فَيَلْقَفُ الحَقُّ مَا قَالُوا وَمَا سَحَرُوا
فَلَيْتَهُمْ مِثْلُ ذَاكَ الرَّهْطِ مِنْ مَلأٍ ... حَتَّى يَكُوْنَ لَكُمْ فِيْ شَأْنِهِمْ عِبَرُ
وَلَيْتَهُمْ أَذْعَنُوا لِلْحَقِّ مِثْلَهُمُ ... فَآمَنُوا كُلُّهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا كَفَرُوا
يَا ظَالِماً نَفَرُوا عَنْهُ مُجَانَبَةً ... وَلَيْتَهُمْ نَفَعُوا فِيْ الضَّيْمِ أَوْ نَفَرُوا
هَلْ فِيْهِمُ صَادِعٌ بِالحَقِّ مِقْوَلُهُ ... أَوْ خَائِضٌ لِلْوَغَى وَالحَرْبُ تَسْتَعِرُ
رَمَى إِلَى نَحْرِ غَازَانٍ مُوَاجَهَةً ... سِهَامَهُ مِنْ دُعَاءٍ عَوْنُهُ القَدَرُ
بِتَلِّ رَاهِطَ وَالأَعْدَاءُ قَدْ غَلَبُوا ... عَلَى الشَّآمِ وَطَالَ الشَّرُّ والشَّرَرُ
وشَقَّ فِي المَرْجِ والأَسْيَافُ مُصْلَتَةٌ ... طَوائِفاً كُلُّهَا أَوْ بَعْضُها التَّتَرُ
هَذَا وأَعْدَاؤُهُ فِي الدُّوْرِ أَشْجَعُهُمْ ... مِثْلُ النِّسَاءِ بِظِلِّ البَابِ مُسْتَتِرُ
وبَعْدَهَا كِسْرَوانٌ والجِبَالُ وَقَدْ ... أَقَامَ أَطْوَادَهَا وَالطَّوْدُ مُنْفَطِرُ
وَاسْتَحْصَدَ القَوم بِالأَسْيَافِ جُهْدَهُمْ ... وَطَالَمَا بَطَلوا طَغْوَى وَمَا بطروا
قَالُوا: قَبَرْنَاهُ، قُلْنَا: إنَّ ذَا عَجَبٌ ... حَقّاً أَلِلْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ قَدْ قَبَرُوا
وَلَيْس يَذْهَبُ مَعْنًى مِنْهُ مُتَّقِدٌ ... وَإِنَّمَا تَذْهَبُ الأَجْسَامُ وَالصُّوَرُ
لَمْ يَبْكِهِ ذمّاً مَنْ لاَ يَصُبُّ دَماً ... يَجْرِيْ بِهِ دِيمَاً يَهْمِيْ وَيَنْهَمِرُ
لهْفِيْ عَلَيْكَ أَبَا العَبَّاسِ كَمْ كَرَمٍ ... لَمَّا قَضَيْتَ قَضَى مِنْ عُمْرِهِ العُمُرُ
سَقَى ثَرَاكَ مِنَ الوَسْمِيِّ صَيِّبُهُ ... وَزَارَ مَغْنَاكَ قَطْرٌ كُلُّهُ قُطُرُ
/ ٣٠٦/ وَلاَ يَزالُ لَهُ بَرْقٌ يُغَازِلُهُ ... حُلُو المَرَاشِفِ فِيْ أَجْفَانِهِ حَوَرُ
لِفَقْدِ مِثْلِكَ يَا مَنْ مَالَهُ مَثَلٌ ... تَأْسَى المَحَارِيْبُ وَالآيَاتُ وَالسُّوَرُ
يَا وَارِثاً مِنْ عُلُوم الأَنْبِيَاءِ نُهًى ... أَوْرَثْتَ قَلْبِيَ نَاراً وَقْدُهَا الفِكَرُ
يَا وَاحِداً لَسْتُ أَسْتَثْنِي بِهِ أَحَداً ... مِنَ الأَنَامِ وَلاَ أُبْقِيْ وَلاَ أَذَرُ

يَا عَالِماً بِنُقُولِ الفِقْهِ أَجْمَعِهَا ... أَعَنْكَ تُحْفَظُ زَلاَّتٌ كَمَا ذَكَرُوا

يَا قَامِعَ البِدَعِ الَّلاتِي تَجَنَّبَهَا ... أَهْلُ الزَّمَانِ وَهَذَا البَدْوُ وَالحَضَرُ

وَمُرْشِدَ الفِرْقَةِ الضُّلاَّلِ مَنْهَجُهُمْ ... مِنَ الطَّرِيْقِ فَمَا حَارُوا وَلاَ سهِرُوا

أَلَمْ يَكُنْ لِلْنَّصَارَى وَاليَهُودِ مَعاً ... مُجَادِلاً وَهُمُ فِي البَحْثِ قَدْ حَصِرُوا

وَكَمْ فَتًى جَاهِلٍ غِرٍّ أَبَنْتَ لَهُ ... رُشْدَ المَقَالِ فَزَالَ الجَهْلُ وَالغَرَرُ

مَا أَنْكَرُوا مِنْكَ إلاّ أَنَّهُمْ جَهِلُوا ... عَظِيْمَ قَدْرِكَ لِكِنْ سَاعَدَ القَدَرُ

قَالُوا: بِأَنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ مَسْأَلَةً ... وَقَدْ يَكُوْنُ فَهَلاَّ مِنْكَ تُغْتَفَرُ

غَلِطْتَ فِي الدَّهْرِ أَوْ أَخْطَأْتَ وَاحِدَةً ... أَمَا أَجَدْتَ إِصَابَاتٍ فَتَعْتَذِرُ

وَمَنْ يَكُونُ عَلَى التَّحْقِيْقِ مُجْتَهِداً ... لَهُ الثَّوَابُ عَلَى الحَالَيْنِ لاَ الوِزَرُ

أَلَمْ تَكُنْ بِأَحَادِيْثِ النَّبِيِّ إذَا ... سُئِلْتَ تَعْرِفُ مَا تَأْتِيْ وَمَا تَذَرُ

حَاشَاكَ مِنْ شُبَهٍ فِيْهَا وَمِنْ شَبَهٍ ... كِلاَهُمَا مِنْكَ لاَ يَبْقَى لَهُ أَثَرُ

عَلَيْكَ فِيْ البَحْثِ أَنْ تُبْدِيْ غَوَامِضَهُ ... وَمَا عَلَيْكَ إِذَا لَمْ تَفْهَمِ البَقَرُ

قَدَّمْتَ للهِ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ ... وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ ذَمُّوكَ أَوْ شَكَرُوا

هَلْ كَانَ مِثْلُكَ مَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ هُدًى ... وَمِنْ سَمَائِكَ تَبْدُو الأَنْجُمُ الزُّهُرُ

وَكَيْفَ تَحْذَرُ مِنْ شَيءٍ تَزِلُّ بِهِ ... أَنْتَ التَّقِيُّ فَمَاذَا الخَوفُ وَالحَذَرُ

* * *

[مشاهير فقهاء المحدّثين في الجانب الغربي]

/ ٣٠٧/ فأمّا من نذكره من مشاهير الجانب الغربي.

فمنهم:

[٣٨]

أبو عمرو، يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ[1] النمري[2] القرطبي.

إمام عصره في الحديث والأثر، وكتبه زمام من استقام أو عثر. بحر يتموَّج، وصبح يتبلّج، وضيغم إلاّ أنه لا يخاف، ومُفْغم إلا أنه بطيب ما جمع من تفاريق الكتب واللِّخاف. وهو ممن شيَّد مباني الأندلس، وجدّد معالمه الدُّرُس، بكتبه التي صقل منها

---

(١) ترجمته في: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٠٢، وجذوة المقتبس للحميدي ٣٦٧ـ ٣٦٩ رقم ٨٧٤، ومطمح الأنفس للفتح بن خاقان (القسم الثاني المنشور في مجلّة المورد العراقية ـ العدد المزدوج ٣ و٤ لسنة ١٩٨١ بتحقيق هدى شوكة بهنام) ص٣٦٧ـ ٣٦٩، وترتيب المدارك للقاضي عياض ٤/ ٨٠٨ـ ٨١٠، وفهرسة ما رواه عن شيوخه لابن خير الإشبيلي ٢١٤، والصلة لابن بشكوال ٢/ ٦٧٧ـ ٦٧٩ رقم ١٥٠١، وبغية الملتمس للضبّي ٤٨٩ـ ٤٩١ رقم ١٤٤٣، ووفيات الأعيان ٧/ ٦٦ـ ٧٢، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٧ـ ١٨٨، والمغرب في حليّ المغرب ٢/ ٤٠٧، والحلّة السيراء لابن الأبّار ١/ ١٩، ٢٠، ٢٣، ١٢٧، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٥٣ وفيه: «يوسف بن محمد بن عبد الله»، والعبر ٣/ ٢٥٥، وتذكرة الحفاظ ٣/ ١١٢٨ـ ١١٣٢، والمشتبه في أسماء الرجال ١/ ١١٧، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٣٧٤، ٣٧٥، ومرآة الجنان ٣/ ٨٩، والبداية والنهاية ١٢/ ١٠٤، والديباج المذهب ٢/ ٣٦٧ـ ٣٧٠، والقاموس المحيط (مادّة: نمر)، والوفيات لابن قنفذ ٢٤٩ رقم ٤٦٣، وتاريخ الخلفاء ٤٢٣، وطبقات الحفاظ ٤٢٣ـ ٤٣٣، وشرح ألفية العراقي ١/ ١١٩، وكشف الظنون ١/ ١٢، ٤٣، ٧٨، ٨١، ١٤٢، وشذرات الذهب ٣/ ٣١٤ـ ٣١٦، وتاج العروس ٣/ ٥٨٦ (مادّة: نمر)، وروضات الجنات ٤/ ٣٣٩ـ ٣٤٠، وإيضاح المكنون ٢/ ٢٦٦، وهدية العارفين ٢/ ٥٥٠ـ ٥٥١، وديوان الإسلام ٣/ ٣٤٥ـ ٣٤٦ رقم ١٥٢٨، والرسالة المستطرفة للكتاني ١٥، وشجرة النور الزكية ١/ ١١٩ رقم ٣٣٧، والأعلام ٨/ ٢٤٠، ومعجم المؤلفين ١٣/ ٣١٥، ومعجم طبقات الحفاظ والمُفسّرين ١٩١ رقم ٩٧٨، وتاريخ الفكر الأندلسي لبالنتشيا ٣٩٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٤٦١ـ ٤٧٠هـ) ص١٣٦ رقم ٩٤.

(٢) النَّمَريّ: قال ابن خلكان: بفتح النون والميم، وبعدها راء. هذه النسبة إلى النَّمِر بن قاسِط، بفتح النون وكسر الميم، وإنما تُفتح الميم في النسبة خاصة، وهي قبيلة كبيرة مشهورة، (وفيات الأعيان ٧/ ٧١).

حُسْنُه اليوسفيُّ مرآةَ الشمس، ثم لم يُصدِها، ومعارفه التي ما أَسَرّها في نفسه، ثم لم يبدها. روى بقرطبة عن جماعة، وكتب إليه من الشرق جماعة.

قال أبو الوليد الباجي: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمرو بن عبد البرّ في الحديث، وهو أحفظ أهل المغرب طلب العلم بقرطبة، وتفقه بها، ولزم أبا الوليد بن الفرضيّ الحافظ، وأخذ عنه كثيراً من علم الحديث، ودأب في طلب العلم، وتفنن فيه، وبرع براعةً فاق فيها من تقدَّمه من رجال الأندلس.

وألف في الموطأ كتباً مفيدة، منها كتاب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، ومنها كتاب «الاستذكار لمذاهب الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معنى الرأي والآثار»، ومنها كتاب «الاستيعابً في أسماء الصحابة، وله غير ذلك.

وكان موفقاً في التأليف مُعاناً عليه، ونفع الله به، وكان مع تقدّمه في علم الأثر، وبصره بالفقه، ومعاني الحديث، له بسطة كثيرة في علم النسب.

وفارق قرطبة، وجال في غرب الأندلس مدّة، ثم تحوَّل إلى مشرق الأندلس، وسكن دانية من بلادها، وبلنسية، وشاطبة في أوقات مختلفة، وتولّى قضاء الأشبونة، وشنترين في أيام مالكها المظفر بن الأفطس.

وتوفي يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين /٣٠٨/ وأربعمائة بمدينة شاطبة من شرق الأندلس.

ومولده يوم الجمعة وقت الخطبة لخمس بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة.

ومنهم:

[٣٩]

أبو عبدالله، محمد بن علي بن عمر التميمي المازَرِي[1]

الفقيه، الحافظ، المالكي.

---

(١) ترجمته في: الغنية للقاضي عياض ٦٥ رقم٩، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٨٥، ومعجم البلدان ٥/ ٤٠، والروض المعطار ٥٢١، وفهرس ابن عطية ١٠٧، ودول الإسلام ٢/ ٥٥، والعبر ٤/ ١٠٠- ١٠١، والمعين في طبقات المحدّثين ١٥٨ رقم ١٧٠٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٠٤- ١٠٧ رقم ٦٤، والوافي بالوفيات ٤/ ١٥١، ومرآة الجنان ٣/ ٢٦٧- ٢٦٨، والديباج المذهب ٢/ ٢٥٠- ٢٤٢، والوفيات لابن قنفذ ٢٧٧- ٢٧٨، وذيل تذكرة الحفاظ لابن فهد ٧٢- ٧٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٦٩، وتاريخ الخلفاء ٤٤٢، وأزهار الرياض ٣/ ١٦٥، وكشف الظنون ٥٥٧، وشذرات الذهب ٤/ ١١٤، وإيضاح المكنون ١/ ١٥٦، وهدية العارفين ٢/ ٨٨، وشجرة النور الزكية ١/ ١٢٧- ١٢٨ رقم ٣٧١، والأعلام ٦/ ٢٧٧، ومعجم المؤلفين ١١/ ٣٢، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٢١- ٥٤٠هـ) ص٤٢٥ رقم ٣٠٢

أحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه، والاهتمام الذي صُرف إليه. شرح فشرح الصدور، وكتب فكتب البدور، هذا إلى تنوّع ما نقص به في مشاركة، ولا قصَّر به عن علم، تضع له اجنحتها الملائكة، مقترناً بآدابٍ أغَضَّ من تُفاح الخدود، وأهزَّ من رماح القدود، أحلى من رشفات الرضاب، وأغلى من مشنَّفات النبت في أكاليل الهضاب، يزيّن هذا جميعه ورع قام باسمه ونهض، وأجمع على علمه وأبرم، ثم ما نقض، وناضل بسهمه حتى سبق إلاّ أنه لغباره في وجوه الكواكب نفض.

شرح صحيح مسلم شرحاً جيداً، وسمّاه كتاب «المعلم بفوائد مسلم»، وعليه بنى القاضي عياض كتاب «الإكمال»، وله «إيضاح المحصول من برهان الأصول»، وله في الأدب كتب متعددة.

وكان فاضلاً، متقناً، زاهداً، ورعاً.

توفي في ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة ستّ وثلاثين وخمسمائة، وقيل في ثاني الشهر بالمهدية، وعمره ثلاث وثمانون سنة.

ومنهم:

[٤٠]

القاضي أبو الفضل، عيّاض بن موسى بن عياض اليَحْصبي السبتي، أبو الفضل(١)

الفقيه الحافظ جمال الأعلام، وقدوة أئمة الإسلام، شغف بخير الخلق حُبّاً،

---

(١) القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض. ترجمته في: قلائد العقيان ٢٥٥ ـ ٢٥٨، والصلة لابن بشكوال ٢/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤ رقم ٩٧٤، وتاريخ قضاة الأندلس للنُباهي ١٠١، وفهرسة ما رواه عن شيوخه لابن خير ٤٧٤، ٤٨٧، ٤٩٧، ٥١٢، والخريدة (قسم الأندلس والمغرب) ٢/ ١٧٣ ـ ١٧٥، وبغية الملتمس للضبيّ ٤٣٧ رقم ١٢٦٩، وإنباه الرواة ٢/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤، وتكملة الصلة لابن الأبار ٦٩٤، والمعجم، له ٢٩٤ ـ ٢٩٨ رقم ٢٧٩، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٤٣ ـ ٤٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٣ ـ ٤٨٥، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٢، وملء العيبة للفِهري ٢/ ٩٢، ١٩٠، ٢٢٢، ٣٣١، ٣٦٣، والمعين في طبقات المحدّثين ١٦٢ رقم ١٧٤٥، والإعلام بوفيات العلام ٢٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٢ ـ ٢١٨ رقم ١٣٦، ودول الإسلام ٢/ ٦١، والعبر ٤/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٠٤ ـ ١٣٠٧، ومعجم الوادي آشي ٢١١ ـ ٢١٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٤٩ ـ ٥٠، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٥، ومرآة الجنان ٣/ ٢٨٢، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٢٥، والإحاطة في أخبار غرناطة ٤/ ٢٢٢ ـ ٢٣٠، والديباج المذهب ٢/ ٤٦ ـ ٥١، والوفيات لابن قنفذ ٢٨٠ رقم =

وكلف بنبيِّ الله حِبّاً، وهام بسكّان العقيق حتى أجراه دمعاً، بنزال الأبيرق حتى كاد يُفنيه جزعاً، وولع بأُهيل الحيّ حتى ظلَّ دمعُه بالحمى صَبّا، وبات /٣٠٩/ كراه لا يلاءم مضجعه من الجفون جَنباً، وتشوّق دياراً كان يودّ لو طاف بربوعها، وطاح مرطه في مسارح ربيعها، وأسف لزمانٍ أخره عن زمان تلك الأقمار الطُلّع والسُمّار، ومُقل الكواكب مُغْضية لا تجسر أن تتطلع، وغشيانُ نادي النبوة، والقرآن ينزلُ عليه، وجبريل يؤدّي ما أوتمن على إبلاغه إليه، وسيد الكونين محمد خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء ﷺ حتى يأتلق قمره في ذلك النادي، ويتدفق مطره في ذلك الوادي، وطيبة به تأرج جنبات أرجائها نشراً، وتخلّق أردان فنائها بشراً، وتلك المعالم مأهولة بأهلّتها، وتلك المعاهد معهودة لا تستسقي السحب لغُلّتها؛ فلما فاته سالف تلك الأيام أن يكون من بينها وبعدت عليه شُقّة تلك المنازل أن يكون فيها، جعل فيها غرر تأليفه، ودُرر تصنفه.

وصنَّف كتاب «الشفا في شرف المصطفى»، وأوقد مصباحه مذ كان فما انطفا، ينطق بغرامٍ برسول الله ﷺ أسكنه شغاف قلبه، وأنزله شغاف حُبّه، وذكر في تعظيمه أوصاف ربّه، وأخلص فيه النية فما جاء بعده كتاب ألف في بابه، ثم كان له مدانياً، ولا منه دانياً، بل عليه المعتمدون دون بقيّة تلك الكتب على كثرتها، والمخصوص بالأثرة عليها على آثرتها، وجُرّب أنه لم يكن عند رجل فنُكب، ولا في رَحْلٍ فأُخذ، ولا في بيتٍ فخرب. ولقلد كان مصنّفه ـ رحمه الله ـ أنفع لمدينته سبتة من بحرها، وأجمع لقُطريها مما تخنقه جوانبها الثلاث من برّها.

وقد ذكره الفتح فقال: جاء على قدر، وسبق إلى نيل المعالي وابتدر، فاستيقظ

= ٥٤٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٥، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٠٥، وتاريخ الخلفاء ٤٤٢، وطبقات الحفاظ ٤٨٠، ومفتاح السعادة لطاش كبري زادة ٢/ ١٤٩، وجذوة الاقتباس ٢٧٧، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقّري، ونفح الطيب، له ٧/ ٣٣٣ـ ٣٣٥، وكشف الظنون ١٢٧، ١٥٨، ٢٤٨، ٣٩٥، ٥٧٧، ١٠٥٢، ١١٨٦، ١٢١١، ١٧٧٩، ١٩٦١، وشذرات الذهب ٤/ ١٣٨ـ ١٣٩، وتاج العروس ١/ ٢١٦ (مادّة: حصب)، وأجلى المسانيد ٣١، وروضات الجنات للخوانساري ٥٠٦ـ ٥٠٧، وهدية العارفين ١/ ٨٠٥، وإيضاح المكنون ٢/ ٢٤٣ـ ٢٤٤، وسلوة الأنفاس ١/ ٥١، وديوان الإسلام ٣/ ٢٧٢ـ ٢٧٣ رقم ١٤١٨، وفهرس الفهارس ٢/ ١٨٣ـ ١٨٩، ومعجم المطبوعات ١٣٩٧، وشجرة النور الزكية ١/ ١٤٠ـ ١٤١، والفهرس التمهيدي ٣٨٦، وتاريخ الأدب العربي ٦/ ٢٦٦ـ ٢٧٥، وتاريخ الفكر الأندلسي ٢٨٣، وعلم التاريخ عند المسلمين ١٣٧، ٤١٠، ٥٣٧، ٥٦٠، ٥٧٥، ٦٠٥، ٦١٢، ٦٣٣، ٦١٧، والأعلام ٥/ ٩٩، ومعجم المؤلفين ٨/ ١٦، والرسالة المستطرفة ١٠٦، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ١٣٧ رقم ١٠٤٨ و٢٦٢ رقم ٣٩٨، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٤١ـ ٥٥٠هـ) ص١٩٨ رقم ٢٢٨.

لها، والناس نيام، وورد حياضها، وهم حيام، فتحلَّت به للعلوم نحور، وتجلّت له منها حور، كأنهنَّ الياقوت / ٣١٠/ المرجان، لم يطمثهنَّ أنس قبله ولا جان، وقد ألحفته الأصالة رداءها، وسقته الجلالة أنداءها، وأزرت محاسنه بالبدر اللياح، وسرت فضائله سُرى الرياح، فتشوّفت لعُلاه الأقطار، ووكفت تحكي نداه الأمطار، وهو على اعتناء بعلوم الشريعة، واختصاصه بهذه الرتبة الرفيعة، يعني بإقامة أَوَد الأدب، وتنسلُ إليه أربابه من كل حدب، إلى سكون ووقار كما رسا الطَوْد، وجمال مجلسٍ كما حلّيت الخُوْد، وعفافٍ وصوْن ما علما فساداً بعد الكون، ورواء لو رأته الشمس ما تاهت بأضواء الخفر، أو كان الصبح ما لاح ولا أسفر.

قال ابنُ بشكوال: دخل الأندلس طالباً للعلم، فأخذ بقرطبة عن جماعة، وجمع من الحديث، وكان له عناية كثيرة به، وبالاهتمام بجمعه وتقييده، وهو من أهل التفنّن في العلم. واستُقضي بسبتة مدّة طويلة فحُمدت سيرته فيها، ثم نُقل عنها إلى قضاء غرناطة، فلم يطل أمده فيها.

صنَّف التصانيف المفيدة منها كتاب «الإكمال في شرح مسلم»، كمل به كتاب المعلم لأبي عبد الله المازري، وله كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» لم يُسبق إلى مثله، وله «مشارق الأنوار في غريب الحديث المختص بالموطأ والبخاري ومسلم»، وله كتب أُخر.

وكان إمام وقته في الحديث وعلومه، والنحو، واللغة، وكلام العرب، وأيامهم، وأنسابهم.

ومن نظمه قوله في جامات زرع بينها شقائق نعمان هبَّت عليه ريح: [من السريع]

أُنْظُرْ إِلَى الزَّرْعِ وَجَامَاتِهِ ... تَحْكِيْ وَقَدْ مَاسَتْ أَمَامَ الرِّيَاحْ
كَتِيْبَةً خَضْرَاءَ مَهْزُوْمَةً ... شَقَائِقُ النُّعْمَانِ فِيْهَا جِرَاحْ

/ ٣١١/ ومنه قوله: [من البسيط]

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي مُنْذُ لَمْ أَرَكُمْ ... كَطَائِرٍ خَانَهُ رِيْشُ الجَنَاحَيْنِ
فَلَوْ قَدَرْتُ رَكِبْتُ البَحْرَ نَحْوَكُمُ ... فَإِنَّ بُعْدَكُمُ عَنِّي جَنَى حَيْنِي

وأورد له العماد في الخريدة في لزوم ما لا يلزم: [من المتقارب]

إِذَا [مَا] نَشَرْتَ بِسَاطَ انْبِسَاطٍ ... فَعَنْهُ فَدَيْتُكَ فَاطْوِ المُزَاحَا
فَإِنَّ المُزَاحَ كَمَا قَدْ حَكَى ... أُوْلُو العِلْمِ قَبْلِيْ عَنِ العِلْمِ زَاحَا

ومدحه أبو الحسن المالقي الفقيه بقوله: [من الكامل]

ظَلَمُوا عِيَاضاً وَهْوَ يَحْلُمُ عَنْهُمُ ... وَالظُّلْمُ بَيْنَ العَالَمِيْنَ قَدِيْمُ

جَعَلُوا مَكانَ الرَّاءِ عَيْناً فِيْ اسْمِهِ كَـيْ يَـكْـتُـمُـوهُ وَإِنَّـهُ مَـعْـلُـومُ
لَـوْلَاهُ مَـا فَـاحَـتْ أَبَـاطِـحُ سَـبْـتَـةٍ وَالـرَّوْضُ حَـوْل فِـنَـائِـهـا مَـعْـدُومُ[1]

مولده بسبتة في نصف شعبان سنة ستّ وسبعين وأربعمائة.

وتوفي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة، وقيل في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

/ ٣١٢/ ومنهم:

[٤١]

أبو بكر، محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي[2]

الحافظ المشهور، والحامل له الزمان راية الظهور. تجوَّلَ في الأرض طلباً

---

(١) بعده بياض بمقدار ٨ أسطر.

(٢) ورد اسمه في بعض المصادر: «محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد...».
ترجمته في: مطمح الأنفس ٧١ـ ٧٣، والصلة لابن بشكوال ٢/ ٥٩٠ـ ٥٩١ رقم ٢٩٧ب، وبغية الملتمس للضبيّ رقم ١٧٩، وتاريخ قضاة الأندلس للنُباهي ١٠٥ـ ١٠٧، وبرنامج الرُعَيني ١١٦، وتكملة الصلة لابن الأبّار، رقم ٤٢٨، وجذوة الإقتباس ١٦٠، والمغرب في حُلى المغرب ١/ ٢٥٤ـ ٢٥٥، ووفيات الأعيان ٤/ ٢٩٦، ٢٩٧، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٢٢/ ٣٢٦ رقم ٢٨٤، وملء العيبة للفهري (انظر فهرس الأعلام) ٢/ ٥٣٠ـ ٥٣١، والعبر ٤/ ١٢٥، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٩٤ـ ١٢٩٨، ودول الإسلام ٢/ ٦١، والمعين في طبقات المحدّثين ١٦١ رقم ١٧٤١، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٢٤ (في وفيات سنة ٥٤٦هـ)، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٩٧ـ ٢٠٤ رقم ١٢٨، والوافي بالوفيات ٣/ ٣٣٠ رقم ١٣٨٨، ومرآة الجنان ٣/ ٢٧٩ـ ٢٨٠، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٢٨ـ ٢٢٩، والمرقبة العليا ١٠٥ـ ١٠٧، والديباج المذهب ٢/ ٢٥٢ـ ٢٥٦، والوفيات لابن قنفذ ٢٧٩ رقم ٥٤٣، والمقفّى الكبير للمقريزي ٦/ ١١٠ـ ١١٣ رقم ٢٥٥٣، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٢، وطبقات المفسّرين للسيوطي ٣٤، وتاريخ الخلفاء، له ٤٤٢، وطبقات المفسّرين للداوودي ٢/ ١٦٢ـ ١٦٦، وأزهار الرياض ٣/ ٦٢، ٨٦ـ ٩٥، ونفح الطيب ٢/ ٢٥ـ ٤٣ رقم ٨، وطبقات المفسّرين للأدنه وي (مخطوط) ورقة ٤٣ ب، وكشف الظنون ٥٥٣، ٥٥٩، وشذرات الذهب ٤/ ١٤١، وهدية العارفين ٢/ ٩٠، وإيضاح المكنون ١/ ١٠٥، ١٤٥، ٢٢٤، ٢٧٩، وسلوة الأنفاس ٣/ ١٩٨، ومعجم المطبوعات العربية لسركيس ١٧٤ـ ١٧٥، وشجرة النور الزكية ١/ ١٣٦ـ ١٣٨، وتاريخ الأدب العربي ٦/ ٢٧٥ـ ٢٧٦، ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٣٧، والأعلام ٧/ ١٠٦، وبرنامج القرويين ١/ ١٧٣، ١٨٨، وديوان الإسلام ٣/ ٣٥٥ـ ٣٥٦ رقم ١٥٤٣، ومعجم المؤلفين ١٠/ ٢٤٢، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسّرين ١٦٠ رقم ١٠٤٦، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٤١ـ ٥٥٠هـ) ص١٥٩ رقم ١٧١.

للعلم، وتقديماً لأمره المهم، وتكميلاً لمعوز فضله ليتمّ، ورحل من أقصى الأندلس حتى أتى الحجاز، وخيَّم بالعراق، وعاد من الشرق بما ملأ الغرب بالإشراق، وتنقل في أُفقيها، فتهلّل هذا فرحةً باللقاء، وعلت الآخر صفرة الفراق.

قال ابن بشكوال: هو الحافظ المتبحر. ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها. لقيتُه بمدينة أشبيلية في جمادى الآخرة سنة ستّ عشرة وخمسمائة، فأخبرني أنه رحل إلى الشرق مع أبيه سنة خمس وثمانين وأربعمائة، وأنه دخل الشام، ولقي بها أبا بكر الطرطوشي، وتفقه عنده، ودخل بغداد، وسمع بها من جماعةٍ من أعيان مشايخها، ثم دخل الحجاز، وحجّ سنة تسع وثمانين، ثم عاد إلى بغداد، وصحب أبا بكر الشاشي، وأبا حامد الغزالي، وغيرهما من العلماء والأدباء، ثم صدر عنهم، ولقي بمصر والإسكندرية جماعة من المحدثين، فكتب عنهم، واستفاد منهم، وأفادهم، ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين، وقدم إشبيلية بعلمٍ كثير لم يدخل به أحد قبله ممن رحل إلى الشرق.

وكان من أهل التفنن في العلوم، والاستبحار فيها، والجمع لها، مقدّماً في المعارف كلّها متكلّماً في أنواعها، نافذاً في جميعها، حريصاً على أدائها ونشرها، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق، مع حسن المعاشرة، وكثرة الاحتمال، وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الودّ. واستقضي ببلده، فنفع الله به أهلها؛ لصرامته، وشدّته، ونفوذ أحكامه، وكانت له مع الظالمين سَوْرَة مرهوبة، ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم / ٣١٣/ وبثه.

وسألته عن مولده، فقال: ولدت يوم الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة. وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، ودفن بمدينة فاس، ومن مصنّفاته «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي».

ومنهم:

[٤٢]

أبو القاسم السُهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعميّ[(١)]

ويكنى أيضاً أبا زيد الإمام المشهور.

---

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصْبَغ بن الحسين بن سعدون بن رضوان بن فتُّوح.
ترجمته في: تكملة الصلة لابن الأبار، رقم ٦١٣، وبغية الملتمس ٣٦٧ رقم ١٠٢٥، وإنباه الرواة =

صاحب التصانيف البديعة، والتفاويف الصنيعة، ما جمع مثله ليل، ولا طلع به ولا على شبهه سهيل، كان بحضرة مراكش بغداد المغرب. نجم هداها الطالع، وطود حجاها الشب المطالع، يملأ أكنافها، ويكلأ أضيافها، وينشر فيها من علومه المفنّنة ضرائر الحبرات، ونظائر ما تجرّه وشائع البيض الخفرات.

كان ببلده يتسوغ بالعفاف، ويتبلّغ بالكفاف، حتى نُمي خبره إلى صاحب مراكش، فطلبه إليه، وأحسن إليه، وأقبل بوجه الإقبال عليه، وأقام بها نحو ثلاثة أعوام كأنها ساعات منام.

وكان إماماً، محدّثاً، فقيهاً، أصولياً، تصريفياً، عروضياً، نحوياً، خبيراً بالأنساب والمشتبه منها. ومن مصنّفاته كتاب «الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن إسحاق»، أملاه في نحو خمس شهور من نيف على مائة وعشرين ديواناً، غير ما نقحه فكره، ولقنه عن مشيخته وكتاب «التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام»، وكتاب «نتائج الفكر»، و«مسألة رؤية الباري في المنام»، و«رؤية النبي ﷺ» و«السر في عور الدجال»، ومسائل كثيرة مفردة لم يسبق إليها، ولا حام أحدٌ قبله عليها؛ وغالب مصنّفاته إملاء؛ فإنه كان مكفوفاً.

وتوفي بحضرة مراكش يوم الخميس، ودفن وقت الظهر سادس عشرين شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

ومولده سنة ثمان وخمسمائة بمالقة ـ رحمه الله ـ.

/٣١٤/ قال أبو الخطاب ابن دحية: أنشدني السُّهلي، وقال: إنه ما سأل الله تعالى بها حاجة إلاّ أعطاهُ إياها، وكذلك من استعمل إنشادها وهي: [من الكامل]

= ٢/ ١٦٢ـ ١٦٤، والمطرب من أشعار أهل المغرب ٢٣٠ـ ٢٤٣، والمغرب في حُلى المغرب (قسم الأندلس) ١/ ٤٤٨، ووفيات الأعيان ٣/ ١٤٣ـ ١٤٤، والاستقصا ١/ ١٨٧، والوفيات لابن قنفذ ٢٩٢ رقم ٥٨١، وملء العيبة للفهري ٢/ ٢١٨، ٣٢٢، ٣٦٣، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٩، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٨ـ ١٣٥٠، ودول الإسلام ٢/ ٩٢، والعبر ٤/ ٢٤٤، والمعين في طبقات المحدّثين ١٧٩ رقم ١٩٠٠، ومرآة الجنان ٣/ ٤٢٢ـ ٤٢٣، ونكت الهميان ١٨٧ـ ١٨٨، والوافي بالوفيات ١٨/ ١٧٠ـ ١٧٢ رقم ٢١٥، والديباج المذهب ١/ ٤٨٠، ٤٨٣، وغاية النهاية ١/ ٣٥١، وبغية الوعاة ٢/ ٣٥٤ (وفيه وفاته ٥٨٣هـ)، وطبقات الحفاظ ٤٧٨ـ ٤٧٩، وتاريخ الخلفاء ٤٥٧، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ١٢٢ـ ١٢٤، ونفح الطيب ٣/ ٤١، ٤٠١، والنجوم الزاهرة ج١ق١/ ٢٤٥، وديوان الإسلام ٣/ ١٠٧ رقم ١١٨٩، وكشف الظنون ٤٢١، وإيضاح المكنون ٢/ ٤٥١، وهدية العارفين ١/ ٥٢٠، والأعلام ٣/ ٣١٣، ومعجم المؤلفين ٥/ ١٤٧، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين ١٠٩ رقم ١٠٦٤، تاريخ الإسلام (السنوات ٥٨١ـ ٥٩٠هـ) ص١١٣ رقم ٢١.

يَا مَنْ يَرَى مَا فِيْ الضَّمِيْرِ وَيَسْمَعُ ... أَنْتَ المُعِدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَن يُرَجَّى لِلْشَّدائِدِ كُلِّها ... يَا مَنْ إِلَيْهِ المُشْتَكَى وَالمَفْزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِيْ قَوْلِ كُنْ ... أَمْنُنْ فَإِنَّ الخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِيْ سِوَى فَقْرِيْ إِلَيْكَ وَسِيْلَةٌ ... بِالافْتِقَارِ إِلَيْكَ رَبِّي أَضْرَعُ
مَا لِيْ سِوَى قَرْعِيْ لِبَابِكَ حَيْلَةٌ ... فَلَئِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنِ الَّذِيْ أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ ... إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيْرِكَ يُمْنَعُ
حَاشَا لِمَجْدِكَ أَنْ تُقَنِّطَ عَاصِياً ... الفَضْلُ أَجْزَلُ وَالمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

ومنهم:

[٤٣]

أبو الخطاب، عمر بن الحسين بن علي بن محمد بن الجُمَيِّل بن فرح ابن دحية بن خليفة الكلبي المعروف بذي النسبين الأندلسي البلنسي (١)

الحافظ، وقف للاطلاع على كل ثنيّة، وهتف للاستطلاع بكلّ قضية، وقاد نافر

---

(١) ورد اسمه ونسبه في بعض المصادر: «عمرُ بن حسن بن عليّ بن محمد الجُمَيِّل بن فَرْحِ بن خلف ابن قُومِس بن مَزْلال بن مَلاَّل بن أحمد بن بدر بن دِحْيَة بن خليفة...».
ترجمته في: ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد لابن الدبيثي (باريس ٥٩٢٢) ورقة ١٩٤، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار (باريس) ورقة ٩٧ـ ٩٨، ومرآة الزمان ج٨ق٢/ ٢٩٨، وذيل الروضتين ١٦٣، وصلة الصلة لابن الزبير ٧٣، وتاريخ إربل ١/ ١٦٢، ٢٤٢، ٢٥٨، ٣٩٣، قلائد الجمان لابن الشعار ٥/ ١٩٢ـ ٢٠٧ رقم ٥٣٢، وتكملة الصلة لابن الأبار رقم ١٨٣٢، ومفرّج الكروب ٥/ ٥٢، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤٨ـ ٤٥٠، وتلخيص مجمع الآداب ٥/ ٤٩ رقم ٤٠٦، ونهاية الأرب ٢٩/ ٢١٣ـ ٢١٤، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٢٢ـ ٤٢٥، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٣٥، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٢، والمعين في طبقات المحدّثين ١٩٦ رقم ٢٠٨٣، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٠، ودول الإسلام ٢/ ١٣٧، والعبر ٥/ ١٣٤ـ ١٣٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٨٩ـ ٣٩٥ رقم ٢٤٨، وميزان الاعتدال ٣/ ١٨٦، والمغني في الضعفاء ٢/ ٤٦٣، والمختصر المحتاج إليه ٣/ ٩٩ـ ١٠٠ رقم ٩٣٨، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٠٥ـ ٢٠٩ رقم ١٦٠، ونثر الجمان للفيومي ٢/ ورقة ٧٥، ومرآة الجنان ٢/ ٨٤ـ ٨٥، والوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٥١ـ ٤٥٥ رقم ٣٢٧، والبداية والنهاية ١٣/ ١٤٤ـ ١٤٥، ونزهة الأنام لابن دقماق، ورقة ٢٠ـ ٢١، وعنوان الدراية ٢٦٩، وذيل التقييد للفاسي ٢/ ٢٣٦ رقم ١٥١٧، وتوضيح المشتبه ٧/ ٦٥، والفلاكة والمفلوكين ٨٨، ولسان الميزان ٤/ ٢٩٢، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٥ـ ٢٩٦، والألقاب للسخاوي، ورقة ٥٤، وبغية الوعاة ٢/ ٢١٨، وطبقات الحفاظ ٥٠١، وحسن المحاضرة ١/ ١٦٦، والبدر السافر، ورقة ٤٠أ، وشذرات الذهب ٥/ ١٦٠ـ ١٦١، ونفح الطيب ١/ ٣٦٨، وفهرس دار الكتب المصرية ٣/ ١٧٩، وكشف الظنون ٤٨٦، ٥٠٢، ١٠٧٠، ١١٦١، ١٦٥٣، ١٦٧٥، ١٧١٨، ١٩٢٣، =

اللغة عنفاً، حتى جعل الغريب قريباً، والحوشي ربيباً، وأتى بها إلى الحاضرة قسراً من باديتها، وقهراً لها في تأديتها، فعادت إلى الحسنى، ورق كلامها، ودق حتى خفي أكمامها. وله رسائل حوشيّة كتبها؛ لتدلّ على غزارة مادته، وإنارة جادته، وقد أضربت عن ذكرها صفحاً، ولم أسمع لها صَدْحاً؛ لثقل وطأتها على الأسماع، وشدّة منافرتها للطباع، كأنها كلام النائم، ونقيق الضفادع في الليالي العواتم، تظنّ أنها ليست مركبةً من الحروف، ولا دالة على معنى معروف، على أنَّ له في أُخر ما يخف، ولكنه مما لا يشف، ولا يندى / ٣١٥/ ورقه، ولا يرق، فلذلك أيضاً ألغيتها، وأعرضت عنها، فما أردتها، ولا ابتغيتها.

كان من أعيان العلماء، ومشاهير الفضلاء، متقناً لعلم الحديث النبوي، وما يتعلق به، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب، وأشعارها. اشتغل بطلب الحديث في أكثر بلاد الأندلس الإسلامية، ولقي بها علماءها ومشايخها، ثم رحل منها إلى برّ العدوة، ودخل مراكش، واجتمع بفضلائها، ثم ارتحل إلى إفريقية، ومنها إلى الديار المصرية، ثم الشام والشرق والعراق، وسمع ببغداد من بعض أصحاب ابن الحصين،

ودخل عراق العجم وخراسان، وما والاها، ومازندران؛ كلّ ذلك في طلب الحديث والاجتماع بأئمته، وأُخذ عنه وهو في تلك الحال، وقدم مدينة إربل سنة أربع وستمائة، وهو متوجّه إلى خراسان، فرأى صاحبها الملك المعظَّم مظفر الدين مولعاً بعمل مولد النبي ﷺ عظيم الاحتفال به، فعمل له كتاباً سمّاهُ «التنوير في مولد السراج المنير»، وقرأه عليه بنفسه وختمه بقصيدة طويلة فأعطاه المعظم ألف دينار، وله عدّة تصانيف.

وتوفي يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بالقاهرة، ودفن بسفح المقطَّم.

ومولده في مستهل ذي القعدة سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

* * *

= وإيضاح المكنون ١/ ١٠٣ـ ١٠٤، و٢/ ٤٦٥، ٦٩١، وهدية العارفين ١/ ٧٨٦، ومعجم المؤلفين ٧/ ٢٨٠ـ ٢٨١، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين ١٣٤ رقم ١١٠٢ وفيه: «عمر بن حسان»، والأعلام ٥/ ٢٠١، تاريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ـ ٦٤٠هـ) ص١٥٧ رقم ١٩١.

[مشاهير فقهاء المحدّثين في مصر]

ومن متقدميهم بالديار المصرية:

[٤٤]

الحافظ، الفقيه أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطَّحاوي، الحنفي[1]

الذي جمع بفقهه بين المذهبين، وطلع بتصنيفه في المُذهبين، تاهَتْ به طحا، وباهت به الشمس في الضحى، وأصبحت تُضاهي النجوم بُقعتها، وتُظاهِرُ صفيح / ٣١٦/ الغيوم نقعتها، وتشرق سنى، وتغدق مُنى، ويعرج عليها ساري كل ركاب، وسائر كل طلاب، ويَقفُ به مُغتبطاً لبلده الذي فُنيت بفوائده، وكلفت بعوائده، يهيم بغرر فرائده الحسان، وقلائده المقلدة للإحسان، وقالت: صحابك نوءٌ للإحسان سكوب، وطحا بك قلب للحسان طروب، طحابك يغلُّ نوائب الزمان، فهل نون مخلبٍ كاسر أو نوب.

---

(١) ترجمته في: المعجم الصغير للطبراني ١/ ٧٠، ومشتبه النسبة لعبد الغني بن سعيد (مخطوطة المتحف البريطاني) ورقة١٦أ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١٤٢، والإكمال لابن ماكولا ٣/ ٨٥، والأنساب ٨/ ٢١٨، وتاريخ دمشق ط دار الفكر ٥/ ٣٦٧ـ ٣٧٠ رقم ١٥٢، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٢١٢ و٣/ ٣٢٤، والمنتظم ٦/ ٢٥٠، ووفيات الأعيان ٦/ ٧١ـ ٧٢، والتقييد لابن النقطة ١٧٤ـ ١٧٥ رقم ١٩٥، والفهرس لابن النديم ٢٩٢، ومعجم البلدان ١/ ٤٠٢، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٧٩، والعبر ٢/ ١٨٦، وتذكرة الحفاظ ٣/ ٨٠٨ـ ٨١١، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٧ـ ٣٣ رقم ١٥، ودول الإسلام ١/ ١٩٥، والمعين في طبقات المحدّثين ١١٠ رقم ١٢٣٤، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٦٥، والوافي بالوفيات ٨/ ٩ـ ١٠، ومرآة الجنان ٢/ ٢٨١، والبداية والنهاية ١١/ ١٧٤، والجواهر المضيّة ١/ ١٠٢ـ ١٠٥، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٩١، وغاية النهاية ١/ ١١٦، وتاج التراجم ٦، ولسان الميزان ١/ ٢٧٤ـ ٢٨٢، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٣٩، وطبقات الحفاظ ٣٣٧، وحسن المحاضرة ١٩٨، وشذرات الذهب ٢/ ٢٨٨، وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٧٤، وهدية العارفين ١/ ٥٨، وكشف الظنون ٣٢ وغيرها كثير، وديوان الإسلام لابن الغزّي ٣/ ٢٣٦ـ ٢٣٨ رقم ١٣٧٢، والرسالة المستطرفة ٢٥، ٣٣، ١١٩، والأعلام ١/ ٢٠٦، ومعجم المؤلفين ٢/ ١٠٧، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي (للتدمري) ١/ ٢١٦ـ ٢١٧ رقم ٢١٧، وبدائع الزهور ج١ق١/ ١٧٥، تاريخ الإسلام (السنوات ٣٢١ـ ٣٣٠هـ) ص٧٧ رقم٧.

ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين، وتفقه بمصر على أبي جعفر أحمد بن أبي عمران، وبدمشق على القاضي أبي خازم، وتفقه عليه أبو بكر أحمد بن محمد بن منصور الدامغاني وغيره، وحدّث عن خلائق سمع منهم.

وصنَّف التصانيف المطوّلة الدالة على تبحره، وتفقّه أولاً على مذهب الشافعي، ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة. وسبب انتقاله أنَّ خاله أبا إبراهيم المزني ـ صاحب الشافعي ـ قال له يوماً في أثناء مذاكرته: والله لا جاء منك شيء، فغضب أبو جعفر من ذلك، وأنف لنفسه، وانتقل إلى ابن عمران؛ فأول ما صنّف من الكتب مختصره في الفقه، وهو على ترتيب كتاب المزني؛ فلما فرغ منه، قال: رحم الله أبا إبراهيم، لو كان حياً، لكفر عن يمينه.

وذكر أبو يعلى الخليلي في كتاب «الإرشاد»: أنَّ إبراهيم بن محمد الشروطي، قال: قلت للطحاوي: لِمَ خالفت خالك، واخترت مذهب أبي حنيفة؟ قال: لأني كنت أرى خالي يُديم النظر في كتب أبي حنيفة، فانتقلت إلى مذهبه لذلك.

وذكره الحافظ أبو محمد بن خلف في كتابه «الدر المنظم فيمن دفن بسفح المقطم»، فقال: فريد دهره، ووحيد عصره، له التصانيف المفيدة، والآثار الحميدة، صاحب فقه، وأثر، ورواية، ونظر. ومن تصانيفه «الفقهيات المعروفات الكبار والمختصرات المعروفات / ٣١٧/ الخالية من الاكثار». وكتبه في الوراقة مشهورة أيضاً، وفضائله أكثر من أن تعدّ، ومناقبه أوفر من دخولها تحت الحصر والعد، وروى عنه القضاة المحقّقون، والعلماء المبرّزون، وبلغ من العمر ثمانين سنة، وكان السواد أغلب على لحيته من البياض.

توفي في ذي القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة بمصر، ودفن بالقرافة، وقبره مشهور.

ومن متأخريهم:

[٤٥]

القاضي أبو الفتح، محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة، القشيري، المنفلوطي الصعيدي، المالكي والشافعي، تقي الدين عرف بابن دقيق العيد(١)

صاحب التصانيف، آخر المجتهدين، وفاخر دور المقلّدين. حجّة العلماء

---

(١) ترجمته في: المقتفي ٢/ ورقة ٦٢ب، وتالي كتاب وفيات الأعيان ١٠٥ رقم ١٥٨، والمختصر في أخبار البشر ٤/ ٥٠، والطالع السعيد ٥٦٧، والمعين في طبقات المحدثين ٢٢٥ رقم ٢٣٢٥، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٨١ـ ١٤٨٣، وذيل العبر ٢١، ودول الإسلام ٢/ ٢٠٧، ومعجم شيوخ =

الأعلام، ومحجّة القصد والسلام، رافع منار الشرع المطهر، ومُعلي قدر فرقده، ومعلن اسم سؤدده، ومعلم البروق اللامعة بأنها لا طاقة لها بتوقُّده، ومُعلّق طيبه بمفرق الدهر مسك ليلته وكافور غده، قام بالحق، وكُلٌّ قاعد، وهبت وكلٌّ على جفنه النوم عاقد، وتخلّق بخلائق السلف عليه مضوا، وبه جاؤوا وعليه قضوا من علم تلافى الفساد، وأوفى بقدر السلف وزاد، وورع ما دُنّس ثوبه، ولا كدر صوبه، إلاّ أنه كان مغرًى بالنكاح، مُغرماً منه بالمباح، يُغالي في شراء الجواري، واستسراء قيم السواري، ولم تكن له جدّة للانفاق، فكان يشتريهن بالثمن الربيح إلى أجلٍ يستدينُه، فإذا حلّ يغدو وهو رهينه، فيتسامع به أهل اليسار ممن ربطه عليه حبّ علمه، وحسن ظنّه في دينه، لا

= الذهبي ٥٤٤ـ ٥٤٥ رقم ٨٠٥، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٥٢، ومرآة الجنان ٤/ ٢٣٦ـ ٢٣٨، وطبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٢ـ ٢٣، وتاريخ سلاطين المماليك ١٠٦، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٧، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٢٢٧ رقم ٨٥٠، والوافي بالوفيات ٤/ ١٩٣ـ ٢٠٩ رقم ١٧٤١، وفوات الوفيات ٣/ ٤٤٢ رقم ٤٨٦، والرد الوافر ٥٨، والوفيات لابن قنفذ ٣٢٨، والديباج المذهب ٢/ ٣١٨، وأعيان العصر ٤/ ٥٧٦ـ ٦٠٣ رقم ١٦٦٣، وذيل التقييد ١/ ١٩١ـ ١٩٢ رقم ٣٥٥، وتذكرة النبيه ١/ ٢٥٤ـ ٢٥٥، ودرّة الأسلاك ١/ ورقة ١٦٢، وطبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ٢/ ٩٥٢ رقم ٢٢، والسلوك ج١ق٣/ ٣٦٧ رقم ٢٨٥٧، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٤١٨، ومشارع الأشواق للدمياطي ١٧٤ـ ١٧٥، ١٩٠، ٢٢٤، ٣٦٩، ٥٠٥، ٦١٤، ٦٣٩، والدرر الكامنة ٤/ ٩١ـ ٩٦ رقم ٢٥٦، والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٠٦، وفتح المغيث للسخاوي ١/ ٩٠، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٢٦، وحسن المحاضرة ١/ ٣١٧، وطبقات الحفاظ ٥١٣ رقم ١١٣٦، وتاريخ الخلفاء ٤٨٣، وفتح الباقي على ألفيّة العراقي، لزين الدين الأنصاري ـ طبعة فاس ١٣٥٤هـ ـ ص ١٠٩، والدارس ١/ ٥٣، ٥٤، ٩٩، والدليل الشافي ٢/ ٦٥٨ رقم ٢٢٦٤، وتاريخ ابن سباط ٢/ ٥٨١، وبدائع الزهور ج١ق١/ ٤١١ـ ٤١٢، ومفتاح السعادة ٢/ ٣٦١، وديوان الإسلام ٢/ ٢٩٥ـ ٢٩٦ رقم ٩٥٧، وكشف الظنون ١٣٥، ١٥٨، ١١٥٧، ١١٦٥، ١١٧٠، ١١٧٦، ١١٨٨، ١٨٥٦، ودرّة الحجال ٢/ ١٥، وشذرات الذهب ٦/ ٥، والبدر الطالع ٢/ ٢٢٩ـ ٢٣٢ رقم ٤٨٧، وإيضاح المكنون ١/ ٥٤ و٢/ ١٢٠، وهدية العارفين ٢/ ١٤٠، ومستفاد الرحلة والاغتراب ١٦، والخطط التوفيقية ١٤/ ١٣٥، وشجرة النور الزكية ١٨٩ رقم ٦٢٩، والفتح المبين للمراغي ٢/ ١٠٢، وجامع كرامات الأولياء ١/ ٢٢٧، وتاريخ الأدب العربي ٢/ ٦٣، وذيله ٢/ ٦٦، والأعلام ٧/ ١٧٣، ومعجم المؤلفين ١١/ ٧٠، والمعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ٢/ ٣٣٩ـ ٣٤١، والمستدرك (للتدمري) ١/ ٢ـ ص ١٧٠ـ ١٧٢، والقاموس الإسلامي ٢/ ٣٧٧، وذخائر التراث العربي الإسلامي لعبد الجبار عبد الرحمن ١/ ١١٦، ودليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة ٢/ فهرس الأعلام ٩٦١، ومعجم طبقات الحفاظ والمفسرين ١٦٤ رقم ١١٣٤، وانظر مقدّمة إحكام الأحكام ـ القاهرة ١٣٧٢هـ ـ ص ١٤ـ ٤٣، والاقتراح في بيان الاصطلاح، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ذيل تاريخ الإسلام (السنوات ٧٠١ـ ٧٤٦ رقم ١٤).

خاب في زعمه، فيتكفَّلُ بوفاء ذلك الدين، /٣١٨/ وغسل ذمته وتنقيته من ذلك الشين، حتى إذا صار بريئاً من الطلبات، خالصاً من المطالبات عنَّ له أن يشتري جارية، أو يزيد نفقة جارية، فلا يلبث شهراً، حتى يعود أثقل ما كان ظهرا، ويدوم على هذا في الزمان دهرا، فيُقدّر له آخر، فيوفي عنه ما اشتغلت به ذمتُه، واشتعلت بشيب همّه لمتُه، واستجيزت بسببه عند أهل الورع مذمتُه، هكذا كان دأبه، ودأب ما يحمّل نفسه من أثقال التكاليف، وإنفاق جُمل المصاريف كان يحتفر الذهب، وفاء دينه على أهل الدنيا وَجب، وكان على وفور علمه ودينه، وشواغله بالتصنيف في كل حينه، يُكمنُ تارة في زناده، ويحبس أواره في فؤاده، ويلبس الرجال على بعضها، ويسلب كل الأعمال لبعضها، وربما قدر فعقر، وأخذ، فما غفر، إلا أنّ التقوى كانت تمنعه من أليم المجازاة، وتردّه عن بلوغ حَدّ الغاية من التشفي وفي النفس حزازات.

ولد في شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة بقرب الينبُع من أرض الحجاز، وسمع الحديث، وخرج لنفسه أربعين تساعيّةً، وكان من أذكياء زمانه، واسع العلم، كثير الكتب، مديماً للسهر، مكباً على الاشتغال، ساكناً، وقوراً، ورعاً، قلَّ أن ترى العيون مثله، وله اليد الطُّولى في الأصول والعقول، وخبرة بعلل المنقول. ولي قضاء الديار المصرية سنوات إلى أن مات، وكان في أمر الطهارة والمياه في نهاية الوسوسة.

قال الحافظ قطب الدين الحلبي: كان إمام أهل زمانه، وممن فاق بالعلم والزهد على أقرانه، عارفاً بالمذهبين، وإماماً في الأصلين، حافظاً مُتقناً في الحديث وعُلومه يُضرب به المثل في ذلك، وكان آية في الحفظ، والاتقان، والتحرّي، شديد الخوف، دائم الذكر، لا ينام الليل /٣١٩/ إلاّ قليلاً يقطعه فيما بين مطالعة، وتلاوة، وذكر، وتهجد، حتى صار السهر له عادة، وأوقاته كلها معمورة، ولم يُر في عصره مثله. وعدّ مصنَّفاته، ثم قال: عزل نفسه من القضاء غير مرّة، ثم يُسال ويُعاد.

قال: وبلغني أنَّ السلطان حسام الدين لما طلع الشيخ إليه، قام للُقيّه، وخرج عن مرتبته، وكان كثير الشفقة على المشتغلين كثير البرّ لهم.

توفي في صفر سنة اثنتين وسبعمائة.

ومن نظمه قوله: [من البسيط]

الحمدُ للهِ كمْ أَسْمُو بِعَزْمِيَ فِي ... نَيْلِ العُلاَ وَقَضَاءُ اللهِ يُنْكِسُهُ
كَأَنَّنِي النَّجْمُ يَبْغِيْ الشَّرْقَ وَالفَلَكُ ... الأَعْلَى يُعَارِضُ مَسْرَاه فَيَعْكِسُهُ

ومنه قوله[1]:

ومنه قوله: [من الطويل]

---

(١) بعده بياض بمقدار سطرين.

لَعَمْرِي لَقَدْ قَاسَيْتُ لِلْفَقْرِ شِدَّةً ... وَقَعْتُ بِهَا فِي حَيْرَةٍ وَشَتَاتِ
فَإِنْ بُحْتُ بِالشَّكْوَى هَتَكْتُ مُرُوءَتِي ... وَإن لَمْ أَبُحْ بِالصَّبْرِ خِفْتُ مَمَاتِيْ
فَأَعْظِمْ بِهِ مِنْ نَازِلٍ بِمُلِمَّةٍ ... يُزِيلُ حَيَائِي أَوْ يُزِيلُ حَيَاتِيْ

ومنه قوله: [من السريع]

تَهِيْمُ نَفْسِي طَرَباً عِنْدَمَا ... أَسْتَلْمِحُ البَرْقَ الحِجَازِيَّا
وَيَسْتَخِفُّ الوَجْدُ عَقْلِي وَقَدْ ... أَصْبَحَ لِيْ حُسْنُ الحِجَى زِيَّا
يَا هَلْ أُقَضِّي حاجَتِيْ مِنْ مُنًى ... وَأَنْحَرُ البُزْلَ المَهَارِيَّا
وَأَرْتَوِيْ مِنْ زَمْزَمٍ فَهْيَ لِيْ ... أَلَذُّ مِنْ رِيْقِ المَهَا رِيَّا

/ ٣٢٠/ ومنه قوله: [من البسيط]

أَهْلُ المَرَاتِب فِي الدُّنْيَا وَرِفْعَتِها ... أَهْلُ الفَضَائِلِ مَرْذُولُونَ بَيْنَهُمُ
فَمَا لَهُمْ فِي تَوَقِّي ضَيْرِنَا نَظَرٌ ... وَلاَ لَهُمْ فِيْ تَرَقِّي قَدْرِنَا هَمَمُ
قَدْ أَنْزَلُونَا لأَنَّا غَيْرُ جِنْسِهِمُ ... مَنَازِلَ الوَحْشِ فِي الإِهْمَالِ عِنْدَهُمُ
فَلَيْتَنَا لَوْ قَدَرْنَا أَنْ نُعَرِّفَهُمْ ... مِقْدَارَهُمْ عِنْدَنَا أَوْ لَوْ دَرَوْهُ هُمُ
لَهُمْ مُرِيحَانِ مِنْ جَهْلٍ وَفَضْلِ غِنًى ... وَعِنْدَنَا المُتْعِبَانِ العِلْمُ وَالعَدَمُ

فناقضه في ذلك الفتح بن البقي المقتول على الزندقة، فقال: [من البسيط]

أَيْنَ المَرَاتِبُ وَالدُّنْيَا وَرِفْعَتُهَا ... عِنْدَ الَّذِيْ حَازَ عِلْماً لَيْسَ عِنْدَهُمُ
لاَ شَكَّ أَنَّ لَنَا قَدْراً رَأَوْهُ وَمَا ... لِقَدْرِهِمْ عِنْدَنَا قَدْرٌ وَلاَ لَهُمُ
هُمُ الوُحُوشُ وَنَحْنُ الإِنْسُ حِكْمَتُنَا ... تَقُودُهُمْ حَيْثُ مَا شِئْنَا وَهُمْ نَعَمُ
وَلَيْسَ شَيءٌ سِوَى الإِهْمَالِ يَقْطَعُنَا ... عَنْهُمْ لأَنَّهُمُ وِجْدَانُهُمْ عَدَمُ
لَنَا المُرِيْحَانِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ عَدَمٍ ... وَفِيْهِمُ المُتْعِبَانِ الجَهْلُ وَالحَشَمُ

عُدنا إلى ذكر قاضي القضاة أبي الفتح ـ رحمه الله ـ ومن شعره قوله: [من الكامل]

نَفَرَتْ سُلَيْمَى نَفْرَةً لمَّا رَأَتْ ... وَضَحَ المَشِيْبِ بِعَارِضِيَّ وَمَفْرِقِيْ
قَدْ أَبْصَرَتْ مِنْهُ عَدُوّاً أَبْيَضاً ... أَرْبَى أَذَاهُ عَلَى العَدُوِّ الأَزْرَقِ

وقوله: [من الخفيف]

أَنْكَرَتْنِي لَمَّا ادَّعَيْتُ هَوَاهَا ... وَأَصَرَّتْ عَلَى العِنَادِ جُحُودَا
قُلتُ: إنّ الدُّمُوعَ تَشْهَدُ لِيْ قَا ... لَتْ: صَحِيْحٌ لَكِنْ قَذَفْتُ الشُّهُودَا

[وقوله: [من السريع]

كَمْ ليلةٍ فِيْكِ وَصَلْنَا السُّرَى ... لاَ نَعْرِفُ النَّوْمَ وَلاَ نَسْتَرِيْحْ

وَكَادَتِ الأَنْفُسُ مِمَّا بِهَا ... ترهق الأَبْدَان مِنَّا تَطِيْحْ
وَاخْتَلَفَ الرُّفْقَةُ مَاذَا الَّذِيْ ... يَرُدُّ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَوْ يُرِيْح
فَقِيْلَ: تَغْرِيْسِهُمُ سَاعَةً ... وَقُلْتُ: بَلْ ذِكْرَاكِ وَهْوَ الصَّحِيْحْ]

قلت: هكذا فليكن، وإلاّ فلا أدب الفقهاء، وفي مثل هذا مذهب أهل الحزم أضعاف ذهب السفهاء، هذا الذي لا يقدر عليه من قدر عليه رزقه، وابتسم بسمة أهل الفضل، وهو لا يستحقّه.

[ومنه قوله: [من الطويل]

أَتَيْتُك وَالآمَالُ تَسْرِي إِلَى مَدًى ... بَعِيْدٍ أَرَاهُ بِاصْطِنَاعِكَ يَقْرُبُ
وَقَدْ شَنَّعَ الأَعْدَاءُ أَنَّ مَطَالِبِي ... تُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِهَا وَهْيَ خُيَّبُ
ومَا تَرَكُوا مِنْ حُجّةٍ أو أَتَوا بِهَا ... عَلَى أَنَّنِيْ مَالِيْ بِبَحْرِكَ مَشْرَبُ
وواللهِ لاَ صَدَّقْتُ أَنَّكَ تُرْتَجَى ... لِدَفْعِ مُلِمٍّ حَادِثٍ فَتُخَيِّبُ]

وقوله: [من الوافر]

/٣٢١/ أُوَدِّعُكُمْ وَأُوْدِعُكُمْ حَيَاتِي ... وَأَنْثُرُ دَمْعَتِيْ نَثْرَ الجُمَانِ
وَقَلْبِيْ لاَ يُرِيْدُ لَكُمْ فِرَاقاً ... وَلَكِنْ هَكَذَا حُلْمُ الزَّمَانِ

ومن نثر القاضي أبي الفتح ما كتبه إلى نوابه في الحكم بالوجه القبلي البحري، عندما فُوّض إليه قضاء القضاة بالديار المصرية، بعد البسملة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾(١)؛ صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامي، وفّقه الله لقبول النصيحة، وآتاهُ لما يُقرّبُه قصداً صالحاً، ونيّةً صحيحة، أصدرناها إليه: بعد حمد الله الذي ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾(٢)، ويُمهل حتى يلتبس الإمهال بالإهمال على المغرور، تذكّره بأيام الله ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾(٣)، وتحذّره صفقة من باع آخرته بدنياه، فما أحد سواه مغبون، عسى اللهُ أن يرشده بهذا التذكار وينفعه، وتأخذ هذه النصائح بِحُجْزَتِهِ عن النار؛ فإني أخاف أن يتردّى فيغر من ولاّه، والعياذ بالله معه، والموجب لإصدارها ما تلمحناه من الغفلة المستحكمة على القلوب، ومن تقاعد الهمم عن القيام بما يجب للربِّ على المربوب، ومن أُنسهم بهذه الدار وهم يُزعجون عنها، وعلمهم بما بين أيديهم من عقبة كؤود، وهم لا يتخفَّفون منها، ولا سيما القُضاة الذين تحمّلوا أعباء الأمانة على كواهل ضعيفة، وظهروا بصورٍ كبارٍ، وهمم نحيفة. ووالله إنَّ الأمرَ لعظيم، وإن الخطب

(١) سورة التحريم: الآية ٦.
(٢) سورة غافر: الآية ١٩.
(٣) سورة الحج: الآية: ٤٧.

لجسيم، ولا أرى أنَّ مع ذلك أمناً ولا قراراً، ولا راحة؛ اللهم ألا رجل نبذ الآخرة وراءه، واتخذ إلهه هواه، وقصر همّه وهمَّته على حظ نفسه ودنياه، فغاية مطلبه / ٣٢٢/ حبّ الجاه والرغبة في قلوب الناس، وتحسين الزيّ، والملبس، والركبة، والمجلس، غير مستشعرٍ خسّة حاله، ولا ركاكة مقصده، وهكذا لا كلام معه ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[1] ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[2] فاتّق الله الذي يراك حين تقوم، واقصر أملك عليه؛ فالمحروم من فضله غير مرحوم، وما أنا وأنتم أيها النفر إلا كما قال حبيب العجمي ـ رضي الله عنه ـ وقد قال له قائل ـ: ليتنا لم نخلق؟!، فقال: قد وقعتم، فاحتالوا، وإن خفي عليك بعض هذا الخطر، وشغلتك الدنيا أن تقضي من معرفته الوطر، فتأمل قوله: القضاة ثلاثة، وقوله ﷺ مشفقاً: لا تَأَمَّرَنّ على اثنين، ولا تَلِيَنَّ مال يتيم، لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم: [من المتقارب]

وَمَا أَنَا وَالسَّيْرِفِي مَتْلَفٍ ... يُتَبرِّحُ بِالذَّكَرِ الضَّابِطِ

هيهات جفَّ القلم، ونفذ أمر الله، فلا رادَ لما حكم، إيهٍ ومن هنالك شمّ الناس من فم الصديق رائحة الكبد المشوي، وقال الفاروق: ليت أمَّ عمر لم تلده، واستسلم عثمان، وقال: من أغمد سيفه، فهو حرّ، وقال علي ـ والخزائن بين يديه مملوءة ـ: من يشتري منّي سيفي هذا؟، ولو وجدت ما أشتري به رداءً ما بعته، وقطع الخوف نياط قلب عمر بن عبد العزيز، فمات من خشية العرض، وعلّق بعض السلف في بيته سوطاً يؤدّب به نفسه إذا فتر. أفترى ذلك سُدًى، أم وضح أنا نحن المقرّبون، وهم البعداء؟ وهذه أحوال لا تؤخذ من كتاب السّلم والإجارة والجنايات، نعم إنما تُنال بالخضوع والخشوع، وبان تظمأ وتجوع، وتحمي عينيك الهجوع، ومما يعينك على الأمر الذي / ٣٢٣/ دعوت إليه، ويُزوّدك في مسيرك إلى العرض عليه، أن تجعل لك وقتاً تعمرهُ بالتفكّر والتدبّر، فإنّها تجعلها مُعدَّة لجلاء قلبك؛ فإنه إن استحكم صداه، صعب تلافيه، وأعرض عنه من هو أعلم بما فيه، واجعل أكثر همومك الاستعداد للمعاد، والتأهّب لجواب الملك الجواد؛ فإنه يقول: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[3] ومهما وجدت من همَّتك قصوراً، أو استشعرت من نفسك عما يذللها نفورا، فاجأر إليه، وقف ببابه، واطلب منه؛ فإنه لا يعرض عمَّن صدق، لا يَعْزُبُ عن علمه خفايا الضمائر ألاّ يعلم من خلق. هذه نصيحتي إليك، وحجتي بين يدي الله إن

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٠.
(٢) سورة فاطر: الآية ٢٢.
(٣) سورة الحجر: الآية ٩٢ـ ٩٣.

فرَّطت عليك، أسأل الله لي ولك قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، ونفساً مطمئنة، بمنّه وكرمه.

ومنهم:

[٤٦]

علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمرو بن عثمان بن علي بن مسوار بن سوّار ابن سليم الأنصاري، الخزرجي السبكي، ثم المصري الشافعي(١)

حجَّة المذاهب. مفتي الفرق، قدوة الحفاظ، آخر المجتهدين. قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن صاحب التصانيف. التقي البرّ، العليُّ القدر، سميُّ عليٍّ ـ كرم الله وجهه ـ الذي هو باب العلم، ولا غرو أن كان هو المدخل إلى ذلك الباب، والمستخرج من دقيق ذلك الفضل هذا اللباب، والمستنير من تلك المدينة التي ذلك الباب بابها، والواقف عليها مع سميّه فذاك بابها وهذا بوّابها. بحر لا يُعْرَف له عِبر، وصدرٌ لا يداخله كِبْر، وأُفق لا تقيسه كفّ الثريا بشبر، وأصل قدره أجلّ مما يموّه به لُجين النهار ذائب التبر، /٣٢٤/ إمام ناضح عن رسول الله ﷺ بنضاله، وجاهد بجداله، ولم يلطّخ بالدماء حدَّ نصاله. حمى حساب النبوة الشريف بقيامه في نصره، وتسديد سهامه للذبّ عنه من كنانة مصره، فلم يُخْطِ ـ على بعد الديار ـ سهمه الراشق، ولم يُخف مسام تلك الدسائس فهمه الناشق.

ثم لم يزل حتى نقّى الصدور من شبه دنسها، ووقى من الوقوع في ظلم حِندسها، قام حين خُلط على ابن تيميّة الأمر، وسوّل له قرينه الخوض في ضحضاح ذلك الجمر، حين سدَّ باب الوسيلة يغفر الله له، لا حرمها. وأنكر شدَّ الرحال لمجرد الزيارة، لا وآخذه الله وقطع رحمها، وما برح يُدلج ويسير حتى نصر صاحب ذلك الحمى الذي لا يُنتهك نصراً مؤزّراً، وكشف من خبّ الضمائر في الصدود عنه صدراً موغراً فأمسك ما تماسك من باقي العرى، وحصل أجراً في الدنيا يُسمع، وفي الآخر يُرى، حتى سهّل السبيل إلى زيارة صاحب القبر ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد كادت تزوَرّ عنه قسراً صدور الركائب، وتُجَرُّ قهراً أعنّة القلوب وهنَّ لوائب، بتلك الشبهة التي كادت شرارتها تعلَقُ بحداد الأوهام، وتَمُدّ غيهب صداها صدَأً على مرايا الافهام، وهيهات كيف يُزار

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١/ ٢٥٣، بغية الوعاة ٢/ ١٧٦، طبقات الشافعية للسبكي ١٠/ ١٣٩، طبقات القراء ١/ ٥٥١، طبقات الحفاظ ٥٢١، القلائد الجوهرية ١/ ١٠٦، البدر الطالع ١/ ٤٦٧، طبقات المفسرين ١/ ٤١٢.

المسجد، ويُجفى صاحبه ﷺ أو تخفيه الأفهام، أو تُذادُ المطيّ عنه وهي تتراشق إليه كالسهام، ولولاه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما عُرف تفضيل ذلك المسجد، ولا تمَّ إلى ذلك المحلَّ تأميل المغير، ولا المنجد، ولولاه لما قدّس الوادي، ولا أُسس على التقوى مسجد في ذلك النادي، وكذلك قبلها شكر الله له قام في لزوم ما انْعقد عليه الإجماع، وبعد الظهور بمخالفته على الاطلاع، ومنع في مسألة الطلاق أن يجري في الكفّارة مُجرى اليمين، وأن تجلى في صورة إن / ٣٢٥/ حقّقت لا تبين، خوفاً على محفوظ الأنساب، ومحظوظ الأحساب، لما كانت تؤدي إليه هذه العظيمة، وتستولي عليه هذه المصيبة العميمة، وصنّف في الردّ في هاتين المسألتين كتابيه، بل جرد سيفه وأرهف ذبابيه، وردّ القِرْنَ وهو ألدّ خصيم، وشدَّ عليه وهو يشدّ غير هزيم، وقابله وهو الشمس التي تُعشي الأبصار، وقاتله وكم جهد ما يثْبتُ البطل لعليّ في يده ذو الفقار(١): [من الكامل]

وَتَـطَـاعَـنَـا وتَـوَاقَـفَـتْ خَـيْـلاَهُـمَـا　　وَكِـلاَهُـمَـا بَـطَـلُ الـلِّـقَـاءِ مُـقَـنَّـعُ

وما زالت حتى تقصَّدت الصفاح، وتقصفت الرماح، وتحيَّفت الكلم الأدلة، وجفَّ القلم حتى لم يبق في فيه بِلّة، وانجلت غياهب ذلك العِثْيَر تبرق فيه صفحات الحقّ السوي، والحظّ السعيد النبوي، والنصر المحمدي إلاّ أنه بالفتوح العلوي، بجهاد أيّد صاحب الشريعة وآزره، وردّ على من سدَّ باب الذريعة، وخذل ناصره، وأمضى يُسابِقُ إليه مرمى طرفه جواد جرى على أعراقه، وجاء على اثر سُبّاقه، من عصابة الأنصار حيث تعرف في الحسب التليد، وتدّخر شرف النسب للمواليد، وتصغر عظائم الأخيار، وتُصعّرُ هامة كلّ جبّار، وتنشر ذؤابة يعرب على كتف شرفها، وتركز عصابة المجد المؤثل لسلفها(٢): [من الطويل]

ولله أَوْسٌ آخَـــــــــــرُوْنَ وَخَــــــــــــزْرَجُ

لا بل هو والله ممَّن تشيَّدت به حصونهم الحصينة، وحميت به أن يدخل الدجال أنقاب المدينة، واستلّه الفخار من بقايا تلك الأسرة في أكرم ظهورها، وأعظم شموسها المجلّلة للآفاق بظهورها وأعلى في مراقي الشريعة الشريفة درجا، وأسرى في أرجاء طيبة الطيّبة أرجا، وأحوى لعلومها أشتاتا، ولعلوّها في أسانيد العوالي إثباتا، / ٣٢٦/

(١) لأبي ذؤيب، انظر: شرح أشعار الهذليين للسكري ٣٨.

(٢) شطر بيت لابن الرومي، وصدره:
«فيدرك ثأر الله أنصار دينه....»
انظر: ديوانه ٢/ ٤٩٧.

ولحنوها على من نزل بها فيما هو أدفأ وأكنُّ أبياتا، وأسكن في صدور محافلها من الأسرار، واطلع في أُفق جحافها من الأقمار.

بزغ من مطلع الصحابة - رضي الله عنهم - ونزع به عرقُه إلى التابعين لهم بإحسان، وهو مثلهم إن لم يكن منهم، ثم خرج من بيت الوزارة حيث تتعاصر النجوم، وتتناصر ثم تتناصف الخصوم، وتخفض أعناق الغيوم، ويجري رُحضاء البرق كأنه محموم، وتحضر أندية الأفق، وسُهيل قد نُبذ بالعراء كأنّه ملوم، ويسري هودج النجم وكأنه برسن الجوزاء مزموم، ويباري صدر صدره الليل فَيَربد حنقاً ولو أُلقي في تياره لما استطاع أن يعوم، وتتطاير زُبد شهبه، ويتنفَّس سحره كأنّه مظلوم، ويظهر على آخر فجره، ثم يخفى كأنه غيظ مكظوم، ويُضاهي مرآه الضويُّ النهار، وأنّى له ووجه صباحه كأنّه من حُمرة الشفق ملطوم، ولو بذل ألفاً مثل دينار شمسه، لما بلغ ما يروم.

وبرز في طلب العلم حتى أسكت لسان كل متكلم، وأمات ذكر كل متقدّم، وأحيا إمامه الشافعي بنشر مذهبه، ونصر ذي النسب القُرشي في عليا رتبته، وقام بالاحتجاج لإمامة ابن المطلب في الائتمام بشريعة سيد بني عبد المطلب، وإقامة الحجة في سبب تقديمه، وحسب ما أحرز في حديثه مضافاً إلى قديمه يحتجّ لقوليه، ويحيل كنَف المُمنَّع من طريقيه، حتى أضحت تسفر له وجوهه سافرة النقب، ظاهرة المحاسن من وراء الحجب، لا ترد الهيم إلاّ حياضه، ولا تعِدُ المسيمُ إلاّ رياضه حتى تفرَّد والزمان بعدد أهله مشحون، والعصر بمحاسن بنيه مفتون، وساد أهل مصر قاطبة، واستوطنها وضرّتُها الشام له خاطبة، /٣٢٧/ وكان بها لدينٍ يُقيمه، ويقين يُديمه، وتُقًى هو وصفه، وعُلاً أراد مطاولته الطود، وما هو يصفه، وقطع بها مدَّة مقامه في علم ينشره. وحقّ ينصره، وضال يهديه، وطالب يجديه، وسنة يؤيدها، وبدعة في دكادك الخذلان يُلحدُها، وزيغ يقوّمُ منآده، وزيف يُعجّل انتقاده، وطريقة سلف ما عداها، وحقيقة صلف ما أنكرتّها عِدَاها، وفتاوٍ يعتمد عليها فقهاء الآفاق، ويستند إليها علماء مصر والشام والعراق.

وتصانيف هي جادة السبيل، ومادة الدليل، تصدُّ الأضاليل، وتَرُدُّ الأباطيل، وتَرِدُ على العلماء، فغاية المجيد أن يستحضر ما حوته من نقول، أو يمتدّ إلى أن يعُدّ نفسه معه، فلا يزيد على أن يكتب تحت خطّه: كذلك أقول.

ثم ولي قضاء الشام فذال عَطَلَه، وأزال خَطَلَه، وأصلح فاسده، ونفق كاسده، وتوقل ذروة منصبه حيث لا يمتطي السنام، ولا يستصلح الأنام، ولا يوجد الموهّل واحد في مصر، ولا شامه في الشام، فحكم بسيرة العمرين في الإنصاف، وحكى صورة القمرين في الأوصاف.

وانتهت إليه مشيخة دار الحديث بالاستحقاق فوليها، وعرَّضت له أخواتها فما رضيها وتدارك العلم ولم يبق منه إلاّ آخر الرمق، وصان المذهب، وما له وجه إلاّ ظاهر الرهق، وانتاش الطلبة من مراقد الخمول، ومقاعد الونى عن أوائل الحمول، حتى نفضت كواكبهم عن مُقلها الكرى، ورفضت سحائبهم إلاّ مواصلة السرى، إلى أن كثر العلم وطالبه، وعزَّ ذو الفضل وصاحبه، بكرم لله درّه ما أغزره، وجودٍ ما أقلَّ لديه جَدا البحر وما أنزره، لو عاصره حاتم، وهو /٣٢٨/ في الكرم، لما ذكر أو كعب بن مامة قد سمح حتى يحصّ جناحه لما شكر، بندًى يُغَصّ به البحر شرقاً، ويتفصَّد جبين السحاب عرقاً، ويتهيّبه البرقُ، فترتعد فرائصه فرقا، ويخشى صوائبه الرعد، فيتعوّذ، ولا تنفعُه الرُّقى.

هذا كلّه وهو بعض ما في كرم سجاياه، وأقلّ ما في كثير مزاياه. هذا إلى جبينٍ كالهلال، ووقار عليه سيماء الجلال، وأدب أعذب في المقيل من الماء الزلال، واطيب في المقيل من برد الظِّلال؛ بنوادِرَ أحرّ من الحجر، وألعب بالعقول ـ أستغفر الله ـ من الخمر.

حدا على طريق كسلفه العرب، ما قصّرت عن مداه الأوائل، واستجدَت من نداه النائل، وطرّق علمه منه بمقدار ما أعانه على التفسير الذي أسكت عارضة كل قائل، وغير هذا من انتزاع الميل وإقامة الدلائل.

ثم سرح إلى حيث يسرح الطرف، ويذوب الظرف، ويُلمّ ينادي المتيّمين، وينزل بوادي سلف أهل الصبابة المغرمين، ويخالط تلك العصابة في كيسها، ويذكر حديث ليلى وقيسها، لطائف لو أنها لأهل ذلك الزمان السالف، لما قالوا الأسمار إلاّ في طرائف طرائفها، ولا قالوا في سمرات الحيّ إلاّ في ظلٍّ وارفها، ولا زادوا من ربيع ابن أبي ربيعة إلاّ بعض زخارفها، ولا عدّوا جميلاً إلاّ ما نشر من فضل مطارفها، ولا رجعوا عنها إلى مذهب جرير في أوبة، ولا خيموا عَزْل الأناشيد بتوبة، كل ذلك بطرف أدب غضّ الجنى، ليس منه إلاّ إطراب السامع، وتنويع ما لا إثم فيه، إذا قيل في فضله الجامع. هو والله الجامع الذي لا تضاهي، هي بيوت عبادته المساجد، ولا تساهِرُ مُقل قناديلها /٣٢٩/ طرفه الهاجد، ولا تضمّ ضلوع محاربها مثل صدره، ولا يشتمل أحناء عقودها على مثل سرِّه، بسيرة زيّنها العفاف، فما تعنست صحف أيامها، وأقنعها الكفاف، فما رأت ما زاد عليه إلاّ من أيامها.

وقد عادت دمشق به معمورة الأندية، مأثورة الأنحية، باهرة العلماء، ظاهرة بزينة نجوم السماء، ماضيةً على منهج القدماء، قاضية على سواها بأنَّ العلم فيها بالحقيقة، وفي غيرها بالأسماء، وها هو اليوم ـ والله يبقيه ـ خير من أظلته خضراؤها، وصغرت لدى قدرة الجليل كبراؤها، قد ملك أهواء قلوب أهلها المتنائية، وساق بعصاه، سوائم شُرّدها

المتقاصية، واستوسق به أمر الشام لعليّ، وكان لا يطيق إلاّ معاوية.

مولده سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وسمع من الحافظ أبي محمد الدمياطي وطبقته، وبالثغر من يحيى الصوّاف وأقرانه، وبدمشق من ابن مشرّف بن الموازيني، وبالحرمين.

وكانت رحلته إلى دمشق سنة سبع وسبعمائة، وقرأ الروايات على تقيّ الدين الصائغ، وصنّف التصانيف المتقنة، وانتهت إليه رئاسة العلم في القراءات، والحديث، والأصلين، والفقه، وخرَّج له الإمام شهاب الدين الدمياطي مُعجماً كبيراً، وقصده به بدمشق، فحدّث به بالكلاسة من جامع دمشق بحضرة الحافظين أبي الحجاج المزي، وأبي عبد الله الذهبي، وجماعة من أعيان العلماء[١].

/ ٣٣٠/ وأنشدني له تذييلاً على قول عبد القاهر الجرجاني: [من الوافر]

طَلَبْتُ مِنَ الجَيْبِ زَكَاةَ خمس ... عَلَى صِغَرٍ مِنَ القَمَرِ البَهِيِّ
فَقَالَ: وَهَلْ عَلَى مِثْلِيْ زَكَاةٌ ... عَلَى رَأْيِ العِرَاقِيِّ الكَمِيِّ؟
فَقُلْتُ: الشَّافِعِيُّ لَنَا إمَامٌ ... وَقَدْ فَرَضَ الزَّكَاةَ عَلَى الصَّبِيِّ

والذي قاله ذيلاً على هذا[٢]: [من الوافر]

فَقَالَ: اذْهَبْ إذَنْ فاقبِضْ زَكَاتِي ... بِقَوْلِ الشَّافِعِيِّ مِنَ الوَلِيِّ
فقلت لَهُ: فَدَيْتُكَ مِنْ فَقِيهٍ ... أَيُطْلَبُ بِالْوَفَاءِ سِوَى المَلِيِّ
نِصَابُ الحُسْنِ عِنْدَكَ ذُوْ امْتِنَاعٍ ... بِلَحْظِكَ وَالقَوَامِ السَّمْهَرِيِّ
فَإنْ أَعْطَيْتَنَا طَوْعاً وَإلاَّ ... أَخَذْنَاهُ بِقَوْلِ الشَّافِعِيِّ

قلتُ: ولمَّا وقع إليه ما صنعه ابن تيميّة في مسالة الطلاق، وجده قد أكثر ذكر / ٣٣١/ ليلى وحسنها، وردّد ذكرها في غير موضع، فلما ردَّ عليه قال[٣]: [من البسيط]

فِيْ كُلِّ وَادٍ بِلَيْلَى وَالِهٌ شَغِفٌ ... مَا إنْ يَزَالُ بِهِ مِنْ مَسِّهَا نَصَبُ
فَفِيْ بَنِيْ عَامِرٍ مِنْ حُبِّهَا دَنَفٌ ... وَلابْنِ تَيْمِيَّةٍ مِنْ عَهْدِهَا شَغَبُ

وأراد بعهد ليلى ظاهراً ما هو له، وباطناً يمينها، واليمين العهد.

ومن تصانيفه: «الدرُّ النظيم في تفسير القرآن الكريم»، «شفاء السقام في زيارة خير الأنام»، «إبراز الحكَم من حديث رفع القَلَم»، «السيف المسلول على من سبّ الرسول»، «تكملة المجموع في شرح المهذّب» في الفقه، «الابتهاج في شرح المنهاج» في الفقه، «والتحبير المذهب في تحرير المذهب» ولم يُتمه، «التحقيق في مسألة

(١) بعده بياض بمقدار ٣ أسطر. ويستمر في الصفحة القادمة بمقدار ١١ سطر.
(٢) الأبيات في الوافي بالوفيات ٢١/ ٢٦٥. (٣) الأبيات في الوافي ٢١/ ٢٦٠.

التعليق»، «رافع الشقاق عن مسألة الطلاق» وكلاهما في الردّ على الشيخ تقيّ الدين ابن تيميّة، «منبه الباحث عن حكم دين الوارث»، «الرياض الأنيقة» في مسألة الحديقة، «أمثلة المشتق»، «إحياء النفوس في إلقاء الدروس»، «كشف القناع عن حكم لو الامتناع»، «ضوء المصابيح في صلاة التراويح» واختصره مرات، «أحكام كلّ وما عليه تدلّ»، «القول الموعب في القضاء بالموجب»، «المناسك»، «المناسك الصغرى»، «منتخب طبقات الفقهاء»، «القراءة خلف الإمام»، «المناسخات»، «تلخيص التلخيص» وتاليه، «الردّ على الشيخ زين الدين ابن الكناني»، «المناقشات المصلحية»، «جواب سؤال علي بن عبد السلام»، «كشف اللبس» منتقى من المكمّل، «نقد الاجتماع والافتراق»، «بيع المرهون في غيبة المديون»، «بيان حكم الربط في اعتراض الشرط على الشرط»، «نور الربيع من كتاب الربيع»، «الرقم الأبريزي في شرح مختصر التبريزي»، في الفقه، «رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب» في الأصول، «الابتهاج في شرح المنهاج» في الأصول، «فصل المقال في هدايا العُمّال»، «عقود الجمان في عقود الرهن والضمان»، «طليعة الفتح والنصر في صلاة الخوف والقصر»، «كشف الغمّة في ميراث أهل الذمة» / ٣٣٢/ ، «التهدي إلى معنى التعدّي»، «حسن الصنيعة في أحكام الوديعة»، «الطوالع المشرقة في الوقف على طبقة بعد طبقة»،

«الغيث المغدق في ميراث ابن المعتق»، «السهم الصائب في قبض دين الغائب»، «الاتساق في بقاء وجه الاشتقاق»، «العارضة في البينة المتعارضة»، «قطف النور في مسائل الدور»، «الكلام على قوله [ما لم تمسّوهن]»

وأما غير ذلك ما بسط فيه الكلام في المسائل المفردة، وأجوبة الفتاوى وغير ذلك، فيزيد على ثلاثين مسألة، نفع الله بذلك.

* * *

آخر السفر الخامس من كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»

ويتلوه في السِّفر السادس ـ إن شاء الله تعالى ـ: وإذ قد ختمنا فقهاء المحدّثين بالجانبين، ولم ندع منهم زينة مشرق ولا مغرب، ولا مطلع هلالٍ ولا كوكب..

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

حسبُنا الله ونعم الوكيل.

* * *

مصادر ومراجع التحقيق

● آداب اللغة العربية: لجرجي زيدان، مط الهلال ـ القاهرة ١٩١٢.

● الأئمّة الاثنا عشر: شمس الدين محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ) ـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد ـ طبعة ١٩٥٨م.

● أخبار العلماء بأخبار الحكماء: الوزير جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ) ـ طبعة القاهرة ١٣٢٦هـ.

● أخبار العبّاس وولده: مؤلّف مجهول ـ تحقيق: د. عبد العزيز الدوري ود عبد الجبار المطلبي ـ طبعة بيروت

● أخبار القُضاة: القاضي وكيع محمد بن حيّان (ت ٣٠٦هـ) ـ طبعة عالم الكتب، بيروت.

● أخبار مكة، وما جاء فيها من الآثار: للأزرقي، أبي الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد، ط مكة ١٣٥٢ـ ١٣٥٧هـ.

● أخبار النحويين البصريين: ـ أبو سعيد الحسن ابن عبد الله السيرافي (ت ٣٦٨هـ) ـ تحقيق د. فريتش كرنكو ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦.

● الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ليوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، ط بهامش كتاب الإصابة، ط (أوفست) دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٣٢٨هـ

● أدب الطف أو شعراء الحسين: لجواد شبر، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

● أسد الغابة في معرفة الصحابة: ـ علي بن أبي الكرم محمد، المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) ـ طبعة طهران.

● الأسماء والصفات: ـ البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عماد الدين، أحمد حيدر، ط دار الكتاب العربي ١٩٨٧.

● الإصابة في تمييز الصحابة: ـ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ـ طبعة مصر ١٩٣٩.

● الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، ط٤/ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٧٩.

● أعيان الشيعة: للسيد محسن الأمين العاملي، ط١/ دمشق، ابتداءً من سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.

● أعيان العصر وأعوان النصر: لصلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: علي أبو زيد وآخرين، ط مركز جمعة المساجد ودار الفكر ـ دمشق ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

● الأغاني: ـ أبو الفرج، علي بن الحسين الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) ـ طبعة مؤسسة جمّال ببيروت، المصوَّرة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣.

● الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: الأمير هبة الله بن ماكولا (ت ٤٥٧هـ) ـ نشره المعلمي اليماني، ط حيدر آباد ـ الدكن ١٩٦٢م.

● الأمالي: ـ أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦هـ)، تقديم محمد عبد الجواد الأصمعي: ـ طبعة دار الكتاب العربي ببيروت المصوَّرة عن طبعة دار الكتب المصرية.

● أمالي المرتضَى (غُرر الفوائد ودُور القلائد): ـ الشريف المرتَضَى، علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٦٧.

● أمراء دمشق في الإسلام: ـ خليل بن أيبك

الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ـ تحقيق د. صلاح الدين المنجد ـ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٥٥م.

- إنباه الرُواة على أنباه النُحاة: ـ الوزير جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥م.
- الانتقاء في فضل الثلاثة الأئمة الفقهاء: مالك والشافعي وأبي حنيفة: ـ يوسف بن عبد البر القرطبي (ت ٣٦٤هـ) ـ القاهرة ١٩٥٠م.
- الأنساب: ـ الإمام أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ) ـ تحقيق محمد عوّامة ـ نشره محمد أمين دمج ـ بيروت، وطبعة مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- أنساب الأشراف: ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذُري (ت ٢٧٩هـ)، الجزء الثالث: ـ تحقيق عبد العزيز الدوري ـ منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٩٧٨. الجزء الخامس: ـ نشره غويتن ـ طبعة القدس ١٩٣٦.
- الأنساب المتفقة: ـ أبو الفضل، محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني (ت ٥٠٧هـ) ـ تحقيق دي غويه ـ طبعة المثنّى ببغداد.
- الأوزاعي وتعاليمه الإنسانية والقانونية: ـ د. صبحي المحمصاني ـ بيروت ١٩٧٨.
- البداية والنهاية في التاريخ: ـ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ـ طبعة بيروت، الرياض ١٩٦٦م.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: لمحمد بن علي الشوكاني، ط مصر ١٣٤٨هـ/ وط١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- بغية الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين عمر ابن العديم، تحقيق: د. سُهيل زكار، ط دار الفكر ـ بيروت.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: ـ أحمد بن يحيى بن أحمد بن عمير الضّبّي (ت ٥٩٨هـ) ـ نشر دار الكاتب العربي ـ القاهرة ١٩٦٧م.
- بغية الوُعاة في طبقات اللُغويين والنُحاة: ـ جلال الدين، عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت ٩١١هـ) ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦هـ.
- البيان المُغْرِب في أخبار الأندلس والمغرب: ـ ابن عذارى المراكشي ـ نشره ج.س.كولان، وليفي بروفنسال ـ طبعة دار الثقافة، بيروت.
- البيان والتبيين: ـ أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ ـ طبعة دار الفكر للجميع، بيروت ١٩٦٨.
- تاج العروس من جواهر القاموس: ـ السيد محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي ـ سلسلة التراث العربي، منشورات وزارة الإعلام، الكويت.
- التاج المكلَّل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: ـ أبو الطيّب، صدّيق بن حسن القنوجي ـ طبعة بمباي ١٩٦٣م.
- التاريخ: ـ أبو زكريا، يحيى بن مَعين بن عون بن زياد المرّي الغَطَفَاني (ت ٢٣٣هـ) ـ تحقيق د. أحمد محمد نور سيف ـ منشورات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ـ مكة المكرمة ١٩٧٩.
- تاريخ أبي زُرْعَة: ـ أبو زُرْعَة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي ـ رواية أبي الميمون بن راشد ـ تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠م.
- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام: ـ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ـ نسخة خطية بدار الكتب المصرية، رقم (٣٩٦)، ثم نشره حسام الدين القدسي ـ القاهرة، وبتحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- تاريخ بغداد: ـ الحافظ أبو بكر، أحمد بن علي ابن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ـ طبعة محمد أمين الخانجي ـ مطبعة السعادة بمصر ١٩٣١م.
- تاريخ بيروت والأمراء البُحْتُريّين: ـ صالح بن

يحيى (توفي في القرن التاسع الهجري) ـ تحقيق فرنسس هورس وكمال الصليبي ـ طبعة المشرق، الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٧.

● تاريخ جُرْجان: ـ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي ـ طبعة حيدر آباد ـ الدكن ١٩٥٠م.

● تاريخ الحكماء (مختصر الزَّوْزَني المسمَّى بالمنتخبات الملتَقَطات من أخبار الحكماء): ـ جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ) ـ نشره ليبرت ـ لَيْبزغ ١٩٠٣م.

● تاريخ حكماء الإسلام: للبيهقي، ط دمشق ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م

● تاريخ الخلفاء: ـ جلال الدين، عبد الرحمن ابن الكمال السيوطي (ت ٩١١هـ) ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ طبعة السعادة بمصر ١٩٥٢.

● تاريخ خليفة بن خياط: ـ أبو عمر خليفة بن خيّاط، شباب العصفري (ت ٢٤٠هـ) ـ تحقيق د. أكرم ضياء العمري ـ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٧.

● تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري): ـ محمد ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار المعارف بمصر.

● التاريخ الصغير: ـ الإمام أبو عبد الله، محمد ابن يونس الأزدي المعروف بابن الفَرَضي (ت ٤٠٣هـ) ـ طبعة القاهرة ١٩٦٦.

● التاريخ الكبير: ـ الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) صحّحه عبد الرحمن بن يحيى اليماني ـ نشرته دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٢هـ.

● تاريخ مدينة دمشق: ـ الحافظ أبو الحسن علي ابن حسن المعروف بابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ) ـ نسخة خطّية بدار الكتب المصرية، رقم ١٠٤١ تاريخ ـ تيمور، ثم نسخة مصوّرة تتضمّن تراجم من اسمه «عبد الله» ـ نشرها مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٨م، ثم بتحقيق عدة محققين، ط دار الفكر ـ بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

● تاريخ الموصل: ـ أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي (ت ٣٣٤هـ) ـ تحقيق د. علي حبيبة ـ القاهرة ١٩٦٧.

● تاريخ واسط: ـ أسلم بن سهل الرزّاز الواسطي المعروف ببحشل (ت ٢٨٠هـ) ـ تحقيق: كوركيس عواد ـ مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٦٧م.

● تاريخ ابن الوردي لزين الدين، عمر بن مظفر الوردي، ط القاهرة ١٢٨٥هـ.

● تاريخ اليعقوبي: ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) ـ منشورات دار صادر بيروت.

● تذكرة الحُفّاظ: ـ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ـ طبعة حيدر آباد ـ الدكن ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧م.

● التذكرة الفخرية: للصاحب بهاء الدين، علي ابن عيسى الإربلي (ت ٦٩٢هـ)، تحقيق: نوري حمودي القيسي، ود. حاتم صالح الضامن، ط بغداد ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

● تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل: ـ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) ـ تحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليماني ـ طبعة حيدرآباد ـ الدكن ـ ١٩٥٢.

● تقريب التهذيب: ـ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ـ نشره عبد الوهاب بن عبد اللطيف ـ بيروت ١٩٧٥.

● التكملة لابن الأبار.

● تهذيب الأسماء واللغات: ـ أبو زكريا، محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ـ طبعة بيروت.

● تهذيب التاريخ الكبير (تاريخ دمشق): ـ الحافظ أبو الحسن، علي بن حسن المعروف بابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ) ـ هذّبه: عبد القادر بدران ـ طبعة دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩.

● تهذيب التهذيب: ـ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ـ طبعة حيدرآباد ـ الدكن ١٣٢٥ وما بعدها.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: لجمال الدين، أبي الحجاج، يوسف المزّي (ت٧٤٢هـ) تحقيق: د. بشار عوّاد معروف، ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢.
- الثقات: ـ محمد بن حبّان البُسْتي (ت ٣٥٤هـ).
- الجامع الصغير: ـ جلال الدين عبد الرحمن ابن الكمال السيوطي (ت ٩١١هـ).
- جذوة المقتبس في ذكر وُلاة الأندلس: ـ أبو عبد الله، محمد بن أبي نصر فتّوح بن عبد الله الأزدي الحُمَيْدي (ت ٤٨٨هـ) ـ طبعة مصر ١٩٦٦.
- الجرح والتعديل: ـ عبد الرحمن بن أبي حاتم ابن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي (ت ٣٢٧هـ) ـ طبعة حيدرآباد ـ الدكن ١٩٥٣م.
- الجمع بين رجال الصحيحين: ـ أبو الفضل محمد بن طاهر القيسراني (ت ٥٠٧هـ) ـ طبعة حيدرآباد ـ الدكن ١٣٢٣هـ.
- جمهرة أنساب العرب: ـ أبو محمد، علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) ـ تحقيق: عبد السلام محمد هارون ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٧.
- الجواهر المُضِيَّة في طبقات الحنفية: ـ محمد ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي (ت ٧٧٥هـ) ـ طبعة حيدرآباد ـ الدكن ١٣٣٢هـ.
- حُسْن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: ـ جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت ٩١١هـ) ـ طبعة القاهرة ١٢٩٩هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ـ الحافظ أبو نُعَيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ـ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م.
- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم العراق): للعماد الأصفهاني، تحقيق: محمد بهجت الأثري، ط بغداد.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ـ عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ طبعة القاهرة ١٩٦٦.
- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ـ صفيّ الدين الخزرجي الأنصاري ـ طبعة مصر ١٣٢٢هـ.
- دائرة المعارف الإسلامية: نقلها إلى العربية: محمد بن ثابت الفندي، وأحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، ط مصر ١٩٣٣ـ ١٩٥٧.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: لابن حجر العسقلاني، ط حيدرآباد ـ الدكن ١٩٤٥ـ ١٩٥٠م.
- دفع شُبَه التشبيه: ـ ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ).
- دُول الإسلام: ـ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ط حيدرآباد ـ الدكن ١٣٣٧هـ، ثم ـ تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ـ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٤م.
- ديوان رؤبة بن العجّاج: ـ رؤية بن العجّاج (ت ٤٤٥هـ) ـ نشره وليم ابن اللورد البروسي، سنة ١٩٠٣.
- ديوان ابن الرومي: ـ تحقيق د. حسين نصار، ط ٣/ دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ديوان عمارة اليمني: شرح وتحقيق: عبد الرحمن يحيى الإرياني، وأحمد بن عبد الرحمن المعلّمي، ط دمشق ٢٠٠٠م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي: تحقيق: علي ملكي، ط الفكر للجميع والرأي العام ـ بيروت [دت]، ثم ط دار صادر ـ دار بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.
- ديوان الفرزدق: ط دار صادر ـ بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- ديوان ابن قلاقس: تحقيق: د. سهام فريح، ط الكويت ٢٠٠٠م.
- ديوان المعاني: ـ أبو هلال العسكري ـ طبعة مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٢هـ.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لعلي بن بسّام الشنتريني الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، ط مصر، وبتحقيق د. احسان عباس ط دار الثقافة ـ بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

- ذِكْر أخبار أصبهان: ـ الحافظ أبو نُعَيْم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ـ نشره سنن درربج ـ طبعة ليدن ١٩٣١م.
- رجال السند والهند إلى القرن السابع: ـ القاضي أبو المعالي أطهر المباركبوري ـ طبعة دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٨هـ.
- رجال الطوسي: ـ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، نشره محمد صادق آل بحر العلوم: ـ المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٦١م.
- الرسالة القشيرية: لعبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: معروف مصطفى زريق وعلي عبد الحميد أبو الخير، ط٣/ دار الخير دمشق ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م
- رسالة محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي: ـ أحمد بن محمد بن أحمد الموصلي المعروف بابن زيد (ت ٨٧٠هـ) ـ نشره شكيب أرسلان، القاهرة ١٩٣٣.
- رفع الاصْر عن قَضاء مصر: ـ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ـ تحقيق حامد عبد المجيد ـ نشرته وزارة الثقافة والإرشاد بمصر، ١٩٦١.
- روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات: ـ ميرزا محمد باقر الموسوي الخُوانساري ـ طبعة إيران ١٣٦٧هـ.
- زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر: لصفوان ابن إدريس التجيبي المرسي، ط بيروت ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.
- زهر الآداب وثمر الألباب: ـ الحُصَري ـ تحقيق علي محمد البجاري ـ طبعة مصر ١٩٥٣م.
- السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد: ـ الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ـ تحقيق ودراسة محمد بن مطر الزهراني ـ طبعة دار طيبة، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- سنن الترمذي: محمد بن سوره الترمذي: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٧م.
- سِيَر أعلام النبلاء: ـ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق جماعة بإشراف شعيب الأرناؤوط: ـ طبعة مؤسسة الرسالة. بيروت ١٩٨١م.
- شَذَرات الذَهَب في أخبار مَن ذهب: ـ أبو الفلاح، عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت، المصوَّرة عن الطبعة المصرية ١٣٥١هـ.
- شرح أشعار الهذليين: لأبي سعيد السكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، ط القاهرة [دت].
- شرح مقامات الحريري: ـ الشريشي أحمد بن عبد المؤمن (ت ٦٣٠هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة المدني بمصر ١٩٧٣.
- الشعر والشعراء: ـ أبو محمد، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) ـ طبعة دار الثقافة ببيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- شيخ المضيرة، أبو هريرة: لمحمد أبو ريّة، ط ٤/ بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م
- صحيح البخاري: الإمام أبو عبد الله، محمد ابن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) ط دار الشعب ـ مصر [دت].
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ) ط عيسى البابي ـ مصر ١٣٧٤هـ.
- صفة الصفوة: ـ جمال الدين أبو الفرج المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ـ تحقيق محمود فاخوري ـ خرّج أحاديثه محمد روّاس قلعه جي ـ طبعة حلب ١٣٩٣هـ.
- الضعفاء الصغير: ـ الإمام أبو عبد الله، محمد ابن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) (ملحق بالتاريخ الصغير) ـ تحقيق: محمود إبراهيم زايد ـ طبع حلب ١٣٩٦هـ.
- الضعفاء والمتروكين: ـ الحافظ، أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي ـ (ملحق بالضعفاء الصغير للبخاري) ـ تحقيق محمود إبراهيم زايد ـ طبعة حلب ١٣٩٦هـ.

● الطبقات: ـ أبو عمر، خليفة بن خياط شباب العصفري (ت ٢٤٠هـ) ـ تحقيق د. أكرم ضياء العمري ـ طبعة العاني ببغداد ١٩٦٧م.
● طبقات الحُفّاظ: ـ جلال الدين عبد الرحمن ابن الكمال السيوطي (ت ٩١١هـ) طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
● طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين السبكي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، ط القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
● طبقات الشعراء المحدثين: ـ ابن المعتزّ ـ تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٦.
● طبقات الصوفية: لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) تحقيق: نور الدين شريبة، ط حلب ١٩٥٣.
● طبقات الفقهاء: ـ أبو إسحاق الشيرازي الشافعي (ت ٤٧٦هـ) ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ طبعة بيروت ١٩٧٠.
● طبقات القراء = غاية النهاية.
● الطبقات الكبرى: ـ محمد بن سعد المعروف بكاتب الواقدي (ت ٢٣٠هـ) ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ طبعة دار صادر، بيروت ١٩٥٧، ١٩٥٨م.
● الطبقات الكبرى، المُسمّاة (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار): ـ أبو المواهب عبد الوهاب ابن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي المصري المعروف بالشعراني ـ طبعة البابي الحلبي، مصر ١٩٥٤.
● طبقات المدّلسين: ـ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
● طبقات المعتزلة: ـ أحمد بن يحيى بن المرتضَى ـ تحقيق سوسنة ديقلد ـ فلزر ـ طبعة بيروت ١٩٦١.
● طبقات المفسّرين: ـ محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت ٩٤٥هـ) ـ تحقيق علي محمد عمر ـ طبعة القاهرة ١٩٧٢.
● طبقات النُّحَاة واللُّغويّين: ـ أبو بكر محمد ابن الحسن الزبَّيدي (ت ٣٧٩هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٣.
● عبد الرحمن الأوزاعي شيخ الإسلام: ـ طه الولي ـ طبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٨.
● العِبَر في خبر مَن غَبَر: ـ شمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ـ تحقيق: د. صلاح الدين المنجد وفؤاد السيّد ـ طبعة الكويت ١٩٦٠ـ ١٩٦٦.
● العِقْد الفريد: ـ أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) ـ تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري ـ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ مصر ١٩٥٢م.
● العِقْد الثمين في تاريخ البلد الأمين: ـ تَقيّ الدين، محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي (ت ٨٣٢هـ) ـ تحقيق فؤاد سيد ومحمد طاهر الطناحي ـ القاهرة ١٩٥٩ـ ١٩٦٩م.
● تاريخ علماء بغداد: المسمى منتخب الأخبار: لمحمد بن رافع السلامي، ذيّل به على تاريخ ابن النجار، انتخبه التقي الفاسي المكي، ط بغداد ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
● عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ـ أحمد ابن علي الداودي الحسني ـ تحقيق د. نزار رضا ـ طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت.
● عوارف المعارف: لشهاب الدين، أبي حفص، عمر السهروردي (ت ٦٣٢هـ)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف، ط دار المعارف بمصر ١٩٩٣م/ ٢٠٠٠م.
● عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسيَر: ـ أبو الفتح، محمد بن أبي عمرو محمد المعروف بابن سيّد الناس (ت ٧٣٤هـ) ـ طبعة مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٦٥هـ.
● عيون الأخبار: ـ أبو محمد، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدِّينَوَري (ت ٢٧٦هـ) ـ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٥.
● عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ـ موفق الدين، أبو العباس، أحمد بن القاسم بن أبي أُصَيْبعة السعدي الخزرجي (ت ٦٦٨هـ) ـ طبعة دار

بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ثم دار الحياة - بيروت.

● عيون التواريخ: لمحمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: نبيلة عبد المنعم داود، ج٢٣ ط بغداد ١٩٩١م.

● غاية النهاية في طبقات القراء: - محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) - تحقيق: أتو بدتزل وبرجستراسر - القاهرة ١٩٣٣ - ١٩٣٧م.

● الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: - محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (ت ٧٠٩هـ) - طبعة دار صادر، بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

● فضائل الأندلس وأهلها: لابن حزم وابن سعيد والشقندي، تحقيق: صلاح الدين المنجد - ط بيروت ١٩٦٨م.

● الفهرسْت: - محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم (ت ٣٨٠هـ) - طبعة مصوَّرة عن طبعة أوربة بتحقيق فلوجل - مكتبة خيّاط، بيروت ١٩٦٤م.

● فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنَّفة في ضروب العلم وأنواع المعارف: - أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ)، نشره فرنستسكه قداره زيدين وخليان رباره طرغوه: - طبعة سرقُسْطَه ١٨٩٣ (مصوَّرة دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩).

● فوات الوفيات: - محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) - تحقيق: د. إحسان عباس - طبعة دار صادر، بيروت ١٩٧٣، ١٩٧٤.

● القاموس المحيط: - مجد الدين، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي (ت ٨١٧هـ) - مصوَّرة دار الفكر، بيروت.

● قُضاة قرطبة وعلماء إفريقية: - أبو عبد الله الخشني - طبعة القاهرة ١٣٧٢هـ.

● قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: لابن الشعّار الموصلي (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

● القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية: لابن طولون، تحقيق: أحمد بن محمد دهمان، ط دمشق ١٩٤٩م.

● الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب السّتّة: - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) - نشره عزّت علي عيد عطيّة وموسى محمد علي الحوشي - طبعة القاهرة ١٩٧٢م.

● الكامل في التاريخ: - عزّ الدين، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) - طبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٥.

● كشف الظنون عن أسلمي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله بحاجي خليفة ومكاتب جلبي، ط استانبول ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م.

● اللُّبَاب في تهذيب الأنساب: - عزّ الدين، علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) - طبعة دار صادر، بيروت.

● لسان الميزان: - أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) - طبعة حيدرآباد - الدكن ١٣٢٩هـ.

● المجروحين من المحدّثين والضعفاء والمتروكين: - محمد بن حبّان البُسْتي (ت ٣٥٤هـ) - نشره محمود إبراهيم زايد - طبعة حلب ١٣٩٦هـ.

● المحبّر: - رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السُّكّري، عن أبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ) - صحّحته د. إيلزه ليختن شتيتر، مصوَّرة دار الآفاق الجديدة ببيروت عن طبعة حيدرآباد - الدكن ١٣٦١هـ.

● مراتب النَّحْويين: - أبو الطيّب، عبد الواحد ابن علي اللُّغَوي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة القاهرة ١٩٥٥م.

● مِرآة الجنان وعبرة اليقظان في حوادث الزمان: - أبو محمد عبد الله اليافعي (ت ٧٦٨هـ) - طبعة حيدرآباد - الدكن ١٣٢٨.

● مروج الذهب ومعادن الجوهر: - علي بن

الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ) ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٥٨.
● مشاهير علماء الأمصار: ـ محمد بن حِبّان البُسْتي (ت ٣٥٤هـ) ـ نشره م. فلا يشهم ـ طبعة القاهرة ١٩٥١م.
● المشتبه في أسماء الرجال: ـ شمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ـ تحقيق: علي محمد البجاوي ـ طبعة القاهرة ١٩٦٢.
● المصايد والمطارد: ـ محمود بن الحسين، أبو الفتح المعروف بكشاجم (ت ٣٦٠هـ) ـ تحقيق د. محمد أسعد طلس ـ طبعة بغداد ١٩٥٤.
● المطرب من أشعار أهل المغرب: لابن دحية، تحقيق: إبراهيم الإبياري وآخرون، ط القاهرة ١٩٥٤م.
● المعارف: ـ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّيَنَوري (ت ٢٦٧هـ) ـ تحقيق: د. ثروت عُكاشة ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.
● معجم الأدباء (المعروف بإرشاد الأريب): ـ أبو عبد الله، شهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) ـ نشره: د. مرجليوث ـ القاهرة ١٩٣٦ـ ١٩٣٨.
● معجم البلدان: ـ أبو عبد الله، شهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) ـ طبعة دار صادر، بيروت.
● معجم بني أميّة: ـ د. صلاح الدين المنجد ـ طبعة دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠.
● معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م: كامل سلمان الجبوري، ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
● معرفة علوم الحديث: ـ الإمام الحاكم، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) ـ تحقيق: د. السيد معظّم حسين ـ مصوَّرة المدينة المنوَّرة ١٩٧٧ عن طبعة حيدرأباد ـ الدكن.
● معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: ـ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ـ تحقيق محمد سيّد جاد الحق ـ طبعة دار التأليف بمصر ١٩٦٩م.
● المعرفة والتاريخ: ـ أبو يوسف، يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧هـ) ـ تحقيق: د. أكرم ضياء العمري ـ طبعة وزارة الأوقاف العراقية، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧٤ـ ١٩٧٦م.
● المغرب في حلي المغرب: لابن سعيد المغربي الأندلسي، تحقيق: د. زكي محمد حسن، د. شوقي ضيف، د. سيّده كاشف، ط مصر ١٩٥٣م.
● المُغْني في الضعفاء: ـ شمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ـ تحقيق: د. نور الدين تمر ـ مصوَّرة ببيروت (لا مكان للطبع ولا تاريخ).
● مقاتل الطالبيين: ـ أبو الفرج، علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) ـ تحقيق: السيد أحمد صقر ـ طبعة القاهرة ١٩٤٩.
● مقدّمة فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ـ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ت) طبعة القاهرة.
● مناقب أبي حنيفة: ـ الإمام الموفَّق بن أحمد المكّي الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ) ـ نشره محمد حيدر الله خان الدران الحنفي ـ صوّرته دار الكتاب العربي ببيروت ١٤٠١هـ عن طبعة حيدرآباد ـ الدكن.
● مناقب أبي حنيفة: ـ الإمام حافظ الدين بن محمد المعروف بالكردَري (ت ٨٢٧هـ) مُلْحَق بالذي قبله.
● المُنْتَخَب من كتاب ذيل المُذَيَّل: ـ محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٧م.
● المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: ـ الحسن ابن بِشْر الآمدي (ت ٣٧٠هـ) ـ نشره د.ف كرنكو ـ طبعة القدسي بالقاهرة.
● موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي: ـ جمعها: د. عمر عبد السلام تدمري ـ طبعة المركز الإسلامي للإعلام

والإنماء، بيروت ١٩٨٤.
● ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ـ شمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ـ تحقيق: علي محمد البجاوي ـ القاهرة ١٩٦٣م.
● النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ـ جمال الدين، أبو المحاسن، يوسف بن تعزي بردي (ت ٨٧٤هـ) ـ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣.
● نزهة الألباء في طبقات الأدباء والنُّحاة: ـ أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ـ تحقيق د. إبراهيم السامرائي ـ بغداد ١٩٥٩م.
● نزهة الألباب في الألقاب: ـ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ـ نسخة خطيّة بدار الكتب المصرية رقم ٣٣٦ مصطلح الحديث.
● نسب قريش: ـ مَصْعَب بن عبد الله بن الزبير (ت ٢٣٦هـ) ـ تحقيق ليفي بروفنسال ـ طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٣.
● نسمة السحر بذكر من تشيّع وشعر: لضياء الدين، يوسف بن يحيى الحسني اليمني الصنعاني (ت ١١٢١هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط دار المؤرخ العربي ـ بيروت ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
● نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للمقري، ط مصر ١٣٠٢هـ، ثم بتحقيق: د. إحسان عباس، ط دار صادر ـ بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
● نَكْت الهميان في نُكَت العميان: ـ صلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ـ نشره د. أحمد زكي ـ القاهرة ١٩١١م.
● نهاية الأرب في فنون الأدب: ـ شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ) ـ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣م.
● نور القَبَس المختصر من المقتبس: ـ للمرزباني ـ اختصار: الحافظ أبي المحاسن، يوسف بن أحمد (ت ٦٧٣هـ) ـ تحقيق رودلف زلهايم ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٤م.
● هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل باشا البغدادي ط استانبول ١٩٥١ ـ ١٩٥٥م.
● أبو هريرة: لعبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي، ط النجف ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م
● الوافي بالوفيات: ـ صلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) منشورات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ببيروت ١ ـ ١٧ جزءاً.
● الوزراء والكُتَّاب: ـ محمد بن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١هـ) ـ تحقيق: مصطفى السَّقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ـ طبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٣٨.
● وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ـ أبو العباس، شمس الدين، أحمد بن خلّكان (ت ٦٨١هـ) ـ تحقيق: د. إحسان عباس ـ طبعة دار الثقافة بيروت.
● الولاة والقضاة: ـ أبو عمر، محمد بن يوسف الكِنْدي المصري (ت ٣٥٠هـ) ـ نشره رفن كَست ـ مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨.
● يتيمة الدهر: لأبي منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ) ط دار الفكر ـ بيروت [دت].

* * *

فهرس المحتويات